

جامعة تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية

قسم التاريخ وعلم الآثار

شعبة علم الآثار

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم

تخصص علم الآثار والمحيط والموسومة بـ:

المسكن الإسلامي في القصور الصحراوية بالجزائر

دراسة تحليلية مقارنة لقصور مزاب وورقلة

إعداد الطالب

محمد جودي

إشراف

أ. د. بلحاج معروف

لجنة المناقشة:

- | | | | |
|-------|---------------|----------------------|--------------------------|
| رئيسا | جامعة تلمسان | أستاذ محاضر أ | د. بسنوسي الغوثي |
| مشرفا | جامعة تلمسان | أستاذ التعليم العالي | أ.د. بلحاج معروف |
| عضوا | جامعة تلمسان | أستاذ محاضر أ | د. نقادي سيدي محمد |
| عضوا | جامعة الجزائر | أستاذ محاضر أ | د. عزوق عبد الكريم |
| عضوا | جامعة الجزائر | أستاذ محاضر أ | د. عقاب الطيب |
| عضوا | جامعة الجلفة | أستاذ محاضر أ | د. بن عبد الله نور الدين |

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تلمسان
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم التاريخ وعلم الآثار
شعبة علم الآثار

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم
تخصص علم الآثار والمحيط والموسومة بـ:

المسكن الإسلامي في القصور الصحراوية بالجزائر

دراسة تحليلية مقارنة لقصور مزاب وورقلة

إعداد الطالب

محمد جودي

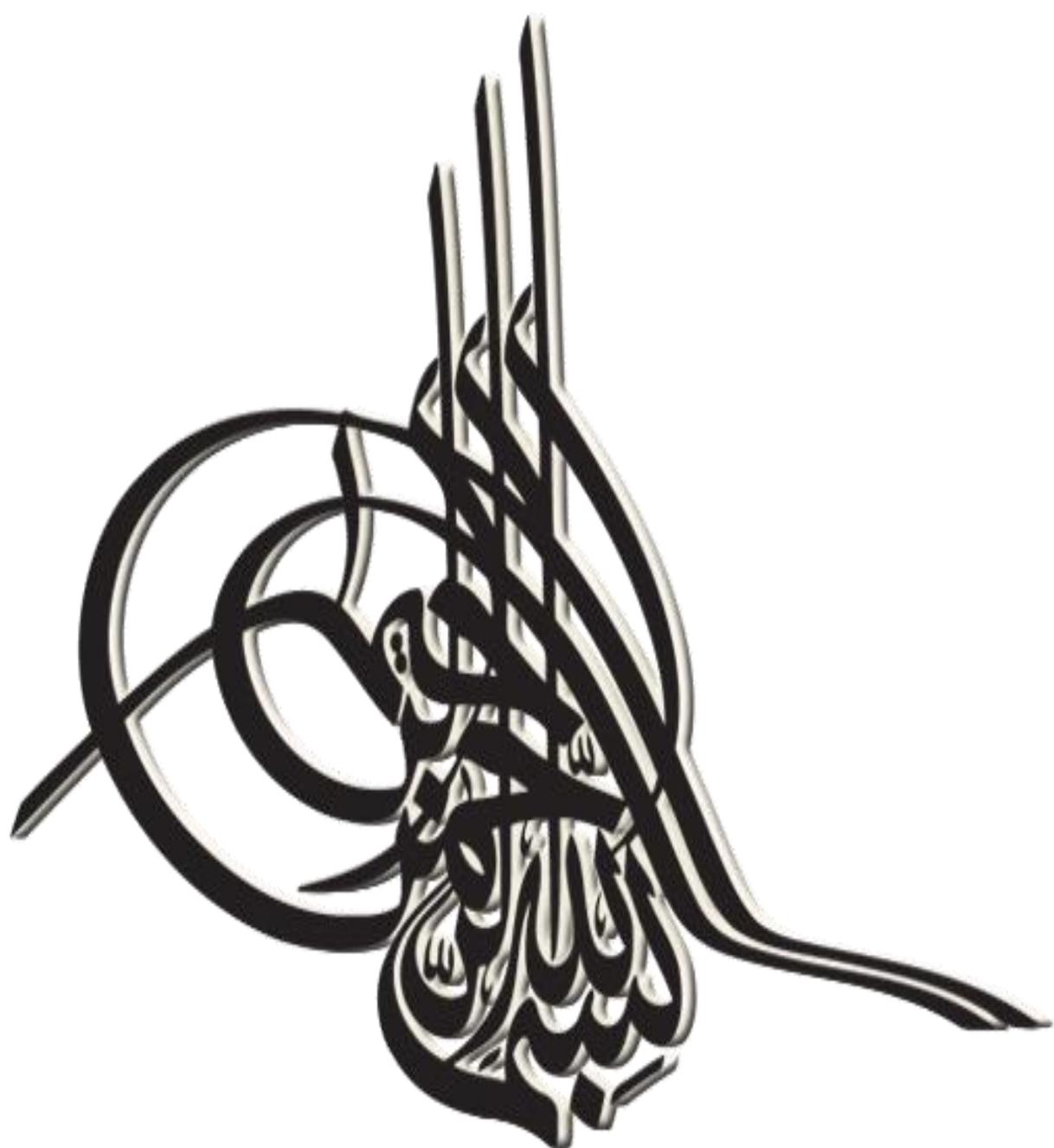
إشراف

أ. د. بلحاج معروف

لجنة المناقشة:

- | | | | |
|--------------------------|----------------------|---------------|-------|
| د. بسنوسي الغوثي | أستاذ محاضر أ | جامعة تلمسان | رئيسا |
| أ. د. بلحاج معروف | أستاذ التعليم العالي | جامعة تلمسان | مشرفا |
| د. نقادي سيدي محمد | أستاذ محاضر أ | جامعة تلمسان | عضوا |
| د. عزوق عبد الكريم | أستاذ محاضر أ | جامعة الجزائر | عضوا |
| د. عقاب الطيب | أستاذ محاضر أ | جامعة الجزائر | عضوا |
| د. بن عبد الله نور الدين | أستاذ محاضر أ | جامعة الجلفة | عضوا |

السنة الجامعية 1434-1435هـ الموافق لـ 2013 - 2014م



إهداء

إلى ...

رسول الأمة محمد صلى الله عليه وسلم لعلي أكون
ممن تشتاق لرؤيتهم يا رسول الله،
إلى أمي الغالية ... وأبي العزيز ... لعل النجاح يرد
لكما بعضا من فضلكما،
إلى زوجتي ... التي قاسمتني الأفراح والأتراح ... لعل
النجاح يعوضك عن كل لحظة،
إلى أطفالي .. أميمة .. آية .. عبد الصمد، لعل
نجاحي سيكون لكم سر الإلهام.

كلمة شكر

شكرا لله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ..

وليس من الشيم الجحود والنكران، كما أن شكر الناس من شكر الله، وبالشكر تدوم النعم

أتقدم بالشكر الموصول إلى ..

الأستاذ الدكتور بلحاج معروف الذي لم يخل علي بالنصح والتوجيه والعون

زملائي وأصدقائي في ديوان حماية وادي مزاب وترقيته

أعضاء جمعية سدراته بقصر ورقلة

مديرية الثقافة لولاية ورقلة خاصة الأنسة ربيعة سويقات

كما لا يسعني إلا أن أشكر جميع من ساهم ولو من بعيد في إتمام هذا العمل



ملخص:

تعد القصور ظاهرة معمارية ميزت شمال إفريقيا ووحدات صحرائها الشاسعة، وبما أنّ الجزائر تشغل مساحة معتبرة من الصحراء الكبرى، فقد سمح لها ذلك بأن ضمت واحاتها عددا كبيرا منها ولكنها موزعة على أقاليم واسعة، حيث نجد إقليم توات والساورة في جنوب وغرب الصحراء الجزائرية في حين نجد وادي مية ووادي ريغ في شرقها، وفي شمالها نجد وادي مزاب، ورغم أن هذه الظاهرة المعمارية طبعت واحات الصحراء، فكان لا بد وأن تنعكس شساعة الصحراء وبعد الأقاليم عن بعضها على شكل العمارة.

ويعد المسكن التقليدي في العالم الإسلامي وشمال إفريقيا على وجه الخصوص أكثر المواضيع التي أخذت حيزا من اهتمام الباحثين خاصة المستشرقين في مرحلة أولى تلتها دراسات قام بها باحثون مسلمون، حاولت تحديد ملامح المسكن عبر مراحل الحضارة الإسلامية وأهم ما يميزه وما يحكم تخطيطه، وقد برزت في الآونة الأخيرة دراسات تركز على الجانب الفقهي في توجيه العمارة عموما والمسكن بشكل خاص، حيث كان للفقيه دور هام في تحديد ملامح المسكن من خلال الفتاوى والنوازل والتي أسفرت في الأخير على ظهور فقه العمران.

وبما أن القصور الصحراوية بالجزائر خاصة في منطقتي وادي مزاب وقصر ورقلة ضمت في نسيجها العمراني حيزا سكنيا له أصول قامت على إثر سقوط سدراته، ولكن في كل مرة يقوم الدارسون بدراستها دراسة منفصلة عن غيرها من المساكن في القصور الأخرى، دون مسح لنقاط التشابه والاختلاف ودون تأصيل لكل ذلك، كما أنها دراسات تجانب التوجيه الديني لهذه المساكن لغاية ما في نفوس هؤلاء الباحثين.

تأتي هذه الدراسة للوقوف على كل هذا في محاولة لتتبع مسار المسكن كظاهرة معمارية تعود لما قبل التاريخ، إلى جانب القصر الذي ميز شمال إفريقيا دون سواه، وتباين آراء المختصين في تحديد مفهومه، إلى جانب التطرق إلى أهم الخصائص العامة للمسكن التقليدي بالقصور في أهم الأقاليم الصحراوية بالجزائر، خاصة قصور وادي مزاب وقصر ورقلة، من خلال الدراسات والبحوث السابقة إلى جانب دراسة عينات تمكن في الأخير من تأكيد أو نفي التلاحم والتكامل بين مساكن قصور هاتين المنطقتين.

Résumé:

L'habitat Ksourien est le paradigme architectural du monde oasien. De par sa superficie, l'Algérie occupe une partie considérable du Sahara, englobant ainsi un grand nombre de ksour répartis sur plusieurs espaces : le Touat et la Saoura dans le Sud- Ouest algérien, la vallée de l'Oued Mia et celle du Righ, à l'Est, et la vallée du Mzab au Nord. Notons que l'immensité du désert et la diversité des lieux vont marquer de leurs empreintes la conception du bâti Ksourien.

L'habitat traditionnel dans le monde musulman et surtout au niveau de l'Afrique du Nord, a - dans une première période - été largement étudié par les orientalistes surtout, ils furent suivis par des autochtones qui essayèrent de définir les caractéristiques de ce bâti à travers les données de la civilisation musulmane. Les dernières études concernant la conception du tissu en général, et le logis en particulier, se sont focalisées sur l'aspect cultuel, donnant naissance à une jurisprudence dénommée « Fiqh El Omran ».

Les Ksour de la vallée du M'zab et celle de l'Oud Mia – objet de notre étude - tirent leurs origines depuis la chute de la ville de Sedrata. Toutes les études précédentes ont été malheureusement menées dans un cadre isolé ne prenant pas en compte les caractéristiques communes aux différents ksour sans pour autant établir de comparaison architecturale et en occultant l'aspect cultuel.

Notre étude se voulant globalisante, va porter sur l'évolution du tissu architectural Ksourien depuis la période préhistorique, en insistant sur :

- Le caractère ineffable des ksour
- La définition du concept « ksour »
- La comparaison entre deux ksour de type urbain : ceux du M'zab et d'Ouargla

Abstract:

the Saharien Ksour is a phenomenon which marked the north of Africa and the oasis of the vast Sahara, and since Algeria occupied a considerable superficity of the great Sahara, this permitted the compound of several oases shared on different places, such as Touat and the Saoura in the south-west of the Algerian Sahara, however we found Oued Miaa and Oued Righ in the south-east, and in the north Oued M'zab, and even if this architectural phenomenon has marked the oases in Algeria, it will be reflected on the architecture fact on the great Sahara.

The traditional house is considered in Muslim world and in the north of Africa especially as a well studied topic from the scientific field and especially the occidental ones, in the first step, and followed by studies done by Muslims who tried to specify the characteristics of the house throughout the periods of the Islamic civilisation and which define its architecture, different studies have been done recently and were based on the religious side and its orientation of architecture in general and house especially through "Fatwa" and the "Nawazel" which give birth to the "Fik'h El Omran".

And since the Saharien Ksour in Algeria and especially in the region of Oued M'Zab and Ksar of Wargla compound is their architecture a space of house which have roots from the decadence of Sedrata, and the studies have always been done far from the house of other Ksour without putting the emphasis on the common and different points, and without studying their roots, because these studies are far from the religion context of their houses by a specified cause of the scientists.

This study is dealing with the process of the house as an architectural phenomenon which is from the pré-historical period, in addition to the Ksar which specified the region of North Africa.

The opinions of the scientists were various about the definition of its concept and the main characteristics of the traditional house, in the Ksour, in the great zones in Algeria and especially the Ksour of Oued M'Zab, and the Ksar of Wargla throughout the studies and the precedent researches in addition to the study of several specimens which can permit to us the affirmation or not of this fusion and complementarity between the houses and the Ksour of the two regions.

قائمة المختصرات

مخ. : مخطوط

مج. : مجلد

ج. : جزء

ط. : الطبعة

تح. : تحقيق

ت. : تُوفي

و. : وُلِد

تر. : ترجمة

مر. : مراجعة

ض.م. : ضبط متن

ع. : عدد

رت. : رتبه

وث. : وثقه

صح. : صححه

المقدمة

مقدمة:

عرف وجود الإنسان على وجه البسيطة منذ الوهلة الأولى الكثير من التحديات على رأسها المأكل والمشرب، ولكن لم يكن ذلك بالأمر الهين في ظل وجود قائمة طويلة من الأعداء وعلى رأسها الطبيعة فالحيوانات الضارية، إلى جانب حاجته للراحة والسكينة بعد أن وجد نفسه أمام عدد من المسؤوليات، خاصة أمام عائلته وعشيرته، ومن الخطأ أن نعتبر بناء المسكن ظاهرة اقتصر على الإنسان دون سواه، بل بالعكس فقد سعت كل الكائنات لذات الهدف، ما يجعل الأمر يتعلق بالفطرة التي غرسها الله تعالى في كل المخلوقات.

أثر تنوع البيئات التي يعيش فيها الإنسان عبر أصقاع العالم من خلال تباين مناخها ونباتها وبنيتها الجيولوجية على ملبسهم ومطعمهم وعاداتهم ومساكنهم على وجه الخصوص، فلم يكن البشر منذ الوهلة الأولى مستعدين للتعامل مع الحجارة وصقلها في مجال العمارة، ومرد ذلك لغياب التقنية التي تسمح له بذلك، ولم تعرف التقنية سبيل التطور إلا بظهور المعادن، فأصبح الأمر سهلاً في ظل وجود مواد ومعادن تسمح بقطع وصقل الحجارة، ولكن لا يعني هذا أن الحجارة كانت دوماً السبب في الرقي بالعمارة خاصة السكنية منها، فكبرى الحضارات شيدت مساكنها من الطين والأخشاب المتوفرة، ففي هذه البيئات انعكست محدودية مواد البناء على مادة البناء ذاتها ففي مناطق كثيرة لم تتوفر الحجارة بالشكل المطلوب، وحتى بعض أنواع الأخشاب دون سواها كالنخيل.

ولأن الصحراء الجزائرية تمثل جزءاً مهماً من الصحراء الكبرى كما أنها من بين البيئات التي عرفت استقرار البشر فيها منذ زمن بعيد، حاولنا أن نطرق موضوع المسكن لتلك التجمعات البشرية التي يطلق عليها تسمية القصر، إلى جانب أنها تميزت بخصوصية معمارية أعطتها صبغة تختلف عن أي عمارة في أي بيئة أخرى باستثناء تلك الموجودة في نفس الصقع.

حاولنا في البداية أن نجعل من هذه الدراسة شاملة لكل القصور في الصحراء الجزائرية، ونقصد هنا بالصحراء كل المساحة الواقعة خلف سلسلة الأطلس الصحراوي من جهة الجنوب، ولأن



المساحة واسعة كما أن العراقيل بدأت منذ الوهلة الأولى حاولنا أن نحدد الإطار المكاني لهذه الدراسة في منطقتين هي قصور وادي مزاب وقصر ورقلة، وهذا الاختيار لم يأت من فراغ بل يعود الأمر لبعض المعطيات والأسباب الذاتية وأخرى موضوعية، ونذكر منها إطلاعنا الجيد على العمارة بوادي مزاب كوننا عملنا لدى ديوان حماية وادي مزاب وترقيته المكلف بحماية التراث المعماري بمنطقة وادي مزاب لفترة غير قصيرة، فهذه الخبرة استفدنا منها في طرق هذا الموضوع بالذات كونه يمس موضوع يخص إلى الآن حياة الناس، فالكل يعلم أن قصور بني مزاب ما تزال مشغولة ويسكن بيوتها الناس وفي حراك دائم، أمّا بالنسبة لاختيار قصر ورقلة فالسبب يعود بالأساس إلى الخلفية التاريخية التي تجمع المنطقتين فكلاهما تمثلان محطتين لاستقرار الفارين من سدراته المندثرة، وهذه الأخير كانت محطة لاستقرار النزوح الإباضي من قاعدة المغرب تيهرت بعد أن دمرت من قبل الفاطميين، وبالتالي فالهجرة الأولى والثانية يفترض أن تحمل كل منهما إلى جانب الفكر والعادات والتقاليد تقاليد معمارية ذات أصول تيهريّة.

كان للعوامل البيئية والاجتماعية والاقتصادية أثر كبير في تشكيل المسكن التقليدي بالقصور الصحراوية في الجزائر، وعلى الرغم من التشابه الكبير فإننا لاحظنا وجود اختلافات ساهمت في إعطاء خصوصية لكل قصر من القصور الصحراوية، فما هي نقاط التشابه والاختلاف بين مساكن وادي مزاب وورقلة وما مدى ارتباطهما بالمسكن في مدينة سدراته، فقد شاهدنا من خلال تقارير الحفريات اختلاف بين المسكن السدراتي ومساكن وادي مزاب وورقلة من الناحية المعمارية والزخرفية، فما مدى ارتباط التقاليد المعمارية في هذه القصور مع العلم أن سدراته تعد محطة تاريخية هامة بالنسبة لسكان وادي مزاب وورقلة.

وتبعاً لهذا طرحنا أسئلة فرعية كلها تدور حول الموضوع أهمها: ما هي الخصائص المعمارية لمسكن كل منطقة؟ ما مدى وفائها للتقاليد السدراتية؟ ما هي نقاط اختلاف المسكن في المنطقتين؟

ما هي نقاط تشابه المسكن في المنطقتين؟ هل من تشابه بين مساكن قصور الصحراء عموما وما نقاط الاختلاف؟ ما هي مصادر توجيه العمارة بالقصور الصحراوية؟.

للإجابة على هذا اعتمدنا في دراسة الموضوع على عدد من المناهج على رأسها المنهج التاريخي الذي استعنا به أثناء حديثنا عن الجانب التاريخي للمسكن عموما، وتتبع المراحل التاريخية لمنطقة قصور وادي مزاب وقصر ورقلة وما سبق تأسيسهما من أحداث لمعرفة خلفية تأسيس كل منطقة، وإلى جانب هذا المنهج اعتمدنا المنهج الوصفي عندما تناولنا المسكن التقليدي بكل قصر من القصور المعنية بالدراسة وكذا في وصفنا للعينات المدروسة، وصفا معماريا تطرقنا فيه إلى ذكر تخطيط هذه المساكن والشكل العام إلى جانب الفضاءات والعناصر المعمارية.

كما اعتمدنا المنهج التحليلي المقارن من خلال قراءة دقيقة للدراسة الوصفية للمسكن بكل منطقة من خلال المراجع وكذلك من خلال العينات المدروسة، وتحليل النتائج ومقارنتها والخروج بنقاط الاختلاف والتشابه ومن ثمة تحديد مدى تطابق هذه المساكن فيما بينها.

يهدف الوصول إلى نتائج مرضية ارتأينا تقسيم الدراسة إلى ثلاثة أبواب، الأول منها مخصص للمسكن بصفة عامة والقصور الصحراوية، ويضم فصلين، حيث تطرقنا في الفصل الأول للتعريف اللغوي والاصطلاحي لكلمة مسكن وضبط المفاهيم فيما يخص الألفاظ المرادفة كالبيت والدار والمنزل، إلى جانب التطرق إلى نشأة المسكن منذ ظهور الإنسان على البسيطة مروراً بكل الحضارات وصولاً إلى الحضارة الإسلامية إلى غاية عهدها المتأخرة، ولم نغفل الحديث عن المسكن وعلاقته بالفقه، حيث كان محل اهتمام وأولاه بالعناية البالغة لما يمثله في الدين الإسلامي، أما الفصل الثاني تطرقنا فيه للمسكن في القصور الصحراوية بالجزائر، وفيه تطرقنا للصحراء الجزائرية وتحديداتها، كما تطرقنا إلى ذكر وتحديد الأقاليم الصحراوية التي تضم القصور الصحراوية، وهنا لم نجد بد من ضبط مفهوم دقيق لكلمة قصر ومحاولة تحديد المعنى اللغوي والاصطلاحي للكلمة، ثم تناولنا المسكن في القصور الصحراوية عموماً وسماتها العامة، وبالنظر لأهمية التشريع في شق العمارة بالقصور الصحراوية

تطرقنا إلى علاقة المسكن بفقهاء العمران بهذه الجهة، وختمنا الفصل بالتطرق لأهم العوامل التي أثرت في صياغة شكل المسكن داخل القصور الصحراوية.

خصصنا الباب الثاني للدراسة الوصفية للمسكن التقليدي داخل القصر، وهو الآخر قسم إلى فصلين، حيث تطرقنا في الفصل الأول إلى المسكن في قصور وادي مزاب، أين تم التطرق للمعطيات الجغرافية والتاريخية للمنطقة، لنتقل إلى كل تفاصيل المسكن من الداخل والخارج، وتكرر الأمر أيضا مع قصر ورثلة ولكن في الحديث عن المسكن بالمنطقة تطرقنا إلى تلك المكتشفات بموقع سدراته والخاصة بالعمارة السكنية وهذا قبل الحديث عن قصر ورثلة.

جاء الباب الثالث والأخير للدراسة الميدانية وتحليل النتائج، وقسم هو الآخر إلى فصلين الأول خصص للدراسة الميدانية باختيار عينات من المساكن داخل القصور بالمنطقتين ودراستها، أما الفصل الثاني فخصصناه للمقارنة وتحليل نتائج هذه الدراسة الميدانية وكذلك الدراسة الوصفية السابقة من خلال المراجع، حيث تناولنا التخطيط العام للمساكن وتوزيع الفضاء، ثم تطرقنا لمواد وتقنيات البناء، وبالتالي الخروج بإجابات شافية للتساؤلات المطروحة.

في الأخير جمعنا كل ما توصلنا إليه من نتائج في خاتمة، حيث أبرزنا من خلالها أهم نقاط التشابه والاختلاف الموجودة بين المسكن في منطقة وادي مزاب وقصر ورثلة.

وقد دعمنا الدراسة بمجموعة من اللوحات والصور والأشكال التي ستقرب الفكرة للقارئ، للربط بين الجانب النظري والميداني.

اعتمدنا في الدراسة على عدد مهم من المصادر والمراجع التي تتصل بموضوع الدراسة عموما والمسكن بشكل خاص على رأسها كتب الفقهاء، حيث يعد موضوع المسكن داخل القصور وما يتصل به من أحكام خاصة في عينات الدراسة محل اهتمام وموضوع لكتابات الفقهاء منذ زمن بعيد، ومن بين هذه الكتابات نجد كتاب القسمة وأصول الأرضين لصاحبه الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرستائي خلال القرن 6 هجري، وهو كتاب فقه خص المسكن بالكثير من الأحكام الخاصة به، وهو من بين كتب فقه العمارة المهمة لدى الإباضية منذ ذلك التاريخ، إلى

جانب كتابي الشيخ أحمد بن يوسف أطفيش الرسالة الشافية ومختصر في عمارة الأرض وهو تلخيص لما جاء في كتاب الفرستائي.

ومن بين المصادر المهمة والتي أعانتنا كثيرا في الدراسة كتاب "نزهة المشتاق" للإدرسي و"ديوان المبتدأ والخبر" لابن خلدون في حديثه عن المنطقتين و"كتاب الجغرافية" للزهري إلى جانب كتاب "الرحلة العياشية" في الحديث عن منطقة وقصر ورقلة، فهذا الأخير زار القصر خلال القرن 17م وأعطانا صورة واضحة عن القصر رغم غياب التفاصيل حول المسكن على هذا العهد، إلى جانب كتاب "صورة الأرض لصاحبه ابن حوقل والذي أتى على ذكر البلاد، إلى جانب مصادر أخرى محلية كتلك التي تعود للشيخ أعزام "غصن البان في تاريخ ورجلان" وكتاب "تاريخ بني مزاب" لصاحبه الشيخ مطياز وهي تتحدث عن المنطقتين بنوع من التفصيل.

اهتم المستشرقون بدراسة منطقتي وادي مزاب وقصر ورقلة من خلال نوعين من المراجع الأولى كانت تلك التقارير والكتابات العسكرية الاستكشافية مثل *C. Trumelet* في يومياته *Les Français dans le Désert*، و *Colomieu* في رحلته: *Voyage dans le Sahara Algérien*، والرائد *Godard* في كتابه: *L'Oasis moderne* وغيرها من المراجع التي جاءت على ذكر ووصف المنطقتين.

في حين وفي مرحلة تالية نجد الكتابات المتخصصة التي تحدثت عن عمارة القصور والمسكن التقليدي في المنطقتين ولكن ليس بشكل مفصل، ودون محاولة إيجاد مقارنة بينهما ومن أهم هذه المراجع لدينا بالنسبة لقصر ورقلة الباحث *Lethielleux* في كتابه الشهير *Ouargla cité saharienne*، و *DELHEURE* في كتابه *Vivre et mourir a Ouargla*، والكاتب *Coudreau* في كتابه *Le pays d'Ouargla*، أمّا بالنسبة لوادي مزاب ومسكنها فنجد كل من *Donndieu* في كتابه *Habiter le Dese*، و *Claude Pavard* في كتابه *Lumière du M'Zab*، و *Mercier* في كتابه *La civilisation Urbaine au M'Zab* وغيرها، وأهم ما ميز هذه الدراسات أنها اتسمت بالسطحية والوصف المعماري دون الخوض في تفسير مقنع للنمط

البنائي المعمول به في المنطقتين على حد سواء، ومنه أهمل أهم جانب لفهم السبب الحقيقي للنمط المعماري السائد بقصور المنطقتين.

لم يتوقف البحث عند المستشرقين بل تعدهم إلى ما بعد الاستقلال حيث اهتم بموضوع العمران الصحراوي عدد من الباحثين الجزائريين ولكن بنفس الطريقة التي اشتغل بها المستشرقون، أي الاهتمام بالشكل والدراسة حالة بحالة دون الخوض في الجمع بين المناطق وإجراء المقارنة، ومن هذه المراجع نجد الكتب والرسائل إلى جانب المقالات المتخصصة، فعلى سبيل المثال لدينا يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، وكتاب بوعصابة معالم الحضارة الإسلامية بوجلان، ومقال عبد الكريم عزوق بعنوان دراسة نموذجية لبعض المباني بقصر ورقلة، وبلحميسي في مقاله ورقلة من خلال النصوص الأجنبية ومحمد الطيب عقاب في كتابه مساكن قصر القنادسة الأثرية، وكتاب براهيم بن يوسف *Le M'Zab, espace et société*، إلى جانب بعض الرسائل التي تناولت في عدد من صفحاتها المسكن التقليدي بالمنطقة خاصة في مزاب مثل محمد التريكي، خالد بوزيد، ميزاب بين الماضي والحاضر في تناولهما للممارسة الاجتماعية داخل القصر والمسكن تحديداً، إذا وكما قلنا دائما ما كانت هذه المراجع تركز على الجانب المعماري دون الخوض في التفاصيل إلى جانب الابتعاد عن محاولة الجمع بين المناطق وإجراء المقارنة اللازمة فيما بينها لو استثنينا رسالة دكتوراه شاوش بن شريف بعنوان *La Micro-urbanisation et la ville-oasien* والتي تحدث فيها عن منطقة وادي ريغ ووادي مية عموما واتسمت بنوع من السطحية تاركة الكثير من الفراغ كون الموضوع ليس مخصصا للمسكن فقط ولكن للقصور بشكل عام.

إلى جانب هذه المراجع المتخصصة اعتمدنا مصادر ومراجع أخرى ثانوية في حديثنا عن ضبط المفاهيم والتعاريف اللغوية والاصطلاحية لبعض المسميات التي يكتنفها الغموض مثل القصر، إلى جانب الحديث عن تاريخ المسكن منذ فترات ما قبل التاريخ مروراً بجميع الحضارات، واعتمادنا على مراجع أخرى تخص فقه العمران، والقصور الصحراوية عموما.



رغم وجود هذا العدد من الدراسات السابقة إلا أنّ الموضوع ظل شحيحاً من حيث المادة المتخصصة، والتي تتناول المسكن على وجه التحديد بالمنطقتين على حد سواء وفي القصور الصحراوية عموماً، ولكن ما زاد من صعوبة الموضوع غياب دراسات تحاول إيجاد مقاربات أو مقارنات بين المسكن في قصور الصحراء الجزائرية، ولكن أهم هذه الصعوبات تلك التي واجهتنا أثناء القيام بالعمل الميداني، حيث لا يخفى على الجميع أنّ قصور وادي مزاب وحتى قصر ورقلة ما يزال يشغلها السكان، وكان هذا الأمر السبب المباشر في عدم توفر عينات شاغرة تجرى عليها الدراسة، ومنعنا من دخول البيوت من قبل ساكنيها، إلى جانب ضيق الوقت والمناخ الصحراوي الذي يتميز بشدة الحرارة صيفاً، مما يجعل العمل شاقاً بل ويستحيل في شهري جويلية وأوت حيث تتفق والعطلة الصيفية التي يمكن لنا القيام بالعمل الميداني أثناءها.

عرف مسار البحث العديد من العراقيل الأخرى والمتمثلة في عدم تعاون الجهات الوصية على قطاع التراث المعماري في الكثير من الأحيان، وعدم تسهيل المهمة في زيارة القصور كما كان الحال في قصر موغل بولاية بشار، إلى جانب تحفظ مكاتب الدراسات التي قامت بأعمال ترميم في تلك القصور سواء تعلق الأمر بالوثائق أو المعلومات، فوجدنا أنفسنا محاصرين بالوقت وشح المصادر، لذا ركزنا الجهد على منطقتي مزاب وورقلة، دون أن ننسى تعاون ديوان حماية وادي مزاب ومديرية الثقافة لولاية ورقلة بخصوص المادة العلمية.

نتمنى في الأخير أن تكون هذه الدراسة إضافة جديدة لحقل الدراسات الأثرية الخاصة بالقصور الصحراوية بالجزائر، كما نتمنى أن تكون إضافة لمكتباتنا، وبالتالي مرجع يستعان به في حقل البحث العلمي في الكثير من التخصصات، كما نتمنى أن نكون قد وفقنا في تناول الموضوع وإعطائه ما يستحق من الإلمام والتدقيق، فإذا وفقنا فبفضل الله، وإن لم نوفق فمن أنفسنا وندعو الله أن يثيبنا على جهد المحاولة، وما التوفيق إلا بالله العلي العظيم.

الباب الأول

المسكن والقصور الصحراوية

الفصل الأول: المسكن، مفهومه وتاريخه

الفصل الثاني: المسكن في القصور الصحراوية

الفصل الأول

المسكن، مفهومه وتاريخه

المبحث الأول: تعريف المسكن

المبحث الثاني: المسكن نشأته وتطوره

المبحث الثالث: المسكن وفقه العمران

المبحث الأول: تعريف المسكن

1. تعريف المسكن لغة⁽¹⁾:

اشتقت كلمة المسكن من الفعل سكن: السُّكُونُ: ضدَّ الحركة ، سَكَنَ الشَّيْءُ يُسْكُنُ سُكُونًا إذا ذهب حركته، و أَسْكَنَهُ هو وَسَكَّنَهُ غيره تَسْكِينًا، وكل ما هَدَأَ فقد سَكَنَ كالريح والحرِّ والبرد ونحو ذلك، وسَكَنَ الرجل: سكت، وقيل: سَكَنَ في معنى سكت، وقوله تعالى: "وله ما سَكَنَ في الليل والنهار" قال ابن الأعرابي: معناه وله ما حلَّ في الليل والنهار ، وقال أبو عمرو: الجَذْفُ السُّكَّانُ في باب السُّفْنِ ، الليث: السُّكَّانُ ذَنَبُ السفينة التي به تُعَدَّلُ ، ومنه قول طرفة: كسُّكَّانٍ بُوَصِيٍّ بِدَجَلَةَ مُصْعِدٍ.

قال الأزهري: ...وَسَكَنَ بِالْمَكَانِ يُسْكُنُ سُكْنًا وَسُكُونًا : أقام ، فهو ساكن من قوم سُكَّانٍ وَسُكْنٍ ، الأخيرة اسم للجمع، وقيل: جمع على قول الأَخْفَشِ ، وَأَسْكَنَهُ إِيَّاهِ وَسَكَّنَتْ دَارِي وَأَسْكَنْتَهَا غَيْرِي، والاسم منه السُّكْنَى كما أن العُتْبَى اسم من الإعتاب، وهم سُكَّانُ فُلَانٍ، والسُّكْنَى أن يُسْكِنَ الرَّجُلَ مَوْضِعًا بَلَا كِرْوَةَ كَالْعُمَرَى ، وقال اللحياني: والسُّكْنُ أَيْضًا سُكْنَى الرَّجُلِ فِي الدَّارِ ، يقال: لك فيها سَكْنٌ ، أي سُكْنَى ، والسُّكْنُ وَالْمَسْكَنُ وَالْمَسْكِنُ: المِثْلُ وَالبَيْتُ ، الأخيرة نادرة، وأهل الحجاز يقولون مَسْكَنٌ ، بالفتح ، والسُّكْنُ: أهل الدار، اسم لجمع ساكِنٍ كشاربٍ وَشَرْبٍ.

قال ابن بري: أي صار خَلْفًا وَبَدَلًا لِلظُّبَاءِ وَالبَقْرِ، وقوله: فَيَا كَرَمَ يَتَعَجَّبُ مِنْ كَرَمِهِمْ ، وَالسُّكْنُ: جمع ساكن كصَحْبٍ وَصَاحِبٍ ، وفي حديث يأجوج ومأجوج: حتى إن الرُّمَّانَةَ لَتُشْبِعُ السُّكْنَ ، هو بفتح السين وسكون الكاف لأهل البيت ، وقال اللحياني: السُّكْنُ أَيْضًا جَمَاعٌ أَهْلُ القَبِيلَةِ ، يقال: تَحَمَّلَ السُّكْنُ فَذَهَبُوا ، وَالسُّكْنُ: كل ما سَكَّنْتَ إِلَيْهِ وَاطْمَأْنَنْتَ بِهِ مِنْ أَهْلِ وَغَيْرِهِ ، وربما قالت العرب السُّكْنُ لما يُسْكَنُ إِلَيْهِ ، ومنه قوله تعالى: "جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ سَكْنًا" ، وَالسُّكْنُ: المرأةُ لِأَنَّهَا يُسْكَنُ إِلَيْهَا، وَالسُّكْنُ: السَّاكِنُ.

وَالسُّكْنُ: أن تُسْكِنَ إنسانًا مِثْلًا بَلَا كِرَاءٍ ، قال: و السُّكْنُ العِيَالُ أَهْلُ البَيْتِ ، الواحد ساكِنٌ ، وفي حديث الدجال: السُّكْنُ القُوْتُ ، وفي حديث المهدي: حتى إنَّ العُنُقُودَ لِيَكُونَ سُكْنُ أَهْلِ الدَّارِ أَي قُوَّتِهِمْ مِنْ بَرَكْتِهِ ، وهو بِمِثْلَةِ التَّنْزَلِ ، وهو طَعَامُ القَوْمِ الَّذِينَ يَتَزَلُّونَ عَلَيْهِ . وَالْأَسْكَانُ:

1. ابن منظور، لسان العرب، مج. 13، دار صادر، ط. 1، بيروت، 1992، ص: 211-213.

الأقوات، وقيل للقوت سُكْنٌ لأن المكان به يُسْكَنُ، وهذا كما يقال نُزِلُ العسكر لأرزاقهم المقدرة لهم إذا أنزلوا منزلاً، ويقال: مَرَعَى مُسْكِنٌ إذا كان كثيراً لا يُحْجِرُ إلى الظَّنِّ، كذلك مَرَعَى مُرْبِعٌ ومُنزَلٌ، قال: والسُّكْنُ المَسْكَنُ، يقال: لك فيها سَكْنٌ وسُكْنِي بمعنى واحد، وسُكْنِي المرأة: المَسْكَنُ الذي يُسْكِنُها الزوج إياه، يقال: لك داري هذه سُكْنِي إذا أعاره مَسْكِنًا يَسْكُنُه.

وسُكَّانُ الدَّارِ: هُمُ الجنُّ المقيمون بها، وكان الرجل إذا اطَّرَفَ داراً ذبح فيها ذبيحة يَتَّقِي بها أذى الجنِّ فنهى النبي، صلى الله عليه وسلم، عن ذبائح الجن.

والسُّكْنُ، بالتحريك: النار؛ قال يصف قناة تَقْفُها بالنار والدُّهْنُ: أقامها بسكْنٍ وأدهان، وقال آخر: أَلْجَأني الليلُ وريحٌ بَلَّه إلى سَوادِ إبِلٍ وثَلَّه، وسَكْنٌ تُوقَدُ في مِظْلَه، يقول ابن الأعرابي: التَّسْكِينُ تقويم الصَّعْدَةِ بالسُّكْنِ، وهو النار.

2. تعريف المسكن اصطلاحاً

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾⁽¹⁾، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾⁽²⁾ فالمسكن هو البيت، والدار، والمنزل وإن اختلفت هذه الأخيرة فيما بينها خاصة لدى أهل الشرع، والمسكن مطلقاً للإنسان والحيوان وسائر المخلوقات، مصداقاً للآيات السابغات وبذلك فإن معناه العام هو كل بناء حضري أو ريفي يتزل به من حجر أو آجر أو خشب، وكل خيمة بدوية من جلد أو صوف أو وبر⁽³⁾.

وقد أخذت البيوت العربية عدة أسماء اختلفت باختلاف مادتها، فكان منها على سبيل المثال لا الحصر الخبء الذي يصنع من الصوف، و النجاد من الوبر، و الفسطاط من الشعر، والقشع من الجلود، والطراف من الأدم، والحظيرة من الأغصان، والأقنة من الحجر، والشدة من الطين، وكما اختلفت أسماء هذه البيوت العربية تبعاً لاختلاف مادتها، فقد اختلفت أوصافها أيضاً تبعاً لاختلاف أشكالها فكان المسطح منها يعرف بالأطم، والعالي بالصرح، والمربع بالكعبة،

1. سورة: النحل - الآية: 68.

2. سورة: النحل - الآية: 80.

3. عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط. 1، 2000، ص: 38-39.

والمطول المرتفع بالمشيدة والمطول المعقود بالأزج، والمخطط بالأبلق وهكذا⁽¹⁾، وهذا يدل على ثراء وتنوع المساكن تبعاً لتنوع حياة الشعوب الإسلامية وتنوع إرثها الحضاري. عرفنا أن المسكن يقصد به البيت والمزل والدار، ولكي تزيد الصورة أكثر وضوحاً وجب الفصل بين الثلاثة من حيث المعنى، فكل واحدة منها تطلق على نوع معين من المساكن، وهذا تبعاً لما اجتمع عليه رأي أهل الشرع خاصة في نوازلهم التي جاءت لفض مشاكل المسلمين فيما بينهم، منها ما تعلق بإرث أو حيرة أو بيع وشراء وغيرها، لذا فتسميت الشيء باسمه تعني للقاضي والمشرع دقة وصحة الحكم.

2-1. تعريف البيت:

وَرَدَتْ كَلِمَةُ الْبَيْتِ الَّتِي هِيَ الْمَسْكَنُ ذَاتَهُ فِي الْقُرْآنِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾⁽²⁾، وقوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" ⁽³⁾، فالبيت بالفتح وسكون الياء المثناة التحتانية: عيال الرجل، وبيت الشعر والمنزل، كما في كثر اللغات وفي الصّراح، بيت بالفارسية: خانة وبيوت وأبيات وأبايت، جمع ومصراعين من الشعر، وجمعه أبيات انتهى، وفي جامع الرموز البيت مأوى الإنسان سواء كان من حجرٍ أو مدرٍ أو صوفٍ أو وبرٍ كما في المفردات.

وفي بيع النهاية أنه إسمٌ لمسقفٍ واحد له دهليز بخلاف خانة فإنه إسمٌ لكل مسكنٍ صغيراً أو كبيراً كما في بيع الكفاية، فهو أعم من الدار الذي يُدار عليه الحائط ويشتمل على جميع ما يحتاج إليه من مساكن الإنسان والدواب والمطبخ والكنيف وغيرها، ومن المزل الذي يشتمل على صحن مسقف وبيتين أو ثلاثة، والحجرة نظير البيت فإنها إسمٌ لما حُجر بالبناء، والصفة إسمٌ لبيت صيفي يُسمى كاشانه في إيران، وقيل هي غير البيت ذات ثلاث حوائط والصحيح الأول انتهى،

1. عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص: 39.

2. سورة: الأنفال - الآية: 5.

3. سورة: النور - الآية: 27.

ثم البيت بمعنى المصراعين إن إستوفى نصفه نصف الدائرة يسمى بيتاً معتدلاً، والبيت الوافي ما كان تام الأجزاء⁽¹⁾.

يذكر ابن منظور أن البَيْتُ من الشَّعْر: ما زاد على طريقة واحدة، يَقَع على الصغير والكبير، وقد يقال للمبني من غير الأبنية التي هي الأَخْبِيَّة بَيْتٌ، والخِباءُ: بيت صغير من صوف أو شعر، فإذا كان أكبر من الخِباء، فهو بيتٌ، ثم مِظَلَّةٌ إذا كَبِرَتْ عن البيت، وهي تسمى بَيْتاً أيضاً إذا كان ضَخْماً مُرَوَّفاً. الجوهري: البيتُ معروف. التهذيب: و بيت الرجل داره، وبيته قصره، ومنه قول جرير، عليه السلام: بَشَّرُ خديجة بيتٍ من قَصَب، أراد: بَشَّرَهَا بقصر من لؤلؤةٍ مُجَوَّفَةٍ، أو بقصر من زُمُرْدَةٍ. وقوله عز وجل: ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة، معناه ليس عليكم جناح أن تدخلوا بغير إذن، وجاء في التفسير: أنه يعني بها الخانات، وحوانيت التجار، والمواضع المباحة التي تُباع فيها الأشياء، ويبيع أهلها دُخولها، وقيل إنه يعني بها الخربات التي يدخلها الرجل لبول أو غائط، ويكون معنى قوله فيها متاع لكم: أي إمتاع لكم، تَتَفَرَّجُونَ بها مما بكم، وقوله عز وجل: في بيوتٍ أذنَ اللهُ أن تُرْفَعَ، قال الزجاج: أراد المساجد. وقد يكون البيتُ للعنكبوت والضَّب وغيره من ذوات الجحر، وفي التزويل العزيز: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعُنْكُبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعُنْكُبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾.

وكل ذلك على التشبيه ببيت الإنسان، وجمع البَيْت: أَيْبَاتٌ، وَأَبَايْتُ، مثل أقوالِ وَأَقَاوِيلَ، وَبُيُوتٌ وَبُيُوتَاتٌ، وحكى أبو علي عن الفراء: أَيْبَاوَاتٌ، وهذا نادر، وتصغيره بَيْيْتُ وَبَيْيْتُ، بكسر أوله، والعامة تقول بُيُوتٌ⁽³⁾.

2-2 تعريف الدار:

أما الدار فقد جاءت هي الأخرى في أكثر من موضع بالقرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَآ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ

1. محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح. علي دحروج، تر. عبد الله الخالدي، وجورج زيناتي،

سلسلة موسوعات المصطلحات العربية والإسلامية، ج. 1، ط. 1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان،

1996، ص: 351-352.

2. سورة: العنكبوت - الآية: 41.

3. ابن منظور، المصدر السابق، مج. 2، ص: 13-14.

تَشْهَدُونَ⁽¹⁾، وجمعها أدور (بفتح أوله وسكون ثانيه)، وفي الكثرة ديار وديران ودور وأدورة: المحل يجمع البناء والمساحة والمترل أو الأهل بالسكان، ودار الحرب: بلاد العدو، ودار السلام: بلاد المسلمين، وهي أيضا الجنة، والداران الدنيا والآخرة، والدارة أخص من الدار⁽²⁾.

تُعرّف الدار عند الفقهاء خاصة اسم **للعرصة*** التي تشتمل على بيوت وصحن غير مسقّف كذا في البرجندي في فصل لا يجوز بيع المشتري قبل قبضه ويجيء في لفظ المترل، وإن لم يبق هذا البناء فلا يزول عنه اسم الدار، وتحقيقه يطلب من فتح القدير من باب اليمين في الدخول والسكنى، كما قيل: الدار دار وإن زالت حوائطها

والبيت ليس بيت وهو مجذوم

الدَّارُ اسم **للعرصة** عند العرب والعجم وهي تشتمل ما هو في معنى الأجناس لأنها تختلف اختلافاً فاحشاً باختلاف الأغراض والجيران والمرافق والمحال والبلدان، والبناء وصف فيها، والمراد بالوصف ليس صفة عرضية قائمة بالجوهر كالبياض والسواد، بل يتناولها ويتناول أيضاً جوهرًا قائمًا بجوهر آخر يزيد قيامه حسناً وكمالاً، ويورث انتقاصه عنه قبحاً ونقصاً، و **الدَّارُ** على قول ابن منظور هي المحل يجمع البناء والعرصة، أنثى، قال ابن جني: هي من **دَارَ يَدُورُ** لكثرة حركة الناس فيها، والجمع **أَدُورٌ** في أدنى العدد والإشمام للفرق بينه وبين الفعل من الفعل والهمزة لكراهة الضمة على الواو، قال الجوهري: الهمزة في **أَدُورٌ** مبدلة من واو مضمومة، قال: ولك أن لا تهمز، والكثير **ديارٌ** مثل جبل **أَجْبَلٍ** و**جِبَالٍ**. قال ابن سيده في جمع الدار: **آدُرٌ**، على القلب، قال: حكاهما الفارسي عن أبي الحسن، و**ديارةٌ**، و**دياراتٌ** و**ديرانٌ** و**دُورٌ** و**دوراتٌ**، حكاهما سيوييه في باب جمع الجمع في قسمة السلامة. و**الدَّارَةُ**: لغة في **الدَّارِ**. التهذيب: ويقال **ديراً** و**ديرةً** و**أدياراً** و**ديراناً** و**دائرةً** و**داراتٌ** و**دُورٌ** و**دُورانٌ** و**أدوارٌ** و**أدورةٌ**، قال وأما **الدَّار** فاسم جامع للعرصة والبناء والمحلّة. وكل موضع حل به قوم فهو دارهم، قال: وثلاث **أدُورٍ**، همزت لأن الألف التي كانت في الدار صارت في **أفعلٍ** في موضع تحرك فألقي عليها الصرف ولم تردّ إلى أصلها.

1. سورة: البقرة - الآية 84.

2. عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص: 103.

للمزيد ينظر: المعجم الوجيز ص: 237-238/ الرازي، مختار الصحاح، ص: 215/ خليل الجر، المعجم العربي الحديث (لاروس)، ص: 519/ حلمي عزيز وآخرون، قاموس المصطلحات الأثرية والفنية، ص: 55/ معجم تيمور الكبير (في الألفاظ

العامية)، ج. 3، ص: 235.

*. **العرصة**: هي كل بقعة واسعة بين الدور ليس بها بناء (أنظر لسان العرب الجزء الأول ص: 735).

ويقال: ما بالدار دَيَّارٌ أي ما بها أحد، وهو فَيَعَالٌ من دار يَدُورُ. الجوهري ما بها دُورِيٌّ وما بها دَيَّارٌ أي أحد، وهو فَيَعَالٌ من دُرْتُ وأصله دَيَّوَارٌ، وجمع الدَيَّارِ والدَيَّورِ لو كُسِّرَ دَوَاوِيرٌ، صحت الواو لبعدها من الطرف، وفي الحديث: ألا أنبئكم بخير دُورٍ الأنصار؟ دُورُ بني النَّجَّارِ ثم دُورُ بني عبد الأشْهَلِ و في كلِّ دُورٍ الأنصارِ خَيْرٌ.

الدُّورُ جمع دار، وهي المنازل المسكونة والمَحَالُّ، وأراد به ههنا القبائل، و الدُّورُ ههنا: قبائل اجتمعت كل قبيلة في مَحَلَّةٍ فسميت المَحَلَّةُ دَارًا وسمي ساكنوها بها مجازًا على حذف المضاف، أي أهل الدُّورِ. وفي حديث آخر: ما بقيت دَارٌ إِلَّا بُنِيَ فِيهَا مَسْجِدٌ، أي ما بقيت قبيلة. وأما قوله عليه السلام: وهل ترك لنا عَقِيلٌ من دار؟ فإنما يريد به المنزل لا القبيلة. و الدَّارِيُّ هو اللَّاَزِمُ لداره لا يبرح ولا يطلب معاشا، وفي الصحاح الدَّارِيُّ رَبُّ النَّعَمِ، سمي بذلك لأنه مقيم في داره فنسب إليها⁽¹⁾.

أما في الاصطلاح الأثري المعماري فهي البيت الذي يكون لعائلة واحدة، أو المبنى الذي تخصصه الدولة لمنافعها العامة كدار الإمارة التي كانت تخصص لسكن الوالي، ملاصقة مباشرة لجدار القبلة بالمسجد الجامع⁽²⁾، وهذا المصطلح ورد في الوثائق المملوكية للدلالة على الأبنية السكنية غالبا، وللدلالة على حظائر الدواب ومستودعات الحمامات أحيانا كقولهم: "دار تشتمل على اسطبل وقمة ومطبخ ومنافع وحقوق" "دار برسم الدواب" "دار المستوقد"⁽³⁾ ونحو ذلك.

2-3 تعريف المنزل:

نستفيض في شرحنا لمعنى المنزل أكثر فنقول هو اسم ظرف من التزول، وشرعا دون الدار وفوق البيت وأقله بيتان كما ذكره المطرزي، لكن في النهاية أنه اسم لما يشتمل على بيوت وصحن مسقف ومطبخ يسكنه الرجل بعياله والدار اسم لما يشتمل على بيوت ومنازل وصحن غير مسقف هكذا في جامع الرموز⁽⁴⁾.

تنويفا لما سبق يمكن القول أن الدار يقال لما أدير عليه الحائط ويشتمل جميع ما يحتاج إليه من المنافع والمرافق حتى الاسطبل وبيت البواب وبيوت الدواب، والبيت ما يبات فيه وهو ما يدير

1. ابن منظور، المصدر السابق، مج. 4، ص: 298-299.

2. عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص: 103.

3. نفسه، ص: 103.

4. ابن منظور، المصدر السابق، ص: 1655.

عليه الجدار من الجوانب الأربع مع السقف كما أسلفنا، أما المتزل بين الدار والبيت أي ما يشتمل الحوائج الضرورية مع ضرب من القصور يعني يكون فيه المطبخ وبيت الخلاء، ولا تكون فيه بيوت الدواب ولا بيت البواب، وأمثال ذلك، هكذا في كليات أبي البقاء⁽¹⁾ أما المسكن فهي تسمية أشمل وأعم كونها كلمة تنم عن السكن والسكنية التي ترجى أساسا من إقامة محل يقيم فيه الإنسان ويستتر فيه نفسه وماله وعياله، ويستتر فيه عن أعين الناس والأخطار.

ويقابل هذه المصطلحات في اللهجات المحلية بالقصور الصحراوية على سبيل المثال تادارت بالميزابية والتي هي في الأصل اشتقاق من الكلمة دار بالعربية، أي أنها كلمة هجينة بالنسبة للهجة الميزابية، وهناك آخام باللهجة القبائلية وحتى في المزابية وغيرها من اللهجات الأمازيغية الأخرى، أما في اللغة الفرنسية هناك عدة مصطلحات تؤدي نفس المعنى نذكر منها:

Maison-Habitation-Domicile-Demeure-Logement-logis-Résidence..

أما الإنجليزية فالكلمات المرادفة هي:

House-Residence-Habitation-Home-Domicile..

ولكن نجد أن أكثر هذه الكلمات تداولاً في مجال العمارة التقليدية هي *Maison*

و*Habitation* بالفرنسية، أما بالإنجليزية نجد أن مصطلح *House* الأكثر شيوعاً من غيره.

3. مفهوم المسكن في الإسلام:

العمران حتمية أملاها وجود الإنسان على الأرض فهو أساسه ومبتغاه، ويعتبر المسكن جوهر العمران وأسمى تجلياته بل وحجر الزاوية فيه، فصار بذلك جوهره ومعناه، وبالعودة إلى وجود الإنسان على هذا الكوكب نجد أن حياته وعلاقتها بمن حوله ترتبط بثلاثة أطراف، وأولها علاقته بنفسه، فعلاقته بالمجتمع، وأخيراً علاقته بالخالق، والواقع أن هذه العلاقات لم تجد لها مكان يجمعها ويدعمها سوى المسكن، وهذا لتوافره على الراحة والسكنية مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾⁽²⁾، فالسكن راحة تامة لجسد الإنسان ففيه ينام ويسترخي من عناء يومه، ليسترجع طاقته وتسترخي عضلاته بعد يوم شاق، إلى جانب الراحة النفسية تستعيد النفس البشرية داخله توازناً بعد يوم من التوتر والضغط، أين يخلد

1. ابن منظور، المصدر السابق، ص: 778-779.

2. سورة: النحل- الآية 80.

الإنسان إلى زوجه وأولاده⁽¹⁾، بل وإلى ذاته ليراجع مسار يومه ويقف على أخطائه، أين لا يحظره سوى خوف الله والطمع في لطفه، فإذا كان الدين الإسلامي هو منبع الاحتياجات الروحية والمعنوية للإنسان، فهو في نفس الوقت المعظم لاحتياجاته المادية في صورة متكاملة تتوازن فيها المعنويات بالماديات، والدين الإسلامي بخلاف غيره من الأديان ينظم الاحتياجات المعيشية للمجتمع ويوازنها بالقيم السلوكية وأسلوب الحياة، وذلك بهدف خلق الإنسان المتكامل في المجتمع المتكامل للمدينة الفاضلة.

رغم أن التخطيط أو النمط المعماري للمسكن وجد منذ أمد بعيد يسبق الإسلام بكثير -والذي يتجه من الداخل نحو الخارج- فإن المفهوم تغير جذريا انطلاقا من هذا العصر، حيث أن هذا المسقط كان في السابق مفضلا لما يوفره مناخيا واستجابة لاحتياجات وعادات اجتماعية متوارثة، ولكن بالنسبة للحضارة الإسلامية والشرع على وجه الخصوص يلي بالدرجة الأولى احتياجات الإنسان المسلم النابعة من مصادر التشريع الإسلامي، حيث أن الحياة كلها تمر من خلال حرم الدار في معزل عن أي امتداد للمنازل المجاورة، أو في حضور لأي غريب، أين تقف الواجهة كالحجاب الذي يحمي سكانه من عيون المتطفلين، وقد اختص الله المسكن بالرعاية والاحترام ليس لما هو عليه ككتلة معمارية ولكن لمن يشغل هذا الهيكل من بشر، ولعل أكثر وأبلغ الآيات التي تشير إلى قيمة النفس البشرية وجعلها المقصد من الرعاية والحماية وتوفير الطمأنينة لها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾⁽²⁾، فشدد الله على حفظ النفس ورعايتها، وأكد على أن حفظها لا يكون إلا حيث يجب أن تكون، والعبارة في الآية صريحة بالدار اسما لا معنى بشكل لا يترك مجالا للتأويل.

انعكس مفهوم الإسلام للمسكن على جميع تفاصيله خاصة التصميم، حيث اهتم بجوهر الأمور وليس بظواهرها، فاعتبر فناء المسكن بمثابة القلب في جسد الإنسان، وأحدث نوعا من التخصيص بالنسبة للرجال والنساء، والتفريق بين استقبالات هؤلاء وأولئك⁽³⁾، فجعل لأفراد الأسرة الواحدة اتجاههم إلى الداخل، وللضيف اتجاه آخر معاكس تطبيقا لمبدأ الخصوصية، هذه الأخيرة انعكست حتى على الخارج حيث روعي في الواجهة وفتحاتها كما في الداخل، وقبل هذا

1. إسماعيل تومي، العمارة والعمران في ظلال القرآن، بيت المعمارين العرب، ص: 78.

2. سورة: البقرة - الآية: 84.

3. عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص: 103.

وذاك اعتماد المدخل المنكسر لحماية الفراغ الداخلي فجعل منه الحارس المتربص بعيون المارة وردھا خائبة، ولم يطالب الإسلام بالتعالي والتباهي في إنشاء المساكن ولكن حض على البعد عن الإسراف والتباهي، وقد ضرب الله مثلا لمن سبق من الأقوام والشعوب البائدة، مصداقا لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَأَيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾⁽¹⁾.

كما أن المسكن هو جزء من السكة، والسكة جزء من المحلة، والمحلة، جزء من المدينة، والمدينة جزء من الأمة، والأمة جزء من المعمورة⁽²⁾، ويمكن تسمية المسكن بمهد العصبية بالمفهوم الخلدوني التي تنشأ فيها أواصر القرابة، فهو الذي يجمع أعضاء العائلة الواحدة - كما رأينا- والتي تعتبر نواة التركيب الاجتماعي التي تكون فيها العصبية في أشد قوتها ثم تتدرج إلى أن تتلاشى⁽³⁾، فالمسكن في المنظور الإسلامي يعتبر وحدة اجتماعية لا ينفصل فيها البناء عن الأسرة التي تقيم فيه بل أن المضمون الإسلامي لمتطلبات الأسرة هو الذي يحدد الفضاء الداخلي للمسكن.

لقد جعل الله البيوت سكنا يفيء إليها الناس، وتطمئن نفوسهم ويأمنون على عوراتهم وحرماهم، ويلقون أعباء الحذر والحرص المرهقة للأعصاب، والبيوت لا تكون كذلك إلا حين تكون حرما آمنا، لا يستبيحه أحد إلا بعلم أهله وإذئهم، وفي الوقت الذي يريدون، وعلى الحالة التي يجبون أن يلقوا عليها الناس، ويعبر القرآن الكريم عن الاستئذان بالاستئناس وهو تعبير يوحي بلطف الاستئذان ولطف الطريقة التي يجيء بها الطارق، فتحدث في نفوس أهل البيت أنسا به واستعدادا لاستقباله، وهي لفظة دقيقة لطيفة لرعاية أحوال النفوس، ولتقدير ظروف الناس في بيوتهم⁽⁴⁾، حتى ولو كانت صلة القرابة بين الداخل ومن هم في البيت في مرتبة الابن من أمه أو الزوجة من زوجها، بل وتؤكد أحقية وملكية وحرية التصرف لصاحب كل بيت بيته، خاصة لمن هم في الداخل، فهو حق عليه سلطة لا تقهر ساندها القرآن والسنة، إلى درجة أنه يحق لصاحبه أن لا يأذن للطارق مهما كانت صفته وما على هذا الأخير إلا أن يولي الأدبار من حيث أتى دون تلكؤ ولا انتظار.

1. سورة: السجدة - الآية: 26.

2. مصطفى بن حموش، جوهر التمدن الإسلامي، دراسات في فقه العمران، ط. 1، دار قابس، بيروت، لبنان، 2006، ص: 21.

للمزيد ينظر: أبو نصر الفرائي، المدينة الفاضلة، مطبعة الأبيس، الجزائر، 1985.

3. نفسه، ص: 26.

4. أي حذيفة إبراهيم بن محمد، آداب البيوت في الإسلام، ط. 2، دار الصحابة للتراث بطنطا، 1991، ص: 6-7.

المبحث الثاني: المسكن نشأته وتطوره

يعد المسكن تفاعل الإنسان مع بيئته فكان بذلك حاضرا في حياته وأخذنا جانبا كبيرا من تفكيره وانشغال باله، فمنذ أن ظهر على وجه البسيطة وهو يبحث لنفسه عن مأوى يكفيه مخاطر البقاء في البرية إلى أن ظهرت أنماط عيش أكثر تطورا في حياته، وعرف التجمعات *Groupements* والعيش في جماعات *Groupes*، فصار لزاما أن يخص أسرته بمكان وسط المجموعة إلى جانب عائلته وباقي الأفراد، ويعود تاريخ هذا الانشغال إلى ثلاثة ملايين سنة في جنوب شرق إفريقيا، ومناطق أخرى في العالم في أوقات لاحقة، ويعلم الجميع أن هذه الفترة والأزمنة من حياة البشرية تسمى بالعصور الحجرية، حيث كان الإنسان يقيم في المغارات أو يبني لنفسه بيوتا من الخشب على ضفاف الأنهار والبحيرات كما شيد مضاجع باستخدام كتل حجرية ضخمة حيث الواحدة منها تعد جدار أو سقفا⁽¹⁾.

البحث عن المأوى والسكن في الحقيقة أمر غريزي لدى الإنسان كما هو لدى الحيوان، لذا فالسكن الآمن ليس عبقرية أو اكتشاف بشري، ولنا في تلك الجحور وخلايا النحل والنمل صور عن مساكن تحقق وظيفة بشكل مثالي أشارت إليه آيات قرآنية عديدة، لذا فالبحث عن مأوى هي غريزة أنعم بها الله على كل مخلوقاته، وسنحاول تتبع مسار الإنسان في مقصده هذا لتوفير مسكن يأويه.

1. المسكن في فترة ما قبل التاريخ وفجر التاريخ:

رافق تطور العصور منذ ظهور الإنسان تطور في استخدام الأدوات وكذا تطور وتنوع في المساكن، والتي بدأت شيئا فشيئا في التحول إلى أكثر وظيفية عبر الأزمان المتلاحقة، فقد بدأ الإنسان عيشه في البداية أسفل الصخور في مأوى من الأوراق والأغصان، ليستقر فيما بعد في مغارات ثم أسس مدن نهرية - *Cités lacustres* (الشكل رقم: 5) (الصورة رقم: 4)، ليبني في الأخير مساكن على التراب أكثر راحة ومقاومة للهجمات الخارجية، فقد اكتفى الإنسان في بداية عهده بمأوى يقيه من البرد والأمطار وهذه المساكن عبارة عن مأوى *Abris* ليس إلا (الصور رقم: 1 و 2)، وبعد أن طور الإنسان إمكانياته الحركية بتوظيفه الوسائل والأدوات الأولى فكر أيضا في حماية نفسه من جميع الأعداء بكل أنواعهم والتي بالطبع تعيش من حوله، خاصة منها تلك

1. Charles GARNIER, A. AMMANN ; *L'Habitation Humaine*, Librairie HACHETTE et CIE, Paris, 1892, p: 29.

الحيوانات المفترسة وحتى ضد بني جنسه، فسعى إلى مسكن يضمن له أكثر حماية خاصة الحاجة إلى الدفاع⁽¹⁾.

وفي ظل هذه الاحتياجات الجديدة تغير المسكن جذريا، ولم يصبح مأوى بسيط بل أصبح شكل من أشكال الحصون، ففي البداية كان حصن طبيعي أي أن الطبيعة تضمن الغاية الدفاعية، فاستقر هنا وهناك في مغارات يصعب أو يسهل الوصول إليها، ومن هنا جهز المكان ببعض الحاجيات، والتي فيما بعد بدأت تتطور وتنوع⁽²⁾.

بقي المسكن مع مرور هذه العصور التي لا يمكن الفصل في تحديدها تحديدا مضبوطا يتطور ببطء، ويشير هنا السير كوالث هوار *Sir Coalt Hoare* إلى أن إنسان العصور البدائية سكن حفر أحدثها في الأرض وغطاها ببساط من الأغصان، وهو وصف غير دقيق مقارنة بالحقيقة ولكن محاولة للاقتراب من شكلها الحقيقي، وبالنظر إلى ما توصل إليه من دراسات يمكن وضع فرضيات أحادية وتجميعها، والتي يمكن أن تضم حتى تلك العادات التي توارثتها الأجيال عن هذه الحقب البائدة، والتي يمكن أن نجدها في كتب بعض المؤلفين القدامى مثل سالوست *Salluste*، الذي أشار إلى السكان الأوائل لإفريقيا، وكذا ديودور الصقلي *Diodore de Sicile* في حديثه عن الليبيين، إلى جانب هيرودوت وسترابون اللذين أعطانا فكرة عن الآدميات الأولى، هذه الشعوب التي ضاعت كامل مخلفاتها ولم يبق على الأرض شيء سوى ما كتبه الرحالة المتأخرين عن شعوب متوحشة تسكن نوع من المساكن والتي هي أقل من أن يطلق عليها اسم المسكن.

لقد وجدت آثار هذه المجتمعات الإنسانية في عدة أماكن مثل فرنسا في واد آوس وبريطانيا، وسان إيسيدرو *San Isidro* قرب مدريد، وإيطاليا، مصر والجزائر وبالصحراء نفسها التي كانت تغذيها أنهار عاشت بجوارها شعوب عديدة، أما السيد لابي ريشارد *L'abbé Richard* أحصى في فلسطين ومصر وسوريا نماذج أخرى، كما أن هناك مكتشفات أخرى في كل من آسيا، والمكسيك وأمريكا الجنوبية، إذا فقد كان هناك المأوى المبنى بالخشب وهناك المأوى المبنى أسفل الصخر وكلاهما مبني في العراء⁽³⁾، ويمكن وضع رسم لها من خلال ما ورد في الوثائق التي سبق الإشارة إليها لتبقى فرضيات فقط.

1. Charles GARNIER, A. AMMANN ; Op. Cit. p: 29.
2. Ibid. p: 29.
3. Charles GARNIER, A. AMMANN , Op. Cit, p: 40.

تعد لحظة تمكن الإنسان من مغادرة مأواه الهش والذي لا يقي لا من المطر ولا الريح ولا الأعداء لحظة مهمة في مسار البشرية، ليستقر في مساكن جديدة قليلة المقاومة للحيوانات الضارية، وهي عبارة عن كهوف *Cavernes*، والتي هي عبارة عن مساكن محفورة ومعدة من طرف الطبيعة في حد ذاتها (الصورة رقم:3)، والتي تعرض على الإنسان مسكن مستقر لأول مرة، وبفضل ذكائه عدلها، وكانت هذه الكهوف تقع قرب الأنهار وفي مستوى أسفل منها مما جعلها تمتلئ بالمياه أو أنها لم تحفر بشكل نهائي، فقد كانت هذه الأنهار أعلى من مستوياتها الحالية، وبعد أن استقرت الأرض جيولوجيا وانخفاض مستوى الأنهار، أفرغت تلك الكهوف وسكنها الإنسان، كما حفرت أخرى جيولوجيا وتمكن الإنسان من استعمالها كمسكن جديد وهي التي تسمى: *Troglodyte* والتي تعني باللاتينية ساكني الكهوف *Habitants des cavernes*⁽¹⁾، (الصورة رقم:5)، وقد جاء هذا النوع من المساكن على لسان عدة مؤرخين مثل سترابون، وبطليموس، وديودور الصقلي، إذ ذكروا شعوبا تسكن المغارات، فكان العصر الحجري القديم فترة حياة لإنسان عاش في العراء كلما سمح له الجو بذلك، وسكنوا الكهوف ومخابئ الأرض، معتمدين على الصيد والقنص، واستعملوا الصوان بصقله كأدوات وأسلحة وغيرها، وقد كانت جدران هذه الكهوف مساحات لرسمهم التي غلب عليها العنصر الحيواني، وفي فترة موالية صور لأجسام بشرية⁽²⁾.

في نواحي أوريناك *Aurignac* وهي قرية في غارون العليا *Haute-Garonne* (جنوب فرنسا) في عام 1842 تمكن شخص كان يتبع أرنب أخذته إلى مغارة صدفة مغلقة بصخرة عريضة يرقد خلفها خلفها 17 هيكل عظمي، وضمن الجميع انهم ضحايا مجزرة، ليتبين فيما بعد أنها أول اكتشاف لأناس سكنوا الكهوف لإنسان ما قبل التاريخ لفترة *Troglodytes*، لتظهر اكتشافات أخرى في مناطق عدة مثل وادي لا فيزير *La vallée de la Vézère* الذي اشتهر بمحطات ما قبل التاريخ إلى جانب مناطق أخرى بباريس، وبلجيكا في مغارة اوجيس *Engis*، وأونجبول *Engihoul* على ضفتي لاموز *La Meuse*، وكذا بريطانيا وإيطاليا وبولونيا وإسبانيا واسكندنافيا وروسيا والأورال وجبل سيناى *Sinai* بالمغرب، والهند والمكسيك، وتتميز هذه الكهوف بصعوبة الوصول إليها، حيث نجدها بالصخر على ارتفاع معتبر يتراوح ما بين 100م إلى

1. Charles GARNIER, A. AMMANN , Op. Cit, p: 40.

2. أندريه إيمار، جانين أوبوايه، تاريخ الحضارات العام، الشرق واليونان القديم، تر. يوسف أسعد وأحمد عويدات، مج. 1، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، 2006. ص:24.

200م، ورغم بعدها وحصانتها ، لكن الإنسان كانت تصله مياه الأمطار من خلال مياه الرشح الساقطة على قمة الهضبة، وقد بقي الإنسان يعاني من البرد في هذه الفترة والتي يسميها الجيولوجيون الزمن الرابع. *Quaternaire* واستقر بهذه المغارات ليحلب بعض الحاجات والأدوات التي تساعده على الراحة، ثم بدأ ينتج بعض الأدوات⁽¹⁾.

كانت الأبنية الأولى التي أنشئت في العصر الحجري الحديث عبارة عن مجمعات من الأكواخ أو قرى صغيرة، وقبل أربعة آلاف أو ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، كانت على شواطئ بحيرات سويسرا وفي فرنسا بيوت مبنية على أوتاد مغروسة في الماء سميت مراكز مائية *Palafittes* وتسمى كذلك مدن نهرية. *Cités lacustres*، وكانت تستعمل أماكن للإقامة والعمل⁽²⁾ (الشكل رقم:5) (الصورة رقم:4).

يعد هذا العصر -العصر الحجري المشذب- الذي أنشئت فيه المراكز المائية أو النهرية، هو نفس العصر الميغاليتي *Mégalithe* الذي كان فيه الإنسان في أنحاء أخرى من أوروبا وخاصة بريطانيا والدانمارك والسويد، يبني قبوره الضخمة من الحجر * وهي منشآت تعاصر فترة المراكز المائية لما وجد بها من أدوات حجرية مشذبة كتلك الموجودة في هذه المراكز⁽³⁾، إلى جانب تلك الفؤوس الحجرية⁽⁴⁾.

ظلت مساكن القرى المائية رغم موقعها في وسط مائي عرضة على الدوام عرضة لأخطار رهيبة كالحرائق، فقد بنيت هذه البيوت من مواد قابلة للاشتعال (الخطب، فروع الأشجار، القصب..)، بحيث يسهل على نار الموقد الزحف على هذه المواد والتهامها بمجرد هبوب الرياح ولو قليلا، ووسط هذا اللهب ورغم ما بداخلها من وسائل للعمل لم يتوانى سكانها على التخلي عنها، حيث أصبحت بالنسبة إليهم الأرض أكثر خطر من البحيرة، ونخطئ إذا لم ننصف هؤلاء الناس على ما بذلوه لتوفير الطاقة، والجهد، والعبقرية الفذة، والتي صرفوها على الفلاحة في البداية وتربية الماشية، كما حفروا لأنفسهم قوارب كما شيّدوا مباني بسيطة بل وحقيقية لكنها فسيحة واستحدثت العديد من الوسائل، ومع ذلك كانت هناك حدود لكل هذا، حيث لا يمكن أن

1. Charles GARNIER, A. AMMANN ; Op. Cit, pp: 40-41.

2. Ibid, p: 42.

* نقصد بها الدولن *Dolmens*، والمسلات التي تسمى ماهير *Menhirs*، والدوائر المبنية من الحجر الخام والتي تسمى

كروملخ *Cromlechs*، وهي أهم أنواع المعالم الميغاليتية. *Mégalithiques*.

3. عفيف البهنسي، العمارة عبر التاريخ، ط. 1، دار طلاس، 1987، ص:13.

4. عفيف البهنسي، تاريخ الفن والعمارة، ج. 1، دار الشروق، دمشق، 2003، ص:24.

يتجاوز أي أقوام معروفة حينذاك، وفي ظل غياب المعادن خاصة الحديد والتي لم تدخل استخدامات الحياة اليومية⁽¹⁾، ومع ظهورها فقط تبدأ الحضارة الفعلية.

ليس كما يبدو للجميع أن عبقرية وجهد مهندسي البحيرات في الغرب هو من حقق هذا التقدم، بل الفضل يعود لأقوام أسيوية جلبتها معها أثناء غزواتها لأوروبا، فقد تواصل العصر الحجري القديم في أوروبا أكثر من أي مكان آخر خاصة في غربي جنوب فرنسا، وفي الغرب الشمالي من شبه الجزيرة الإيبيرية، وامتد تأثيرها إلى إفريقيا بعد أن انتقل صناعتها مثل العرق المجدلاني مجبرين بعد ظهور عناصر بشرية جديدة، وتراجع بذلك تأثيرهم والدور البارز لهم، فيما امتد غزو جارف من الشرق المتوسطي⁽²⁾ قادما من الجنوب وجهات أخرى.

ويأتي الحديد في آخر الترتيب بعد النحاس والبرونز، فالأكيد إنما جلبت من طرف سلالة من أصل شرقي بحجم أكبر من السكان الأصليين لأوروبا، ونستشف ذلك من خلال مقابض سيوف الحديد لتلك الأقوام، وعلى العكس من ذلك بالنسبة لسيوف البرونز وكذا الأساور والقلائد من عصر الحديد دوما بأقطار أكبر من تلك العائدة لأزمنة سابقة، والأهم أن اختراع أدوات وأسلحة من المعدن -بغض النظر عن العرق الذي نحن مدينون له بهذا الفضل- كان في استخدامات العمارة المتزلية نقطة الانطلاق لثورة جذرية، فبفضل الاستعاضة بالحجر المشذب عن الحجر المصقول استطاع الإنسان مغادرة الكهوف لبناء أولى المدن النهرية ، ولكن منذ ظهور العصر الحجري المصقول أصبح الإنسان راعيا ودجن بعض الحيوانات، وانتقل إلى حرث الأرض، ليبنى لنفسه أكواخ ومنازل اتخذها سكنا، وبدأ يشكل جماعات تربطها المصلحة المشتركة من عمل وأمن⁽³⁾، وعند استخدامه للمعادن قدمت له الوسيلة لمغادرة البحيرات والأوتاد ليقوم لنفسه مسكنا على أسس ثابتة في التربة الطبيعية على الأرض.

كانت المساكن الأولى التي بناها الإنسان على الأرض بكل تأكيد متواضعة، من حيث الشكل وكذا مواد البناء المستعملة، حيث تحتم عليهم السكن في عدة أنواع من الأكواخ المبنية على أوتاد في الأساس، حيث أن إنسان البحيرات أصبح أرضي، وهو ما تطلب منه نقل جميع عاداته وتقنياته معه والتي تطلبت وقت طويل لينساها، فبنى لنفسه أكواخ من الأغصان لبست من الخارج بطبقة من الطين المعجون، وفي بعض الأحيان تغطي بدل ذلك بجلود الحيوانات التي

1. أندريه إيمار، جانين أوبوايه، المرجع السابق، ص:25.

2. نفسه، ص:25.

3. نفسه، ص:26.

يصطادها تدار على القمة بشكل خلية، وفي الغالب كذلك تكون ممدودة لتوفير مساحة إضافية لساكنيها، إذا فهذا هو المسكن البدائي.

دلت كتابات سالوست. *Salluste* على أن السكان الأوائل على أرض إفريقيا والذين

تركوا الماء ليستقروا على اليابسة، قد شيّدوا بيوتا بهياكل سفنهم المقلوبة، كما يذكر المؤرخون الرومان مساكن الفلاحين النوميديين والتي تسمى ماباليا *Mapalia* (الشكل رقم:6)، تشبه بقدر كبير من خلال شكلها المستطيل وسقفها المعقودة سفن غاطسة⁽¹⁾.

اختلف الأمر في مناطق أخرى أين نجد المناخ أقل جفافا عنه في منطقة ليبيا القديمة، حيث

أن السكان ليسوا عرضة للأمطار فقط ولكن لكل ظروف الشتاء، فالمسكن البدائي شهد سرعة تحول كافية، فقد عمد الإنسان في بداية استقراره على اليابس وبذكاء ملحوظ إلى دفن نصف مقصورته لتقليص ما يمكن من مخاطر تأثير التغيرات الجوية، لذا اعتمد نوعا من المساكن تحت أرضية. *Demeures souterraines* (الصورة رقم:6).

نفذ إنسان ما قبل التاريخ هذا النوع من المساكن من خلال البدء في الحفر بشكل موحد

للتربة لكامل المساحة المحددة لشغلها، ويستمر الحفر إلى عمق يتراوح بين 1.5م إلى 3م، ويتوقف هذا على طبيعة الأرضية وذوق السكان المستقبليين للموقع، وتصلق الجدران بجزر إلى الذروة، فيما عدا نقطة واحدة أين يحس بميل خفيف يحدث كي يقود حتى الأسفل، كما أنه يحدد موقع باب المدخل فيما بعد، ثم وتكسى الجدران بتلييس من الخشب أو حتى جدار حقيقي، لأنه يعتقد أن الإنسان في بداية استقراره على الأرض قام بصف الحجارة الخام في شكل صفوف الواحدة فوق الأخرى ولكن لم يوفق في ذلك إلى حد كبير، وسد الفراغات فيما بينها باستعمال حجارة أصغر أو شظايا أصغر، وقام بربطها ببعضها باستعمال الطين ثم باسمنت اصلب، وما يتبق حتى هاته اللحظة يقوم به اثلنجار وإلى جانبه البناء⁽²⁾.

ترفع الجدران إلى مستوى يتجاوز طول الإنسان بقدر بسيط، حتى يمكن تحديد الارتفاع

اللازم، ليوقف العمل في هذه النقطة من المبنى تحديدا، لتوضع بعدها العوارض *Poutres* التي

ستحمل السقف *Toit*، وهنا يحرص البناء على إعطاء الميل *Pente* اللازم للسقف حتى تصرف

مياه الأمطار من خلال إحداث ميل على مستوى العوارض الحاملة والتي تستند على ركيزة

خشبية قائمة في الوسط من ثمة تصف العوارض الخشبية وتغطي بالأغصان المتشابكة، والبوص

1. Charles GARNIER, A. AMMANN ; Op. Cit. p: 74.

2. Ibid. p: 75.

المدكوك، والتبن، ويغطي هذا السطح البدائي في بعض الأحيان بالطين المعشوشب، وهكذا يتم بناء هذا المسكن، ويعد هذا النوع من المساكن الأنسب والأكثر تلاؤم مع المناخ الماطر والرطب، وبالتالي شاع استعمالها في كامل أوروبا الوسطى وكذا الغربية، وقد حفظت لوقت طويل، حيث يمكن معاينة أمثلة لذلك في منطقة تاسيت *Tacite* بألمانيا، بالإضافة إلى هذه الآثار التي ما تزال موجودة بالمنطقة وأخرى بفرنسا عديدة وكثيرة حتى يومنا هذا⁽¹⁾.

تبع تفاوت المناخ في مواطن أخرى - حيث يكون أكثر شدة مما هو عليه في الهضاب الوسطى وحيث وفرت الطبيعة للإنسان مواد بناء أخرى - قيام الإنسان بتعديل هذه النمط للبدائي للمسكن التحت أرضي، حيث في عدة نقاط نجده أعاد إنتاجها بشكل مختلف، رغم أنها معروفة حتى يومنا هذا، ولنا في منطقة اسكتلندا *Ecosse* نماذج لهذه العمارة السكنية والتي تسمى محليا بـ *Weems* أو *Earth-house* وكذا *Pict's houses*، ومهما اختلفت التسمية فهي بيوت تحت أرضية مبنية بحجارة ذات مقاسات كبيرة مهذبة قليلا فقط، موضوعة بشكل منتظم، وعلى مستوى معين تميل الجدران وتلتقي بعضها ببعض، وعندما تقترب الجدران من بعضها البعض بالقدر الكافي تغطي بحجر كبير مسطح وبالتالي تغطية الفراغ المكشوف، ونجد في بعض الأحيان المسكن من الداخل عبارة عن قاعة دائرية الشكل، وفي أحيان أخرى يتوفر محيط هذه القاعة على غرف، وهي غرف منفصلة كلية عن بعضها البعض ولا تتصل سوى بمركز القاعة من خلال أبواب ضيقة، وفي كل الأحوال المسكن ذو مخطط دائري.

لم تكن البيوت الأرضية في الأصل محصنة، فحول القرى تحت أرضية في جبال أوفارن *Auvergne* لا نجد أي أثر للأسوار الدفاعية، ولا شيء يشير إلى أن ساكنيها لما قبل التاريخ أولوا لها أهمية تذكر لدفع الهجمات، ونفس الشيء في القرى البحرية، وهذه الأخيرة لم تعرف سوى تحصين ضد الأمواج البحرية لصدها، ويعود الفضل في إعادة بناء صورة هذه القرى للسيد جون لوبوك *Sir John Lubbock*، فيما بقي المسلك تجاه المساكن مفتوحا، فيما يرى هذا الإنجليزي أنها سكنت من طرف أناس هادئون ولم يقاوموا سوى الاضطرابات، ومع مرور الوقت ظهرت أخطار وأعداء جعلت الإنسان يفكر جديا في بناء تحصينات لمساكنه يحمي بداخلها النساء والأطفال وكذا محاصيله⁽²⁾، وهناك في أكثر من موقع وجدت هذه التحصينات تحيط بقرى ومساكن محصنة، والتي هي مبنية قبل الأزمنة التاريخية .

1. Charles GARNIER, A. AMMANN , Op. Cit. p: 76.

2. Ibid. pp: 77-78.

وعموما اختير بذكاء واقعي لهذه المحطات المحصنة مواقع تفي بغرض الدفاع، حيث أنها تقع إلى جوار مصبات الأنهار، أو عيون مهجورة، وإن أمكن على هضاب معزولة في منحدر محاطة بالوديان، والأجزاء الأضعف طبيعيا أو التي هي غير محمية طبيعيا جعلت لها حواجز اصطناعية من خلال أسوار بنيت بذكاء، وقد كانت مساكنها لا تختلف كثيرا على المساكن تحت أرضية، ففي أحد المواقع ببريطانيا والمسمى بمعسكر سيسبوري *Cissbury* نميز وجود حوالي خمسين حفرة بعمق حوالي 4م وقطر في حدود 25م، وهي بكل تأكيد بقايا مساكن⁽¹⁾.

ساد هذا النوع من المساكن في هولندا، ألمانيا وإلى غاية حدود أوربا في رومانيا، والبرتغال، وبحكم أن هذه المواقع لم يوجد فيها أي أثر للتحف الحديدية ولا استعمال له يذكر، مما يدل على أن هذه الفترة تسبق بداية التاريخ، وعرفت المكسيك هي الأخرى هذا النوع من المساكن حيث عثر عليها مبنية بالتراب وتسمى موندس *Mounds*. بمعنى تيمولي *Tumuli*، وهي عبارة عن جدران عريضة في الغالب دائرية أو مربعة، وفي بعض الأحيان تبني بحجارة مصفوفة ببساطة، مكدسة ومغطاة بطبقة سميكة من الطين، محمية في أغلب الأحيان بخنادق، وتمثل نوع من التطوير وداخل السور تمكن عدد كبير من الأشخاص العيش بداخله، وما تجدر الإشارة إليه أن سكان هذه المواقع كانوا صيادين وكذلك مزارعين بالنظر إلى ما اكتشف بهذه المواقع من بقايا تثبت ذلك، كما أنها عرفت نوعا من التنظيم القائم على وجود الرئيس يسير والعمال، والتي يمكن أن نسميها العنصر الأول لمجتمع منظم⁽²⁾.

يعود أقدم بيت مبني بالطين الجفف والخشب ومغطى بالأغصان والفروع إلى عشرة آلاف سنة في منطقة المريط (سورية)، وخلال هذه المرحلة -التي تؤرخ للعصر الحجري الوسيط والحديث- نجد أن الإنسان بدأ يقيم الجدران الطينية المدعمة والمشذبة والموشاة بالألوان بأشكال هندسية⁽³⁾، وهي بيوت ذات مخطط دائري جدرانها سميكة هيمن عليها الطين المدعم في أساساته بالحجر، جاءت منفردة مؤلفة من غرفة واحدة غير مقسمة، واستخدم في بنائها المواد المتوفرة، وهي الخشب للأعمدة المشذبة بقادوم حجري، وكانت الأعمدة تنصب عموديا إلى جانب بعضها، فتشكل حاجزا متصلا يطلى وجهه الداخلي بالطين، وكان سقف هذه الغرف مبنية أيضا بمواد خفيفة مثل الأغصان والجلود والقصب، وقد توسعت هذه المستوطنة مع الوقت،

1. Charles GARNIER, A. AMMANN , Op. Cit. pp: 85, 90.

2. Ibid. pp: 85, 90.

3. عفيف البهنسي، العمارة عبر التاريخ، مرجع سابق، ص: 9.

فيما حافظت البيوت على تخطيطها الدائري ولكن زادت سماكة جدرانها، وهيمن الطين المدعم في أساساته بالحجر، وهي غرف منفردة مؤلفة من غرفة واحدة لا تقسيم داخلي لها⁽¹⁾.

تميزت فترة عصر ما قبل التاريخ في أواخر عهدها بعمارة دفاعية أكثر منها مدنية وإن كانت تؤدي وظيفة الإيواء، لا بد من الإشارة إلى تطور المواد والتقنيات في هذه العمارة، ومن بين المباني المهمة الباقية من فترة الانتقال هذه- والتي تعتبر أكثر استجابة في وسط وغرب حوض البحر الأبيض المتوسط- ما يعرف نوراغ * *Nouraghes* (الصورة رقم:7)، ولأن الحفريات التي أقيمت بها لم تكشف عن محتويات دفن أو ما شابه ذلك، بل بالعكس مخلفات أغذية وحبوب وعظام، مما يدل على أنها كانت مساكن وهو أمر أثبتته الدراسات الحديثة التي توصلت إلى أنها كانت مباني مخصصة للسكن ليست بصفة دائمة ولكن في لحظات حرجة، وفيما يخص مظهرها الخارجي، فهي عبارة عن مخروط مبتور، حيث نجد القطر في مستوى الأرضية حوالي 12م، ولأنه يصعد إلى حدود 25م في الجزء العلوي وينتهي بسطح *Terrasse* أو منصة *Plate-forme*، حيث يمكن لنا التكهن بتفاصيل البناية، لأن البناية فقدت جزءها العلوي في فترة العصور القديمة الكلاسيكية، والبناية إجمالاً نفذت بالحجارة، في الأسفل كتل صخرية كبيرة، وعلى مستوى ثلاثة أو أربعة أمتار نجد الحجر تأخذ حجماً عادياً، وهو ما يوحي بفقدان بنائي هذه الأزمنة لآلات تساعدهم في رفع أحجار أكبر حجماً، فيما زودت بمدخل وحيد بحيث لا يتم الدخول إليها إلا زحفاً، ويغلق المدخل بصخرة كبيرة تثبت من الخلف بدعامتين من الخشب، والممر المتصل بالمدخل يؤدي إلى غرفة دائرية المخطط بقطر حوالي 5م، وعموماً الغرفة على شكل بيضة عملاقة مقطوعة إلى نصفين وبارتفاع كلي يصل إلى 7م، كما فتحت على هذه الغرفة الرئيسية ثلاثة غرف صغيرة أو بالأحرى مشكاوات، حيث واحدة منها مباشرة في الجهة المقابلة لمدخل الممر، والأخرين على اليمين واليسار.

فتح مدخل بالجدار الأيسر للممر *Corridor* يؤدي إلى سلم مبني في الجدار، ويلتف بميل خفيف حول الغرفة الرئيسية بشكل دوامة *Spirale*، ولكن بحكم أن هذه البناية العائدة لما قبل التاريخ قد فقدت الجزء العلوي منها ولا ندري تحديداً لما كانت تفضي، والواقع أن هذه المباني كانت مساكن مؤقتة فقط، دعت إليها الحاجة الدفاعية، ذلك أنها غير مضاءة ولا يدخلها هواء بالقدر الكافي ولا حتى يمكن إشعال النار فيها للطهي، فهي ليست مساكن عادية، بل خصصت

1. عفيف البهنسي، تاريخ الفن والعمارة، مرجع سابق، ص:30.

*. النوراغ *Nouraghes* هي مساكن تسبق عصر الحديد.

لحالة الطوارئ ليحتمي داخلها الأهالي، وفي مناطق أخرى نجد أنواعا أخرى من النوراغ. *Nouraghes* حيث بني بعضها بالحجارة الجافة، وأخرى بالتراب المدكوك *Pisé*. ولكن في أغلب الأحيان بشكل دائري، محاطة بجلبة من الحجارة دون وجود مادة رابطة⁽¹⁾، أغلب الضن أنها فضاء تابع للمسكن توضع فيه القطعان تحت أعين الحراس.

كشفت الحفريات التي أقيمت حول هذه المساكن عن بقايا تعود لناس جمعوا بين الصيد والفلاحة كما اعتمدوا بعض الحرف، عاشوا موزعين على عدد من القبائل أو العائلات الكبيرة، حيث تعيش كل واحدة حول واحدة من بين هذه المساكن، أين تحتفظ بمحصولها في الطابق الأرضي، إلى جانب الأسلحة، فيما كانت المراقبة تتم من خلال السطح⁽²⁾.

وتستمر العمارة الطينية حتى بداية التاريخ من الألف الرابع قبل الميلاد، ولكن أمرا خارقا اكتشف في وادي النطوف (أريحا-فلسطين) من خلال إقامة منشآت حجرية مشدبة في الألف السابع قبل الميلاد، ثم تنتشر العمارة الحجرية على نطاق واسع في مصر باستعمال الحجر المنحوت *Pierre taillée*. وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال عدم وجود عمارة حجرية بمنطقة الرافدين التي اشتهرت باللبن المجفف *Brique crue*، والآجر *Brique cuite*. لكن اقتصر الأمر على أماكن وجود مقالع حجرية *Carrières*⁽³⁾.

إلى جانب هذا النوع من المساكن هناك نوع آخر من المساكن في قرى كاملة دفنت تحت أنقاض الرماد وأكوام الحجارة، مما جعلها في حفظ تام بعيدا عن الفضول، وهي في الواقع مساكن تعود لأقوام تسبق الرومان وحتى الحضارة الهلينية، كما أنه مجهل تمام هوية أصحابها، وتاريخهم، لغتهم ولا حتى تسميتهم، وهي مساكن تعطينا فكرة عن مرحلة الانتقال بين ما قبل التاريخ والتاريخ، ووجد هذا النوع من المساكن في منطقة سانتوران *Santorin*. وأكثر ما يميزها عن المساكن السابقة الذكر ونقصد بذلك النوراغ *Nouraghes* تلك الأسوار التي تعد نقطة تقدم بالنسبة هذه الأخيرة، ومن أول وهلة نلاحظ أن مواد البناء من نفس النوع، كتل ضخمة من الحجارة المكدسة من دون رابط *Liants* والتي هي ذات أصل بركاني، فيما ملء الفراغ فيما بينها بخليط من تربة حمراء، التبن المقرط والطحالب البحرية وبخاصة أن البناية مدعمة بهيكل حقيقي، والذي يجمع سمك الأسوار وهي المرة الأولى التي نسجل فيها هذا النوع من الابتكارات،

1. Charles GARNIER, A. AMMANN ; Op. Cit. pp: 93-94.

2. Ibid. p: 94.

3. عفيف البهنسي، العمارة عبر التاريخ، مرجع سابق، ص: 10.

وقد استعمل في هذا الهيكل البنائي أغصان خشب الزيتون *Oliviers* وخشب السرو *Cyprès*، والتي تشكل أهم غطاء نباتي في تلك المناطق لهذا العهد⁽¹⁾.

تتألف هذه البيوت من طابق أرضي فقط، ويدخل إليها من خلال مدخل كامل له ارتفاع وعرض مناسبين، تمثل فتحات معقودة بكتل ضخمة مثل ما هو الحال عليه في مساكن الفلاحين، وفي الداخل قسم الفضاء إلى عدة غرف بواسطة جدران فصل ضخمة وبجواز أقل سمكا، ولا يعرف بالتحديد دور تلك الممرات حيث تتصل الغرف جميعا، كما أنها تضاء بواسطة فتحات كبيرة فوق العقود الضخمة للمداخل، وهي مشدودة بغرف من خشب الزيتون، حيث الجدران الداخلية في بعض الأحيان غير مكسية، وفي أحيان أخرى تغطي بنوع من التكليس الريفى *Badigeonnage rustique* معدة من مادة ترابية ذات لون أحمر، وفي حالات أخرى لوحظ التكسية بطبقة من الجير *Chaux* تحمل زخرفة، والتي لها ألوان تزداد روعة حين تعريضها لأشعة الشمس، نكتشف من خلال هذه البيوت وما عثر بداخلها أن هذه المجتمعات كانت فلاحية، وتجارية، وصناعية في ذات الوقت، حيث زرعوا الشعير، الحمص، العدس، وخزنها في عدة غرف من مساكنهم، كما ربوا قطعانا من الحيوانات وروضوا الأحصنة لنشاطهم الفلاحي، وكلاب لحراسة قطعانهم، كما عرفوا النسيج، وكانت لهم علاقات مع شعوب أخرى يظهر ذلك من خلال التحف الذهبية التي وجدت هناك، مع العلم أنه لا وجود لهذا المعدن في هذا الأرخييل⁽²⁾.

لقد عرفت أوروبا بعد العصر البرونزي أبنية من الحجر بالإضافة إلى مساكن من الخشب، وبقيت المراكز المائية موجودة أيضا في هذا العصر، بل أنه واصل بناءها رغم اكتشافه للذهب والنحاس، وهما أقدم معدنان اكتشفهما الإنسان⁽³⁾.

يشار إلى أن أولى المساكن الثابتة للشعوب الصيادة في الصحراء كانت مخصصة للأموات فيما يزورها الأحياء كي يستحضرون الأموات، وشيئا فشيئا تحولت هذه الحقول الجنائزية إلى تجمعات سكنية، وكذلك كانت أولى المدن مخصصة للأموات، وخلال فترة الباليوليتيك *Paléolithique* شهدت الصحراء درجة حرارة لطيفة والظروف المناخية صارت معقولة كذلك مواقع النقوش الصخرية غالبا ما كانت قريبة من نقاط المياه، ويعتبر

1. Charles GARNIER, A. AMMANN ; Op. Cit. p: 95.

2. Ibid. p: 95.

3. عفيف البهنسي، العمارة عبر التاريخ، مرجع السابق، ص: 10.

التيميلوس. *Tumulus* إشارة لوجود حياة مشتركة قديمة تسبق تأسيس أولى التجمعات السكنية، وقد شكلت هذه المعالم بالنسبة للجماعات آنذاك ما يشبه الارتباط العضوي، لكون أن لها دلالة ما وأصبحت مقصدا لهم لتتحول فيما بعد إلى قرى⁽¹⁾.

يرجع الأثريون الشواهد المادية الخاصة باستقرار المقيمين بالصحراء إلى النيوليتيك. *Néolithique* حيث نجد أدوات خلفوها، حيث أن هذه الفترة تشهد درجة حرارة لطيفة عما هي عليه الآن ولكنها حارة ورطبة إلى جانب وجود غابات من نوع البحر الأبيض المتوسط في التاسيلي جذبت الإنسان للاستقرار بجانب الوديان، لينتقل بذلك الإنسان إلى الرعي والزراعة في وقت مبكر ومن دون شك أن هذا وقع خلال النيوليتيك، وتشير الرسوم الصخرية (3500 ق.م) تمثل بقرات يجرسها رعاة، وهنا يمكن أن تؤسس قرى إلى جنب الأماكن التي يمكن زرعها، حيث تشكلت مجموعات عائلية ولكل واحد مسكنه يعيشون نفس نمط العيش ويشغلون نفس الأعمال، وبعد الجفاف وارتفاع الحرارة انحصرت تواجد هؤلاء بالقرب من نقاط الماء في محاولة للتصدي للجفاف من خلال ابتكار أنظمة ري مناسبة والتي اعتمدت على استغلال مخزون الماء الباطني، وفي ظل هذه المعطيات الصعبة قام السكان الأوائل لهذه القرى الأولى وبكل شجاعة وتعاون وصبر بانجاز مهمة مشتركة وحسب كل فصل لجلب الماء وتقسيمه وتوفير نوع من الأمن الذي يسمح بالسقي طول العام⁽²⁾، وهي بداية تشكل للقرى المحصنة لكن تفاصيل مساكن هذه القرى لا نعرفها تماما، ويحتاج الموضوع للبحث لإيجاد الأدلة الأثرية التي يمكن أن تزيح الغموض عن مساكن هذه الفترة بالصحراء.

2. مسكن الحضارات القديمة:

ظهر البيت ذو الغرف الداخلية العديدة التي تفصل بينها جدران مستقيمة في الألف الثاني قبل الميلاد بموقع المريط بسوريا، وظلت الجدران تبني من الطين والحجارة ولكن السقوف أصبحت تبني من مواد صلبة، أي من ألواح خشبية متلاصقة ومغطاة بطبقة من الطين، ومحمولة على أعمدة مثبتة عموديا، ومما هو جدير بالذكر أن الغرف في هذه البيوت كانت مدهونة

1. Chaouche-Bencherif Meriama ; **La Micro-urbanisation et la ville-oasien ; une alternative à l'équilibre des zones arides pour une ville durable cas du Bas-Sahara**, Mémoire de doctorat en Sciences, Département d'Architecture et d'Urbanisme, Université Mentouri, Constantine, Algérie, 2005-2006, pp: 92-93.

2. Ibid. pp: 92-93.

الجدران ومزينة برسومات جدارية ملونة بالأحمر والأسود والأبيض وهذه الزخرفة ذات صيغ هندسية⁽¹⁾، وكانت المساكن في الحضارة المصرية أيام الدولة القديمة تبنى من مواد خفيفة، ولهذا لم يبق لها من أثر بحيث يسمح لنا بدراستها، عدا بعض الآثار الموجودة في سقارة والتي تعود إلى الأسرة الثالثة، وأمّا المساكن في الإمبراطورية الوسطى فكانت مؤلفة من فناء متصل بالمسكن، فظهر بذلك الفناء الداخلي في المساكن الفرعونية واستعملت الأسقف المرتفعة ذات ملاقف (الشكل رقم: 8 و 9) تغطي الأبهاء الوسطى للمباني⁽²⁾، وهو أي المسكن مؤلف من طابق واحد، وفي الإمبراطورية الحديثة فإن موقع تل العمارنة يحفظ العديد من البيوت المترفة ذات الحدائق والبحيرات والسواجق، أما المنازل العمالية فكانت تتألف من صالة استقبال ومن غرفة ومطبخ⁽³⁾، فقد كشفت الحفريات عن مباني مدنية مؤقتة مبنية في عهد الإمبراطورية الوسطى على مقربة من أحد المعامل، حيث بنيت المساكن الشعبية في حي خاص يفصله جدار عن حي الأغنياء، ويقتصر على ثلاثة غرف أو أربعة⁽⁴⁾، كما استعمل طمي النيل في صورة قوالب في بناء معظم المباني السكنية التي لم يبق من آثارها إلا القليل⁽⁵⁾، ففي مقبرة الدير البحري وجد نماذج لدور ريفية يظهر في واجهتها أربعة صفوف من أعمدة على هيئة زهرة البشنين، وتقع في مؤخرتها حدائق تشمخ فيها أشجار الجميز وأحواض مياه بيضاوية الشكل، ويحيط بكل منها سور⁽⁶⁾.

أمّا المتزل الرفادي (الشكل رقم: 7) فهو مطابق للمتزل الإسلامي الذي يقوم على الاهتمام بالداخل وإهمال المنظر الخارجي، لذلك فإن التقسيمات الداخلية: الدهليز، والفناء المكشوف، والقاعات، هي ذاتها المعتمدة منذ العهد الرفادي، وكانت الفتحات محدودة ومقصورة على الداخل، وقد اتبعت أساليب للتهوية وهي أنابيب تجري مجرى الرياح⁽⁷⁾، ولكن سرعة عطب مواد البناء وتنضيد المساكن المتتالية في نفس المواقع مدة آلاف السنين لا يجيزان معرفة البيوت

1. عفيف البهنسي، تاريخ الفن والعمارة، مرجع سابق، ص: 30.

2. عبد الباقي إبراهيم، المرجع السابق، ص: 23.

3. عفيف البهنسي، تاريخ الفن والعمارة، مرجع السابق، ص: 38.

4. أندريه إيمار، جانين أوبوايه، المرجع السابق، ص: 113.

5. عبد الباقي إبراهيم، المرجع السابق، ص: 24.

6. عفيف البهنسي، تاريخ الفن والعمارة، مرجع السابق، ص: 112.

7. نفسه، ص: 112.

وتنظيم المدن الداخلي معرفة حسنة⁽¹⁾ كونها بنيت من الطين، وقد أثار لهم السقف مشاكل لم يوقفوا في إيجاد حل لها، واستعملوا للمباني الصغير كالببوت نظام القنب⁽²⁾.

أدخلت على الهندسة المدنية في عهد الحضارة المسيحية بعض التعديلات التي لا تقل أهمية عن تلك التي أدخلت على الهندسة الجنازية، حيث كيف المسكن وفقا لمناخ البلاد، فبينما كان مسطحا في كريت، فقد غدا هنا ذو منحدرين، لتسيل عليه مياه أمطار أقل ندرة، كما كان في إمكان عائلات كريت أن تنتقل من مسكن إلى آخر كان حيث البرد أقل شدة، وقضت الضرورة هنا باعتماد المسكن الواحد الثابت لاسيما وأن السكان قد قدموا إلى البلاد من مناطق مناخية أخرى وخضعوا لعادات أخرى، فنشأ عن ذلك عنصر البيت الأساسي: الميغارون الذي ظهر في العالم المتوسطي قبل الأخيين^(*)، فإننا نجده في طروادة الثانية التي ترقى إلى الألف الثالث، وفي تساليا وبيوسيا في أوائل الألف الثاني، ولعل منشأه شمالي آسيا الصغرى التي انتقل منها إلى أوربا عن طريق شمالي بحر ايجه، ولكن المسيحيين هم الذين وضعوا له شكله النهائي الثابت وعمموا استعماله وطريقة بنائه، فظهر في السيكلاد حوالي سنة 1500 ق.م، وفي كريت بعد هذا التاريخ⁽³⁾.

وقوام الميغارون بناء مستطيل، ويقوم أمامه في الخارج، بعد الأعمدة التي يستند إليها قسم ناتئ من السقف، رواق بمثابة مدخل يلججه النور والهواء ويفصله جدار ذو باب واحد عن قاعة كبرى هي الميغارون نفسه الذي تتوسطه موقد ثابتة مستديرة، وليس هنالك من مدخنة لتصريف الدخان، بل كوة في السقف تستند إلى أربعة أعمدة تحيط بالموقدة على الأرض، وبفضل هذه التدفئة يصبح هذا المكان قاعة للأهبة تزخرف جدرانها ويستقبل فيها الضيوف، ومنذ ذلك الحين أصبح للبيت مركزه ثم انتظمت أقسامه الأخرى كملحقات له، ثم خضع البهو الوسطي لقاعدة محددة مع ما تقتضيه من أروقة ومدخل تحف بالأبواب، وخرائب تيرنثوس بها مساكن توحى بالعظمة والنبيل⁽⁴⁾.

1. أندريه إيمار، جانين أوبوايه، المرجع السابق، ص: 183.

2. نفسه، ص: 187.

* هو اسم الإغريق في العصر المسيحي (1650 - 1100 ق.م)، لهذا كان يطلق عليهم المسيحيون وكانت لغتهم الأخية التي إنحدرت منها اللهجة القبرصية، وكلمة أخيين كانت تطلق على سكان جنوبي شرق اليونان.

3. أندريه إيمار، جانين أوبوايه، المرجع السابق، ص: 252-253.

4. نفسه، ص: 356.

أما المسكن اليوناني فيتكلم كسينوفون عن عشرة آلاف مسكن في أوائل القرن الرابع، وهذا الرقم المرتفع جدا بالنسبة لمساحة ضيقة، فحتى المجتمع الراقي كان لا يرضى بالسكنى إلا داخل المدينة، ليس لهذه المساكن الوضعية، على العموم، سوى جدارن من الطين المجفف يسهل على اللصوص أن يفتحوا فيها ثغرة، ولا تظهر البيوت المؤلفة من عدة طبقات سوى في القرن الرابع، وكانت الغاية الأولى منها التباهي والتفاخر، أما الغرف فضيقة جدا وأرضها ترابية جامدة، أسباب الراحة مفقودة تماما، ولم تشكل المراحيض معضلة قط لأن النظر قد صرف عنها في كل مكان، ولم تكن هناك أفضلية لبيوت الأغنياء سوى في رحابتها واتساع غرفها الموزعة حول فناء تحف به بعض الأعمدة، فلا يظهر البذخ إلا في عهد متأخر مقتصر على قاعات الاستقبال التي غطيت سقوفها بالخشب وازدانت جدرانها بالمديجات والرسوم، وقد كشفت أعمال التنقيب في منطقة خلقيس، في موقع مدينة أولنثوس، التي دمرت في أواسط القرن الرابع، عن استعمال الفسيفساء التزيينية المصنوعة من الحصباء المستطيلة لا من المكعبات الصناعية، والتي نرجح ظهورها هناك في أواخر القرن الخامس، فقد ظهر خلال القرن 4 ق.م عمارة الدور الخاصة فقد عثر في أولنث *Olynthe* على مئات الدور المبنية بمواد خفيفة على رقعة مربعة، وللدار صحن ورواق يؤدي إلى القاعة الأساسية، وكانت تزين هذه الدور صور وزخرفات فسيفسائية كما سبق وأشرنا⁽¹⁾، وباستثناء هذا الفارق فقد أيدت هذه الأعمال الفكرة العامة التي تكونها عن أثينا النصوص الكتابية، ما أن يبلغ البيت حدا أدنى من السعة والرفاهية، حتى يفصل بين الغرفة أو الغرف المخصصة للحياة العائلية، وبين الـ "أندرون" أي نطاق الزوجة⁽²⁾.

وبالنسبة للحضارة الهلينية فقد أظهرت أعمال التنقيب، لاسيما في المدن الآسيوية كميله وبريينا، أو البحرية كديلوس، عن بيوت خاصة لا تخصي، وطبيعي أن المساكن الضيقة الفقيرة التي ازدحمت فيها عائلات الطبقة الشعبية قد ألفت سوادها الأعظم، غير أنه قد برز إلى جانبها طراز سكني جديد درج الكلام معه عن "البيت الهليني" تميزا له عن بيت العهد الكلاسيكي، وليس من شك في أن البورجوازية، الراغبة في سعة العيش والرفاهية، أو الفخفخة أحيانا، والمزودة بالوسائل اللازمة لإدخال البهجة على حياتها اليومية، هي التي روجت اعتماده⁽³⁾.

1. عفيف البهنسي، تاريخ الفن والعمارة، مرجع السابق، ص: 187.

2. أندريه إيمار، جانين أوبوايه، المرجع السابق، ص: 356.

3. نفسه، ص: 499.

يشغل البيت الهليني مساحة أكبر: فمساحة البناء كانت أوسع من ذي قبل في المدن

الحديثة وفي المدن القديمة أيضا التي ضمت إليها أحياء جديدة، ولم تفتح فيه نوافذ تطل على الخارج، بل باب واحد فقط يؤدي إلى ممر جانبي مظلم، فالبيت الذي هو ملجأ الحياة الخاصة يجب أن يكون في مأمن من المذال، ولكن الغرف كانت مفتوحة على فناء وسطي مجهز في الغالب برواق ذي أعمدة يقي من المطر والشمس، أو أقله، ببعض الأعمدة التي تنتصب أمام مدخل القاعة الرئيسية، وهذا هو التجديد الكبير، وكان هذا البيت كبير وحسن التهوية، وكان مزينا أيضا، فقد رصفت أرضه بفسيفساء ملونة اعتمدت فيها الرسوم الهندسية أو مواضيع تزيينية أخرى، وكثيرا ما ألبس القسم السفلي من الجدران بالصفائح الرخامية، وقد أبدل الرخام النادر أحيانا، في دلتا النيل مثلا، بالجص الملون، ولم يكن من النادر أن تزين الجدران برسوم تمثل الحدائق أو المناظر الريفية⁽¹⁾.

هكذا نشأ في الشرق المتوسطي ذلك المسكن الخاص الذي سيتوسع ويزداد تزيينا مع الزمن، وتضاف إليه أحيانا حديقة كبيرة، والذي سيفضي إلى بيت بومي الذي تحملنا المقارنات الكثيرة على الاعتقاد بأنه يونانيا أكثر منه رومانيا⁽²⁾.

كانت مدن الداوا في الحضارة الهندية قبل عهد الموريا 1600 و 800 ق.م تتألف من مجموعة منازل تملكها أسرة واحدة، تتجاور داخل حوش تحيط به الأوتاد، وقد تحمي أيضا بعض هذه البيوت حفر أو أكوام من التراب، ولا يبدو أن الآريين قد غيروا كثيرا في هذه المساكن بل اكتفوا على أبعاد تقدير بتطويرها وذلك بتوسيعها وزيادة عدد أكبر عليها من البيوت والدكاكين والمباني المعدة لاستعمال الجمهور والجماعات وذلك تبعا لنمو التجارة واطراد الحضار، وتبدو هذه المباني بدائية حسب النصوص التي تشرح هيئة هذه المساكن (شالا) حيث تتخذ شكلا مربعا أو قائم الزوايا، وتوجد غرفة النوم في شمال المبنى فيما نجد المطبخ في القسم الشمالي-الشرقي وردهة اجتماعات حيث يجتمع رب الأسرة مع أهله أو يستقبل ضيوفه، فيما يركز المسكن على تسعة ركائز خشبية من خشب الامبرا يحفر لها ثقب حتى مستوى الركبة، ثمانية منها تتوزع ابتداء من الواجهة التي تشرف على الشرق، وتتابع من الجهات الجنوبية والغربية والشمالية، ويحمل العمود التاسع اسم "العمود الملكي" وعمود آخر يكون في وسط الدار، ويختلف عدد الأبواب كما تختلف وجهتها، ولكن لا يجوز قط أن يكون المدخل من الجهة الغربية، كما يمنع منعاً باتاً فتح بابين على نفس النمط حتى لا يستطيع المرء "اجتياز البيت بنظره"، وتزود المداخل بعتبات

1. أندريه إيمار، جانين أبوايه، المرجع السابق، ص: 499.

2. نفسه، ص: 500.

ويجعلون للأبواب دفوفاً ومصاريح، وتتكون الأجزاء المرتفعة من عوارض خيزران، وتشد هذه العوارض بجبل إلى أوتاد الأساسات، وتوجه من الجنوب إلى الشمال في المساكن، وهناك حواجز تفصل بين الغرف وقد تستعمل كجدران، ويستند قسمها الأعلى إلى العوارض، ويحمل هذا الكل سقفاً من القش ينتهي على شكل ياقة، ويكون يكون فرش المترل في غاية البساطة على غرار البيت، وهو يتألف خاصة من مقاعد تكون أحقرها مساند من عشب، وبالقرب من المسكن يعدون مستودعاً للماء يسندونه بأربعة حجارة، ويسكنون القطيع في البيت أو في اسطبلات مجاورة ويعودون به إلى ذلك المكان كل مساء مع الأولاد، وهناك يسكن الخدم أيضاً⁽¹⁾.

نجد على عهد الموريا أن المسكن عبارة عن بناء مستطيل ذي طابق واحد من السياح، ولا يقيمون له إلا باباً واحداً وكوة، وسقوف هذه البيوت من القش يكون منحنيًا أو على شكل مهد، ولأبواب المساكن التي تضم غرف الفيلة سقف منحني يحتوي على قطع من الآجر لم يحسن شيهاً، وهي كبيرة الحجم حوالي 0.30م في 0.18م وتكون أكثر سماكة على أحد أطرافها، كما يوجد نوع من المساكن للنسك والزهاد، وهي عبارة عن أكواخ من القصب أو الطين تغطيها الأوراق وتتفرد وسط الغابة أو الحقول، وبعض هذه الأكواخ هو أحسن صنعا، بينونها دون شك من الطين ويعلو سقفها الذي يكون شكل قبة وعاء أعد لجمع مياه الأمطار⁽²⁾.

بالنسبة للحضارة الصينية أيام الشنغ والتشاو كان الفلاحون يقطنون في كهوف حفرت في التربة الصفراء، أو في أكواخ من الأغصان مؤقتاً في الأراضي الزراعية، أما بيوتهم فهي مجمعات تشكل قرى وديساكر، وتصنع هذه المساكن من الطين، على شكل مكعب، وتغطي بالقش، وتحيط بكل بيت حيطان أو سياجات تحيط في نفس الوقت ببساتين صغيرة، وأرضية المسكن من التراب المرصوص، وفيه موقد من حجارة يقترّب بعضها من بعض، وينطلق دخانه من ثقب أعد في وسط السقف، ولا يحتوي المسكن إلا على باب ونافذة أعدا على الواجهة الجنوبية⁽³⁾.

أما في عهد ملوك التسين والهان بالصين دائماً فرغم أن بيوت الأغنياء أعادت أقسام القصر الرئيسية، فإنها تبقى مع هذا شبيهة بمترل الفلاح الذي طرأ عليه بعض التطور، وتشرف ساحته نحو الجنوب، وفي قعر الساحة يمتد بناء طويل قسم ثلاثة أقسام: ففي الوسط قاعة الاستقبال، وإلى اليمين واليسار الغرف ومستودعات المونة، وتحيط بالجنح الأساسي أبنية عدة،

1. أندريه إيمار، جانين أوبوايه، المرجع السابق، ص: 557، 567.

2. نفسه، ص: 612.

3. نفسه، ص: 597، 631.

فإلى الشرق بيوت الضيوف، وإلى الغرب مساكن الأولاد المتأهلين، وإلى الورا المراحض، ويحتوي البناء الأساسي على طابقين أو ثلاثة، ويسكن رب الأسرة في الزاوية الجنوبية الغربية، وهي الجهة الأكثر شرفا حيث تحفظ ألواح الجدران، وللنساء غرفة يستقبلن فيها تقوم عادة فوق القاعة الوسطى، وتزينها عمد صبغت باللون الأحمر، أما الجدران فهي من الآجر المطلي بالكلس، وقد يغطونه بالقماش في المناسبات الكبرى، وتظهر في السقف أخشاب ملونة ومنقوش عليها، وتوجد مكتبة في إحدى الغرف، وهناك أخيرا مكان هام خصصه للمطابخ، وفي البيوت الحغيرة نجد هذه المطابخ في قسم المتزل المخصص للسكن، ولكن في بيت النبيل تتخذ هذه المطابخ موضعا في أقبية قاعة الاستقبال، أو بصورة أفضل في أماكن معينة يكون قربها دوما بئر ماء⁽¹⁾.

أما المتزل الروماني فيشبه المتزل الرافي، إذ يقام على مرتفع وله صحن تحيط به غرف وفي وسطه حوض، وهو من طابق واحد، ولا وجود للنوافذ الخارجية، تفتح بنوافذها وأبوابها على الفناء الداخلي⁽²⁾، ويتألف المتزل الروماني من قسمين مربعين تقريبا، القسم الأول يسمى أتريوم *Atrium* وفيه ممر وفناء وحوله غرف المكتب والاستقبال والقسم الثاني يسمى بيريستيلوم *Peristylum* وفيه غرف النوم والطعام والغرف الخاصة⁽³⁾.

في مدينة مثل روما أو الأراضي المحدودة بالتحصينات التي كان لها وزن في هذه الدولة كان مسكن الطبقة المتوسطة وكذا الشعب ليس إلا منزل ذو الطوابق المتعددة حسب التقرير ولنا مثال في ما ذكره فيتروف *Vitruve* بلين *Plin* وسويتون *Suétone*.

ذكر التقرير الذي أعده إحصاء فيكتور بوبليوس *Victor Publius* : 47920 مسكن والتي هي مؤلفة من خمسة إلى ستة طوابق، ويذكر : "في المساكن التي لم يتعدى سمك جدرانها القدم ونصف لم يزد عدد الطوابق عن الواحد، حيث يعد أمرا مؤسفا في مدينة كروما التي يطلب منها استيعاب أعدادا غير متناهية من السكان.." (الشكل رقم: 11)، أدت متابعة مجلس المهندس الشهير بالإمبراطور أوغست *Auguste* حسب سترابون *Strabon* إلى التدخل وتوجيه تعليمات للمقاولين بإعطاء مبانيهم علوا أقصى يصل حدود 70 قدما أي حوالي 20م ما يعادل مساكن مؤلفة من 5 إلى 6 طوابق، فيما كان نيرون *Néron* أكثر صرامة وحدد هذا الارتفاع بـ 17 عشر متر، ص:5: تضمنت نصوص قانون ثيودوس *Code Théodosien* مساكن مؤلفة من طابق

1. أندريه إيمار، جانين أوبوايه، المرجع السابق، ص: 633، 636.

2. عفيف البهنسي، العمارة عبر التاريخ، مرجع سابق، ص: 96.

3. عفيف البهنسي، تاريخ الفن والعمارة، مرجع سابق، ص: 30.

أو طوابق تتدرج كمنظيرتها بومبي *Pompei*، أعلى الطريق العام في بروزات *Encorbellement*. متعاقبة⁽¹⁾.

كانت المساكن تشكل بنايات منتظمة تحيط بها الطرق من الجهات الأربعة، وقد جاء هذا التنظيم على إثر الحريق الكبير الذي عرفته روما في عهد نيرون *Néron*، ولكن هذه القوانين سوف تتلاشى بالتقدم، ونجد أن الطابق الأرضي في المسكن الروماني عبارة عن محلات تجارية في الغالب، أما السكنات فنجدها في الأعلى حيث كل سكني لها غرفة *Chambre* أو غرفتين ومطبخ *Cuisine* ومرحاض *Latrines* وكل سكني مزودة بدرج *Escalier* مشابه للسلم الحالي، وقد كانت تتميز باتساعها حتى أنه يذكر في سنة 218 ق.م زمن حنبعل *Hannibal* صعد ثور حتى الطابق الثالث، وتجدد الإشارة إلى أن أغسطس وضع حدا أقصى لعلو المسكن قدره 20 مترا، وخفضه ترايانوس فيما بعد إلى 18م وهذا لتفادي المضاربة بالعقار⁽²⁾.

سجل في المستعمرات الرومانية خاصة في ضواحي نابل *Naples* وكذا بومبي *Pompei* عدم تقييد الملاك بثمان الأراضي أي أنها لم تكن بالنسبة لهم عائقا، حيث تمكنوا من تزويد مساكنهم بطابق أو طابقين إلى جانب الطابق الأرضي (الشكل رقم: 10)، ويعد هذا الطابق الأرضي مسكنا ثريا أو يتخذ منه مخازن ودكاكين للاستثمار، وتنتهي بسطح، وكانت كلها بدون استثناء مزودة بدرج خارجي مبني، وهذا النوع من البناء لم ينوع منذ 1000 عام⁽³⁾، كما كانت خالية من المداخل حيث أن استعمالها شتاء كثيرا ما تسبب في نشوب حرائق مثل الذي وقع لروما عام 64م⁽⁴⁾، وهناك أمثلة كثيرة عن المنزل الروماني في مدينة بومبي، ردمها بركان فيزوف عام 79 من أشهرها البيت المسمى كازادي فيتي *Casa dei Vetti*⁽⁵⁾، وهذا النوع من المساكن المخصص للأثرياء يسمى الدوموس *Domus*⁽⁶⁾.

1. أندريه إيمار، جانين أوبوايه، تاريخ الحضارات العام، روما وامبراطوريتها، تر. فريدم دغر، وفؤاد أبوريحان، مج. 2، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، 2006، ص: 513.

2. نفسه، ص: 513.

3. Général L. DE BEYLIE ; **L'Habitation Byzantine**, Recherche sur l'architecture civile des byzantins et son influence en Europe, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1902, pp: 3-7.

4. أندريه إيمار، جانين أوبوايه، تاريخ الحضارات العام، روما وامبراطوريتها، مرجع سابق، ص: 512-513.

5. عفيف البهنسي، العمارة عبر التاريخ، مرجع سابق، ص: 103.

6. أندريه إيمار، جانين أوبوايه، تاريخ الحضارات العام، روما وامبراطوريتها، مرجع سابق، ص: 513.

بالنسبة لمساكن شمال إفريقيا فهي تبدو إغريقية أكثر منها رومانية، فحتى الآن تلك التي كشف عنها وكتب حولها لا تضم الأتريوم. *Atrium*، القاعة المركزية والتي يخترق سقفها فتحة مربعة الشكل. *Quadrangulaire* حيث يذكر ستيفن قزيل. *Stéphane Gsell* أن المسكن الإفريقي هو مسكن اغريقي، حيث غرف مختلفة تحيط بفناء مركزي. *Cour centrale*، فخلف المدخل الوحيد نجد رواق. *Vestibule* والذي نعبر من خلاله إلى الفناء المركزي، وهذا الأخير يكون مخططه ذو شكل مربع أو مستطيل، ومحاط بأروقة. *Portiques* مزين بنافورة ونباتا وأزهار وشجيرات، نجد غرفة واسعة مخصصة لاستقبال الضيوف تكون في آخر الفناء، وفي المنازل الواسعة جدا هناك أفنية ثانوية تكون ضيقة نوعا ما، تكون محاطة من جانب أو ثلاثة بأروقة، وتحاط بغرف تشكل شقة، وفي الغالب يجهز المسكن بحمام، ونجد بالقرب من وهران في سانت لو. *Saint-Leu*، تيمقاد، وجميلة مساكن من هذا النوع، وبالعودة إلى الخلف نجد أن هذا النوع من المساكن بيريستيلوم. *Peristylum* تبناه الرومان المنتصرين في العالم الهليني والذي بدورهم أزالوا الأتريوم الأتروسكي واللاتيني، ليسميه البربر فيما بعد بوسط الدار، وتكون أهم غرفة فيه في الغالب تقع مباشرة بالجانب المقابل للمدخل والتي يسهل دخول الضيوف إليها مباشرة⁽¹⁾.

جاء في وصف مدينة القسطنطينية. *Constantinople* بعد تأسيسها بحوالي القرنين على لسان بروكوب. *Procope* في كتابه المعنون بـ *AEdificiis* أن المدينة ضمت 4388 مسكن أي أن العدد الذي ذكره *Victor Publius* أضعاف ذلك هذا إذا أخذنا الفارق الزمني بين الإحصائين فكل منهما يعود لفترة معينة⁽²⁾.

شهد القرن السادس التشكل النهائي للنمط البيزنطي، حيث شهد المسكن في هذه الفترة بداية التغيير والتحول من الداخل، فكانت المساكن في مدينة القسطنطينية مكدسة داخل أسوار دعت إليها الحاجة، تتراكم إحداها على الأخرى (الشكل رقم: 13)، وكانت الشوارع ضيقة إلى درجة أنها تعوق حركة السيارات، ومن المرجح أن المهندسون قد اعتمدوا في هذا الوقت الشرفات البارزة رواق خارجي. *Loggia*، المشربيات. *Moucharabiés*، نافذة القوس وهذا لتوفير مساحة في الشوارع، وقد كان هذا الوضع موجود قبل ذلك في بومبي بحوالي 3 قرون، كما نجدتها في سوريا بداية من القرن الرابع، وهناك أمثلة كثيرة ستتكرر فيما بعد بحلول القرن 11⁽³⁾.

1. George Marçais ; **Les origines de la Maison Nord-Africaine**, Cahiers des Arts et des Techniques d'Afrique du Nord, N° 7, 1974, p: 45.
2. Général L. DE BEYLIE ; Op. Cit. p: 29.
3. Ibid. p: 30.

أصبح الجمع بين السمات الرومانية والشرقية في المدينة الجديدة من خصائص مدن البيزنطيين، حيث مزجت بينها وبين التقاليد الشرقية بل وحتى في هيكلتها، في الشارع المركزي وعدد لا يحصى من الأروقة. *Portiques* على طول الشوارع، وبالتالي فالمسكن القسطنطيني يعتبر نتيجة تأثير من نظيره السوري.

لقد أعطانا السيد فوقوي. *Vogüé* في كتابه حول العمارة المدنية والدينية ما بين القرنين 1 و6 بسوريا الوسطى « *l'architecture civile et religieuse siècle, dans la Syrie central* » *de 1^{er} au 6^{ème}* في أحد فصول كتابه فكرة عن القرى التي اكتشفها على الحدود الصحراوية على مسافة معتبرة من الضفة السورية، وفيما بعد خارج مسار الجيوش الغازية والمعتدية، هذه القرى هجرت من طرف ساكنيها في القرن 7 على إثر قدوم المسلمين الفاتحين ولم تسكن منذ ذلك الحين، ونظرا لغياب الخشب بالمنطقة الصحراوية اضطر السكان إلى البناء بالحجر وتعويض العوارض والمكونات بألواح حجرية، ويعتبر المسكن السوري امتداد للمسكن المصري في القرن 2، حيث له مخطط ذو شكل مربع ومؤلف من طابق أو طابقين، وفي الوسط نجد الفناء الذي حوله تتموضع جميع الشقق⁽¹⁾.

تشابهت تقريبا المساكن التي بنيت في القرن 3 بسوريا، حيث ضمت جسم بناية أو أكثر، مؤلفة من طابقين أو ثلاثة، وبرواق خارجي (الشكل رقم: 12)، أحد أركانها خصص لسكن السادة، وفي الطابق الأرضي نجد قاعة استقبال، وغرف للرجال، فيما الطابق الأول خصص للحریم والأطفال، وضمت باقي البنايات غرف الخدم، والمحلات، والإسطبلات⁽²⁾.

3. المسكن في الحضارة الإسلامية:

مثلت هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة نقطة البداية في تاريخ العمارة الإسلامية التي تتخذ من الإسلام منهجا، ومنذ ذلك الوقت بدأ بتبلور عمران متميز شكلا ومضمونا، فانعكست روح الإسلام والفطرة السليمة لدى البشرية على أدق تفاصيله، لتحفظ ما تبقى من أشكال العمران للأمم السابقة وتصحح ما كان بعيدا عن هذه الفطرة.

بنى ﷺ مساكنه إلى جنب المسجد باللبن، وسقفهما بمجدوع النخل والجريد، وكان يحيطها مبني باللبن، وقواطعها الداخلة من الحديد المكسو بالطين والمسوح

1. Général L. DE BEYLIE ; Op. Cit. pp: 31-32.

2. Ibid. p: 33.

الصوفية، وجعل لها أبواب منافذ متقنة الهواء، داعية إلى السهولة في الدخول والخروج وخفة الحركة، مع وفر الزمن والسرعة إلى المقصد وأن منزل السيدة عائشة صفة إلى منزل السيدة فاطمة، وكان به فتحة إلى القبلة"، يؤيد ذلك قول ابن زبالة: كان بين بيت حفصة ومنزل عائشة طريق، وكانتا تتهاديان الكلام، وهما في مترلها من قرب ما بينهما، وكان بيت حفصة على يمين خوخة آل عمر، في جنوب بيت عائشة إلى الشرق، وكان من دونهما منازل بقية الأزواج الطاهرات (الشكل رقم: 14 و15)، وكان بمنزل فاطمة شبك يطل على منزل أبيها وكان ﷺ صلى الله عليه وسلم يستطلع أمرها منه، ويذكر السهيلي في الروض: "إن بيوت النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم كانت تسعة بعضها من جريد مطين بالطين، وسقفها جريد وبعضها من حجارة موضوعة بعضها على بعض مسقفة بالجريد أيضا، وكان لكل بيت حجرة وهي أكسية من شعر مربوطة بخشب العرعر"⁽¹⁾.

ويقول محمد عبد الحي الكتاني الفاسي: "إذا علمت أنها تسعة وأن لكل بيت لا بد له من محل لقضاء الحاجة، ومحل لمئونة السنة والطبخ ومحل للقاء الناس، ومحل لمبيت النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم مع زوجته الطاهرة، وإن زدتها محل خزائن السلاح وأدوات النقل، ومحل الدواب والخيل والنعم والحمير، وغير ذلك من الممتلكات النبوية، وممتلكات بيت المال مع دار الضيوف، والسجن ومحل المرضى، ومحل أهل الصفة وغير ذلك من الضروريات ظهر لك عظم تلك المباني، وسعة تلك المرافق، وهذه الضروريات التي الاتساع في البناء ضروري لها يجهلها أكثر الناس اليوم، ويظنون أن مساكن النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم كانت في نهاية الضيق والقلّة، ولعمري إذا أمكنه ﷺ صلى الله عليه وسلم ذلك في المباني، فكيف لا يتسع أكثر من ذلك في آخر أمره ولو عاش في المدينة بعد الهجرة أكثر من عشر سنوات؟ وكان يشتغل فيها بغير الحروب وتوجيه البعوث وإرسال سرايا إلى الجهات فانظر ماذا كان يصنع⁽²⁾، إلا أنه عند إنشاء بيوت أزواج النبي كان البيت عبارة عن مربع طول ضلعه 8 إلى 9 أذرع وفي كل بيت حجرة ضلعها 6 إلى 7 أذرع صنعت حيطانها كما سبق وذكرنا من أكسية من الشعر مربوطة بخشب عرعر⁽³⁾.

1. محمد عبد الحي الكتاني الفاسي، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ط. 2، تح. عبد الله الخالدي، ج. 2، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ص: 53-54.
2. محمد عبد الحي الكتاني الفاسي، المصدر السابق، ص: 54.
3. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج. 5، دار صادر، بيروت، 1979، ص: 86.

ذكر الحافظ ابن الأبار دفين تونس في ذكر مسكن مارية بالعوالي، في تكميل الصلة
 البشكوالية لمحمد بن حزم بن بكر التنوخي الطلمنكي، المعروف بابن المديني فقال: "صح محمد
 بن مسرة قديما واختص بمرافقته في طريق الحج، ولازمه بعد انصرافه وحكى عن ابن مسرة أنه
 كان في سكناه بالمدينة يتتبع آثار النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم، قال ودله بعض أهل المدينة على
 دار مارية أم إبراهيم سرية النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم، فقصد إليها فإذا دويرة لطيفة بين
 البساتين بشرق المدينة عرضها وطولها واحد قد شق في وسطها بجائط وفرش على حائطها خشب
 غليظ يرتقي إلى ذلك الفرش على خارج لطيف وفي أعلى ذلك بيتان وسقيفة كانت مقعد النبي
 ﷺ صلى الله عليه وسلم، في الصيف، قال: فرأيت أبا عبد الله بعد ما صلى في البيتين والسقيفة،
 وفي كل ناحية من نواحي تلك الدار أخذ البيتين يشبره فكشفته بعد انصرافي وهو ساكن في الجبل
 عن ذلك فقال: هذا البيت الذي تراه فيه بنيت على تلك الحكاية في العرض والطول بلا زيادة ولا
 نقصان" (1).

بني عمرو بن العاص مدينة الفسطاط سنة 641م (2) بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه، وقد حرص المسلمون على عدم بناء نوافذ كبيرة مطلة على الشوارع، فيما كانت
 البيوت من طابق واحد في بداية إنشائها، ثم زادت إلى أكثر من طابق في أواخر عهد عمر بن
 الخطاب، ومن خلال المصادر يتبين أن المنازل متكاملة المنافع (الشكل رقم: 16)، ففي رواية يذكر
 ابن عبد الحكم: "بعث عمر بن علي بن عبد الرحمن الفهري إلى ابن رمانه، وأرسل إليه بمال،
 وسأله أن يبني له دار جده بأحكام ما يقدر عليه، ويجعل له فيها حماما، ويجعل له فيها خوخه*، إذا
 أراد أن يدخله دخله، وقال: أن ذلك لك ولشيخك فحرك ذلك ابن رمانه، فبناها، وجعل سورها
 أكثر من ذراعين بذراع البناء**، وجعلها تدور بعمد رخام، وجعلها قاعدتها مستديرة، ولم يجعل
 فوقها بناء وقد فرغ منها ابن رمانه، فقال له عمر: لقد أتقنت غير أنك لم تجعل لها مسجدا" (3)،

1. محمد عبد الحي الكتاني الفاسي، المصدر السابق، ص: 57.

2. محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988، ص: 69.

* الخوخة جمعها خوخات، وهو مخترق ما بين دارين إذا لم يوضع عليها باب، أو كوة في البيت يأتي منها الضوء، أو باب صغيرة
 كالنافذة وسط باب كبيرة يدخل منه إلى منزله بسهولة.

** الذراع العمري=63سم، الذراع الروماني=54سم، الذراع الزباني=42.2سم.

3. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تح. عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي، القاهرة، 1961، ص: 184.

ويقصد هنا بالمسجد محراب كي يعرف القبلة، ويذكر في رواية أخرى ما نصه: "وكذلك اختط ابن ملحج دار بني واحتها من بالحجارة"⁽¹⁾.

كانت البيوت مكونة من حمام للتطهر لتأدية الصلاة، ثم خوخة للبيت ليتمكن صاحب الدار من دخوله دون إزعاج لأهله، ثم قاعة وإن وصفها بأنها مستديرة، ثم محرابا للصلاة، وبني الواجهة من الحجارة كمادة بناء لتزيد البيت صلابة وأمن وأمان لأهل المسكن، وسمك الحائط أكثر من ذراعين أي 1.50م تمهيدا للبناء عليه، غير أنه لم يبيني فوقه⁽²⁾، فيما كان على واجهة المساكن على هذا العهد قنوات مكلسة في الجدران الخارجية لبعض المنازل، كانت تستخدم في تصريف مياه الأمطار من على سطح المنازل بدلا من الميازيب التي لا تصلح إلا في الشوارع المتسعة، حتى لا تتسبب في أذى للمارة⁽³⁾، وهنا نشير إلى حرمة الشارع وبالتالي حق المارة على أهل البيوت، وهذا كله وفقا لدستور وضعه عمر بن الخطاب لإنشاء المدن أذاعه على فاتحي الأمصار ومنشئها في صدر الإسلام⁽⁴⁾، ومن نتائجه أن أسفر عن ضيق مساحة المنازل ووجودها مترامة بجانب بعضها البعض⁽⁵⁾.

أما العلو فيذكر ابن عبد الحكم رواية أخرى نقلها عن ابن دقماق إذ يقول: "إن خارجه ابن حذافة القرشي قد بنى غرفة في عهد عمر بن الخطاب، فأشرفت، فشكت جيرانه إلى عمر بن الخطاب، فكتب إلى عمرو بن العاص، أن أنصب سريرا في الناحية التي شكيت، ثم أقم عليه رجلا لا جسيما ولا قصيرا، إن أشرفت فسدها... لم يبلغ الكوى فأقرها"⁽⁶⁾، إذا فالبيوت كانت من طابق واحد عند بدايتها لتصل إلى طابقين في مرحلة موائية، كما وجه الخليفة عمر أهل البصرة حيث أمرهم بأن تكون دور الناس متلاصقة، ولا يزيد عدد غرف الدار على ثلاث غرف⁽⁷⁾، حيث يذكر ابن خلدون "أن أهل الكوفة استأذنوا عمر ببناء الكوفة بالحجارة لما شب حريق

1. ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص: 157.

2. رفعت موسى محمد، الوكالات والبيوت في مصر العثمانية، ط. 1، الدار المصرية اللبنانية، 1993، ص: 172.

3. محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص: 183.

4. رفعت موسى محمد، المرجع السابق، ص: 170.

5. بلباس، ليوبولد وتوريس، الأبنية الإسبانية الإسلامية، تر. عليه إبراهيم العناني، مجلة المعهد المصري بإسبانيا، ع. 1، 1953، ص: 123.

6. ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص: 157.

للزميد ينظر: ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج. 3، بولاق، القاهرة، 1893، ص: 40.

7. محمد نادر العطار، همراء غرناطة وفن الحدائق عند العرب، مجلة عصور، مج. 2، ع. 3، 1987، ص: 64، 68.

بالقصب الذي بنوا به فقال افعلوا ولا يزيدن أحد على ثلاثة أبيات ولا تطاولوا في البنيان والزموا السنة تلتزمكم الدولة" وعهد إلى الوفد وتقدم إلى الناس أن لا يرفعوا بنيانا فوق القدر قالوا وما القدر؟ قال ما لا يقربكم من السرف ولا يخرجكم عن القصد"⁽¹⁾.

منذ بدأت الفتوحات الإسلامية شيد المسلمون عددا من المدن، فكانت الأولى منها بمثابة قواعد عسكرية أقيمت في نقاط حساسة وسرعان ما أخذت صورة المصر، حيث ارتقت إلى مرتبة عواصم إقليمية لإدارة الأقاليم المفتوحة، أنشئ أغلبها أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه⁽²⁾، مما يعني أنها التزمت بتوجيهات أول رجل في بناء مساكنها، ومن أهم المدن الإسلامية في هذا العهد وبعده مدينة البصرة التي شيدها عتبة بن غزوان 4هـ/635م، ومدينة الكوفة التي شيدها أبو الهياج الأسدي 17هـ/638م، ومدينة واسط التي شيدها الحجاج الثقفي 83هـ/702م، ومدينة بغداد التي شيدها الخليفة أبو جعفر المنصور 145هـ/762م، ومدينة سامراء التي شيدها الخليفة المعتصم، وشهدت مصر وشمال إفريقيا بناء عدد من المدن أولها مدينة الفسطاط التي شيدها عمر بن العاص في 21هـ/641م، ومدينة العسكر التي شيدها صالح بن علي 133هـ/850م، ومدينة القطائع التي شيدها أحمد بن طولون 256هـ/870م، ومدينة القيروان التي شيدها عقبة بن نافع 50هـ/670م، ومدينة المهديّة التي شيدها الفاطميون 303هـ/915م، وكذلك القاهرة 358هـ/969م، وشهدت بلاد الأندلس بناء مدينة الزهراء في عهد عبد الرحمن الناصر 325هـ/936م⁽³⁾، وقد أقام الولاة في فجر الإسلام معظم مبانيهم الجديدة على أطراف الصحراء حيث أثرت البيئة الحارة على توجيه حياة الإنسان إلى الداخل في المسكن، حتى يتوفر عامل الحماية من العوامل المناخية، الأمر الذي ساعد على إيجاد تباين بين الفضاء الخارجي الواسع، والفراغات المحدودة في الداخل والتي تتمثل في الأفنية الداخلية للمباني⁽⁴⁾.

1. عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مر. سهيل زكار، ج.1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000، ص:447.
2. إبراهيم بن يوسف، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، مطبعة أبو داود، الحراش، 1992، ص:113.
3. سيد عباس علي، أثر البعد البيئي على تخطيط المدن والعمارة الإسلامية، مؤتمر الأزهر الهندسي الدولي التاسع، ج. 2، أبريل 12-14، 2007، ص:434.
- للمزيد ينظر: أحمد خالد علام وآخرون، تاريخ تخطيط المدن، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1993.
- حيدر عبد الرزاق كمون، من أجل معايير تخطيطية للحفاظ على هوية المدن العربية الإسلامية، المؤتمر العلمي الثاني لهيئة المعمارين العرب (المعايير التخطيطية للمدن العربية)، طرابلس، ليبيا، 6-8 ماي 2001.
4. نفسه، ص:437.

في هذه الفترة كذلك وبعد أن سيطر المسلمون على مدينة دمشق منذ عام 636م فصاعدا لم يطرأ أي تغيير أو تعديل فوري، ولم يكن بها إلا أعداد قليلة من المسلمين الذين شغلوا مساكن البيزنطيين الفارين منها⁽¹⁾، وبعد ذلك بسنين لم يولي الأمويون إلا اهتماما ضئيلا بالعمارة وشكلت المساكن جزءا معتبرا منها، رغم ما بنوه من مساجد وبعض المباني الجديدة، كونهم ضلوا ملتصقين بالأرض وفضلوا الزراعة التي اعتمدها إيرادا للدولة، إلى غاية 705م حين بدأ عبد الملك بن مروان حركة عمرانية واسعة، ولكن شهد عهد ابنه الوليد دخول العمارة عالم الزخرفة والتأنق في البناء، بعد الاحتكاك بالحضارات الأخرى والأخذ بزينة الدنيا ولكن بتوجيه ديني، حيث حصلت طفرة معمارية مقارنة بالعمارة في عهد الرسول ﷺ صلى الله عليه وسلم، وهذا لتوافق وطبيعة الحكم الملكي، ومع انتشار الإسلام زاد عدد المسلمين من غير العرب "الموالي" وأصبحوا جزءا من نسيج المدينة وشاركوا في البناء، وتمتعوا بالمساواة مع العرب أيام الخلفاء لكنهم فقدوها أيام الأمويين، وسعوا إلى ذلك من خلال دراسة العربية والدين إلا أن الأمويين لم يمكنهم من ذلك، ليظهر خلاف تزامن مع ظهور العباسيين⁽²⁾، حيث كانت نقطة التحول كبيرة في كل مناحي الحياة.

كان مجيء العباسيين إلى العراق سببا في تنشيط النمو الحضري إلى حد بعيد وبني خلفاؤهم بغداد وسامراء على دجلة والرقعة على الجزء الأوسط من نهر الفرات، وكانت ديارهم من طابق واحد حتى ثلاث طوابق تحيط بجوش سمائي على الطراز العراقي الموروث منذ القدم، واشتد اهتمامهم بالعمارة والزخرفة، وأحضر من كل بلد في الدولة من يجيد فن العمارة وهندسة البناء، وتجلي الإسراف والترف مما جعل الأمور تحيد عن التوجيه الديني، وبالموازاة مع ذلك دخلت المدن السورية مرحلة من التدهور⁽³⁾ لتحول الميزان التجاري عنها.

ساهم البصريون مساهمة فعالة في تشييد واسط وبغداد وسامراء، كما وأنهم عند تأسيس البصرة استعملوا الآجر، وبقيت هذه المادة المفضلة في ولاية زياد بن أبيه حيث انتشر البناء بالآجر، وما أن حل القرن الرابع الهجري حتى كانت دور البصرة كلها مبنية بالآجر، كما تمتاز واجهات المساكن بكثرة الرواشن التي تشكل طابقا ثانيا، وتسمى الرواشن الخارجة

1. نيكيتا اليسيف، التخطيط المادي، المدينة الإسلامية، تر. أحمد محمد تعلق، اليونيسكو - السيكومور/الفجر، 1983، ص: 98.

2. محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص: 73-75.

3. نفسه، ص: 97.

بالرفيف⁽¹⁾ (الشكل رقم:20)، كما أن هناك نوع آخر يسمى جناح ويرتكز على أساطين مركوزة في الأرض بإزاء الجدار، وتمتد الميازيب من الأعلى إلى الأسفل كالخراطيم على الواجهة، وتتميز المساكن بوجود بايين لأغلبها، باب كبير للضيوف وباب آخر أصغر منه للعائلة، وربما أربعة أبواب بإضافة باب للإسطبل وباب آخر يسمى **خوخة** يؤدي إلى الدار المجاورة⁽²⁾، ويعقد المدخل الرئيسي للمسكن بالآجر، كما تعلق بعض الأبواب سقيفة أو ظلة تقي الباب من المطر وتكون ظلا أمام الباب⁽³⁾ (الشكل رقم:19).

تغلق الأبواب بثلاث أنواع من الأغلاق هي القفل، والرتاج أو المغلاق، والمزلاج، وتشكل في الباب حلقة مدورة أو مستطيلة مصنوعة من الحديد أو النحاس، وتستعمل لاصفاق الباب وقرعه⁽⁴⁾، أما السطح تبني له ستارة من الجص والآجر أو تشد ستارة من القماش بدلا من ذلك⁽⁵⁾ كما لم تشر المصادر القديمة إلى وجود مساكن من ثلاثة طوابق أو أكثر، ولكنها أشارت إلى أن مساكن البصرة ذات طابق أو طابقين، في حين تذكر لنا المصادر بيوت الفسطاط وقد وصلت حتى السبع طوابق⁽⁶⁾، حيث يذكر لنا الاصطخري المتوفي سنة 951م أن مبانيها بالطوب طبقات، وربما بلغت طبقات الدار الواحدة ثماني طوابق، ليأتي بعده ابن حوقل الذي زار مصر عام 969م⁽⁷⁾، ليؤكد بالتدقيق عدد الطوابق قائلا ما نصه: "الدار تكون بها طبقات سبعا وستا وخمس طبقات، وربما سكن الدار المائتان من الناس...معظم بنائها بالطوب، وأكثر سفلى دورهم غير مسكون"⁽⁸⁾، فيما يذكر المقدسي المتوفي سنة 990م: "دورهم أربع طبقات وخمس كالمنابر

1. أبي الهلال العسكري، كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تح. عزة حسن، مج. 1، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، 1993، ص:262.
2. الجاحظ، الحيوان، تح. عبد السلام هارون، ج. 5، مكتبة مصطفى الباي الحلبي، مصر، 1966، ص:468.
3. الجاحظ، البخلاء، تح. طه الحاجري، ط. 5، دار المعارف، القاهرة، ص:219.
- للمزيد ينظر: أبو فرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، ج. 3، دار الكتب، ص:168/ ابن دريد، جمهرة اللغة، ج. 1، الهند 1314، ص:76/ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج. 5، القاهرة، ص:380.
4. الجاحظ، الحيوان، مصدر سابق، ج. 3، ص:276-277.
- للمزيد ينظر: جمهرة اللغة، ج. 2، ص:180/ التلخيص، ج. 1، ص:278.
5. أبو علي الحسن بن علي التنوخي، الفرغ بعد الشدة، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1955، ص:248.
- للمزيد أنظر: الحيوان للجاحظ، مج. 1، ص:245/ البخلاء، ص:250/ الأغاني، 178/18.
6. جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج. 1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص:429.
7. رفعت موسى محمد، المرجع السابق، ص:173.
8. ابن حوقل، صورة الأرض، ليدن، مطبعة بريل، 1938، ص:146.

يدخل إليها الضياء من الوسط، وسمعت أنه يسكن الدار الواحدة نحو مائتي نفس" (1)، كما أن ناصر خسرو هو الآخر قد وصف دور الفسطاط بأنها مؤلفة من سبعة أدوار ومساحتها تتراوح بين 144م² و 540م²، وتتميز بوجود الرواشن، وقد استعملوا في بنائها الجص والآجر والحجارة، وكان الوصف يوافق الفترة الفاصلة بين الشدة المستنصرية خلال 1065م-1071م، ثم خراب الفسطاط في عهد آخر خليفة فاطمي والحريق الذي دمر الفسطاط نتيجة للخلاف بين شاور وضرغام سنة 1168 (2).

يعد عصر المماليك الذي هجرت فيه مدينة الفسطاط بعد خرابها في مصر العصر الذهبي للعمارة في مصر، حيث توفر للناس رخاء اقتصادي أثر في تقدم الفنون والآداب وفي بناء مساكنهم فقد برعوا في بناء الدور والمنازل وبلغوا فيها حدا كبيرا من الدقة والمتانة والجمال، وترجع الأمور التي أثرت على تصميم المسكن المملوكي إلى ثلاث عوامل هي العامل المناخي حيث يقل تساقط الأمطار مما أنتج أسقف أفقية مستوية، كما ظهر عنصر الملقف من خلال الواجهة لغرض تكييف الهواء في الغرف الداخلية فيدخل الهواء من فتحات للتهوية، وزيد في سمك جدار الواجهة للحد من تسرب الحرارة وكذا البرودة، كما ظهرت المشربيات وهي عبارة عن نوافذ خشبية يتسرب منها الهواء، ولما توفره من سترة وحرمة لأهل البيت (3).

العامل الثاني كان الحالة الاجتماعية حيث كان لغيرة المسلمين على نسائهم الأثر في قلة النوافذ على الواجهة فبدت بسيطة ليس بها نوافذ قريبة من أعين المارة بل وبعيدة عن تناول راكبي الجمال، وسدت بمشربيات (الصورة رقم: 8)، وجعل للمدخل الرئيسي انكسار باتجاه الغرب يؤدي إلى وسط الدار، أما العامل الديني فيتجلى من خلال تقسيم البيت خاصة في العهد العثماني إلى قسم خاص بالرجال في الطابق الأرضي يسمى **السلاملك**، مخصص للرجال واستقبالهم ويضم القاعات والمجالس والمقاعد، والآخر بالطابق العلوي يخص الحریم يسمى **الحرملك** يضم غرف المعيشة وقاعات النوم ومرافقها (4)، حيث حددت مواضع الحمامات والمراحيض وغيرها من المرافق، ومن المنازل التي ترجع إلى العصرين المملوكي والعثماني (الشكل

1. المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط. 2، ليدن، مطبعة بريل، 1906، ص: 198.

2. رفعت موسى محمد، المرجع السابق، ص: 173.

للمزيد ينظر: أحمد عبد الرازق أحمد، بيوت الفسطاط الأثرية، مجلة المتحف، ع. 1، وزارة الإعلام الكويت، 1988، ص: 7.

3. محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص: 344.

4. نفسه، ص: 344.

رقم:17 و18) في مدينة القاهرة، وما هو قائم في منازل رشيد التي امتد ارتفاعها في بعض الأمثلة إلى أربعة طوابق، انحصرت فيها السلالم بين الوحدات المعمارية في كل طابق واحتلت مواضعها ارتباطا بالتخطيط ورغبة في متانة الإنشاء⁽¹⁾.

أما الشكل الخارجي للدار فنجد الواجهة بنيت بالحجر المستورد من تلال المقطم، وما يشد الانتباه زخرفة المداخل الرئيسية وفخامتها، فبعضها يعلوها عقود مختلفة الأشكال وبعضها به مقرنصات وزخارف وفي العادة ينحرف المدخل إلى اليمين قبل أن يصل إلى الداخل، ومن أجمل الأمثلة للمشربيات المملوكية مشربية تعلو سبيل جوهر اللالا⁽²⁾ وقد شيدت جدران الدور الأرضي في معظمها من الآجر المكسو بالحجر المنحوت، على حين كانت الأدوار العلوية تبنى بالآجر وتطلى بالحصص واستخدمت العروق الخشبية كشدادات لربط المباني، وما أكثر ما كانت الأدوار الأولى وما يعلوها تبرز إلى الخارج مستندة إلى كوابيل من الحجر تحمل عروقا خشبية تمتد إلى مسافات بعيدة داخل الجدران المعلقة والتي تنوء الكوابيل الحجرية وحدها بحملها، وكان الغرض منها بالإضافة إلى مسطح الحجرات وتنظيم أشكالها زيادة ما تضيفه من الظل على الشارع، ويعود اتساع الحجرات إلى محاولة تعويض مساحة الفراغ في وسط المدينة الآهلة، وما زال أغلب هذه المنازل يحتفظ بميئته الأصلية سليمة إلى حد بعيد⁽³⁾.

صممت قاعات الاستقبال في المنازل تصميمًا خاصًا حيث وضعت غالبًا في الطابق الرئيس بعيدًا عن غرف المعيشة والنوم التي توضع في الطوابق العليا، وخطط بعضها ولاسيما قاعات المنازل المملوكية والعثمانية أيضًا التي كثيرا ما أقيمت بها حفلات السمر والطرب بطريقة تمكن النساء من مشاهدة تلك الحفلات دون أن يراهن أحد، وذلك عن طريق وضع مجالس للسيدات على جانبي القطاع العلوي للقاعة من خارجها، ولما كانت القاعة ترتفع غالبًا بارتفاع طابقين فإن القطاع العلوي للقاعة يكون في مستوى الطابق المخصص للنساء، وتكون هذه المقاعد من ملحقاته مطلة على القاعة من خلال مطلات بها ستائر خشبية يمكن النساء من رؤية من بالقاعة دون أن يراهن أحد ممن بالقاعة⁽⁴⁾.

1. المهندس السعدني، البيوت في العمارة الإسلامية : <http://www.m3mary.com>.

2. نفسه.

3. ثروت عكاشة، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ، تاريخ الفن العين تسمع والأذن ترى، ط. 1، دار الشروق، القاهرة،

1994، ص:90.

4. محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص:343.

أحيا السلاجقة عند قدومهم إلى سوريا في القرن 11م حركة التعمير خاصة في حكم نور الدين زنكي⁽¹⁾، وقد اتسم عصرهم بالميل إلى استخدام الحفر والنقش في الزخرفة بتأثير العنصر التركي، وبلغت هذه الحركة أوجها أيام الأيوبيين، أما بغداد فدكت سنة 1252م، لتنوب عنها القاهرة بعد ذلك أين تظهر حركة عمرانية هائلة امتد أثرها إلى المدن الكبرى في سوريا، وشمال إفريقيا خاصة تونس⁽²⁾.

اعتاد سكان مدينة رشيد في العصر العثماني، إذا كان للمسكن واجهتان على شارعين أن يوضع باب المنزل في الشارع الأكثر خصوصية، وهو الشارع الجانبي الذي يرتاده المارة الأقل عددا، كما كانت واجهات مساكنهم تزينها المشربيات⁽³⁾، ومن أمثلة ذلك مشربيات وشبابيك منزل الهراوي، والأعمال الخشبية لمثل زينب خاتون⁽⁴⁾، ومثل السحيمي وبيت السناري، وعموما كانت واجهات المساكن في العصور الوسطى في مدن الشرق مزودة بمشربيات وكان تزيين الشوارع مقصورا على واجهات وبوابات المباني فيما نجد جدار الواجهة خالي من النوافذ⁽⁵⁾، لتجسد الالتزام بحفظ المجال الخاص بالمسكن إلى أبعد الحدود.

قليلة هي الأمصار والمدن بإفريقية والمغرب لأن هذه الأقطار كانت للبربر منذ آلاف السنين قبل الإسلام وعمرانها إنما هو بدوي، والدول التي ملكتهم كالرومان والبيزنطيون لم يطل أمدتها فيهم حتى تنتقل إليهم حضارتها فلم تكثر مبانيهم، كما أن البناء يتم بالصنائع التي هي من توابع الحضارة، وقد كان الأهالي بدوا بطبعهم، مما جعلهم لا يسكنون المباني ولا تتشوق إليها أنفسهم، كما أنهم ذوو عصبية وأنساب وهي أجح إلى البدو ولا يجعلهم يسكنون المدن إلا لترف أو غنى وهم في ذلك قليل.

كان للزهاد والصوفيين الذين كانوا مع المرابطين والموحدين بالمغرب آراؤهم في البذخ والترف في البناء، مما أدى إلى الاعتدال بعد أن وصل حدا كبيرا في الإسراف والترف والزخرفة، وكانت أهم المراكز الفنية المعمارية في اشبيلية غرناطة مراكش فاس وغيرها، فمنذ أن تأسست دولة المرابطين شهدت المدن المغربية توسعا في بناء المنازل، ومرد ذلك بطبيعة الحال إلى الاستقرار

1. نيكيتا اليسيف، المرجع السابق، ص:105.

2. نفسه، ص:97.

3. عمر عبيد حسنه، أسس تخطيط وعمارة المدن الإسلامية : <http://www.islamweb.net>.

4. ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص:90.

5. نيكيتا اليسيف، المرجع السابق، ص:105.

السياسي والازدهار الاقتصادي، ما دفع بالكثيرين إلى استيطان المدن، وهذا بدوره أدى إلى كثرة المدن، يضاف إلى ذلك تشجيع ولاية الأمر من المرابطين والموحدين على ذلك، فقد شهدت العاصمة مراكش باهتمام خلفاء الموحدين بعد سقوط دولة المرابطين، حيث يذكر المراكشي: "وأقام عبد المؤمن رحمه الله بمراكش مرتبا للأموال المختصة بالمملكة من بناء دور واتخاذ قصور..."، فلما تولى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، أقبل الناس على بناء المنازل وهنا يذكر صاحب الصلاة ما نصه: واغتبط العالم به — أي بتجديد مبايعة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن — وبيعته، وكثر المال في الأيدي من توالي سمحه وبركته وابتنوا بمراكش الديار العتيقة..."، وشاركت مدينة فاس أختها مراكش في كثرة بناء المنازل، حيث يقول الإدريسي: "ومدينة فاس ضياع ومعاش ومبان سامية ودور وقصور ولأهلها اهتمام بجوائجهم ومبانيهم وجميع آلائهم"، ولكن اختلفت طرق البناء من مدينة لأخرى، فمدينة مراكش كانت منازلها في بادئ الأمر مبنية بالطين والطوب المصنوع من التراب، أما مدينة فاس فقد استخدم أهلها الحجر والآجر والكلس في أبنيتهم مع أسقف خشبية لمنازلهم⁽¹⁾.

اتسم الطابع العام في تنظيم البيت بوجود باب يؤدي إلى دهليز يتناسب مع حجم البيت ومن الدهليز إلى صحن البيت حوله غرف، وإذا كانت الدار كبيرة فقد يكون لها أمام الغرف أروقة تدفع عنها حر الشمس ومطر الشتاء، وإذا توفرت المياه بالمدينة مثل مدينة فاس، فإن الناس يصنعون فوارة في صحن الدار⁽²⁾، وتفرش بالرخام دياراتهم وبالزليج^(*)، وأما دور هؤلاء فتفرش بآجر يسمى المزهري، ولأهل فاس ولع ببناء القباب، فلا تخلو دار كبيرة في الغالب من قبتين أو أزيد وصدرة تفسير أبنية دورهم: مجالس متقابلة على عمد من حجر وآجر ورفارف مطلة على صحن الدار، وقدامها طفافير يجري إليها الماء ثم يخرج إلى بركة في وسط الصحن وتسمى البركة

1. حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ط. 1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980، ص: 388-390.

2. نفسه، ص: 390-391.

للمزيد ينظر: عبد العزيز بن عبد الله، تاريخ المغرب، ج. 1، ص: 13/ احسان حقي، المغرب العربي، ص: 263/ روجيه، ناس في عصر بني مرين، ص: 94.

* وهو نوع من الآجر كالقشاني بأنواع الألوان الأبيض والأسود والأزرق والأصفر والأخضر وما تركب هذه الألوان، وغالبه الأزرق الكحلي ومنهم من يتخذ منه وزرات لحيطان الدور.

عندهم صهريجا، وغالب أعيانهم يعملون لهم حمامات في بيوتهم⁽¹⁾، وهذا بالنظر إلى تكلفة الحمام والمساحة التي يأخذها لذا نجد بيوت الناس من العامة والبسطاء لم تزود بالحمامات.

ونجد وصفا لمساكن قصبة طنجة مفاده أن الدور أي المساكن بصفة عامة مبنية بشكل

سيئ، كما أن مظهرها الخارجي يدل على الفقر، أما سقوفها فهي مسطحة وجدرانها مطلية بالبياض من الخارج، وهي عموما مؤلفة من طابق أرضي، طابق أول ثم السطح⁽²⁾، نصادف أحيانا وجود بعض الشبه بين مساكن مدن المغرب ونظيرتها بالمشرق مثلما هو عليه الحال في سجلماسة والكوفة، حيث يذكر ابن حوقل في وصفه لسجلماسة ما نصه: "ومنها إلى سجلماسة ثلاث عشرة مرحلة... وأبنيتها كأبنية الكوفة إلى أبواب ربيعة على قصورها مشددة عالية"⁽³⁾، وهذا يفسره وجود كثير من التجار الوافدين من الكوفة وغيرها من مدن المشرق وإقامتهم للإشراف على تجارتهم ومن هنا نقلوا معهم نظامهم في البناء⁽⁴⁾ لتصبح مساكنهم على شاكلة المساكن الكوفية.

يذكر وصف آخر لمساكن مدينة فاس حيث يذكر ليون الإفريقي (حسن الـ وزان) أن

الدور مبنية بالآجر والحجر المنحوت بدقة، ومعظم هذا الحجر جميل ومزدان بفسيفساء بهيجة، ويضيف أن الناس قد اعتادوا أن يصبغوا السقوف بألوان زاهية مثل اللازورد والذهب، وهذه السقوف مصنوعة من خشب ومستوية، ليسهل نشر الغسيل على سطح الدار والنوم فيه صيفا، وتتألف الدور كلها من طابقين، وفي كثير منها ثلاث طبقات، وفي كل طبقة شرفات كثيرة الزخرفة تسمح بالمرور تحت السقف من حجرة إلى أخرى، وهي ذات أبواب واسعة وعالية جدا، ويصنع لها الأغنياء مصارع غاية في الدقة والنقش⁽⁵⁾، مع العلم أن المساكن الإسلامية في تونس والجزائر اتخذت تخطيطا مشابها لذلك الذي الذي شاع في المدن الرومانية بإفريقية والذي يعود تخطيطه للمسكن الإغريقي⁽⁶⁾.

1. عبد الأحد السبيتي، حليلة فرحات، المدينة في العصر الوسيط: قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الإسلامي، ط. 1، المركز الثقافي

العربي، بيروت، 1994، ص: 158.

2. محمد بنعلي، المدينة العتيقة والتحويلات الاجتماعية والعمراني، نموذج حي القصبة بطنجة، منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو،

إنقاذ الرصيد الحضاري بالمدن الأصيلة المغاربية والمراكز القديمة بفرنسا الملتقى الثامن، 1995، ص: 71.

3. ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1996، ص: 85.

4. حسن علي حسن، المرجع السابق، ص: 391.

5. Jean-Léon l'Africain; **Description de l'Afrique**, Nouvelle édition traduite par de l'Italien par A.Epaulard, Adrien-maisneuve. Edition Paris-VI. pp: 183-184.

6. George Marçais; Op. Cit. p: 45.

لقد اختلفت أساليب البناء في العمارة الإسلامية القديمة باختلاف البيئة الطبيعية والصناعية في كل قطر من أقطارها، الأمر الذي أوجد الاختلافات الواضحة في التعبير المعماري في هذه الأقطار وإن كان يربط بينها وحدة حضارية واحدة تتمثل في السلوك الاجتماعي والثقافي، ويعني ذلك أنه مع اختلاف أساليب البناء فإنه يمكن أن يكون هناك وحدة تعبيرية عن العمارة الإسلامية مع أن كل أسلوب من أساليب البناء إمكانياته المعمارية الخاصة سواء أكان البناء بالطابوق كما في العراق أو إيران أو المغرب العربي أو بالحجر كما في مصر وسوريا واليمن أو بالطين اللبن كما في المناطق الصحراوية في شبه الجزيرة العربية أو غيرها، وسواء كان ذلك بالنسبة لبناء الحوائط أو طرق التغطية والأسقف، ويعني ذلك أن اختلاف أساليب البناء لن تؤثر على وحدة التعبير في العمارة الإسلامية وبالتبعية فإن التطوير في أساليب البناء لن يكون ويجب ألا يكون عقبة في وحدة التعبير في العمارة الإسلامية على مر العصور⁽¹⁾.

المبحث الثالث: المسكن وفقه العمران

عرفت الحضارة الإسلامية حركة عمرانية كبيرة ازدهرت مع مرور الوقت وعلى جميع الأصعدة، وكانت المساكن مجالاً خصباً لهذا الحراك، وما أثار المساكن بأشهر المواقع الأثرية في أكثر من مكان عبر العالم الإسلامي، أو حتى تلك المساكن التي ما تزال قائمة إلا دليل على ذلك، وليس هذا فقط بل هناك دليل من نوع آخر ينتشر هنا وهناك في رفوف وخزائن المكتبات والمدارس ومراكز الأرشيف تعطينا فكرة عن الجانب النظري الذي نظم هذه العملية برمتها، إلى جانب آليات تطبيق ذلك في صورة المحتسب، ولكن بالعودة لمصادر التشريع في الدين الحنيف.

1. المسكن في فقه العمران:

ولدت أولى التشريعات مع نشأة دولة الإسلام في المدينة المنورة فهناك أحاديث نبوية وأفعال للجيل الأول من الصحابة تدل على الاهتمام بتنظيم المجال السكني عمرانياً ومعماريًا، فجاءت أحاديث تشدد على حرمة تجاوز حرمة المباني الخاصة حدودها على حساب الأراضي العامة، حيث قال رسول الله ﷺ: ﴿لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ بِغَيْرِ

1. عبد الباقي إبراهيم، المرجع السابق، ص: 59.

حَقُّهُ، إِلَّا طَوَّقَهُ اللَّهُ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾، كما جاءت أحاديث توصي برعاية حق الجيران وتحذر من التسبب في الضرر إليهم كعدم الإطلال على أفئنتهم من الأعلى أو من خلال الأبواب والنوافذ وكذلك تقديم يد المساعدة - أو ما يسمى في الفقه بالإرفاق - عند الحاجة، فقد جاء في حديث رواه أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: ﴿ لا يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبة في جداره ﴾ (٢) وفي حديث آخر ذكره البخاري أن حق الجوار يمتد أربعين داراً من كل جانب مما يعطي البعد العمراني لمفهوم الجوار، إلى جانب الكثير من الروايات التي ذكرها السمهودي عن بعض ما قام به الخليفة عمر ابن الخطاب (٣) فيما يخص البناء عموماً والمساكن على وجه الخصوص وقد سبق وأشارنا إلى ذلك.

أمّا في العهد المتأخر فإنه بقدر ما توسع العمران في البلاد الإسلامية كذلك تكاثرت المواد التشريعية والفقهية الضابطة للحياة المدنية، ومن أمثلة ذلك تلك المتعلقة بالحسبة مثل [معالم القرية في أحكام الحسبة] لمحمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الأخوة (1250-1329م) و[نهاية الرتبة في أحكام الحسبة] لعبد الرحمن بن نصر الشيزري (ت: 589هـ) و[نهاية الرتبة في طلب الحسبة] لابن بسام المحتسب وغيرها.

كما جاءت رسائل متخصصة في البناء والعمران كتبت على يد فقهاء وقضاة وبنائين، ومن ميزة هذه الرسائل كلها أنها مذهبية، حيث كانت تعتمد على أقوال مدرسة فقهية معينة دون غيرها، ويعد المذهب المالكي والحنفي أكثر المذاهب ريادة في هذا فعلى المذهب المالكي نذكر رسالة عيسى بن موسى الأندلسي [كتاب الجدار] وكذلك [الإعلان بأحكام البنيان] لمحمد بن الرامي التونسي الذي كتب في العهد الحفصي، ولا تقل موسوعة يحيى بن عباس الونشريسي [المعيار المعرب] أهمية من حيث المادة المتعلقة بالبناء والعمران.

1. مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، تح. نظر بن محمد الفارياي، مج. 2، ط. 1، دار طيبة، 2006، ص:756.

2. نفسه، ص:755.

للمزيد ينظر: أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ط. 1، دار الكتب العلمية، 1989، ص:3.

3. مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص:156.

أما المذهب الحنفي نذكر الشيخ المرجي الثقفي [كتاب الحيطان] إلى جانب رسائل صغيرة* [مراصد الحيطان] لصنع الله النقشبندي، و [كتاب الحيطان] لقاسم بن قاتلوبغا، و[الحيطان في شرح الجامع الصغير] للإمام الدمغاني⁽¹⁾.

نذكر كتاب آخر يعود للقرن الخامس الهجري لا يقل أهمية عن سابقه على ولكنه على المذهب الإباضي هو [القسمة وأصول الأرضين] لصاحبه الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرستائي النفوسي (420هـ-504هـ).

عرف العالم الإسلامي عبر مساره التاريخي تراخيا كبيرا بين الدويلات فعلى سبيل المثال نجد أن مصر حكمها الأمويون ثم العباسيون ثم الطولونيون ثم العباسيون مرة أخرى ثم الإخشيديون ثم الفاطميون ثم الأيوبيون ثم المماليك فالعثمانيون، وأغلب هذه الدول قامت على دعاوى كثيرة منها أن الدولة التي سبقتها قد ابتعدت عن الشريعة وأنها ستعود إلى القرآن والسنة، وكان هذا بحد ذاته ضمانا لاستمرارية تطبيق الشريعة في البيئة التقليدية*.

هناك دلائل على أن المفتين والقضاة ومعظم المدرسين والعلماء في العلوم الأخرى كانوا من الفقهاء حتى نهاية العهد المملوكي، ولم يكن هناك فرق بين القانون والدين وكان القاضي قويا في منصبه حتى أنه كان أقوى من الحاكم في بعض العصور وكان القاضي يرجع للمفتي في المسائل المستجدة عليه التزاما منه بالشورى وتفاديا منه الوقوع في الخطأ، وكان المفتي يفتي في أي قضية تستجد عليه بالرجوع إلى الكتاب والسنة والنوازل المشابهة لها وما إلى ذلك من وسائل الإفتاء التي ضمنت تطبيق مبادئ الشريعة في البيئة.

*. يذكر ابن حموش أنها توجد متفرقة بمكتبة السلیمانية باسطنبول تحت الترقيم التالي مراصد الحيطان للقاضي صنع الله النقشبندي مخطوط 972 خزانة أسعد أفندي وميكروفيلم رقم 1361، وكذلك المخطوط 285 خزانة رشيد أفندي، كتاب دعاوى الحيطان والطرق ومسبل الماء للصدر الشهيد حسام الدين عمر مخطوط رقم 2088 خزانة بغدادي وهي أفندي، وتوجد مجموعة هذه الرسائل في مخطوط واحد بعنوان رسائل في الحيطان تحت رقم 89 خزانة حفيظ أفندي.

1. مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص: 156-157.

** البيئية التقليدية هي مجموعة المباني والأماكن بينها التي شيدها المسلمون بإتباع مبادئ الشريعة الإسلامية والأعراف المحلية واستخدام مواد البناء المتوفرة في تلك الفترة دون تدخل السلطة إلا في حالات الخلاف بين الملاك.

بالإضافة لما سبق فإن القضاة كانوا تلامذة فقهاء، وفي أحيان أخرى كانوا هم أنفسهم من الفقهاء الأجلاء وهذا ضمن تطبيق الشريعة في البيئة العمرانية ومن أمثلة ذلك عبد الواحد الونشريسي ابن جامع كتاب المعيار المعرب الذي أصبح قاضي فاس⁽¹⁾.

اعتمد فقهاء الإسلام في تناولهم لأحكام البنيان عموما والمسكن على وجه الخصوص آية في القرآن الكريم، وعلى حديث نبوي شريف، أما الآية فهي قول الله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾⁽²⁾، ويفسرون العرف في هذه الآية بالنسبة لأحكام البنيان، بما جرى عليه الناس وارتضوه، ولم يعترضوا عليه، طالما لا يتعارض ذلك مع القرآن الكريم والحديث النبوي، لذا يجوز القضاء به، وهو قاعدة محتاج إليها في القضاء⁽³⁾.

والعرف يحتمل ثلاثة معان، بالنسبة للبيئة العمرانية، كعادة أهل بلدة ما، فهذا أصل أخذ به الفقهاء في المواضع التي لا نص فيها، لاستنباط الأحكام الشرعية، في المسائل النازلة التي لا نص فيها من قرآن أو سنة، وهو نابع من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ﴿ ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ﴾، وقد بنيت القاعدة الفقهية المحكّمة (العادة مُحَكَّمَةٌ) على هذا الأصل، وكذلك قاعدة (المعروف عرفا كالمشروط شرطا) و (التعيين بالعرف كالتعيين بالشرط) و (الممتنع عادة كالممتنع حقيقة)، والمعنى الثاني للعرف، وهو أكثر تأثيرا من المعنى السابق على البيئة العمرانية عموما والمسكن على وجه الخصوص فهو إقرار الشريعة لما هو متعارف عليه بين الجيران لتحديد الأملاك والحقوق⁽⁴⁾، فلم تكن هناك صكوك لتدوين حدود وحقوق كل عقار في البيئة التقليدية ولكن المجتمع اعتمد الأعراف بين الجيران لتحديد الأملاك، فوضع اليد والتصرف بالبناء والهدم والغرس والقلع دليل على الملك.

إن حيازة الضرر رتبت الحقوق بين السكان، والتي كانت معروفة بينهم عرفا وهذه الأعراف متغيرة من مكان لآخر لاختلاف الملكيات والحقوق، وقد أخذت بها الشريعة⁽⁵⁾.

1. جميل عبد القادر أكبر، عمارة الأرض في الإسلام، مقارنة الشريعة بأنظمة العمران الوضعية ، ط. 3، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1998، ص: 111.
2. سورة: الأعراف - الآية: 199.
3. أبو اسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تح. محمد عبد القادر الفاصلي، ط. 1، المطبعة العصرية، القاهرة، 2000، ص: 223-224.
4. بلحاج طرشاوي، العمارة الإسلامية أصولها الفكرية وأسسها الثقافية والبيئية من خلال بعض النماذج ، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في الفنون، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية 2006/2007، ص: 197.
5. جميل عبد القادر أكبر، المرجع السابق، ص: 367.

أما المعنى الثالث للعرف فهو الأنماط البنائية، وهو أكثر الأنواع الثلاثة تأثيراً في البيئة العمرانية، فعندما يتصرف الناس في البناء بطريقة متشابهة نقول بأن هناك عرفاً بنائياً أو نمطاً ما، فسكان منطقة ما قد يستخدمون مواد بناء متشابهة، فيكثر استعمال الخشب في واجهات مساكن جدة مثلاً، ويندر في واجهات الرياض وقد يضع السكان بعض الغرف في مناطق معينة من منازلهم بطريقة متشابهة، فالكل يضع المجلس بجانب المدخل في هذه المدينة، والكل يضعه في الدور الأول بجانب بهو الدرج في تلك المدينة، لذلك نعرف العرف بأنه مجموعة الأفعال المتشابهة في منطقة ما في زمن معين والمؤدية إلى نمط بنائي معروف⁽¹⁾، ويبدو أن إعراض الرسول ﷺ عليه وسلم عن باني القبة في داره بالمدينة وهي قصة معروفة إنما هو توجيه لعدم التميز والتعلي على الآخرين، فمخالفة غيره، يمس وحدة النمط البنائي المتعارف عليه وتدفع بصاحبها للخروج عن العرف السائد⁽²⁾.

أما الحديث النبوي الشريف الذي يعتمد عليه الفقهاء في أحكام البناء فهو: ﴿ لا ضرر ولا ضرار ﴾ فعن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم ﴿ قضى أن لا ضرر ولا ضرار ﴾⁽³⁾، والذي يعتبر أحد الأحاديث الخمسة التي يقوم عليها الفقه الإسلامي، واحتلت قاعدة لا ضرر ولا ضرار، باباً واسعاً في فقه العمارة الإسلامية، فقامت عليها أحكاماً لا حصر لها، وأثرت هذه القاعدة على حركة العمارة والعمران الإسلامي بشكل نقف عليه أكثر في المساكن التقليدية على مر القرون فكانت المحدد لشكل عمارة المساكن.

وقد يقول قائل أن الشريعة درجة اهتمامها بالمواريث وتقسيمها انعكست سلبياً على شكل هذا المساكن وغيرت جذرياً شكلها، نقول لا لسبب بسيط، فالخصص التي وردت في القرآن الكريم** لا تطبق إلا إذا تأكدت سلامة وظيفة الشيء الموضوع للقسمة، فمن شروط القسمة ألا تؤدي إلى تعطيل الشيء المقتسم، وبالتالي فإن أصغر جزء ناتج عن القسمة مثل الغرفة، يراعى فيه كل شروط الاستعمال مثل الإضاءة والمرور والتهوية، وإذا فقدت تلك الشروط فتعتبر

1. جميل عبد القادر أكبر، المرجع السابق، ص: 367.

2. مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص: 156.

3. كامى محمد بن أحمد، رياض القاسمين أو فقه العمران الإسلامي، تح. مصطفى أحمد بن حموش، ط. 1، دار البشائر، دمشق، سورية، 2000، ص: 193.

*. (سنن ابن ماجه)، كتاب الأحكام حديث رقم 2331 و 2332، وفي مسند أحمد رقم 1234، وفي موطأ الإمام مالك كتاب الأفضية برقم 1234.

** الحصاص: (2/1، 3/1، 3/2، 4/1، 6/1، 8/1) ينظر القرآن الكريم سورة النساء من الآية 7 إلى الآية 14.

قسمة فيها ضرار، ويرى الحنفية على سبيل المثال أن من مقاصد الشفعة ففي الضرر الناتج عن القسمة بحيث تسمح للشريك استرداد حصة شريكه إذا أراد هذا الأخير بيعها، وبذلك تضم الحصص إلى بعضها وتشكل وحدات جديدة من العقار المقتسم.

كما أن مبدأ الارتفاق يشكل آلية أخرى تؤطر قسمة العقارات وتقلل من حدة التجزئة ويقدم الحلول الوظيفية للأوضاع الجديدة للملكية المقتسمة⁽¹⁾.

لم تختلف هذه المساكن فيما بينها عبر العالم الإسلامي إلا في جزئيات منها ما توارثته عن أمم سابقة ومنها ما فرضته بيئة معينة لتبقى بذلك مخصصة للشريعة، فهي على الأقل في تفاصيل دقيقة عبر عنها علماء الشريعة بالعادات والأعراف، حيث اعتبروها مرجعا إذا لم تتعارض مع الكتاب والسنة والإجماع، ومن المعلوم أن هذه العادات والأعراف تختلف من منطقة إلى أخرى ورغم ذلك لم تؤثر بشكل كبير لأنها اعتمدت على الشريعة أكثر من اعتمادها على العرف.

2. مصادر فقه العمران:

جاءت تعاليم الرسول ﷺ صلى الله عليه وسلم تفصيلا لكل الأحكام العامة والتي وردت في القرآن الكريم فشملت التعاليم النبوية كل الميادين ومظاهر الحياة، وقد أخذ العمران بمفهومه الشامل قسطا كبيرا منها يشمل باب أجر العمارة للعبادة وفقه البنين وأحكامه وتنظيم المدينة وآداب الارتفاق من الشامل إلى تفصيل الجزئيات، وهذا ما اعتمده الفقهاء، مع القرآن بعد ذلك في ترتيب فقه البنين وأحكامه وفقه العمران بصفة عامة، إذا فخطاب فقه العمران ينطلق من خطاب الشرع، ويستند إلى مصادر الشريعة من قرآن وسنة وتوابعها ليعالج الواقع بمعطياته فيقره أو يعالجه، وبالتالي فهذه المعالجة للمسائل التفصيلية ومعرفة أحكام الشريعة فيها شكلت قاعدة فكرية صلبة ضمنت في كتب فقهية قديمة لمعرفة ماهية ضوابط العمران الإسلامي⁽²⁾، أما مصادر فقه العمران فهي توجد في أبواب الفقه الإسلامي العام وأهمها: إحياء الموات، الحيازة، الملكية، الدعوى، الاستحقاق، السياسة الشرعية، الموارث، القضاء، الاستصناع، الشفعة، المياه، العقود، الإقطاع، الصلح، الهبة، الشروط، الإيجار، الضرر، الوقف، الضمان، البيوع، الغصب، الولاية الخاصة، الولاية العامة، الحيطان، الحسبة، القسمة.

1. مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص: 113.

2. إبراهيم بن يوسف، المرجع السابق، ص: 110.

3. الحسبة والمسكن:

تشغل الحسبة مكانة مهمة في الإدارة الحضرية بالمدن الإسلامية فالمستشرق جورج مارسيه *G. Marçais* يؤكد أنه لا يمكن الاهتمام بالعمران في البلاد الإسلامية دون الالتفات إلى هذا الموظف ولو بذكره بين قوسين ⁽¹⁾، وقد كان للحسبة في المدينة الإسلامية دورا فعالا في التنظيم العمراني، نلمسه من خلال أثرها في المدينة، وما فيها من خطط وأسواق ومنشآت بل وإلى تفاصيل تتعلق بمساكن الناس، وهو دور جعل المدينة الإسلامية متميزة عن غيرها من المدن من خلال الالتزام والتنظيم، وقد ظهرت الحسبة قبل العباسيين، وترجع أول إشارة إليها إلى زمن المنصور ⁽²⁾.

تعرف الحسبة بألها : أمر بالمعروف، إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا أظهر فعله ⁽³⁾، تنفيذا لأمر الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ⁽⁴⁾، والحسبة واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم، وولاية الحسبة تعقد بما يعقد غيرها من الولايات الشرعية بتقديم الإمام من يرتضيه لذلك متوفرة فيه شروط الولاية إذ هي أشرف الولايات في الإسلام قدراً وأعظمها في هذه الملة المحمدية مكانة وفخراً ⁽⁵⁾، وتتفق الحسبة مع القضاء في إنصاف المظلوم، وإلزام المدعى عليه بالأداء، وتقل عنه بعدم سماع جميع الدعاوى -الخارجة عن ظواهر المنكرات- كالعقود مثلا، أو المتعلقة بالحقوق المحجودة بينما تزيد الحسبة عن القضاء في متابعة المحتسب لتنفيذ ما يؤمر به، وفي إمكانه استخدام القوة أثناء أداء مهمته، وقد اتسعت مهام المحتسب في المجتمع الإسلامي حتى شملت أمورا عديدة،

1. مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص:150.

للمزيد ينظر:

Marçais G ; *L'Urbanisme musulman*, in *Mélange d'histoire et d'archéologie de l'Occident musulman*, Paris, 1957, p : 226.

2. عبد العزيز دوري، المؤسسات الحكومية، المدينة الإسلامية، تر. أحمد محمد تغلب، اليونيسكو-السيكوما/الفجر، 1983، ص:60.

3. أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، *الأحكام السلطانية والولاية الدينية*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص:207. نقلا عن: بلحاج طرشاوي، المرجع السابق، ص:197.

4. سورة: آل عمران - الآية: 104.

5. أبي عبد الله محمد العقباني التلمساني، *كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر*، تح. علي الشنوفي، مجلة الدراسات الشرقية للمعهد الفرنسي بدمشق، ج. 19، 1967، ص:164، 167.

منها ما يتعلق بالبناء والعمارة وما يتصل بهما ، وهو ما نحاول أن نبينه خاصة في الشق المتصل بالمساكن وما يحكمها ، كما أنه يفصح من جهة أخرى عما بلغته العناية بهذا النظام ومدى ما بلغته من الناحية الإدارية عند المشاركة والمغاربة على حد سواء، خاصة في العهد العثماني كونه آخر عهود الخلافة الإسلامية، وبالنظر إلى توزيع المهام يمكن القول أنها كانت مميزة بعض الشيء في المغرب الإسلامي على ما هي في المشرق، بحيث أن الجانب الحضري مثل البناء ومراقبة الشوارع فيبدو أنها كانت من نصيب شيخ البلد، وهذه الوظيفة لها مقابل في المشرق، وبالتالي تفرعت الحسبة إلى ثلاث وظائف متميزة ومتكاملة هي شيخ البلد* ، وحسبة الأسواق، وقايد الفحص⁽¹⁾.

كان المحتسب يصدر أمره بهدم المباني الآيلة للسقوط التي تشكل مصدرا للخطر أو بإجراء التعديلات على المباني التي تسمح لقاطنيها الاعتداء على خلوة الجيران بحيث تزول مصدر الخطر والإزعاج سواء على الجيران أو العابرين⁽²⁾، وللمحتسب اجتهاد رأيه فيما يتعلق به العرف دون الشرع، كمثل ما في الأفنية والطرق، كما يمكنه أن يتخذ على الإنكار أعوانا، وإذا كان في القضاة من يحتجب عن الخصوم إذا قصدوه ويمتنع من النظر بينهم إذا احتكموا إليه، فللمحتسب أن يأخذه مع ارتفاع الأعدار بما وجب عليه النظر بين المتحاكمين وفصل القضاء بين المتنازعين ولا يمنع علو رتبته من إنكار ما قصر فيه⁽³⁾.

إذا كان المحتسب قد أنيط به الاهتمام بالأشكال الخارجية للعمارة الظاهرة للعيان ونقصد بذلك شكل المساكن على الخصوص، فإن واضعي كتب الحسبة من الفقهاء قد شددوا على أهمية قيام المحتسب بمراعاة جودة مواد البناء ومتابعته لصناعها، وهو أمر يمس جوهر البنيان، ويساعد في الحفاظ على أموال المسلمين وحياتهم، ويدل على مدى ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من رقي في مجال المتابعة لكل ما يتعلق بشؤون المسلمين، وتعتبر صناعة البناء من فروع الكفاية متى ما لم يقم بها من يحسنها، صارت فرض عين، لذلك يلزم الأمة توفير من يكفي للقيام بها، ولهذا قال

*. تعود السلطة المحلية والإدارة اليومية في العهد العثماني إلى شيخ البلد فتسمية الشيخ في بلدان المغرب تعني شخص مسن وحكيم والذي ترجع إليه من الناحية الإدارية الكلمة الأخيرة للقرارات النافذة أما كلمة البلد فهي تعني كل تجمع حضري في مقابل الحياة البدوية، فهي وظيفة ترجع في الأصل إلى تقاليد سياسية اجتماعية لمجتمع المنطقة المؤسس على القبيلة والرئاسة الهرمية.

1. مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص:150.

2. مدثر عبد الرحيم، المؤسسات القضائية، المدينة الإسلامية، تر. أحمد محمد تعلق، اليونيسكو -السيكومور/الفجر، 1983، ص:50.

3. أبو عبد الله محمد العقباني التلمساني، المصدر السابق، ص:164، 167.

غير واحد من الفقهاء، كأبي حامد الغزالي، وأبي الفرج ابن الجوزي وغيرهما إن هذه الصناعات فرض على الكفاية، فإنه لا تتم مصلحة الناس إلا بها ، ولعل هذا ما دفع ابن عبدون وغيره من واضعي كتب الحسبة، إلى التشديد في شروط مواد البناء، فيقول ابن عبدون: "أما البنيان .. فمن الواجب أن ينظر في كل ما يحتاج إليه من العدد، ومن ذلك أن ينظر أولاً في الحيطان، وتقريب الخشب الوافر الغليظ القوي للبنية، وهي التي تحمل الأثقال، وتمسك البنيان.. يجب أن تكون جهة ألواح البنيان في عرضها شيرين ونصف لا أقل من ذلك، ويحدد ذلك القاضي والمحتسب للصناع والبنائين، ولا يصنع حائط يحمل ثقلاً أقل من ذلك ، ويجب أن تكون الآجر وافرة، معدة لهذا المقدار من عرض الحائط ، ويجب أن يكون عند المحتسب، أو معلق في الجامع، قالب في غلظ الآجر، وسعة القرمدة، وعرض الجائزة وغلظها، وغلظ الخشبة، وغلظ لوح الفرش، هذه القوالب مصنوعة من خشب صلب لا يستاس، معلقة في مسامير في أعلى حائط الجامع، يحافظ عليها كي يرجع إليها متى ما نقص منها أو زيد فيها ويكون عند الصناع آخر لعملهم، وهذا من أحسن شيء ينظر فيه وأوكده"⁽¹⁾، ولم يتوقف الاهتمام بمواد البناء وصناعتها بل تجاوزه إلى أمور أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها، كالاهتمام بتخصيص مواضع معينة لصناعة مواد البناء فعلى سبيل المثال تصنع القراميد والآجر خارج أبواب المدينة لأن تلك المواضع أوسع، وامتدت هذه العناية إلى الجيارين والجباسين وما يقومون به من أعمال.

1. مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص:176.

للمزيد ينظر: ليفي بروفنسال، ثلاث رسائل في الحسبة: رسالة ابن عبدون في آداب الحسبة والقضاء، 1955، ص:44.

الفصل الثاني

المسكن في القصور الصحراوية

المبحث الأول: الصحراء الجزائرية

المبحث الثاني: التوزيع الجغرافي للقصور الصحراوية

المبحث الثالث: تعريف القصر (القصر)

المبحث الرابع: السمات العامة للمسكن في القصور الصحراوية

المبحث الخامس: فقه العمران ومسكن القصر

المبحث السادس: العوامل المؤثرة في تخطيط مسكن القصر

المبحث الأول: الصحراء الجزائرية

الحديث عن الصحراء يجرنا قبل ذلك إلى الوقوف على معنى الكلمة في حد ذاته؟ وهل هي تطلق على مكان معين أم إقليم؟.

عرّف كل من الزبيدي في تاج العروس وابن منظور في لسان العرب الصحراء من الأرض بأنها "المستوية في لين وغلظ دون القفّ، وقيل إنها الفضاء الواسع"، وقال ابن شميل: "الصحراء من الأرض، مثل ظهر الدابة الأجرد ليس بها شجر ولا أكام، ولا جبال، ملساء"، وجمع الصحراء، فيما قاله ابن سيّده، صحروات وصَحَارٍ، وفيما قاله الجوهري، صحاري وصحروات، وصحراء مؤنث الصفة، ويقال أصحر، أي الذي يضرب لونه من الحمرة إلى الغبرة⁽¹⁾.

تنتمي الصحراء الجزائرية إلى وحدة جغرافية متميزة ومتجانسة إلى حد كبير، والتي يصطلح على تسميتها عند المختصين بالصحراء الكبرى، وهي أوسع صحاري العالم، حيث أنها تمتد شرقا من البحر الأحمر، عبر النيل، حتى المحيط الأطلسي غربا، ومن الجنوب إلى الشمال بين بلدان إفريقيا الشمالية وبلاد السودان⁽²⁾، الأمر الذي ميز تراثها بوحدة يتخللها وجود بعض الفروقات الخاصة والبارزة من منطقة إلى أخرى ومن إقليم إلى آخر، هذه الأقاليم المتجاورة فيما بينها، والمتفاعلة بعضها مع بعض، وتتجلى هذه الوحدة في هذا الصقع من الأرض من خلال عمراتها وعاداتها وتقاليدها وأحيانا حتى في التاريخ، وهذا لا يعني إطلاقا بساطة هذا المجال بل العكس من ذلك، فهو مجال على درجة من التعقيد الذي يستوجب الدراسة المتخصصة للخروج بالنتائج السليمة كونه فضاء للتراكم المعرفي الذي شابه التسرع والحتمية في صياغ حدث تاريخي معين، أو شابه التفكير والتمعن في الكثير من الأحيان خاصة أيام السلم والاستقرار.

يمتد الإقليم الصحراوي بالجزائر (الشكل رقم: 4) خلف جبال الأطلس الصحراوي (الشكل رقم: 1 و 2) التي تضم بدورها جبال الأوراس، وجبل القصور، وجبل العمور، وفجوج وأولاد نايل، ولأن هذه الجبال يزيد ارتفاعها أحيانا عن 2000م فهي أكثر رطوبة وأكثر نباتا من الهضاب العليا، وهذه الجبال لا تقف عقبة في سبيل الاتصال إذ تخرقها الأودية التي تسهل مهمة ربط النجاد العليا بالصحراء الكبرى.

1. إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص: 13.

2. نفسه، ص: 13.

يغطي إقليم الصحراء الجزء الأكبر من مساحة الجزائر بجوالي 2 مليون كلم² (الشكل رقم: 3)، وعلى العموم الفضاء الصحراوي مؤلف من ثلاثة خطوط طول محددة بمدن كل من بشار الأغواط وبسكرة، وتظم كل حزمة ما بين خمسة إلى ستة مراكز مهمة⁽¹⁾، وباستثناء الواحات فالصحراء منطقة غير مؤهلة للفلاحة، ففي الواحة يعود الأمر ل قرب المياه الجوفية من السطح، حيث تعتمد الزراعة بالدرجة الأولى على النخيل، ولعل من أهم هذه الواحات مجموعة واحات الزيبان التي تبلغ 25 واحة ومن أشهرها واحة بسكرة وكذلك واحات فجيح والأغواط وعين صالح والقصور⁽²⁾، كما أن طوبغرافية سطحها تتميز بثلاثة أنواع (الشكل رقم: 3)، فهناك الصحراء الصخرية وفيها تبرز الصخور الصلبة على السطح نتيجة عوامل التعرية، والصحراء الحصوية وتغطي بطبقة من الحصى والحصباء، والصحراء الرملية التي تمتاز بتربتها الهشة وسطحها المتموج وكتباها الرملية⁽³⁾.

وفي إشارة إلى سكان المنطقة يقول ابن خلكان: "...قلما ملكت زناتة بلاد المغرب ودخلوا إلى الأمصار والمدن أقام بنو معقل هؤلاء في القفار، وتفردوا في البيداء فنموا نمو لا كفاء له، وملكوا قصور السوس غربا ثم توات ثم بودة ثم تمنطيت، ثم واركلان ثم تاسبيت ثم تيكراين شرقا، وكل واحدة من هذه وطن منفردة يشتمل على قصور عديدة ذات نخيل وأثمار، وأكثر سكانها من زناتة وبينهم فتن وحروب على رياستها فحازت عرب معقل هذه الأوطان في مجالاتهم ووضعوا عليها الإتاوات والضرائب وصارت لهم جباية يعتدون فيها ملكا..."⁽⁴⁾، وقد عرفت الصحراء قبل وفود قبائل الهلاليين عرفت الصحراء غلبة في سكانها للزناتيين لتدخل عليهم عرب معقل فيما بعد، وتشاركهم في السيطرة على قصور الصحراء.

نضم الصحراء الجزائرية سلسلة جبلية تسمى الهجار أو الهقار (الشكل رقم: 3 و 1) التي تمثل سلسلة الجبال الوسطى الصحراوية، والمحل والقفر الذي اشتهرت به الصحراء، لا يعود إلى طبيعة التربة نفسها بل إلى المناخ الصحراوي، فالأمطار قليلة في الصحراء. يعد الاستقرار البشري واحدا من بين الأمور التي ميزت الصحراء رغم ما شاع عنها من قسوتها وجدها وقحطها، وهذا الاستقرار البشري لم يفصل في تاريخه فيما عدا الاتفاق على أن

1. Chaouche-Bencherif Meriama ; **La Micro-urbanisation et la ville-oasien...**; Op. Cit. p: 217.
2. يسرى الجوهري، شمال افريقية، دار الناشر الجامعي، الإسكندرية، ص: 299.
3. خالد سليم فجال، العمارة والبيئة في المناطق الصحراوية الحارة، ط. 1، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 2002، ص: 35.
4. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تح. إحسان عباس، ج. 1، دار الثقافة، بيروت، 1968، ص: 287.

ذلك يعود إلى عصور ما قبل التاريخ، و انحصر هذا التواجد حول نقاط المياه في مراحل الجفاف الأولى، ليستقر الأمر بها في المساحات التي يقترب فيها الماء من سطح الأرض، أين قام الإنسان بابتكار طرق لجلب عنصر الحياة، ونشأ عن ذلك واحات مجتمعة فيما يشبه الأقاليم، حيث نجد في الشرق إقليم واد مية ووادي ريغ، وفي الشمال إقليم وادي مزاب، وفي الغرب إقليم الساورة وأقصى الجنوب الغرب إقليم توات إلى جانب إقليم التوارق، وهذا الأخير ميزه طبيعة حياة سكانه فهم بدو رحل لم يستقروا في شكل تجمعات كالتى نجدها في واحات باقي الأقاليم، إلا أنهم يشيدون في بعض المناطق بعض القرى التي يسمونها بلغتهم أغرم، ونحاول أن نستعرض الآن أهم الأقاليم الصحراوية التي تتوزع بها القصور الصحراوية حيث نجد أغلبها تتركز في الجهة الغربية (1) من الصحراء الجزائرية.

المبحث الثاني: التوزيع الجغرافي للقصور الصحراوية

عرفت الصحراء الجزائرية الاستقرار البشري منذ القدم ابتداء من عصر البليوليتيك وكذا النيوليتيك، حيث كانت درجات الحرارة لطيفة ورطبة إلى جانب وجود غابات وأنهار، ولكن تغيرت هذه المعطيات فيما بعد وبدأت درجة الحرارة ترتفع ويسود الجفاف، مما أسفر عن انحصار الانتشار البشري في نقاط معينة تمتاز بوجود المياه، وهناك بدأ يؤسس لنفسه تجمعات بشرية تطورت لتكون في شكل قرى محصنة، وزادت شدة الجفاف وانحصر هذا الانتشار أكثر، مما حدد نقاط وجود القصور فيما بعد هذا النوع من المنشآت الذي تميز بوجود تحصين وواحات وأنظمة لجلب الماء، فإذا أمعنى النظر في الخارطة الجزائرية وبالخصوص في الصحراء الجزائرية الممتدة بداية من أطراف الجنوبية للأطلس الصحراوي نجد أن هذه القصور تحكم في توزيعها وجود الماء بالدرجة الأولى لوجودها في مسار أودية كبرى كواادي الساورة، ووادي ريغ، ووادي مية، ووادي مزاب وغيرها، وهذا لا يعني عدم وجود عوامل أخرى تحكمت في هذا التوزيع، ولهذا السبب نستعرض أهم الأقاليم بالصحراء الجزائرية التي ضمت القصور وهي سبعة أقاليم كبرى هي: وادي ريغ، الزاب، الساورة، توات، وادي مية، الشبكة، وقصر المنيعه وقد أخذناه كحالة منفردة وهذا لسبب بسيط هو موقعه الجغرافي الذي جعل منه قصرا مستقلا رغم العلاقات التاريخية والحضارية

1. Commandant Godard ; **L'Oasis moderne, essai d'urbanisme saharien**, la maison des livres, Alger, 1954, p: 31.

مع مزاب وتوات ووادي مية، وهنا نشير إلى تجاوز كل من منطقة الهقار ووادي سوف كونهما حالتان خاصتان لم تعرفا ظاهرة القصور الصحراوية.

1. إقليم وادي ريغ:

يقع وادي ريغ في الشمال الشرقي للصحراء الجزائرية (الشكل رقم: 1 و 2) في منخفض مستطيل الشكل بطول حوالي 160 كلم وبعرض يتراوح بين 10 إلى 40 كلم، ومساحة تقارب 6400 كلم²، حيث يضم دائرتي جامعة والمغير التابعتين لولاية الوادي ودوائر تقرت وتيماسين التابعتين لولاية ورقلة، ويشمل مدنا وقرى كثيرة منها ما اندثر والكثير ما زال قائمًا*، ونجد في المنطقة الشمالية أولها قرب أم الطيور (عين الصفراء)، وآخره من الناحية الجنوبية قرية قوق إقليم وادي أريغ الزاب الصغير، تمتد على طول الوادي كأنها سبحة مؤلفة من 47 واحة عاصمتها توقرت⁽¹⁾، كما كانت عاصمة لبني جلاب⁽²⁾، والزاب هو منطقة الرمال والواحات الواقعة جنوب الأوراس وكانت الحضنة تابعة له في عهد أمراء العرب، وأما وادي ريغ فهو واد ينساب تحت الأرض وهو مصدر المياه والينابيع التي تسقى بها الفلاحة والنخيل.

يعتبر إقليم وادي ريغ منذ أمد بعيد نقطة عبور للتجارة التي تمثل امتداد للطريق التجاري الروماني الذي يربط الدول المتوسطية بالجنوب، كما يعد مركزا للإشعاع الثقافي الإسلامي، وعرف هذا الإقليم إلى جانب ذلك عمارة محلية متميزة تمثلت في تأسيس القصور كقصر تمرنة القديمة، تماسين...، بالإضافة إلى ذلك تميزت قصور وادي ريغ من حيث التخطيط العام بشكلها الشبه دائري والذي يكاد يكون السمة السائدة لها ومما زاد في تحديد هذا الشكل استمرار وجود بساتين النخيل التي تحيط بها⁽³⁾، وقد أنشأت هذه القصور على مرتفعات صخرية وهذا ليس من أجل الحماية فقط ضد العدو، ولكن من أجل أن تتجاوب مع منطلق خاص والذي تتميز به قصور

* نذكر من هذه القصور على سبيل المثال: أنسيت، دندوقت، ماريزو، فطناست، تندلالت، تمرنت، برنوبه، توغلانت، سيدي يحي، توجين، آسيفات، برام، قداين، غانيمو، تالت، تبسبست، تميدونت، تقرت، تماسين، تنسلي، أجلو الغربي، وغلانة، جغرف وغيرها.

1. Chaouche Ben cherif ; **Tougourt ou la dynamique d'une ville aux sept Ksour**, Science et technologie D- N° 28, Décembre 2008, p: 11.

2. عبد القادر موهوي، ومضات تاريخية واجتماعية: لمدن وادي ريغ وميزاب وورقلة والطيبات والعلية والحجيرات، دار البصائر، الجزائر، 2001، ص:64.

3. جمال قسوم، الطراز المعماري لقصور وادي ريغ، الملتقى الوطني الأول حول التراث الثقافي حفظ المعالم والقطاعات المحفوظة، مديرية الثقافة لولاية الوادي، ط. 1، مزار للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي، 2008، ص:57.

وادي ريغ فقط والتي تعتمد على الماء كعنصر أول في تشكيل هذا الفضاء القصورى، حيث أن الماء في الصحراء من العناصر المقدسة لكونه يأتي به من مناطق بعيدة من الطبقات الجوفية عن طريق ممرات تحت أرضية تسمى القلته إلى غاية منحدر يختار بدقة لتسهيل التدفق⁽¹⁾.

كما تتميز هذه الفضاءات القصورية باستعمال الإنسان لعناصر بسيطة (نباتية أو أرضية)، حيث خلق منذ عهود مبدأه في البناء وحل المشاكل بيده بإبداع دون الاهتمام بالجمال في المظهر (البحث عن أكبر كم من التوافق بين المعطيات الثابتة - الطبيعة والمناخ - وشروط الحياة المناسبة).

2. إقليم الزاب:

كان يطلق اسم الزاب على منطقة واسعة، حيث كانت تشمل سهول الحضنة ومدنها الواقعة عند السفوح الجنوبية للأطلس، وهي مقرة وطبنة، ولكنه يطلق الآن على امتداد غير فسيح عند سفوح الجبال الفاصلة بين سهول الحضنة والصحراء (الشكل رقم: 1 و 2)، وقاعدة الزاب هي مدينة بسكرة، ويذكر هذا الإقليم مرمول حيث يقول: "يبتدئ هذا الإقليم غربا بتخوم صحراء مسيلة التي يجوبها أعراب أقوياء، وتحده شمالا جبال بجاية، وغربا، إقليم بلاد الجريد التابعة لمملكة تونس، وجنوبا، يتاخم الصحاري التي تمر بها الطريق الكبرى الرابطة بين تقرت وورغلة، كانت عاصمة الإقليم تسمى المزاب، التي بناها العرب، وجعلها عرب آخرون حصيدا بسبب الخلافات الدينية"⁽²⁾.

يقسم الزاب إلى ثلاث مناطق متميزة ولكنها متصلة: الزاب الظهر اوي وهي المنطقة التي تقع فيها طولقة، ليشانة، بوشقرون وفوغالة، وكلها تعتمد على النخيل وتنتج أجود أنواع التمور، وتروي أراضيها آبار إرتوازية، ومنطقة الزاب الغربي، ومن أهم قراها: ليوة، الصحيرة، المخادمة، وبنطوس وأوماش، وهي أيضا تعتمد على زراعة النخيل والآبار الإرتوازية، وأخيرا الزاب الشرقي، وأهم قراه: سيدي عقبة، حيث يوجد مسجد سيدي عقبة وقبره، والدروع وسيدي خالد، وهذه المنطقة تروى بمياه الأنهار التي تنحدر من جبال أوراس.

1. تالوين رفيق، التراث المعماري في وادي ريغ - قصر تمرنة القديمة نموذجاً، الملتقى الوطني الأول حول التراث الثقافي حفظ المعالم والقطاعات المحفوظة، مديرية الثقافة لولاية الوادي، ط. 1، مزار للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي،

2008، ص: 35.

2. مارمول كرنجال، إفريقيا، تر. محمد حجي وآخرون، ج. 3، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار نشر المعرفة، الرباط، 1989-1988، ص: 167.

تعد القرى السابقة الذكر أشهر ما بالزاب، لكن عمران هذه المنطقة كان أوسع كثيرا في العصر القديم، حيث يذكر ابن خلدون 100 قرية وكل منها تحمل اسم الزاب، فيقال زاب طولقة أو زاب بسكرة، كما ذكر الوزان 25 مدينة، بالإضافة إلى عدد من القرى⁽¹⁾.
تقع عاصمة الإقليم بسكرة على خط طول $42^{\circ} 5'$ شرق خط غرينيتش، ودائرة عرض $27^{\circ} 39'$ شمالا، وهي في الأصل مدينة رومانية قديمة هي فيسيرا. *Vescera*، كما وصفها البكري بأنها كورة⁽²⁾.

3. إقليم الساورة وتوات:

تعتبر حمادة تندوف وكذا عرق الشاش مساحات خالية، في حين تتمركز بينهما وبين العرق الكبير الغربي رواق طويل على مسافة 600 كلم يمتاز بالحياة، حيث تتوزع على طول مئة الواحات، ويعبر على امتدادها الطريق الوطني رقم 6 الممتد من بشار إلى رقان، وما يدعم وجود هذا الرواق الوادي الممتد في منطقة الساورة والذي يعد الأهم في الصحراء الجزائرية (الشكل رقم: 1 و 2)، حيث يتغذى من الأطلس المغربي والأطلس الصحراوي، وجريانه يصل حتى "فم الخنق" على بعد 550 كلم من هنا، وعلى امتداد هذا الرواق نميز وجود اقليمين هامين أحدهما في الشمال يسمى إقليم الساورة وآخر في الجنوب يسمى إقليم توات.

أخذ إقليم "الساورة" تسميته من واد الساورة الذي سبق وأشرنا إليه وهي مساحة جغرافية تضم عددا لا بأس به من القصور على رأسها قصر تاغيت الأثري والذي يقع على بعد 100 كلم جنوب شرق بشار عاصمة الإقليم على حافة وادي زوسفانة وأسفل العرق، وقصر القنادسة الواقع غربها على مسافة 17 كلم، إلى جانب قصر بني عباس الذي يعد نقطة عبور تجارية هامة والتي تبعد عن بشار هي الأخرى بمسافة 220 كلم.

اعتمدت تسمية "توات" للتعبير عن الإطار الجغرافي الذي يضم المقاطعات الثلاث، توات التي تسمى حاليا أدرار، القورارة التي تسمى حاليا تيميون، وتيدكلت التي تضم عين صالح وما حولها وأولف أقبلي، وهي تعني بالبربرية كف اليد أو اليد المفتوحة⁽³⁾ أي راحة اليد (الشكل

1. إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص: 142-143.

2. نفسه، ص: 147.

للمزيد ينظر: مارمول كرنجال، المرجع السابق، ص: 168.

3. عبد المجيد قدي، صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة، الجزائر، ص: 20.

رقم: 1 و 2)، وتجدر الإشارة إلى أن هناك خلاف بين المؤرخين في تحديد هذه المنطقة، فالكثير منهم استشكل عليهم أمرها وتحديدها، فذهب بعضهم إلى جعلها من منطقة تيلكوزة بداية ومنتهى أمرها بفقارة الزوا، وفي هذا لتحديد مدخل منطقة تيديكلت وتيكورارين، وفي نفس الوقت نرى تحديداً آخر ذكره العلامة الرحالة محمد بن أحمد القيسي السراج فقد أزال منطقة تيديكلت وجعل رقان آخر نقطة لها من جهة الجنوب، وبالتالي فتوات من الناحية الجغرافية بداية حدودها من قصر عريان الرأس بتسايت شمالاً إلى زاوية الرقاني جنوباً⁽¹⁾.

يقع الإقليم جميعه ضمن المناطق الجنوبية للصحراء الجزائرية، حيث يبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 1240 كلم، ويضم عدداً من الواحات والقصور والتي تزيد عن 350 واحة متناثرة بين الرمال، كما أن مساحته تبلغ حوالي 5180 كلم²، حيث يحده من الشمال العرق الغربي الكبير ووادي مقيدن، ومن الجنوب صحراء تزروفت، وكذلك وادي قاريت، وجبال مويدير، كما يحده من الغرب وادي الساورة وروافد وادي مسعود، أما فلكياً فنجده يقع بين دائرتي عرض 26° و 30° شمالاً، وخطي طول 40 غرباً و 1 شرقاً⁽²⁾.

تكون هذه المناطق مجتمعة بالإضافة إلى تزروفت الحدود الإدارية لولاية أدرار، حيث نجد فيها القصور موزعة على 28 مقاطعة، وتكون في الغالب مقاطعات المنطقة الواحدة متقاربة ولا تبعد عن بعضها البعض سوى بمسافة تتراوح بين 20 إلى 30 كلم⁽³⁾، وتمتد هذه القصور من الشمال إلى الجنوب بمحاذاة الوديان القديمة كواادي الساورة، وادي مسعود، والسبخات الواسعة كسبخة تيميمون.

تحتل منطقة توات الصدارة من حيث الأهمية مقارنة بغيرها، فهي قلب الإقليم ومركز نشاطه، وتضم 10 مقاطعات تمتد من الشمال إلى الجنوب بمحاذاة وادي مسعود، وأسماء هذه المقاطعات هي تمي، وتمنيط، وبوفادي (أولاد الحاج)، وتسفاوت (واحات فنوفيل)، وتامست، وأولاد سي حمو بالحاج (زاوية كنته)، وانزجير، (توات الحنة)، وسالي، ورقان، حيث تبرز

1. عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ط. 1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2005، ص: 16.

2. نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية بإقليم توات "القصر أمودجا"، دورية كان التاريخية، ع. 15، مارس 2012، ص: 123.

www.kanhistorique.org

3. فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، أطروحة دكتوراه الدور الثالث في التاريخ، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 1977، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص: 20.

مقاطعتنا تمنظيط وتمي من حيث الأهمية، حيث تقع في الأولى مدينة تمنظيط التي حملت المقاطعة اسمها، والتي هي مركز رئاسة الإقليم ومقرا لقاضي الجماعة التواتية قبل انتقال الزعامة إلى مقاطعة تمي فأصبحت مدينة أدرار أكبر مدن المقاطعة عاصمة للإقليم بداية من القرن 18م⁽¹⁾.

تأتي منطقة القورارة في المركز الثاني من حيث الأهمية وهي أقل من المنطقة الأولى سكانا وعمرانا وإنتاجا، وتمثل الجناح الشمالي للإقليم، وتقع مدنها وقصورها فوق هضبة مقيدن والتي تقدر مساحتها بحوالي 500 كلم²، ويحدها من الشمال العرق الغربي الكبير، ومن الجنوب سفح هضبة تادميت الشمالي، وينتهي بها وادي مقيدن مكونا سبخة كبيرة تعرف باسم "سبخة قورارة"، وهذا الوادي يصب مياهه الجوفية في المنطقة فيغذي طبقاتها الجوفية.

تمتد مقاطعات المنطقة الإثنتي عشرة من الشرق إلى الغرب وهي تينركوك، أوقروت، الجريفات، تميمون، زوا الدلدول، أولاد سعيد، الحيمة، أغنات، شروين، الدغامشة، تساييت، السبع، وتأتي مقاطعة تميمون في مقدمة هذه المقاطعات من حيث النشاط الاقتصادي والتقدم العمراني والتوزع السكاني وهي من أقدم المدن التواتية، كما أن هذه المقاطعة تتميز بكثرة قصورها⁽²⁾.

تشكل منطقة تيديكلت من 6 مقاطعات لتؤلف مجتمعة الجناح الأيمن للإقليم وهي كالاتي من الشرق إلى الغرب فقارة الزاوية ومجموعة أقسطن، وعين صالح، وعين رار، وتيط، وقبلي وأولف، وهي ثالث المناطق التواتية، وعلى الرغم من مياهها الجوفية فإن سكانها لم يهتموا بالزراعة بقدر اهتمامهم بالتجارة ورعي الإبل، فهي تمثل بموقعها المتقدم في قلب الصحراء نقطة التقاء وتجمع للقوافل العابرة للصحراء⁽³⁾.

4. قصر المنيعية:

يقع قصر المنيعية (الشكل رقم: 1 و2) فلكيا بين دائرتي عرض 30° و32° شمالاً، وبين خطي طول 0° و2° شرقاً، ويبلغ ارتفاعها 399م عن سطح البحر، أما جغرافيا فمدينة المنيعية تقع على بعد 270 كلم جنوب غرداية مقر الولاية، كما تبعد عن العاصمة بحوالي 870 كلم جنوباً، فهي تحتل المحور الرابط بين الجزائر العاصمة ومدينة تمنراست حيث يعبرها الطريق الوطني

1. فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص: 21.

2. نفسه، ص: 22-23.

3. نفسه، ص: 23-24.

رقم 1، وبالنسبة لحدود بلدية المنيعة فنجد بلدية حاسي الفحل شمالا، أما من الجنوب بلدية حاسي القارة، وشرقا ولاية ورقلة، ومن الجهة الغربية ولاية أدرار، بالنسبة للقصر القديم فهو يقع في الجهة الشرقية لبلدية المنيعة في ناحية لماضي حيث يبعد عن وسط المدينة بحوالي 1 كلم، وهو يعلو جبل ذو شكل هرمي ناقص وقمة مستوية ويقدر ارتفاعه بحوالي 75م عن مستوى سطح وادي أمقيدان المار بمحاذاة القصر من الجهة الشرقية⁽¹⁾.

بالنسبة للطرق نجد أن القصر يشرف على الواحة وعلى جميع المسالك المؤدية للمناطق المجاورة فمن الشمال نجد طريق إلى وادي مزاب، أما جنوبا طريق آخر إلى تيديكلت والحقار، وثالث مؤدي إلى وادي ريغ في الجهة الشرقية، كما أن في الجهة الغربية طريق رابع يؤدي إلى توات وفورارة⁽²⁾.

5. إقليم وادي مية:

يضم هذا الإقليم قصر ورقلة موضوع الدراسة وقصور أخرى متناثرة هنا وهناك، وهو إقليم لا يبعد كثيرا عن إقليم وادي ريغ ولكنه مستقل عنه (الشكل رقم: 1 و2)، وبالرغم من ذلك يعتبران امتداد لبعضهما، وهو عبارة عن سطح ينحدر من الغرب إلى الشرق مما جعل بعض الأودية تتجه باتجاه هذا الانحدار ومثل ذلك نجد وادي مزاب، وكذا وادي النسا، كما أن الانحدار في نقاط أخرى يتجه من الجنوب إلى الشمال الأمر الذي حدد اتجاه واد مية، لتلتقي هذه الأودية في مصب سبخة السفيون التي لها مستوى سطح يصل إلى 101م عن سطح البحر، ويعد واد مية من الأودية الميتة⁽³⁾، ومنه أخذ الإقليم تسميته التي عرف بها عند الباحثين، وبالمنطقة تنتشر بعض القصور ذات الأهمية التاريخية والمعمارية، ومن بين أهم هذه القصور لدينا قصر ورقلة الذي يعد إلى جانب كونه قصر من بين قصور الإقليم عاصمته الأكثر أهمية بالنظر إلى الدور الذي لعبه على مر العصور، ويقع هذا القصر فلكيا على خط طول $5^{\circ} 15'$ شرقا وخط عرض $31^{\circ} 58'$ شمالا، وهناك أيضا قصر سيدي خويلد الذي يبعد عن قصر ورقلة مسافة 10 كلم، وبها قصران، والذي بني قصره الحالي على أنقاض آخر أقدم منه، وهناك أيضا قصر نفوسة ويبعد بحوالي 20 كلم شمال

1. ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، ملف تصنيف قصر المنيعة ضمن المعالم التاريخية، أرشيف الديوان، جوان 1994، ص:6.

2. نفسه، ص:6.

3. Coudreau ; Le pays d'Ouargla et le peuple de l'Afrique, Hartman, Paris, 1881, p: 2.

عاصمة الإقليم، إلى جانب قصر الحجيرة، قصر بغداد، وهي جميعا متباعدة عن بعضها البعض، ولكن تنتشر من حول قصر ورقلة⁽¹⁾.

نشير إلى قصر سدراتة أو كما يسميها البعض مدينة سدراته*، وهو موقع أثري يقع على مسافة 14 كلم جنوب غرب قصر ورقلة، ولكن في كل الأحوال هو موقع أثري يحمل من الأسرار والمعلومات ما يفوق عدد الحجارة التي بنيت به، فبالرغم من الحفريات التي أجريت عليه ما يزال يحتاج إلى المزيد من العمل المستمر، وربما سيكشف أسراره يوما.

6. إقليم وادي مزاب:

يقع هذا الإقليم شمال الصحراء الجزائرية جنوب العاصمة على مسافة تقارب 550 كلم (الشكل رقم: 1 و 2)، وبها يوجد سهل وادي مزاب، والشبكة تلك المساحة المحصورة بين خطي العرض 32° و $20^{\circ}33'$ شمالا، وخطي الطول $4^{\circ}0'$ و $30^{\circ}2'$ شرقا، على مساحة قدرها 8000 كلم²⁽²⁾، ونجد أن هذا الإقليم يقع على الهضبة الكريتاسية. *Plateau crétacé* من الجير الصلب للعصر التوروني- *Turonien*، والتي حفرت بها أحاديث في كل الاتجاهات بفضل الحث النهري لبداية الزمن الرابع. *Quaternaire*، حيث شقت شبكة معقدة من الأودية ومنها جاء اشتقاق تسمية "الشبكة"، ومن هذه الأودية لدينا وادي مزاب المتجه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، وأكثر ما يميّز هذه الأودية جفافها، ولكن تتسرّب المياه إلى الطبقة الجوفية. *Nappe phréatique* أثناء جريان الوديان على عمق 40 إلى 70 م⁽³⁾، وهي الجيولوجيا التي حدّدت شكل العمران والتوسّع وكذا أماكن الفلاحة، وحددت انتشار القصور بالمنطقة.

يضم إقليم وادي مزاب عددا مهما من القصور، حيث هناك قصور وادي مزاب الخمسة محل الدراسة وهي: غرداية (عاصمة وادي مزاب)، وبنورة، وبني يزقن، والعطف، ومليكة، إلى جانب قصور كل من بريان على بعد 40 كلم شمال غرداية، والقرارة على بعد 85 كلم شمال شرق

1. عبد الكريم عزوق، دراسة نموذجية لبعض المباني بقصر ورقلة، آثار: مجلة علمية تعنى بالآثار والتراث، ع. 6، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007، ص: 109.

* سدراته: يحمل هذا الإسم فرع من فروع قبيلة زناته البربرية، المشهورة بتنقلاتها بين عدة مناطق في المغرب، لذلك نجد اسمها في كل جبل نفوسة (جنوب طرابلس الغرب اليوم) وشرق الجزائر (بولاية سوق أهراس اليوم) و ورقلة.

2. Marcel Mercier; **La civilisation Urbaine au M'Zab. Ghardaïa la mystérieuse.** Editions P et G. SOU BIRON. Alger. 1932. p: 30.

3. Pierre Donnadiou et autres; **Habiter le désert. Les Maisons Mozabites.** Recherches sur un type d'architecture traditionnelle présaharienne: Architecture + Recherches / Edition Pierre Mardaga, Bruxelles. 1977, p: 24.

غرداية⁽¹⁾، ومثلي الشعانبة جنوب غرداية، كما أن هناك قرى وقصور لم يبق إلا آثارها كما هو الحال مع آغرم نتلضيت، آغرم أولوال، قصر بابا السعد، وغيرها من القصور المنتشرة هنا وهناك.

المبحث الثالث: تعريف القصر (القصر)

تعد القصور ظاهرة معمارية فريدة يتميز بها الجنوب الجزائري وهي رموز ومعالم حضارية هامة جدا تترجم بعمق تاريخ مناطق برهنت عبر القرون على مدى قدرة الإنسان على التأقلم، وقد عرفت هذه المعالم تطورات عديدة منذ العصر القديم ومازالت إلى يومنا هذا، ولكن لها ليست معزولة عن تقاليد معمارية انتشرت في منطقة المغرب العربي في أجمل صور من الإبداع الهندسي البربري ابتداء من الأراضي الليبية المتاخمة عبر مسالك جبل نفوسة، مارة بغريان فيفرن، فجادو، فكابو، فنالوت فمطماطة ثم تتجه غربا نحو منطقة وادي سوف ووادي ريغ ووادي مية ثم نحو منطقة سهل ميزاب، ومنها يتواصل هذا الخط باتجاه المنطقة الجنوبية من سلسلة الأطلس المغربية⁽²⁾، وأكثر من ذلك يمكن القول أنها ظاهرة ميزت كامل شمال إفريقيا، ففي مصر كثيرا ما يسمع كلمة قصر في الصحراء الغربية تطلق على أماكن وبلدان متعددة، في جهات مختلفة فالقصر بالداخلة، والقصر بالخارجة، وقصر الغويطة، وقصر زيان، والقصر بالبحرية، وقصر الفرافرة، والقصر بمرسى مطروح وقصر الروم في واحة سيوة⁽³⁾، كما لا يمكن إغفال صحراء موريتانيا التي أسست بها هي الأخرى قصورا على درجة كبيرة من الأهمية، وعلى سبيل المثال لدينا قصور ولاته وودان وتيشيت وشنقيط، والتي تعد الجيل الثاني لمحطات القوافل كونها أسست ما بين القرنين 12م و13م بعد اندثرت مدن الجيل الأول مثل أودغست وغانه وأزوكي⁽⁴⁾.

1. Brahim Benyoucef; **Le M'Zab, espace et société**, Imprimerie Abou Daoud, Alger, 1991, p:8.

2. جمال قسوم، المرجع السابق، ص: 57.

3. عبد اللطيف واكد، حسن مرعي، واحات مصر جزر الرحمة وجنات الصحراء ، ط. 1، دار الطباعة الحديثة، 1957، ص: 240.

4. أحمد مولود ولد أيده، الصحراء الكبرى مدن وقصور، ج. 1، طبع هذا الكتاب بدعم وزارة الثقافة الجزائرية في إطار المهرجان الإفريقي الثاني، 2009، ص: 153.

1. التعريف اللغوي:

القَصْرُ جمعها قُصُور من البناء معروف، وقال اللحياني: هو المنزل، وقيل: كل بيت من حَجَرٍ، قُرَشِيَّةٌ، سمي بذلك لأنه تُقَصَّرُ فيه الحُرْمُ أي تُحْبَسُ، وجمعه قُصُور، وفي التتريل الحكيم: وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا.

والمَقْصُورَة: الدار الواسعة المحصنة، وقيل: هي أصغر من الدار، وهو من ذلك أيضا.

ويقول أيضا: إذا كانت دار واسعة مُحَصَّنَة الحيطان فكل ناحية منها على حِيالِها مَقْصُورَة، وجمعها مَقاصِرُ، وقُصارةُ الدار: مقصورة منها لا يدخلها غير صاحب الدار ... والقَصْرُ من البناء، وقيل القَصْرُ هنا الحطب الجزل، حكاه اللحياني عن الحسن ⁽¹⁾، وهي تعني ما شيد من المنازل وعلا، وبصيغة أخرى كل بناية فخمة واسعة ⁽²⁾، وفي القاموس المحيط القَصْرُ: خلاف المد، واختلاط الظلام، والحَبْسُ، والحَطْبُ الجزل، والمنزل، أو كل بَيْتٍ من حَجَرٍ، وَعَلَمٌ لسَبْعَةِ وخَمْسِينَ مَوْضِعًا، ما بين مدينة وقرية وحصن ودار، أعجبها قصر بَهْرَامِ جُورَ من حَجَرٍ واحد قرب همدان ⁽³⁾، ويذكر الكفوي أن القصر لغة هو مصدر قصرت، بمعنى منعت، ومنه " وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ " ⁽⁴⁾، أو بمعنى حبست، ومنه " حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ " ⁽⁵⁾، وسمي البيت المنيف قصرا لقصصور الناس عن الارتقاء إليه، أو العامة عن بناء مثله، أو لاقتصاره على بقعة من الأرض بخلاف بيت الشعر والعمد، أو يقصر من فيه، أي يجبس ⁽⁶⁾.

2. التعريف الاصطلاحي:

قصر جمعها قصور واستعملت بصيغتها العربية في اللغة الفرنسية كما في الجمع والمفرد (Ksar/ ksours) ⁽⁷⁾، وهناك من ينطقها قصر وقصور (Gasr/Gsour) بل هناك من يسميها

1. ابن منظور، المصدر السابق، مج. 5، ص: 102، 100.

2. المنجد في اللغة والأعلام، ط 21، دار المشرق، بيروت، 1986، ص: 633.

3. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، رت. و. واث. خليل مأمون شبيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2009، ص: 1062.

4. سورة: الصافات - الآية: 48.

5. سورة: الرحمن - الآية: 72.

6. أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، المصدر السابق، ص: 603.

7. Sariane Mounir, Beztout Mohamed; Les Ksour, p: 1.

http://www.algeria.strabon.org/portal/article.php?id_article=16

أيضا قلع (Kelaa)⁽¹⁾، وقد غلب على تسمية مدن الصحراء والواحات اسم القصر، وهو لفظ شائع عند الصحراويين الذين يسبقون أسماء مدنها بالقصر⁽²⁾، كما أن هذه التسمية شملت عددا من المدن والقرى الواقعة بالأطلس الصحراوي مثل قصر البخاري، قصر الشارف، قصر بريزينة وغيرها كثير، بل هناك قرى في منطقة القبائل تسمى هي الأخرى بهذه التسمية، وبذلك تكون هذه التسمية غير مقتصرة على منطقة الصحراء، بل أغلب مدن شمال إفريقيا بما فيها تونس والمغرب ومصر وموريتانيا كما سبق ورأينا، حتى أن هناك من القصور ما جاور الساحل مثل مهدية، واللوزة، وقصر زياد، ومونستير وكذا هرقلية، وسوس بالساحل التونسي، ومنها ما بني على مواقع تعود لفترات قديمة مثل سوس، لبتييس مينور. *Lebtis Minor*، تابسوس. *Thapsus*، قومي. *Gummi*، سوليكتوم. *Sullectum*، بوتريا. *Botria*، وواحد منها فقط يعود للفترة البيزنطية يسمى كابوت فادا. *Caput Vada*، كما أن كلمة قصر لها مفهوم عام يطلق على التحصينات الكبيرة التي كانت بمثابة أرباض. *Faubourg* فرعية⁽³⁾، وبالتالي نجد أن هذه التسمية التسمية تمثل تراثا معماريا شاع في ما لا يقل عن التسعة بلدان بالمنطقة⁽⁴⁾، حيث تقترن فيها هذه التسمية بقرى محصنة أو حتى من دون تحصين.

تعني كلمة القصر موقع محصن⁽⁵⁾، ويعرف القصر على أنه قلعة بناها البربر للاحتماء بداخلها من هجمات المقاتلين⁽⁶⁾، وهي نموذج لنوع من التجمعات السكانية في المناطق الصحراوية، والقصر هو مؤسسة إنسانية متلاحمة، كثيفة، ومرتفعة (المسكن مؤلف من طابق أرضي وطابقين)، وهو ذو شكل مربع أو مستطيل وهو مغلق بواسطة سور متواصل ومصمت مزود بأبراج ركنية *Tours d'angle*، ومزود بمدخل وحيد والذي من خلاله تتحدد جميع

1. Jean-Loïc Le Quellec; **Maison du Sahara, Habiter le désert**, Edition hazan, Paris, 2006, p:50.

2. محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة الأثرية - دراسة معمارية أثرية، دار الحكمة، طبعة في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص: 17.

3. Muhammad Hassen ; **Les Ribat du Sahel d'Ifrigiya, peuplement et évolution du territoire au moyen âge**, CASTRUM 7, Colloque international: Zones côtières littorales dans monde Méditerranéen au moyen âge : défense, peuplement, mise en valeur, Rome, 23-26 octobre 1996, pp: 150, 153.

4. Sariane Mounir, Beztout Mohamed ; Op. Cit. p: 1.

5. Chaouche-Bencherif Meriama ; **la micro- Urbanisation et ville Oasis...**; p: 99.

6. Jean-Loïc Le Quellec ; Op. Cit. p: 57.

العلاقات مع الوسط الخارجي⁽¹⁾، ولكن هذا التعريف نجده لا يمثل جميع أنواع القصور بشمال إفريقيا، حيث هناك من يعرفه بأنه مؤسسة فلاحية اجتماعية وعسكرية في ذات الوقت ، حيث يعتبر مخزن أو بالأحرى مجموعة مخازن، حيث يضم عدد من الغرف "غرفة" موزعة على طابق أو عدة طوابق تحيط بفضاء مركزي، بشكل متناظر في الغالب، حيث الجدار الخارجي في بعض الحالات يتجاوز 10م ارتفاع، وهي حاضرة بشكل موحد ومتواصل وتعطي للقصر شكل القلعة⁽²⁾، حيث يعد مخزنا لسكان الجبال وتكون الغرفة فيه ذات شكل نصف أسطواني يجتازها باب، وفي حال كانت المساكن كهفية. *Troglodyte* تكون مشكلة من صفي خلايا تتابع في مغارة واحدة، وكثير من هذه القصور تعود للعصور الوسطى خاصة إلى تاريخين متصلين، الأول في المنتصف الثاني من القرن 11م ونهاية القرن 15م⁽³⁾، وهناك تعريف مفاده أن القصر أو القصر هو تلك المجموعات السكنية التي تشغل أحيانا مساحات صغيرة وأخرى كبيرة وتكون محصنة أو على الأقل تقع فوق أماكن مرتفعة بالإضافة إلى قربها من الأودية والواحات⁽⁴⁾، كما يعطي باحث باحث آخر تعريف يعتمد على شكل القصر في حد ذاته، حيث يذكر أن القصر هو مدينة محصنة وجمعها قصور، واحاتها غالبا ما تكون محاطة بأسوار، وساحاتها تتوفر على مخازن، ومتاجر للقبائل الرحل التي تحتفظ فيها بالحبوب حين يغادرون المكان بحثا عن الكأ⁽⁵⁾، وهذا ينطبق على القصور القصور التي يتخذها أصحابها الرحل كمخازن للمحصول، كما عرفها كابو راي. *Capot-Ray* بأنها مساكن ريفية بالصحراء مشيدة بالحجارة والطين⁽⁶⁾، فيما يرى محمد حسن أنها تطلق على التجمعات السكنية المحصنة في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية، ببلاد المغرب كما ضبط تاريخ ظهورها في العصر الوسيط حيث يشير إلى النصف الثاني من القرن 11م ونهاية القرن 15م⁽⁷⁾.

1. Chorfi Abderrahmane ; **Habitat rurale du Maroc, Morphologie des types d'Habitat et évolution**, Maghreb : Architecture, urbanisme, patrimoine, tradition et modernité, Edition Publisud, Paris, 1991, p: 179.

2. Abdesmad Zaied ; **Le monde des Ksours du Sud Tunisien**, 2ème édition, Centre de Publication Universitaire, 2006, p: 23.

3. Muhammad Hassen ; **Village et habitations en Ifriqiya au Bas Moyen âge. Essai de typologie**, CASTRUM 6, Maisons et espaces domestiques dans le monde méditerranée au moyen âge, Rome, 2000, p: 241.

4. Despois J. ; **Le Djbel Amour**, Presses Universitaires de France, Paris, 1957, p: 25.

5. Colomieu V. ; **Voyage dans le Sahara Algérien de Géryville à Ouargla**, le Tour du Monde, 1863, p: 162.

6. أحمد مولود ولد أيده، المرجع السابق، ص: 153.

7. Muhammad Hassen ; Op. Cit. , p: 241.

كان القصر فضاء لتلاقي جنسين *Ethnies* هما العرب والبربر، حيث يعتبران عنصرًا هامًا في فهم عالم القصور، فالبربر يعتمدون فلاحة مستقرة مما جعلهم يصبحون سكان للجبال *Montagnard*، أما العرب فيما أنهم رعاة بدو سكنوا السهول *Plaine*، وهذا الوضع ترسخ بعد الغزو الهلالي حيث اضطر البربر إلى هجر عدد من القصور وتحصنوا بالجبال، ويمكن ترميز القصور إلى الأنواع التالية: قصر في السهل وقصر الجبل، في الساحل *littoral* أو في البرية *Continental*، وهناك قصر الرباط، وقصر خزن المحصول، وقصر القرية، والنقطة المشتركة بينها جميعًا وجود تحصين يستغل في حماية القصور من البدو أو الهجمات البحرية (1) وهذه الأخيرة في الساحل التونسي كما سبق وأشرنا.

وعليه يمكن اعتبار القصر مدينة صحراوية مثل ما ذهب إليه غوتيه في كتابه الصحراء، حيث يذكر أن القصر لا يمكن اعتباره قرية بل مدينة مبنية بالطوب (2)، في حين هناك من يرى أنها لا ترقى إلى المدينة وتعقيدها، حيث ترتب من حيث الأهمية العمرانية والوظائف في درجة أقل من المدينة التاريخية (3)، بل هناك من يستشف من كلامه أن القصر أقل من القرية مثل ما ذهب إليه الإدريسي في حديثه عن إحدى القرى المغربية بقوله: "قرية صغيرة ذات قصور متفرقة" (4)، فهي على نمط الحصون والقلاع والربط وما إلى ذلك من القرى المتناسكة بالقرابة في النسل والملة والعقيدة وكذا في التوجه الاقتصادي والاجتماعي، وهو عند أهل بلاد المغرب مرتبط بتكوين المدينة والقرية برمتها، تحتوي على كل العناصر المدنية والحضرية، إذ يقصد بالقصر الهيكل العمراني لمجموعة من الناس في موقع وموضع يتوفران على متطلبات تلك الفئة البشرية المتجانسة المترابطة في الدم والعقيدة والثقافة حيث اجتمعت حول موارد أساسية، للقيام بمهمة حضارية متبادلة بين أجناس ليس بالضرورة أن يكونوا من نفس طينتهم، ولكن لتوسيع الأمر النفعي الشامل لحياة كلا الطرفين (5)، وهو الأمر الذي يفسر ربما استعمال مصطلح قصر دون غيره من التسميات التسميات للتعبير عن اقتصار هذا النوع من التجمعات على أناس دون سواهم.

1. Abdesmad Zaied ; Op. Cit. pp: 9,24,242.

2. Gautier E. F ; **Le Sahara**, Payot, Paris, 1923, p: 174.

3. Abdlekader Khelifa ; **Villes du Sahara d'Algérie en Mutations « Ksars d'hier, villes d'aujourd'hui »**, Penser la ville- approches comparatives, Khanchela, Algérie, p: 1.

4. أحمد مولود ولد أيده، المرجع السابق، ص: 156.

للمزيد ينظر: الإدريسي الشريف، نزهة المشتاق، نابولي، روما، 1971، ص: 109.

5. محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص: 19-20.

هناك مصطلح آخر ذو أصل أمازيغي هو **أغرم** وهو واسع الانتشار إذ نجد استعماله في مجال جغرافي يشمل مناطق تمتد جنوب الأطلس الكبير والجنوب الشرقي إلى الريف وإذا كان استعماله عند بعض القبائل يتخذ صيغة المؤنث **تيفرمت**، ليطلق عندئذ على المنزل الكبير ذي الغرف المتعددة، المتكون أحيانا من عدة طبقات يخصص بعضها لحزن المواد، أما صيغة المذكر **أغرم** فيحيط معناه الشاسع بالقرية المحصنة التي يطلق عليها اسم القصر المنتشرة خاصة على طول أودية درعة، تودغة، غريس، دادس... وتمتاز هذه التجمعات ببنائها المتراص المتجمع المحصن بسور أو سورين لا يفتحهما على الخارج سوى باب رئيسي كبير يقوم بحراسته حارس دائم، ومن أشهر القرى التي بقي مصطلح **إغرم** عالقا بها قرية " **أغرم أمزاد**" بقبائل آيت عطا بصاغرو وإغرم العلام بناحية بني ملال⁽¹⁾، إذا ف**أغرم** هو مخزن للغلال أو يمكن أن نسميه هري محصن. *Greniers* في الغالب يطلق عليه اسم **أغادير** في المغرب، وأحيانا اسم **قلع بالجزائر**، بالأوراس، وفي الغالب تعرف بالاسم الشائع **قصر/قصور** باللغة الفرنسية⁽²⁾.

تعني كلمة **تيلغمت** في الصحراء الجزائرية المدينة، كما استعملت تسمية **أغم** في سبخة تيميمون، قصر تيميمون، في توات، وفي تيديكلت، وتاغوزي، وفي الساورة عدد من القرى المندثرة تسمى **إغامآوان** والتي سجلت وجود أبراج دفاعية بها، حيث أنها تميل إلى مواصفات القلعة، فحجمها وشكلها عناصر تدفع الأعداء، وتمثل للسكان مأوى اضطراري ضد عوامل الطبيعة المفرطة في الصيف كما في الشتاء، وإذا كان **الأغم**. *Aghem* منهار أو مسكون كما هو الحال في أولاد سعيد، أو كالي وغيرهما، هناك في بعض الأحيان نجدها قدر اندثرت تماما في المحيط العمراني للقصر، حيث لم يبق سوى التسمية، ولقد استقبل الإباضية النازحين من ورجلان صوب وادي مزاب أناس يسكنون قرى تسمى **أغم**⁽³⁾ مثل ما هو الحال عليه في **أغرم**^(*) نزلضيت وأغرم أولوال وغيرها من القرى التي زالت.

يذكر البكري في وصفه لورجلان ما نصه: "...فإن أردت من تادمكة إلى القيروان فإنك تسير في الصحراء خمسين يوما إلى وارجلان وهي **سبعة حصون للبرابر أكبرها يسمى أغرم أن**

1. إغرم أقصر آيت عمر أبراهيم...تنظيم اجتماعي وبنية سكنية أمازيغية، 31يناير 2010 7:50

<http://aytghighuc.maktoobblog.com>

2. Jean-Loïc Le Quellec ; Op. Cit. p: 50.

3. Mahrour Kaci ; « L'Aghem, Ighamawen »ag « Tilghemt »i «Tamezgha », Colloque Nationale : La permanence de l'architecture Amazighe et l'évolution des cites en Algérie, 21-23 Avril 2003, Ghardaia, pp: 2-3.

*. أغم باللغة الأمازيغية تنطق بمنطقة وادي مزاب أغرم فيقولون أغرم أولوال أو أغرم نزلضيت وهكذا.

يكامي أي حصن العهود، ومنها إلى مدينة قسطلية أربعة عشر يوما ومن قسطلية إلى القيروان سبعة أيام...⁽¹⁾، ومن خلال كلامه يمكن فهم المعنى الصحيح لكلمة أغم أو النطق الصحيح لها أغرم كما يقول البكري المتوفى سنة 487هـ/1094م أي القرن 5هـ/11م، وهو الاسم الشائع حتى يومنا عند سكان مزاب، فهي تعني حصن يتراوح الواحد منها بين الصغير والكبير. يرى رأي آخر أن الإغرم (آغام بالزناتية - جمعها إيغامون) أقدم من القصر وهو مخصص لأفراد عائلة واحدة، وهو عبارة عن بناية محصنة توارثتها أفراد العائلة الواحدة جيل بعد جيل وأسست إلى جوار بساتينها ويقابلها في العريية قصبة*، ويستعمل هذا المسكن المحصن كمخزن لحفظ المؤن من حبوب وتمور، وملجأ في حالة اعتداء خارجي، أما القصر فيعد حديثا نسبيا في تاريخ قورارة، فبعد أن كان المسكن المحصن إغرم متصلا بالفضاء المزروع حسب المأثورات الشعبية فصل بين الإثنين بداية من القرن 16م، عن طريق تجميع مختلف الذريات المشتتة في مكان وحيد ذي وظيفة سكنية بحتة، وهذا لا ينفي وجد مساكن على نمط القصور متصلة بالمزارع مثلما هو الحال في واحة "آت سعيد"، إلا أن تأسيس القصور لدى القورارين ارتبط حسب الموروث الشعبي بمسعى الأولياء الصالحين، وهي نفس الفكرة التي يؤيدها ديتان⁽²⁾ حيث يذكر أن في بداية ظهور المدينة المؤسسة، هناك سلطة شخص وحيد يقوم برسم، وتخطيط، وتنظيم الشكل الأول للجماعة الجديدة، وربما هو أمر يفسر بقاء القرى المندثرة في وادي مزاب تحمل تسمية إغرم كونها اقتصرت على عائلات بعينها فيما مضى، ولتحمل القصور التي جمعت فيما بعد ذريات مختلفة تسمية القصر، وتعتمد نظاما جديدا يرتكز على التحالفات يسمى الصف.

نقف على حقيقة مفادها أن هذه التعريفات اعتمدت على دراسة حالة بعينها ولم تشمل كل القصور المنتشرة عبر شمال إفريقيا لتقف على إجابة شافية وتوحد المفاهيم، الأمر الذي ولد تضاربا في وجهات النظر، كما يمكن القول حسب ما لمسناه من خلال الإطلاع على المصادر القديمة والمراجع الحديثة أنه قد وقع لبس كبير لدى الباحثين في استعمال التسمية الصحيحة، أو بالأحرى الفهم الصحيح لمعنى الكلمة "قصر" أو "قصر" وحتى "أغرم"، فهناك من يرى أن القصر

1. أبي عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص: 182.

*. القصبة هو جوف العمران بالنسبة للقصر هي جوف القصر، وقصبة البلد مدينته، والقصبة أيضا جوف الحصن، والقصبة القرية، وقصبة القرية أو سطها (أنظر لسان العرب ج. 3 ص: 95)

2. رشيد بليل، قصور قورارا وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفهي والمناقب والأخبار المحلية، تر. عبد الحميد بورايو، ع. 3، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، 2008، ص: 40-41.

هو القصبية والرباط فيما تعني جميعها تحصين⁽¹⁾، وما يمكن استنتاجه بهذا الخصوص أن التسمية الأصلية لهذا النوع من المدن الصحراوية بلسان البربر هو أغرم وقصر حتى القرن 11م ودليلنا في ذلك ما ذهب إليه البكري في حديثه عن ورقلة وكذا ما ذهب إليه الشيخ أبي العباس، حتى أننا نجد قصورا ذات غالبية سكانية بربرية ما تزال تحتفظ بتسمية أغرم أو إغرم، مثلما هو الحال في المغرب الأقصى وحتى في توات وبعض القرى المندثرة في مزاب مثل أغرم نزلضيت، وإذا أردنا أن نربط القصر بحدث معين مثل الأمان، فما سر تسمية قصور واحات مصر الغربية بهذه التسمية، هل كانت هي الأخرى غير مستقرة وهل كانت أهلة أم قصور لحزن المحاصيل فقط، إذا يجب دراسة القصور في إطارها الصحيح دون تجزئة وإلا سنصل إلى طريق مسدود، كما أن تأسيس هذه القصور يسبق القرن الحادي عشر بل نؤكد أنها استمرار لتلك التجمعات التي خلفتها مرحلة الجفاف والانتقال إلى التصحر، ولكن يمكن أن تكون تلك التسمية -أي القصر- قد شاع استخدامها أكثر مع مجيء الهلاليين، خاصة وأنهم شغلوا عددا منها بعد ما انسحب منها سكانها كما تشير إلى ذلك المصادر مثل وفيات الأعيان.

يذكر أبو العباس أحمد بن محمد الفرستائي الذي عاش ما بين 420هـ و504هـ في حديثه عن الحرير ما نصه: "وحرير المدينة خمسمائة ذراع، ومنهم من يقول مائتان، ومنهم من يقول أربعون ومنهم من يقول ليس لها حرير، وحرير قصر العامة أربعون ذراعا، ومنهم من يقول عشرون ومنهم من يقول ليس له حرير، وأما قصر الخاص فليس له حرير" ليذكر بعدها: "وأما القرى والمنازل فليس لها حرير، ولا ينعون من أراد، إلا ما يضرُّ بمجازاتهم إلى المرعى والماء وغير ذلك، أو ما يضرُّهم في عمارتهم كلها"⁽²⁾، ويستشف من كلام أبو العباس الذي يعد من علماء النصف الثاني من القرن الخامس هجري أي القرن 11م، وهي الفترة نفسها التي شهدت وفاة البكري صاحب "المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب"، أن كلمة "قصر" كانت موجودة في هذه الحقبة بل أن الشيخ فصل بين القصر والمدينة حيث هو أقل شأن وتعقيدا من المدينة، وتتضح هذه الأهمية من خلال مقياس الحرير لكل واحدة منها، إلى جانب أنه ميز بين القصر والقرية حيث يعتبر

1. Rachide Sidi Boumedine et autres ; **le Sahara, des cultures et des peuples**, vers une stratégie pour un développement durable du tourisme au Sahara dans une perspective de lutte contre la pauvreté, UNESCO, Paris, 2003, p: 15.

2. أبي العباس أحمد الفرستائي، القسمة وأصول الأراضي، تح. محمد صالح ناصر، بكير بن محمد الشيخ بلحاج، ط 2، المطبعة العربية، غرداية، 1997، ص: 539-540.

أن القرية أقل شأن من القصر وهذا أيضا يتضح من خلال ما ذكره الشيخ من أن القرية ليس لها حريم.

إذا فالقصر يقع من حيث الأهمية بين القرية والمدينة، كما أنه فصل بين نوعين من القصور فهناك قصور خاصة وأخرى عامة، حيث تأتي القصور الخاصة في مرتبة واحدة مع القرى من حيث الأهمية، فلم يجعل لها حريم مثلها مثل القرية، وهنا يمكن أن نفهم كلام الإدريسي في حديثه عن إحدى القرى بأنها مؤلفة من عدة قصور صغيرة وكان على ما نعتقد يقصد أنها مؤلفة من قصور خاصة كما يوضح ذلك أبو العباس، كما أنه من الثابت أن إلى جانب هذه التسميات هناك تسمية "أغرم" التي ذكرها البكري حيث يصف ور كالا على أنها مؤلفة من عدد من الحصون تتراوح بين الصغيرة والكبيرة، والتي ربما يقصد بها القصور الخاصة التي لا حريم لها وبالتالي بني في محيطها قصور خاصة أخرى، وربما يدعم هذا الكلام ما جاء على لسان ابن خلدون رغم أنه متأخر عن العلماء السابقين، حيث توفي خلال 808هـ/1406م فيقول: "واختطوا المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثمان مراحل من بسكرة في القبلة عنها ميامنة إلى المغرب، بنوها قصورا متقاربة الخطة، ثم استبحر عمراهما فأتلقت وصارت مصرا واحدا"⁽¹⁾، إذا فهذه القصور يسميها ابن خلدون قصورا في حين يسميها أهلها أغرم أي حصون، إذا فالمسألة تحتاج إلى بحث دقيق خاصة في كتب الفقه والتاريخ وغيرها من المصادر التي تسبق القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي لنعرف بالتدقيق بداية هذه التسميات خاصة عندما نقف عند حقيقة الاشتقاق من العربية، فحتى كلمة أغرم أو آغام لا يبتعد معناها كثيرا عن كلمة آجام بالعربية بحسب لسان العرب فهي الأخرى تعني الحصن.

المبحث الرابع: السمات العامة للمسكن في القصور الصحراوية

في معظم قصور الصحراء الجزائرية نجد المتزل ذو مواصفات هندسية خاصة، منغلق على نفسه وأهله. *Introvertie* ولا ينفتح إلا على السماء من خلال فتحة أفقية تسمى شباك وسط الدار أو الحوش (الصورة رقم: 12)، فهو بمثابة بيئة مثالية للحياة الخاصة التي تميزها الخصوصية والمحافظة على تقاليد تأصلت في المجتمع عبر العصور وأضحت عرفا لا يخرج عنه أحد، حيث بنيت المساكن لتتكيف مع الظروف المناخية ولخلق علاقات اجتماعية تحت مبادئ إسلامية فنجد

1. عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج. 7، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000، ص: 69.

المسكن يغلب عليه الجانب الوظيفي مع الأخذ بمبدأ الحرمة في بناءه، وبالتالي حضت الحياة الأسرية بالقصور الصحراوية بالخصوصية المنشودة دينياً وعرفاً، حيث يتأقلم هذا المسكن مع النظام الأبوي للأسرة ومكانة الحرمة بالنسبة للرجل والمجتمع معاً، لارتباطه بالعقلية المحلية من جهة والثقافة العربية الإسلامية من جهة أخرى، وباعتبار أن كل شعب قد أنتج هندسته المعمارية يخرج من خلالها خطوطه الخاصة به كما يفعل مع لغته أو لباسه وفلكلوره⁽¹⁾.

إلى جانب التنوع الموجود بالمساكن في القصور الصحراوية هناك بلنطاقات المختلفة سمات مشتركة بينها تسمح لنا بأن نطلق على هذه المساكن "مسكن قصوري"، فهي عموماً ضيقة ومنخفضة⁽²⁾، كما أنها مغلقة على نفسها. *Introvertie*، وفي الغالب لها مخطط ذو شكل مربع أو مستطيل مثلما هو الحال في جميع القصور كتماسين، وتمنيط، والمنبعة وغيرها، ولكن في بعض الأحيان قد تفرض طبيعة الأرضية الصخرية أو الشكل الجيولوجي لموقع القصر أشكالاً غير منتظمة، ليصبح ذو تناسب هندسي أقل⁽³⁾، وهو أمر شائع في كثير من القصور كمنطقة مزاب، وهناك أمور أخرى قد تفرض هذا الشكل ونقصد بذلك تقسيم التركة بين الورثة على سبيل المثال، كما أن هناك نوع من المساكن المركبة، إلى جانب هذا يمكن تسجيل فارق يكاد يكون وحيد بين المساكن في القصور الصحراوية من حيث الحجم فقد تتراوح بين الكبير والمتوسط والصغير.

جاء تخطيط هذه المساكن استجابة لمعطيات مناخية (الشكل رقم: 4)، حيث سمح ترابط المساكن بتخزين الحرارة خلال الفترات الباردة والهواء المنعش في أوقات الحر، وهو مبدأ بيو - مناخي جد فعال، ومن شدة ترابط هذه المساكن يصعب تحديد حدود أي مسكن ولا تحديد حجمه من الخارج، أو حتى تمييز مسكن الفقير من الغني، وعلى الرغم من ذلك هناك بعض الاستثناءات الطفيفة في بعض القصور كما هو الحال في قصر القنادسة، والذي نجد فيه مساكن حي الأشراف - والتي تسمى دويرات - تزينها بعض الزخارف خاصة على مستوى المدخل الرئيسي مع كبر حجم هذه المداخل عن غيرها من مساكن العامة⁽⁴⁾، وبخلاف ذلك لا يمكن أن

1. Fathi Hassan ; **Construire avec le peuple histoire d'un village d'Egypte**, Gourna 4^e, Sindbad, Paris, 1985, p: 60.

2. L. Voinot ; **Le Tidikelt**, B. S. G. A. O, 1905, pp: 445-446.

3. Chaouche-Bencherif Meriama ; **la micro- Urbanisation et ville Oasis...**; Op. Cit. p: 350.

4. محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص: 69-70.

نجد فوارق كثيرة تسمح لنا بالتمييز بينها، فقد التزمت بنفس الخصائص التي بنيت بها بقية المساكن.

تتكون معظم مساكن القصور من طابقين الأرضي والعلوي، وسطح، ويكون الطابق الأرضي أقل إضاءة، مما جعل حياة ساكنيه في الغالب بالطابق الأول كونه الأكثر إضاءة⁽¹⁾، حيث يعمل الطابق الأول على تقليل التعرض لأشعة الشمس مما يلطف جو الغرف الأرضية، يستعمل في الصيف للنوم ليلاً، وشتاءً للشمس وتجفيف الأطعمة، بالإضافة إلى ذلك يوجد الملقف في أغلب غرفه والتي تستعمل للتدفئة ونصب الطعام، ومن جانب ثان تمكن من إنارة الغرف وتهويتها، في حين تقل أو تكاد تنعدم النوافذ الخارجية على واجهة المسكن، وإن وجدت تكون في أعلى الواجهة وتكون صغيرة عبارة عن كوات لمنع رؤية من الخارج لمن هم بالداخل⁽²⁾ (الصورة رقم: 23) كما يحاط السطح (الصورة رقم: 24 و 12) بجدار على امتداده لغرض الستر، وأهم فتحة بالواجهة نجد المدخل الرئيسي (الصورة رقم: 13 و 14 و 15 و 16 و 17) البسيط في شكله والكبير في حجمه إذا ما قارناه ببقية الأبواب، ويكون مؤلف من دفة واحدة عبارة عن عوارض خشبية من النخيل في الغالب، وفي أحيان أخرى يكون في وسط هذه الدفة دفة أخرى أصغر منها تسمى باب الخوخة (الصورة رقم: 14 و 15)، وهو أمر شائع في مساكن قصر القنادسة⁽³⁾ على سبيل المثال، وهو تشكيل شائع في العالم الإسلامي بالنسبة لأبواب مداخل المساكن.

هناك من القصور يضم مساكن ذات طابق واحد غالبية مثل ما هو الحال في قصور توات⁽⁴⁾ وكذا الحال في قصر المنيع، وعلى ذكر توات فإن مساكنها ومساكن قورارة لا تختلف كثيراً، ففي القورارة نجد الصحن المركزي أصغر من نظيره في المسكن التواتي (الشكل رقم: 21، 22، 25، 26، 27)، كما أن غرفة استقبال الضيوف تتواجد بالسطح عكس ما هو عليه في المسكن التواتي⁽⁵⁾، وإلى جانب هذا الأخير يعتبر حالة استثنائية بوجود نوع من المساكن المسمى بالمساكن الكهوف. *Troglodytes* (الشكل رقم: 24)، حيث حفرت داخل طبقات كبيرة من الصلصال وفي منحدرات الجبل، ويبلغ عددها حوالي ثلاثون مغارة، وهي عبارة عن حفر يتم

1. Jean-Loïc Le Quellec ; Op. Cit. p: 67.

2. نور الدين بن عبد الله، المرجع السابق، ص: 127.

3. محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص: 74.

4. Deporter ; *La question du Touate au Sahara Algérien*, Alger, 1897, p: 45.

5. نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية لمنطقتي توات الوسطى والقورارة بين ضوابط النص الديني وحدود الواقع ، ط. 1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2013، ص: 137-138.

تسوية أرضيتها وجدرانها وتسد في الأمام بجدار يترك فيه باب ذو ارتفاع لا يتعدى 1.20م، إلى جانب مساكن ذات مغارات حيث تلحق بالمسكن المبني بمغارة وقد يصل عددها إلى أربع مغارات في بعض الحالات⁽¹⁾، وعلى الواجهة الصماء دوما ما نجد أن المسكن بالقصر قد زود بميازيب لتصريف مياه الأمطار، تبرز عن واجهات المساكن أو فوق سطوحها، وقد استغلها سكان القصور لتحديد الفترات الزمنية بدل الساعات⁽²⁾، وفي حالات أخرى وضع سيالات تبني على شكل سواقي معترضة في الجدار الخارجي من أعلاه إلى أسفله وتكون شارعة في الأزقة⁽³⁾ كما هو الحال في مساكن بني ونيف في منطقة الساورة.

لا يختلف المظهر الخارجي للمساكن في القصور إلا من حيث موقعه بين المنازل فالمحيطة بالطريق نجدها في اتصال مباشر مع الحركة النشطة، أما المتوارية عن الأنظار لا يتم الوصول إليها سوى من خلال مسالك غير نافذة، فعند ملاحظة مخطط القصر نجد أن المسكن الواقع في المسالك العمومية، والتي تشترك من الجهات الثلاث ليس لها سوى واجهة واحدة، كما نجد مساكن داخل التحزئة *Ilot* والتي ليس لها تقريبا واجهة⁽⁴⁾، ولا تتصل بالخارج سوى بجدار المدخل الرئيسي الذي يسمح به المسلك غير النافذ والذي يعتبر مسلك شبه خاص.

نجد في بعض مساكن القصور أنه إلى جانب المدخل الرئيسي هناك مداخل ثانوية كتلك المخصصة لدخول الضيوف الغرباء من الرجال في حال كانت قاعة استقبال الضيوف مستقلة عن الفضاء الخاص بأهل المسكن، حيث نجدها في الطابق العلوي، كما أن هناك مدخل يخصص لدخول الدواب وفي ذلك فصل بين سكن الناس وسكن الحيوانات وما يمكن أن يسببه من إزعاج وروائح ونجاسة.

يتميز المسكن بوجود الفضاء المركزي *Patio* إذا كان مؤلفا من طابقين أما إذا كان مؤلفا من طابق واحد فيزود بفناء مكشوف، فيما يتم الدخول للمسكن عبر مدخل رئيسي، يسمى محليا فم الدار مثل ما هو الحال في منطقة تمنطيط (الصورة رقم: 16)، وبميزه وجود عتبة⁽⁵⁾ التي تعد الحد الفاصل بين المجال العام والخاص إلى جانب وظائف أخرى كإيقاف الأتربة

1. ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، ملف تصنيف قصر المنبوعة...، مرجع سابق، ص: 5.

2. محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص: 70.

3. عبد الله طواهرية، جامع التصنيف في أحوال حاضرة بني ونيف، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006، ص: 74.

4. Chaouche-Bencherif Meriama ; **la micro- Urbanisation et ville Oasis..**, Op. Cit. p: 350.

5. Haoui Samira; **Pour la préservation des architectures ksouriennes en terre crue : cas de Timimoune**, mémoire de magistère, Ecole Polytechnique d'Architecture et d'Urbanisme, Septembre 2001, p: 159.

والحشرات السامة، ويؤدي المدخل إلى سقيفة وهي عبارة عن مدخل منكسر. ⁽¹⁾ *chicane*، وفي بعض القصور في الجنوب الغربي كبنى ونيف تزود المساكن بغرفة ضيقة تسبق السقيفة تسمى محليا "آسكلو" فيما تكون السقيفة عبارة عن حجرة أوسع من السابقة في نهايتها عتبة مخصصة للصلاة⁽²⁾، ويصادف أن يكون للمسكن سقيفتين أو حتى ثلاثة (الشكل رقم: 23) بحسب عدد المداخل وهي حال مساكن قصر تماسين، حيث يتم الانتقال من الخارج إلى الفناء الداخلي والذي يسمى كذلك "الحوش"⁽³⁾، (الشكل رقم: 27)، وتطلق هذه التسمية في عدد من القصور خاصة في وادي ريغ مثلما هو الحال في تمرنة وفي بعض قصور إقليم توات، خالقا بذلك نوعا من التدرج الجاهلي، وفي هذا المستوى نصادف غرفة الضيوف ففي الغالب نجدها إلى يسار المدخل الرئيسي أو مقابلة له مباشرة، وهي ذات تخطيط شكله مستطيل، كما يمكن أن نجد أن المدخل المنكسر قد يكون مؤلف من سقيفتين وهو حال المساكن في تميمون، حيث الأولى تسمى "تاسقيفت انبرا" تليها سقيفة ثانية تسمى "تاسقيفت نجح" وكلاهما يسمى "تيسكافين"، فيما يسمى الفناء "الرحبة" بدل فناء أو حوش كما يسمى باللهجة المحلية "أمستندحت"⁽⁴⁾، حيث يعتبر المنظم لباقي فضاءات المسكن.

يعد الصحن عنصر ا واسع الانتشار في كامل المناطق الحارة وفي جميع الحضارات من هضبة إيران شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، وقد فرضته العوامل المناخية التي تعتبر العامل الرئيسي لتوظيف هذا النوع من التخطيط، فهو الذي يلعب دور الضابط والمنظم لباقي الغرف⁽⁵⁾، إذ تفتح تفتح فتحات وأبواب الغرف نحو الفناء الداخلي له ، ويرقى هذا النمط من المساكن إلى نمط المسكن الرافدي⁽⁶⁾، فيما يذهب جورج مارسلي في تفسيره إلى أن هذا التصميم السكني مقتبس من النمط المصري، وأنه وصل إلى هذه المنطقة عن طريق افريقية⁽⁷⁾، أما هنري تيراس يرى أن

1. Abderrahmane Moussaoui; **L'habitat oasien: espace et société**, « Living in Deserts : Is a sustainable urban design still possible in arid and hot regions », Ghardaia, 9-12 December, 2006, p: 190.

2. عبد الله طواهرية، المرجع السابق، ص: 78.

3. نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية بإقليم توات ..، مرجع سابق، ص: 127.

4. Haoui Samira ; Op. Cit. p: 159.

5. Equipe Mita ; **Le trace géométrique comme mode de lecture des Ksour, cas ksar de Taghit**, Maghreb: Architecture, urbanisme, patrimoine, tradition et modernité, Edition Publisud, Paris, 1991, p: 175.

6. Sariane Mounir, Beztout Mohamed ; Op. Cit. p: 3.

7. أحمد مولود ولد أيده، المرجع السابق، ج. 2، ص: 185.

المسكن البربري خاصة في قصور المغرب هو امتداد للمسكن الأندلسي والذي بدوره ما هو إلا اقتباس للأتريوم. *Atrium* بالفيلا الرومانية، فيما استلهم مخطط القصور من تخطيط الكاستروم. *Castrum*، في حين تيغرمت. *Tighremt* يعيد إنتاج الكاستلوم الروماني البيزنطي⁽¹⁾ وغيره من الكلام الذي يجعل من قصور المغرب والجزائر وتونس امتداد لإبداع روماني بيزنطي وهي فكرة كولونيالية أسس لها عدد من المستشرقين لتبرير وجودهم الذي حسبهم له جذور ضاربة في القدم، ففكرة هنري تيراس حول وسط الدار والأتريوم هو رأي مردود عليه، حيث مفهوم الأتريوم الروماني لا يرادف مفهوم وسط الدار الإسلامي، فالأتريوم هو فضاء يوجد بعد المدخل ومنفصل عن البيت الروماني، فالصحن الحقيقي للبيت الروماني يوجد بالجهة الخاصة لأهل الدار ولا يتصل به الأجنبي.

جاء هذا التخطيط استجابة لدواعي مناخية واجتماعية ثقافية لهذه الشعوب، ولا يكون الاتصال بالخارج إلا من خلال فتحتين هما المدخل الرئيسي وفضاء الصحن الذي هو في الغالب عبارة عن فتحة تحدث في السقف الذي يغطي الصحن، وقد يكون مفتوحاً في بعض القصور كحال أغلب مساكن قصر القنادسة⁽²⁾ ونتيجة لذلك أصبح في عمارة القصور ما كان في الأصل صحن أو فناء ملحقة ليست كباقي ملحقات المسكن، فهي فضاء تؤدي فيه جميع النشاطات اليومية بالمسكن مثل النسيج، الضيافة، الأكل، الطبخ وغيرها، وتخطيط الصحن في الغالب ذو شكل مربع⁽³⁾، وتتوزع حوله عدد من الغرف، وقد شكلت جذوع النخيل عوارض المساكن مما أثر في مقاسات الغرف وجعلها متقاربة حيث تصل حدود 2.5م، فمتوسط مقاسات الغرف على سبيل المثال في قصر المنبعة يقدر بحوالي 1.80م في 3م ومتوسط ارتفاعها يزيد بقليل عن قامة الإنسان العادي⁽⁴⁾، ولم يختص قصر دون سواه بهذه الخاصية أي عرض الغرف المحدود بل جميعها⁽⁵⁾.
يخضع الفارق في الطول بين الغرف لعوامل اجتماعية، فعندما يكون للغرفة أهمية ينعكس ذلك على الحاجة لزيادة طولها، فتمدد البناية بزيادة الدعامات وخاصة العقود، وما يميز المساكن

1. Jean-Loïc Le Quellec ; Op. Cit. p: 50.

المزيد ينظر: Terasse H, *kasbas berbère de l'Atlas et des Oasis*, pp73-75

2. محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص: 69-70.

3. Abderrahmane Moussaoui, Op. Cit. p: 190.

4. ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، ملف تصنيف قصر المنبعة...، مرجع سابق، ص: 6.

5. André Ravéreau ; *Le M'Zab, une leçon d'architecture*, Edition Sindbad, Paris, 1981, p:127.

في منطقة توات مثلا أن الغرف الواقعة في الطابق الأرضي أي المحاذية للمساحة مستطيلة الشكل وتسمى بالغرف الطويلة بما مدخل، وتندر بها النوافذ المطلّة على الساحة من الداخل وأحيانا يزود الصحن بأعمدة لحمل سقيفة الأروقة المحيطة بالصحن⁽¹⁾، حيث تشكل واقيا لأبواب الغرف من حر الشمس وتوفر الظل وتتخذ الأرضية تحتها أماكن للجلوس وممرات تصل بين الغرف⁽²⁾، خاصة في حال كان المسكن مؤلف من طابقين وبالنسبة لهذه الأعمدة التي قد تعوض بدعامات في بعض الأحيان فإن عددها يختلف بحسب حجم ومساحة المسكن فهناك من المساكن ما لها دعامة واحدة وهو أمر يمكن ملاحظته في قصر تاغيت⁽³⁾، وكذا قصر ملوكة بتوات، وقصر القنادسة ببشار، ويحدث أن نجد للمسكن دعامة واحدة وقد يتجاوز عددها في بعض المساكن الأربعة⁽⁴⁾، ليصل مثلا في قصر القنادسة إلى حدود 12 دعامة⁽⁵⁾، والأمر يتوقف على مساحة المسكن في حد ذاته في علاقة طردية بين المساحة وعدد الدعامات فكلما زادت المساحة زادت الدعامات وانفتح المسكن على الفضاء.

تسمى الغرف بيوت (جمع بيت) والتي لها وظائف متعددة فهناك المخزن أو كما يسمى في القصور بيت العوالة وقد تزود الغرف ببعض المخازن تسمى أسنغار وهي فجوات ذات شكل دائري محفورة في الجدار تسد فتحتها بحجر مسطح، وهي مرتفعة عن مستوى الأرضية حتى لا تصلها المياه في حال فيضان الماء على الغرفة، وقد خصص المخزن لحزن المواد الاستهلاكية خاصة التمر والأدوات المتزلية، كما يمكن أن تصادف وجود نوع آخر من المخازن تسمى تاخزانة وهو على شكل مغارة لم تعد توظف في وقتنا هذا، حيث تبنى بالحجارة بشكل اسطواني أو بيضاوي بارتفاع 1.5م وقطر يتراوح بين 1م إلى 2م، وتزود بفتحة جانبية تمكن من سحب ما تحتاجه الأسرة من مواد مخزونة وربما له ما يقابله في منطقة القبائل ويسمى إيكوفان⁽⁶⁾، كما يمكن أن نجد

1. نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية بإقليم توات ..، مرجع سابق، ص:127.

2. عبد الله طواهرية، المرجع السابق، ص:74.

3. محمد الطيب عقاب، قصر تاغيت الأثري، حوليات المتحف الوطني للآثار، ع. 15، مطبعة سومر، الجزائر، 2005، ص:88-90.

4. محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة ...، مرجع سابق، ص:215، 221.

5. Naima Fezzioui, Belkacem Draoui, **Aspect thermique dans la conception architecturale du Ksar de Kenads**

مجلة الأثر، ع. 2، تصدر عن مديرية الثقافة لولاية بشار، دار الهدى للنشر والطباعة، عين مليلة، 2008، ص:98.

6. عليق ريحة، قصر ملوكة بأدرار (إقليم توات): دراسة تاريخية أثرية، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2001-2002، ص:61.

نجد المخزن في السطح بدل الطابق الأرضي وهو أمر شائع في تخطيط وتوات عموما على سبيل المثال.

نجد بيت الشياه أو بالأحرى هو الفضاء المخصص لركن الحيوانات الأليفة فهو بمثابة الإسطبل، وإلى جانبه نجد الكنيف⁽¹⁾، هذا الأخير الذي هو عبارة عن غرفة صغيرة وفي الغالب نجده يقع في ركن ومزود بفتحة تطل على الطريق⁽²⁾، كما يمكن أن نجد في منطقة توات دورات المياه تقام فوق أسطح المساكن وفي أسفلها، حيث يرتبط الكنيف الموجود في السطح بحفرة في الطابق الأرضي⁽³⁾، ولقد أدى تجاوز هذين الفضائين إلى سهولة استرجاع الفضلات البشرية والحيوانية لغرض استخدامها كأسمدة زراعية من خلال تلك الفتحة.

يتم الصعود إلى الطابق الأول بواسطة درج (الصورة رقم: 29) ونجد في هذا المستوى غرفاً أخرى وخاصة السطح أو المصرية كما تسمى في بعض المناطق، والتي هي عبارة عن سطح مسقوف بعروق جريد النخيل الموضوعة بشكل زخرفي جميل (الصورة رقم: 25 و 26 و 27، و 28)، فهو بذلك فضاء لاستقبال الضيوف وقضاء العائلة الليالي المنعشة به، وفي فصل الصيف يستعمل في بعض المساكن مطبخ ثاني على مستوى السطح⁽⁴⁾، ومن النادر أن نجد للمسكن بئر ولكن في الغالب المياه تخزن في جرار⁽⁵⁾، وهذا أمر منطقي بحكم بناء هذه المساكن على مرتفعات صخرية بعيدة عن الطبقات الجوفية ويصعب الحفر فيها، ولكن هناك بعض المساكن التي تمر بها شبكة السواقي القادمة من الفقارة مارة بالقصر مثلما كان الحال في قصر ورقلة في القديم.

يعد الخشب المادة الأساسية في أي عملية لإنشاء المساكن خاصة خشب النخيل بالنسبة لكل القصور (الصورة رقم: 18 و 19)، إلى جانب أخشاب أخرى مثل الأثل، والقصب، والسمار⁽⁶⁾، والرمان وغيرها من الأخشاب المتوافرة، أما الرمل فيعتبر المادة الأساسية في عملية التسقيف إلى جانب الطين الذي يعد الأساس في بناء الجدران، ورغم أن المساكن الأولى في القصور بنيت باستخدام الحجارة، والتي هي في العادة حجارة كلسية الأمر الذي استترف هذه المادة، مما أجبر السكان فيما بعد على استخدام الطوب (الصورة رقم: 30)، ولكن التغطية بالملاط

1. Sariane Mounir, Beztout Mohamed ; Op. Cit. p: 4.

2. Abderrahmane Moussaoui, Op. Cit. p: 191.

3. جورج غيستر، الصحراء الكبرى، ط. 1، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1961، ص: 85.

4. نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية بإقليم توات .. مرجع سابق، ص: 127.

5. Jean-Loïc Le Quellec ; Op. Cit. p: 67.

6. محمد الطيب عقاب، قصر تاغيت ...، مرجع سابق، ص: 100-101.

الطيني حجت الفوارق بين مواد البناء (الصورة: 31)، و بشكل عام تبنى المساكن بالطوب وجدران حاملة منخفضة نوعا ما، فيما العوارض مصنوعة من جذوع النخيل، والسقوف مكونة من دعامة شكل بألياف الجريد، والسطح هو الآخر بني باستعمال خليط من التراب أو يخلط بالطين وأوراق جريد النخيل.

ففي بعض القصور الأخرى مثل تلك التي في منطقة توات تنجز المساكن في الغالب باستعمال الطين والحجارة على مستوى الأساسات، ثم يستعمل الطين لوحده في ما تبقى من البناء في شكل طوب مجفف تحت أشعة الشمس، حيث يصنع الطوب من الطين ويأخذ أبعادا قدرها 0.20م عرضا و 0.30م طولاً وبسمك 0.10م، يتم اعتماد الطوب الطيني انطلاقاً من عملية القولية للتربة الطينية وهي في حالة لدنة وتخلط أحيانا مع القش ليتم تحفيها طبيعياً على الأرض، بالإضافة إلى استعمال الجير الممدد بالرمل لخلق طبقة كتامة⁽¹⁾، كما استعمل في منطقة توات لغرض تلبس جدران المساكن ملاط مؤلف من الرمل المالح المزوج بالرماد المتخلف من عمليات الحرق والذي يعطي لونا رمادياً مائلاً للحمرة⁽²⁾، أما السقف فمؤلف أساساً من جذوع النخيل ويسد الفراغ بينها باستعمال الكرناف وألياف النخلة، ثم يغطي كل ذلك بطبقة سميكة من الطين لمنع تسرب الماء⁽³⁾، كما أن المساكن في قصر تيماسين وتمرنة⁽⁴⁾ استخدم في بناء أساساتها جذوع النخيل ومرد ذلك إلى وجود القصر بجوار سبخة، ويعود استعمال المواد المحلية لتأمين أكبر قدر من العزل الحراري إضافة إلى الحجر الكلسي والجبس في بعض الأحيان، وقد أعدت أفران لحرق الجير تدعى محلياً في منطقة بني ونيف "تارقة نلجير"، وعلى ذكر قصر بني ونيف فقد استعمل الآجر في عملية البناء فقد بنيت أفران خصصت لحرق الآجر تقع بالجنوب الغربي للغابة⁽⁵⁾ ولا زالت آثارها باقية، أما مساكن قصر تُقرت فقد بنيت من الطوب المجفف تحت أشعة الشمس إلا أن الأغنياء من سكانها استعملوا حجارة كلسية وطينية⁽⁶⁾.

1. تالوين رفيق، المرجع السابق، ص: 38.

2. فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص: 41.

3. نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية بإقليم توات ..، مرجع سابق، ص: 127.

4. تالوين رفيق، المرجع السابق، ص: 38.

5. عبد الله طواهرية، المرجع السابق، ص: 72.

6. Sparsa COLLIGO ; Ben-Djelab sultans de Tougourt, Revue Africaine, Volume 23, A. JOURDAN, Libraire-éditeur, Alger, 1879, p: 59.

أكثر ما يميز عمارة المساكن في القصور الصحراوية استعمال مادتين مهمتين هما الطوب والتمشنت بل أنهما أعطيا للمسكن صورته المميزة، ومرد ذلك إلى وجود طبقات مهمة من الطين والجبس، ولكن أكثر هذه المساكن بنيت بالطين، لكن ما يعاب على هذه المادة حساسيتها المفرطة للمياه كما أنها أصبحت بالنسبة للسكان مادة غير عصرية ولا تلي بعض احتياجات العصرية مما أسفر عن هجران أغلب هذه القصور⁽¹⁾ وبالتالي انهيارها، فهذه المادة وفرت بعض المميزات التي جعلت منه مادة مستعملة عالميا وعلى نطاق واسع، حيث يمتاز بخصائصه الحرارية. *Thermiques* ووفرت الواسعة وقلة تكلفته، كما استخدم وفق عدة تقنيات كتراب مدكوك. *Pisé* أو لبن مخلوط. *Torchis* (بقوالب خشبية) إلى جانب طوب. *Adobe*، كما يمكن أن تظلى الجدران بطلاء ذو قاعدة طينية باستخدام اليد، وإلى جانب الطين نجد أن التيمشنت جبس. *Gypse* خاص، استعمل في البناء بالمناطق الصحراوية كالقصور، فيما استعمل الجص. *Plâtre* (جبس)⁽²⁾، بسهولة كون عملية حرقه غير مكلفة.

باستثناء الباب المركزي أين يوجد المخزن، فلأبواب غير موجودة وحتى إن وجدت فهي تقريبا لا تغلق أبدا، كانت الزخرفة حاضرة من خلال الإبداع في استعمال مواد البناء في حد ذاتها فمثلا في التسقيف برع البناء في توظيف سيقان الجريد بشكل هندسي رائع، وكذلك الأمر بالنسبة لوضع حجارة البناء، كما تصنع أبواب المداخل من عوارض خشبية تُشد أجزاءها بعضها إلى بعض بواسطة مسامير غليظة وتصنع الأقفال من العود الصلب، وتصنع منه المفاتيح ذات الأسنان المعدنية وتدعى محليا *آفكر* أو *"تاقلابت"* تخصص لها كوة بجانب الباب قصد إدخال أسنان المفتاح في ثقب القفل ولا يمكن فتحه إلا من الداخل⁽³⁾، وهنا لا بد من ذكر ما قاله الشيخ أبي العباس في حديثه عن أقفال أبواب القصر حيث يذكر ما نصه: "وكذلك باب القصر وأداته من القفول والمفاتيح وغير ذلك من إنما يكون عليهم..."⁽⁴⁾ وفي هذا إشارة واضحة إلى استخدام هذا النوع من الأقفال ذات المفاتيح قد شاع خلال القرن الخامس هجري بل وقبل ذلك في هذه المناطق من الصحراء، ورغم ذلك فقد زالت الأقفال الخشبية في أكثر القصور الصحراوية

1. Yasmine TERKI ; **Des Architectures de Terre**, La Revue de l'Habitat, revue d'information du Ministère de l'Habitat et de l'Urbanisme, N° 5, Mai 2010, p: 58.

2. Chaouche-Bencherif Meriama ; **la micro- Urbanisation et ville Oasis...**, Op. Cit. pp: 176-177.

3. عبد الله طواهرية، المرجع السابق، ص: 73.

4. أبي العباس أحمد الفرستائبي، المصدر السابق، ط2، ص: 195.

وعوضتها أقفال معدنية كبيرة الحجم⁽¹⁾، وكان هذا النوع من الأقفال الشائع في القصور الصحراوية كمنطقة بني ونيف، وتوات، ومزاب وغيرها، كما توجد طريقة أخرى لغلق أبواب المساكن تعرف في بعض القصور خاصة في الجنوب الغربي بـ المشطة أو الرزامة وهي عبارة عن جذعين أو ثلاثة جذوع من النخيل اليابسة، ويكون طولها يتجاوز عرض الباب، فيما تعد حفرتان متقابلتان على طرفي المدخل من الجهة الداخلية بعمق يصل حدود 0.20م، وعندما نهم بغلق الباب ندخل أحد طرفي الجذع في إحدى الحفرتين ثم نعيد الطرف الثاني في الحفرة المقابلة، وهي الأخرى طريقة أكثر بساطة وفعالية لذا انتشرت في العديد من القصور.

المبحث الخامس: فقه العمران ومسكن القصر

عرف القسم الشرقي إلى غاية وسط الصحراء امتدادا للمذهب الإباضي قبل تكون دولة بني رستم في تاهرت حوالي 160هـ/776م، حيث اعتنق الكثير من البربر والعرب والفرس فكرتها بمجرد وصول دعايتها، ورغم تلاشي هذه الدولة فإنها أورتت جاليتها التي لجأت إلى الصحراء عبء الأمانة التي تجلت في المحافظة على الشعائر الدينية ومبادئ المذهب الإباضي، الأمر الذي شكل عبئا على علماء الإباضية والفقهاء فهم مطالبون بمواصلة أعمالها من حيث تطبيق تعاليم المذهب، وهذا بداية من سقوط تاهرت سنة 296هـ على يد الفاطميين⁽²⁾، وفي مجال العمارة والعمران بذلت جهود كثيرة رغم قلة المؤلفات التي وصلتنا من هذه الحقبة، ولكن لخصها جهد الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد الفرستائي النفوسي في كتابه "القسم وأصول الأرضين" وهو من علماء القرن 5هـ ومن المرجح أنه عاش ما بين سنتي 420 و504هـ، حيث أنه انتقل ما بين تونس ووادي ريغ وواحات ورقلة، ولكونه أحد فقهاء الإباضية المشهورين امتد أثره على ليبيا وتونس والجزائر، ويعد كتابه بمثابة أهم مصادر الإباضية في حقل فقه العمران، ومن خلال هذا الكتاب نستنتج أن للشيخ مراجع إباضية متقدمة في فقه العمران فهو يذكر الفتوى ويقابلها برأي آخر بقوله: "ومنهم من يقول".

1. عبد الله طواهرية، المرجع السابق، ص:76.

2. المهدي البو عبدلي، لمحات من دور الدولة الرستمية في ميادين الحضارة والفكر لبعض الباحثين القدامى والمتأخرين، مجلة الأصالة، ع. 41، من تاريخ ورقلة - سدراته، بمناسبة انعقاد الملتقى 11 للفكر الإسلامي بها، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، 1977، ص:193-195.

لم تعمر الدولة الرستمية طويلا، نظرا للظروف التي تكونت فيها والمذهب المعتزلي المعتنق في وسط العالم الإسلامي، وهذا لا يمكنه من بسط أفكاره اتجاه المذاهب الأخرى وخاصة المذاهب الأربعة المسيطرة، وانقسامهم إلى عدة فرق تجاوزت العشرين فرقة ولم يستقروا على حال، فبعد أن نجحت في إمامة الظهور بتيهرت انتقلت إلى إمامة الدفاع بعد الأخطار التي جابهوها خاصة قضاء المعز لدين الله الفاطمي على ثورة أبي يزيد بن مخلد، ومن نتائج هذه المرحلة عرض الفاطميين الصلح والتنازل عن الحكم في الأماكن العامرة بالإباضية، فمنذ الفتح الإسلامي إلى غاية 450هـ/1058م، عرفت الإباضية استقرارا سمح لها بالظهور كمذهب قوي أنشئت فيه النظم والقواعد المسيرة للحياة وفقا للشريعة الإسلامية والمذهب، ذلك أن الفترة الموالية لهذا التاريخ ستشهد دخول بني هلال و بني سليم، وشاعت الفتن والغارات على وادي ريغ وورجلان وحتى وادي مزاب والصحاري المحاذية، ومع الفترة الموالية لسنة 624هـ/1226م تاريخ خراب سدراثة على يد الميورقي⁽¹⁾، وشهدت المنطقة حروبا وهجمات على المنطقة طلبا للإذعان، ومعها أيضا استقر المذهب المالكي بالمنطقة جنبا إلى جنب مع المذهب الإباضي، لتبقى الفتن سيدة الموقف حتى العهد المتأخر للدولة العثمانية.

وما يهمنا في هذا المسار التاريخي هو تصور كيف أن مساحة كبيرة من الصحراء الشرقية وبخاصة وادي ريغ ووادي مية وكذلك وادي مزاب إلى جانب قسم كبير من تونس وليبيا عرفت ضوابطها العمرانية على قاعدة فقهية إباضية يمثل فيها كتاب "القسمة وأصول الأرضين" ميثاقها الأساسي منذ القرن 5هجري، والذي هو بالتأكيد تنويج وجمع لأراء فقهاء الإباضية السابقين بعد اجتهادهم في نوازل وفتاوى أجابوا عنها على رغم اختلاف أحكامها، ولكن حاول أحمد بن محمد الفرستائي جمعها وهو يقول ومنهم من يقول في إشارة واضحة لتعدد الآراء والأحكام في القضية الواحدة، ولكن ما يهم أن قصور هذه الجهة غلبت عليها الأحكام الشرعية بدل العرف، وهذا لا ينفي أن هذه الأحكام صارت مع الوقت عرفا لدى سكان القصور خاصة في فترات الفتن والجهل وهجرة العلماء، يضاف إلى ذلك الجهود التي جاءت على قاعدة جهود الفقيه أبي العباس أحمد في حقل فقه العمران الإباضي، ونذكر منها تلك التي عرفها وادي مزاب مثل "ترتيب نوازل نفوسة" و"مختصر العمارات" وغيرها من اتفاقيات مجلس العزابة.

1. عبد القادر موهوبي، المرجع السابق، ص: 124، 129.

يعد القسم الغربي من الصحراء الجزائرية أي إقليم توات والساورة أكثر غموضاً فيما يخص المصادر الموجهة للعمران وبالخصوص كتب الفقه والنوازل، لا سيما إذا علمنا غياب هذا النوع من المؤلفات في المكتبات الخاصة المنتشرة في توات أو في الساورة، ففي حدود علمنا لا يوجد ولا كتاب أو حتى رسالة تخص أمور العمارة والعمران، وربما هذا يرجح فكرة العمل بالعرف لدى سكان المنطقة، فيما خضعت خلافات المتجاورين للاتفاق بينهم أو أحييت على القضاة لحلها وفق الشريعة دون أن تدون أو تجمع في كتاب، وربما يوعز ذلك لقلة هذه الخلافات فيما بين السكان وانشغالهم بالحروب والدفاع التي كانت تنشب بين الهلاليين والزناتيين من سكان القصور وحتى خلافات أخرى، تعتبر انعكاساً للخلافات الإقليمية في الشمال، وما نشأ عن ذلك من صفوف والحال مع سفيان ويحمد*، فقد تحزب أفراد سفيان تحت راية الموحدين، بينما أعان أفراد يحمد المرينيين على إزاحة الموحدين⁽¹⁾، وما نقصده بالخلافات بين السكان تلك المتعلقة بالجيرة التي تنشأ عن العناصر المشتركة أو حتى تلك التي تخص المجال العام كالطريق.

يعزز هذا الطرح غياب جهة مسيطرة (مسؤولة) كالدولة أو من يمثلها وفي حال يتعدى فرد على جاره ويختلفان ثم يتفقان بالصلح أو يتدخل الجيران أو بحكم القاضي، أي أن هذه الاتفاقيات ما هي إلا نتيجة حتمية للحوار والنقاش بين الأطراف المتنازعة، أو بين الفرد وأفراد قريته أو جماعته أو جيرانه، وإذا لم يصل المتنازعون إلى اتفاق فإن الخلاف سيحل بطرق شرعية أو عرفية، مثل الذهاب إلى القاضي أو رئيس القبيلة، وهكذا، وبمعنى آخر يندر استخدام المدونات الورقية فغالبية العلاقات التقليدية تعتمد على الأعراف بين سكان نفس المنطقة، فكان العرف مرجعاً في الخلافات بين الجيران⁽²⁾.

يرتبط تأسيس القصور في هذه الجهة من الصحراء حسب الموروث الشعبي في منطقة قورارة على سبيل، بمسعى الأولياء الصالحين، فهو من يجمع ويوحد ذريات مشتتة تكون على الدوام متصارعة، فيثبت الولي الصالح المكان، ويرسم الحدود لحيز مدينة المستقبل، وأثناء ذلك، يرسم الحد بين الجماعة التي يجعلها تحت حمايته وبقية الحيز من حيث قد يأتي العدو، هو إذن من يشرف على تأسيس المدينة، وكما كتب م. ديتيان. *M. Détienne* "في بداية ظهور المدينة

*. منذ أن نشب الخلاف بين المرينيين والموحدين اندمج كل من أصل بربري في أفراد سفيان، بينما اندمج العرب في يحمد.

1. رشيد بليل، المرجع السابق، ص: 44.

2. جميل عبد القادر أكبر، المرجع السابق، ص: 69.

المؤسسة، هناك سلطة شخص وحيد يقوم برسم، بتخطيط، بتنظيم الشكل الأول للجماعة الجديدة⁽¹⁾

لقد تمتعت الفئات المتساكنة بجزية كاملة في التصرف في عقاراتها، إلا عند نقاط التماسها مع الآخرين، كنقاط تماس عقار الرجل مع جاره أو مع الطريق، ففي هذه النقاط تظهر الخلافات بين الجماعات فهي الحدود التي تطفو عليها سلوكيات الأفراد أو الجماعات الصالحة منها والطالحة على شكل خلافات حول الحقوق والأعيان، فأى تصرف غير مرغوب فيه تقوم به جماعة تجاه الآخرين يطلق شرارة النزاع التي تنتهي إلى إبرام اتفاق بينهم في الغالب، أو اللجوء إلى القضاء في النادر، ونعلم أن القضاء في هذه المناطق كان قائما بكل ما للكلمة من معنى ولنا في القاضي العصنوني بتمنيط خير مثال على ذلك، وهذا لا ينفي في الوقت ذاته غياب القانون في مرات أخرى مثل ما حصل في منطقة توات قبل مجيء المغيلي، حيث يذكر أحد المؤرخين ** أنه عند ما وصل المغيلي إلى المنطقة وجد المجتمع يرزح تحت جهالة كبيرة، ولم يكونوا يعرفون أميرا ولا قوانين⁽²⁾، وهذا الكلام له مدلول كبير يمكن أن يجعلنا نتخيل كيف كانت تسير أمور المسلمين بالمنطقة عموما وشؤون العمران بشكل خاص.

وبذلك فإن الوحدات السكنية المكونة للقصر تقوم على فكرة الكتلة المتضامنة، وإلى التشكيل المعماري الموحد لها، وإلى المستوى الواحد المرتسم من قبل العرف الاجتماعي، وعدم اللجوء إلى التفاوت في العلو البنائي، أو اللجوء إلى البروز البنائي عن الخط المحدد لها من قبل الهيئ المشرفة على رسم حدود المساكن، وهو ما يجعلنا نتأكد من أن الناس كانوا يمثلون لتلك الضوابط الإدارية التي أمدت القصر بتلك الصفة الموحدة له ولعمرانه⁽³⁾، إلى جانب ذلك فقد نشأ هذا النمط البنائي في القصور الصحراوية الحارة الجافة بشكل يتجاوب مع الشمس من حيث استقبال الحرارة في الشتاء وتجنبها في الصيف⁽⁴⁾، كما انعكست طبيعة الأرض هي الأخرى على تحديد هذا النمط وكذا في تحديد مواد بنا⁽⁵⁾ المحدودة أصلا في الصحراء، فكان الاعتماد على الحجارة

1. رشيد بليل، المرجع السابق، ص: 41.

** هو محمد بن الحاج بن عبد الله الذي كتب رسالة سنة 1595م، أي بعد قدوم المغيلي وما تلاه من أحداث بحوالي قرن.

2. رشيد بليل، المرجع السابق، ص: 41.

3. محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة...، مرجع سابق، ص: 68-69.

4. مصطفى بن حموش، جوهر التمدن، مرجع السابق، ص: 54.

5. عبد الباقي إبراهيم، تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة، مطبوعات الجامعة، بغداد، ص: 20.

والجير والتمشمت وخشب النخيل فجاء المسكن بهذه المناطق ذو مقاسات ومخططات مفروضة تبعاً لمحدودية مقاسات مواد البناء كما هو الحال في خشب النخيل الذي لا يتعدى طوله 3.5م. ويمكن الوقوف على مدى تجاوب الناس في تطبيق هذه الأعراف التي كان يتفق عليها الجميع، فكان كل فرد يعرف دوره في البيئة التقليدية سواء كان مالكا ، أو بناءً ، أو مستخدماً وذلك لوضوح الرؤية في المسؤولية التي أدت إلى ظهور هذه الأعراف، ومن جهة أخرى فطريقة البناء تقنيا معروفة لكل وطريقة توزيع الأماكن في المبنى معروفة لكل أيضاً، فعندما تدخل مبنى تقليدياً، وإذا كنت من سكان تلك المنطقة فيمكن أن تتوقع ما بداخل المسكن.

نضرب هنا مثال عن هذه الحالة بما هو موجود في تلك القرى المنتشرة جنوبي المغرب في وادي ضرعة، فعندما تسير بين مدينتي إجدر وزاجوزا في طريق طوله 490 كلم ترى قرى تسمى قصور وهي متشابهة لدرجة عجيبة علما أن كل قصر يبعد عن الآخر بعدة كيلومترات فكيف تشابهت ما لم تكن هناك قوانين يخضع لها السكان لإتباع نفس التقنية في البناء وتوزيع الفضاءات، فكل منزل مكون من طابقين، وبه ساحة داخلية محاطة بأربعة إلى ثماني أعمدة، وتدخله إضاءة خفيفة من فتحة الطابق العلوي، وذلك لأن السكان يضعون حصيرة تمكنهم من السيطرة على فتحة الساحة العلوية كيف ما شاءوا وكثرة الساباطات، والسيطرة على ضوء الساحة أدت إلى بيئة تقل بها الإضاءة، وتنخفض بها درجة الحرارة، كما يقل وجود الذباب الذي يجذب للتمر في ظل نقص الإضاءة⁽¹⁾، وهو تصميم يقترب كثيرا من نظيره في إقليم توات والساورة وهذا أمر طبيعي إذا ما علمنا العلاقات الموجودة ما بين هذه المناطق والمجرات المتواليّة صوبهما، فقد كان لقدم مجموعات بربرية من الغرب حاملة لتقنيات في البناء والري ونماذج ثقافية جديدة تطورت بفضل رفاهية تافيلالت وعاصمتها سحلماسة إلى جانب تلك القادمة من جنوب مراكش والساقية الحمراء⁽²⁾.

نشير أيضا أنه إلى جانب الارتباط الثقافي والتقاليد التي ميزت الجهة الغربية من الصحراء كان هناك ارتباط من نوع آخر، فقد كان ارتباط منطقة الصحراء في هذه الجهة بتلمسان التي أمدت المنطقة بالعلماء إلى جانب بسط يد السلاطين الفلاليين على قسم كبير من هذه الواحات التي بسطت فكرة الشريفة من خلال الزوايا⁽³⁾، فمن الواضح أن هذا النوع من التقارب سمح

1. جميل عبد القادر أكبر، المرجع السابق، ص: 368.

2. رشيد بليل، المرجع السابق، ص: 455.

3. نفسه، ص: 60.

بوجود قاعدة فقهية ربما ساعدت في فك خلافات الجيران ونظمت الفضاء العمراني للقصور، كما سمح الأمر كذلك بتوسّع في المعارف المتعلقة بكيفيات البناء، وبيق أمر إثباتها صعبا في ظل غياب كتب لفقهِ العمارة والنوازل.

المبحث السادس: العوامل المؤثرة في تخطيط مسكن القصر

معلوم أن العمارة تعبر عن مستوى معيشة أصحابها في أي مكان من العالم سواء كان التعبير عن الفقر أم الغنى، كما تع د انعكاسا لطبيعة نشاطهم الذي يقتاتون منه تجارة كانت أو فلاحا أو حتى صناعة، إلى جانب أنّها تعكس أوضاعهم إن كانت مستقرة أم مضطربة، إلى جانب التعبير عن ذوقهم وحسهم الفني من خلالها، في مساحة الحرية التي قد تضيق أو تتسع تبعا لظروف وتوجيهات معينة، ولكنها أكثر ما تعبر عن درجة إدراكهم للظروف المناخية والبيئية وكيفيات معالجتها⁽¹⁾، فالعامل البيئي يعتبر من أهم العوامل تأثيرا على أنماط العمارة، فـجغرافية المكان تحدد نمط مادة البناء المعتمدة في تشييد المباني، فباختلاف الطبيعة الجغرافية تختلف خصائص مادة البناء، فكل طبيعة توفر إنشاء معينة توجه عملية البناء برمتها كما يمثل المناخ العامل البيئي، الأكثر تحكما في عملية البناء⁽²⁾، وهذا لا يعني غياب عوامل أخرى لا تقل تأثيرا عن العامل البيئي، فقد صممت هذه المساكن للوفاء بالعادات والتقاليد السائدة بما في ذلك الحرص على الاستقلال والخصوصية ليقوم المسكن بمهامه ويحقق الغرض من إنشائه، وبتقسيمات ومكونات لها دلالاتها الاجتماعية⁽³⁾، ونحاول فهم العملية بحصر هذه العوامل وفقا لما توصلنا إليه من البحث والاستنتاج، ونزيد التعمق في فهم العامل البيئي بأكثر تبصر من خلال الأمثلة والإسقاطات وفقا لما يلي:

1. نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية لمنطقتي توات الوسطى والقرارة بين ضوابط النص الديني وحدود الواقع ، ط. 1، مكتبة النهضة، القاهرة، 2013، ص: 283-284.
2. للمزيد ينظر: سعد عبد الكريم شهاب، أنماط العمارة التقليدية الباقية في صحراء مصر الغربية، دراسة تحليلية مقارنة ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط. 1، الإسكندرية، مصر، 2009، ص: 229.
3. يحيى وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة: الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي ، عالم المعرفة، ع. 304، مطابع السياسة، الكويت، 2004، ص: 95.
3. سليمان محمود حسن، الزخارف الجصية على البيوت التقليدية بالمخلاف السلیماني المملكة العربية السعودية، المأثورات الشعبية، مجلة فصلية، ع. 63، تصدر عن مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، الدوحة، قطر، 2001، ص: 14.

1. العامل الديني:

جاءت تعاليم الرسول ﷺ صلى الله عليه وسلم تفصيل لكل الأحكام العامة والتي وردت في القرآن، فأخذ العمران بمفهومه الشامل قسطاً منها وشمل فقه العمران وأحكامه وتنظيم المدينة وآداب الارتفاق وغيرها، وهذا ما اعتمده الفقهاء مع القرآن بعد ذلك في ترتيب فقه البنين وأحكامه ومن هذه الأحاديث قوله ﷺ صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن عباس رضي الله عنه: ﴿لا ضرر ولا ضرار للرجل أن يضع خشبه في حائط جاره إذا اختلفتم في الطريق فاجعلوها أذرعاً⁽¹⁾﴾، وفي سبيل عدم الإضرار بالآخرين أوضحت كتب فقه البنين القواعد والأحكام التي تكفل ذلك، كعدم الارتفاع بالبنين على الجيران، وعدم فتح نوافذ تطل على حريمهم، وعدم منع الجار من وضع العوارض الخشبية للبناء على بنائه، وحكم إخراج الميازيب، وغير ذلك من المسائل الدقيقة التي تدخل ضمن هذا الإطار من حقوق البناء ومن أشهر الأمور التي عرضت كثيراً على الفقهاء حقوق الجدار المشترك، وحق المرور والارتفاق⁽²⁾، وكلها صور حددت معالم ومظهر المسكن القصورى خاصة فيما يتعلق بالعلو والميازيب هذا الأخير الذي عرف أهمية قصوى لدى سكان القصور الصحراوية حيث تنبني عليه أحكام قد تتعدى تصريف المياه إلى سقي الغرس وحقوق الاستفادة من هذه المياه، أو لدفع ضررها عن أسطح الجيران.

نختار على سبيل الشرح نظرية المجاورة فيما بين المتساكنين، فنجد أن الإسلام كان سابقاً في وضع أسسها من خلال بعض الأحاديث كقوله ﷺ صلى الله عليه وسلم: ﴿لا يمنع أحدكم جاره أن يضع خشبه في جداره﴾، وقال أيضاً: ﴿من كان له جار في حائط أو شريك فلا يبعه حتى يعوضه﴾ وقد جمع حق الجار حيث قال: ﴿أندري ما حق الجار؟ إذا استعانك أعينه وإذا استقرضك أقرضته وإذا افتقر عدت إليه وإذا مرض عدته وإذا أصابته مصيبة عزيزته وإذا مات اتبعت جنازته ولا تستطيل بالبنين فتحجب عنه الريح إلا بإذنه﴾⁽³⁾، لذا نجد أنه أنشئ باب في الفقه الإسلامي يسمى بالمرفق أو الارتفاق وهو ترافق الجيران في تبادل المصالح بينهم والحث عن

1. إبراهيم بن يوسف، المرجع السابق، ص: 111.

للمزيد ينظر: عيسى سليمان وآخرون، العمارات العربية الإسلامية في العراق، نشر دار الرشيد، العراق، 1982.

2. محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص: 34.

3. عبد الباقي إبراهيم، تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مطبوعات

الجامعة، بغداد، ص: 61.

التنازل عن الحقوق بعضهم لبعض⁽¹⁾ وهو أمر كثيرا ما يفسر تداخل المساكن فيما بينها داخل القصور حيث تجد مدخل بيت ضمن الطابق الأرضي للمسكن المجاور أو تجد ممرا مشتركا وغيرها كثير من الأمثلة.

ويتمد التفريق بين الجنسين إلى مكان النوم حيث يفرض الإسلام عدم السماح للإخوة الذكور بالنوم مع الأخوات من الإناث عند سن معين، وهو ما يؤدي بالنهاية إلى تخصيص غرف لكل من الجنسين⁽²⁾، ورغم ذلك فتعدد الغرف في مساكن القصور على مستوى الطابق الأرضي أو الطابق الأول فرضه الزواج المبكر للجنسين مما يعني نشوء عائلة جديدة ومغادرة أحد أفراد العائلة للمسكن أي البنت.

لا يقتصر أثر الأحكام الفقهية للبيان على تخطيط المدينة وشوارعها فقط بل إنه يمتد إلى شكل المباني نفسها خاصة المساكن تحقيقا للنظرية المعمارية التي تقول أن الشكل يتبع الوظيفة⁽³⁾، وبمجرد إلقاء نظرة على واجهات المساكن بالقصور الصحراوية وتفحص لعناصرها نجعلنا ندرك أنها انعكاس للتوجيه الديني من خلال تلك الفتحات الصغيرة على مستوى الطابق الأول أو السطح وتلك الميازيب البارزة عن الواجهة أو موقع المداخل التي يرتبط إنشاؤها بقواعد فقهية محددة، فكان لهذه الأحكام دورها في استقرار الهيئة الاجتماعية للمدينة الإسلامية ممثلة في القصر، وإقرار المبادئ الإسلامية وتأصيلها بقيم المجتمع حتى أصبحت في حكم "العرف العام"⁽⁴⁾، وأصبح تطبيقها سلوكا عاما أدى في النهاية إلى شيوع الصفة الإسلامية على مساكنها وعلى سلوك من يشغلونها.

2. العامل البيئي (جغرافي مناخي):

تتألف البيئة من عدة عناصر تتعلق بالأرض وما يحيط بها من مناخ وظروف جوية وغطاء نباتي إلى جانب طبيعة الأرض في حد ذاتها والتي تراوحت بين جبال، وسهول، وصحاري وصخور وغيرها، وبالتالي فقد حدد اجتماع عناصر معينة نمط العمارة لتلك المنطقة، ولأن الصحراء لها بيئة معينة تتسم على وجه الخصوص بالجفاف والحر، فقد انعكس ذلك على عمارتها

1. مصطفى بن حموش، جوهر التمدن، مرجع السابق، ص:48.

2. نفسه، ص:50-51.

3. محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص:38.

4. نفسه، ص:39.

وأثر على شكلها تأثيرا واضحا حيث نحاول شرح ذلك بالتطرق لأهم عناصر البيئة الصحراوية التي كان لها دور في ذلك.

2-1 المناخ:

تفاعل سكان القصور مع المناخ الصحراوي واستطاعوا أن يكييفوا عمارة مساكنهم وفقا لمعطياته، كما وفقوا في ابتكار حلول إنشائية ومعمارية كان لها دورا هاما في التخفيف من قسوة المناخ الحار والجاف، ولأن الظروف المناخية تتمثل في درجات الحرارة والرطوبة وفي حركة الشمس وميولها وفي كميات الأمطار ومواسمها وسرعة الرياح واتجاهاتها، وهي عوامل ثابتة لإقليم الصحراء عموما، وهي ذاتها العوامل التي توجه مساكنه كما تملي المعالجات المعمارية المعمارية التي تساعد على توجيه حركة الهواء أو الحماية من الشمس⁽¹⁾ أو حتى الزوابع الرملية في أوقاتها المعلومة، وبالتالي ساعدت البيئة الصحراوية على تلاصق المساكن وتراصفها، وساعدت كذلك على توجيه حياة الإنسان إلى الداخل خاصة المساكن، فاستحدثت الأفنية الداخلية أو كما تسمى في بعض المناطق الحوش*، كما برزت أهمية المركزية والفناء لما يقوم به من استقطاب مركزي لمختلف المحاور نحو الداخل، لذا جاءت الجدران هي الأخرى بدون شرفات ولا تفتح نحو خارجها فربطت بين فناء الدار والدرب منافذ ومداخل حاجبة⁽²⁾.

لكن استحدثت قبل ذلك لحل مشكلة التيار الهوائي الحار عنصر مهم هو السقيفة، فالإنسان الداخل إلى الدار وهو يتصبب عرقا ودرجة حرارته مرتفعة قد يتأثر بالتيار الهوائي⁽³⁾، أما الأفنية فنجد أن مساكن القصور أفنيتهما إما مفتوحة كما هو الحال في قصور القنادسة وقورارة أو مغلقة كما هو الحال في ورقلة، تاغيت، بني مزاب، متليلي، القرارة وغيرها، وبعض المساكن في قورارة على قلتها، وهي أفنية مغلقة إلا من فتحة مربعة قد لا تزيد مساحتها عن 1م² ويرجع

1. عبد الباقي ابراهيم، المرجع السابق، ص: 21.

* تجدر الإشارة إلى أن الفناء الداخلي الذي هو: (ساحة . باحة . صحن . وسط الدار) يعد كأحد أهم الحلول المناخية قد تم استعماله في أغلب الحضارات المعمارية السابقة، ففي المعمارية المصرية الفرعونية ظهر الحوش في مساكن العامة وكذلك في قصور الفراعنة آخذا مسمى آخر هو ساحة القصر، وفي الحضارة الإغريقية ظهر المسكن ذو الأحواش بشكل عام في مدينتي ديلوس وأولينث كما عرف الحوش في العمارة الفارسية والرومانية أيضا. ينظر: يحيى وزيري، المرجع السابق، ص: 111.

2. إبراهيم بن يوسف، المرجع السابق، ص: 99.

3. محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة...، مرجع السابق، ص: 77.

سبب ذلك إلى البيئة الصحراوية المتميزة بمظاهر طبيعية خاصة، كالزوابع الرملية، التي يمكن أن تتسرب إلى داخل المسكن، أما الأفنية المفتوحة فقد ميزت مساكن الدويرات في قصر القنادسة. يندر سقوط الأمطار في البيئة الصحراوية وهذا لا يعني غيابها التام، فقد سجلت مواسم تساقطات مطرية معتبرة، ولكنها لا تذكر مقارنة بالأقاليم التلية أو الساحلية، وقد انعكس هذا الأمر في اعتماد السطوح الأفقية كنظام تغطية لمساكن القصور كلها، ولحل مسألة التساقطات النادرة وظف المصمم تقنيتين في المسكن القصورى، الأولى تعتمد على الميل النسبي لمستوى هذه السطوح لتوجيه حركة مياه الأمطار المتجمعة فوقه، والتقنية الثانية تمثلت في توظيف الميازيب التي تصب في الشارع، وكل منهما أثر بشكل واضح في الشكل العام للمسكن وحدد معالمه.

2-2 مواد البناء المحلية:

اعتمدت العمارة الإسلامية على المادة البنائية التي توفرها البيئة المحلية، حيث وفرت البيئة الصحراوية مواد بناء معينة، فكثرت اعتماد الحجر كمادة أولية في البناء في المنطقة ذات الطبيعة الصخرية كما هو الحال في وادي مزاب، بينما يكثر اعتماد الطين في المناطق التي تقل فيها الحجارة ويكثر وجود الطين مثل توات، أو الحجارة والطين معا مثلما هو الحال في قصر القنادسة، بل هناك من القصور من و ظف حجارة الملح في البناء في بعض القصور الواقعة على ضفاف السباخ مثل قصر تمنطيط، وهذه المواد أكثر ما يميزها مقاومتها للحرارة وكونها ذات سعة حرارية كبيرة جدا مثلما هو الحال مع الحجر الكلسي، والذي يتطلب مرور الحرارة من خلاله خمسة عشر ساعة⁽¹⁾، كما أن الحجارة لكونها غير مهذبة تترك بينها بعض الفراغات أثناء البناء، مما يساعد في عملية العزل الحراري⁽²⁾، وإلى جانب ذلك ساند المصمم العملية باللعب على سمك الجدار الخارجي للمسكن، حيث لا يقل سمكها عن 0.50م وقد يصل إلى 0.70م، وذلك لتحقيق العزل الحراري التام للمبنى⁽³⁾، خلال ساعات النهار أما في الليل ينتقل الجميع إلى السطح للنوم والسممر. دوما وفي سبيل العزل الحراري ولأن السطح يستقبل قسما هاما من أشعة الشمس طيلة النهار نجد أن سقف المسكن في القصور الصحراوية ذو سمك معتبر يتراوح ما بين 0.30م إلى

1. يحي وزيري، المرجع السابق، ص: 107.

2. عدنان هزاع البياتي، مدينة نينوي: بين عبقرية البناء وكفاءة الأداء، إنقاذ الرصيد الحضاري بالمدن الأصلية المغاربية والمراكز القديمة بفرنسا، منشورات المنتدى الثقافي لمدينة صفرو، المنتدى الثقافي 8، 1995، ص: 61.

3. نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية بإقليم توات ..، مرجع سابق، ص: 289.

0.50م وقد يصل إلى سمك 70 سم في مساكن مزاب، وهو مؤلف في الغالب من عوارض خشبية يهلوها جريد النخيل أو حجارة مسطحة أو الكرناف وفوقها طبقة من الطين ثم طبقة عازلة من الجير الأبيض أو يغطى في الأخير طبقة من الجير ممزوج بالرمل⁽¹⁾، لتوضع في الأخير طبقة من ملاط الجير يتراوح سمكها بين 0.10م إلى 0.15م.

إذا فالجدران والأسقف السميكة تساهم بشكل جيد في المحافظ على برودة المبنى نهاراً، فهي تملك قدرة كبيرة على امتصاص الحرارة الساقطة عليها وتأخذ الحرارة وقتاً طويلاً للمرور، وهو الأمر الذي يحول دون عملية تسخين الفراغات الداخلية للمترل في فصل الصيف، بل تحافظ على رطوبتها في الفترات الحارة، كما أن الأسطح بهذه السماكة والطبقات المختلفة ساهمت بشكل كبير في مقاومة حر الصيف⁽²⁾، كما يستعمل السطح كما رأينا كمجال للجلوس والنوم في الفصل الحار والتمتع ببرودة الصيف ليلاً.

رغم ندرة استعمال الخشب في القصور الصحراوية⁽³⁾ لا يجب أن ننسى خشب النخيل، الذي كان له أثر واضح في مقاسات الغرف خاصة عرضها، الذي يتلاءم مع طول جذع النخلة المستعملة في عملية التسقيف⁽⁴⁾، حيث يصل وجه الواحدة منها ما بين 0.15م إلى 0.10م في الجانبيين ولا يزيد طولها أبداً عن 2.5م إلى 3.5م، وهو الأمر الذي حدد عرض الغرف مسبقاً⁽⁵⁾، فأصبح لدى المصمم فرصة إطالة الغرف قدر ما يشاء ولكن دون أن يكون الأمر نفسه مع العرض، وهذا أمر ساعد كثير خاصة بالنسبة لغرف الضيافة بالنسبة للرجال أو النساء، إلى جانب الغرف الأخرى بالنسبة للعائلات التي يكثر عدد أفرادها.

2-3 طبوغرافية الموقع:

أدت طبيعة الهضاب دوراً كبيراً في تحديد مساحة المسكن، حيث تحكمت كلياً في تحديد مساحة وشكل مخططه، وعدم انتظام جدرانها، كما هو الحال في قصبة مهلال وليشته⁽⁶⁾، ويزداد

1. Pierre Donnadieu et autres; Op. Cit. p: 95.

2. طرشاوي بلحاج، المرجع السابق، ص: 258.

3. طرشاوي بلحاج، تأثير العوامل المناخية على العمارة، مجلة منبر التراث الأثري، ع. 1، تصدر عن مخبر التراث الأثري وتنمينه، جامعة تلمسان، 2012، ص: 38.

4. نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية بإقليم توات .. مرجع سابق، ص: 286.

5. Marcel Mercier; Op. Cit. p: 302.

6. نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية بإقليم توات .. مرجع سابق، ص: 285-286.

وضوح هذا التأثير في منطقة وادي مزاب الواقعة على تلال صخرية يصعب الحفر فيها فتبع شكل كل المرافق خاصة المساكن شكل طبوغرافية الوادي، وأكثر من هذا عزز تعدد الطوابق بمساكن هذه القصور صعوبة إنشاء الدهليز في أرضية صخرية كهذه، مع العلم أن الدهليز مرفق يستغل للقلولة بعد الظهر في فصل الصيف الحار⁽¹⁾، في حين سهّل الأمر في المساحات المستوية وذات الأرضية الهشة والترابية.

3. العامل الاقتصادي:

نشأت أغلب القصور الصحراوية في بدايتها على قاعدة فلاحية - كما سبق وأشرنا - جمعت بين الزراعة واستئناس الحيوانات، فقد انعكس ذلك على تخطيط قصورهم بالدرجة الأولى وعلى مساكنهم على وجه الخصوص. بما يتوافق وطبيعة هذا النشاط، إلا أن عدد من هذه القصور عرفت في مراحل تالية خلال العصر الوسيط نشاطا موازيا من خلال حركة تجارية ضخمة، بدأت شيئا فشيئا تكبر وتتوسع صوب أهم مراكز الحضارة ومصادر الذهب والعاج وغيرها من المعادن والمواد الثمينة خاصة تجارة الرقيق، وبطبيعة الحال كانت هذه التجارة كما سبق وأشرنا تتجه صوب بلدان الساحل، ولأن المسافة طويلة كانت القصور الصحراوية المتواجدة أصلا أو التي أنشئت فيما بعد تعد محطات لاستعادة الأنفاس والتجهيز والمتاجرة بل وحتى استبدال الجمال التي لم تعد قادرة على مواصلة الرحلة، وهو ما جلب لسكان القصور مصادر رزق جديدة كما حمل إليهم أمور غيرت من نمط عيشهم وطبيعة أحوالهم.

فرض هذا الوضع في بدايته تخطيطا ساعد في إيجاد حلول لتخزين محاصيل الواحة من حبوب موسمية وتمور حيث لا يخلو مسكن من مساكن القصور من وجود مخزن، فكانت في البداية مخصصة للاحتياجات المحلية لسكان المسكن والواحة، ولكن وقعت الطفرة مع نشوء المسالك التجارية صوب السودان، حيث نسجل تفاوت في مساحة هذه المخازن حيث تتسع هذه المساحة في مناطق القصور الواقعة بالجنوب الغربي مثلما هو الحال في قصر القنادسة حيث يفوق مساحة المطبخ⁽²⁾ الذي هو فضاء مستقل، بالمقارنة مع تلك الموجودة بالمساكن في وسط الصحراء وشرقها، بل هناك قصبات بأكملها خصصت للتخزين في فترات معينة، ومرد ذلك إلى حركة التجارة التي لم تتوقف إلى وقت متأخر بين أهم الحواضر الواقعة بالقسم الغربي من المغرب العربي

1. عدنان هزاع البياتي، المرجع السابق، ص: 61.

2. محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة...، مرجع سابق، ص: 68-69.

والساحل، كما أُتخذت القصبات بشكلها الحصين كمخازن للمحصول الزراعي الموجه للتبادل التجاري أي أنها مخازن جماعية⁽¹⁾، لتصبح القصبية في توات الوسطى مأوى للأسر الميسورة ومجموعة العائلات ميسورة الحال التي تربط بينها علاقة القرابة لنلاحظ وجود بيوت مؤلفة من طابقين كمال الحال في قصبية ملوكة⁽²⁾، وربما فرض هذا العدد في الطوابق محدودية مساحة القصبية ونمو عدد أفراد هذه الأسر مما فرض توسعات رأسية على تلك المساكن. جاءت فكرة إنشاء القباب في القصور الصحراوية التي عرفت هذه الظاهرة المعمارية - رغم عدم شيوعها على صعيد واسع- هي الأخرى لأسباب اقتصادية، ففي قصر القنادسة عرف المجتمع حالة من الرفاه جراء الزيارات المتوافدة على القصر بغية التبرك بالشيخ وكذا من التأمينات الخاصة باجتياز مسالك التجارة إلى مختلف البلدان بما فيها الإفريقية أي دول الساحل، فلجأ القائمون على المساكن إلى القباب وأشباهاها لإثرائها بمواضيع زخرفية متنوعة، ولم لا وهم يعيشون في بجوحة من رغد العيش، فأصبحوا يستقدمون الصناع والحرفيين من مختلف المدن خاصة المغرب الأقصى القريب منها⁽³⁾.

4. العامل الاجتماعي:

يتأثر سلوك المجتمع بالتقاليد والعادات التي ترسخت فيه من آثار الحضارات التي مرت به على مر العصور، وهذا ما يعطي المجتمع خصائص مميزة تظهر فيها الجوانب الإنسانية⁽⁴⁾ ولعل من بين أكثر الأشياء التي انعكست على تخطيط المساكن في القصور الصحراوية سلوك اجتماعي تميز به العالم الإسلامي إجمالاً وأهل الصحراء على الخصوص ونقصد به إكرام الضيف أو "الضيافة"، وما قوى هذا السلوك لدى سكان القصور أنها كانت محطات لقوافل التجار وعابري السبيل وكذا قوافل ضيوف الرحمن من الحجاج ولعل صورة العياشي في قصر ورقلة لا تزال مرسومة في مخيلتنا.

1. R. Capot. Rey ; Greniers domestiques et greniers fortifies au Sahara : Le cas du Gurara, I.R.S, XIV, 1956, p: 139.

2. نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية بإقليم توات ... مرجع سابق، ص:291.

3. محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة ...، مرجع سابق، ص:152.

4. عبد الباقي ابراهيم، المرجع السابق، ص:19.

خصص لهذا الغريب العزيز على نفوس المسلمين من سكان القصر فضاء خاص به عبارة عن قاعة تكون دوما ذات مقاسات كبيرة مقارنة بغيرها من الغرف⁽¹⁾، كما تكون منفصلة عن باقي ملحقات المسكن الخاصة بالعائلة لحفظ خصوصية أهله وتكريسا لمبدأ الحجة، حيث توضع هذه المجالس عند المدخل وفي أماكن لا يسمح بالإطلاع على داخل البيوت⁽²⁾، وبالتالي فهي معادلة مهمة تتمثل في التوفيق بين حسن الضيافة من جهة وحفظ عرض البيت من الأجنبي من جهة أخرى.

يتسم المسكن في القصور الصحراوية بكونه وحدة فضائية واحدة ومتعددة في نفس الوقت فهو واحد كونه ملكا للعائلة الكبيرة، وبهذا الشكل قد توجد به أكثر من عائلة تجمعهم رابطة الدم، فيظم المسكن بذلك الجد والجددة، ثم الأبناء المتزوجين وأبناءهم ونسائهم، ونتيجة لتكرار الزواج وداخل البيت الكبير تنشأ فكرة الوحدات المتعددة، ومع نشوء هذه الوحدات تنشأ فكرة الفضاءات الممنوعة وفق العادات والتقاليد حيث تحتجب زوجة الأخ عن أخيه أو حتى زوجة ابن أخيه كونهم ليسوا محارم⁽³⁾، لذا ساهم هذا الأمر كذلك في وضع مدخل منكسر في إحدى زواياه، يسمح بالانتظار والاستعداد للدخول بعد طلب الإذن.

تعد الطباقية من بين التقاليد الاجتماعية التي أثرت في القصور التي ظهرت فيها، وانعكس ذلك على تخطيط المساكن، ففي قصر القنادسة نجد مداخل مساكن الأشراف (الدويرات أو الدويريات كما تسمى محليا) غير متناكبة بل متقابلة، على عكس مداخل مساكن الأشخاص العاديين الذين لا تربطهم قرابة فهي متناكبة ومتباعدة عن بعضها البعض زيادة على صغر حجمها، كما نتج عن ذلك ظهور المستوى الواحد المرتسم من قبل العرق الاجتماعي، وعدم اللجوء إلى التفاوت في العلو البنائي أو البروز عن الخط المحدد من قبل الهيئة المشرفة على رسم حدود المساكن⁽⁴⁾.

تعد الوحدة النمطية في البناء وتوزيع المرافق السمة المشتركة بين السكان، حتى في الأماكن الخاصة المستقلة، مما استوجب إتباع طريقة موحدة في عملية الإنشاء للمبنى خاصة المساكن، فضلا عن توافق هذه المساكن مع القيم المعنوية للسكان، وهذا تأكيد على أن البيئة

1. نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية بإقليم توات .. مرجع سابق، ص: 292.

2. مصطفى بن حموش، جوهر التمدين، مرجع السابق، ص: 50.

3. طرشاوي بلحاج، العمارة الإسلامية أصولها الفكرية، مرجع سابق، ص: 273-274.

4. محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة ...، مرجع سابق، ص: 60، 68.

التقليدية تتبع العرف ولا غير ذلك لأنها كانت حصيلة التجارب والخبرات للصناع من البنائين في مجال نظام الإسكان⁽¹⁾، ومن هذه الأعراف مثلاً ما تشابه في الشكل العام ولكن تباين واختلاف في التفاصيل رغم قرب المسافة كما هي الحال في مساكن قورارة وتوات، حيث تشابه من حيث الشكل العام ولكن جاء صحن مسكن قورارة أصغر من نظيره في توات كما أن غرفة استقبال الرجال في مسكن الأولى بالسطح بينما في توات في الطابق الأرضي⁽²⁾، وهو تقليد دأبت عليه مساكن كل قصر، ولكن نرى أن هذا الحكم لا يمكن تعميمه خاصة إذا علمنا أن هناك من الصور من خضع للتوجيه الديني منذ القرن 3هـ ونقصد بذلك كتاب القسمة وأصول الأرضين، وما يدعم هذه الفكرة مواصلة سكان بني مزاب العمل بتلك الفتاوى والأحكام الفقهية الخاصة بالبناء في الشق الخاص بالمسكن بل وتخصيص أمناء يقفون على تنفيذ هذه الأحكام تابعة لمجلس العزابة.

نشأت أعراف أخرى عن مسألة حفظ العرض في كيفية استعمال السطوح (الصورة رقم:12) التي غالباً ما تلجأ إليها العائلة للنوم ليلاً خاصة في المناطق الحارة، حيث تبني ستارة عالية بقدر قامة الشخص أو أن يمنع الرجل من الصعود ليكون المكان خاص بالنساء فقط⁽³⁾، كون النساء محجوبات، ومتفرغات للعمل في بيوتهن ولتربية أولادهن وخدمة أزواجهن والقيام بأعباء الحياة الأسرية داخل المسكن، ولم يجذب خروجهن إلا عند الضرورة⁽⁴⁾، كما أن من بين الأعراف تقيد أفراد مجتمعات القصور بعدد معين من الطوابق لبيوتهم⁽⁵⁾، ففي بني مزاب نجد طابق أرضي وطابق أول وسطح وهو الحال ذاته في العديد من القصور وهناك من القصور نجد المسكن مؤلف من طابق أرضي وسطح مثل مساكن القنادسة وأغلب مساكن قورارة وتوات.

5. العامل الخارجي (التأثيرات الوافدة):

شهدت القصور الصحراوية على مر التاريخ أحداثاً أثرت في عمرانها بقدر ما أثرت في حياة الناس من ذلك حياة الاستقرار و إلاً استقرار، خاصة بعد أن أصبحت هذه القصور تمثل للبدو أهدافاً للإغارة عليها لما فيها من محاصيل وثروات التجارة مع بلاد السودان والحواضر

1. محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة...، مرجع سابق، ص:123.

2. نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية بإقليم توات ..، مرجع سابق، ص:138.

3. مصطفى بن حموش، جوهر التمدن، مرجع السابق، ص:50.

4. محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص:348.

5. مصطفى بن حموش، جوهر التمدن، مرجع السابق، ص:97.

الشمالية، وهذا ليس معناه دوماً أن هذه القصور عرفت الأشياء السيئة فقط بل في بعض الأحيان استفادت من بعض الأحداث كتلك التي تبعت سقوط دولة المرابطين بالنسبة لقصر القنادسة، فعندما اضمحلت الدولة المرابطية سنة 1147م على يد الموحدين، وصلت أعداد قليلة منهم إلى القصر، حيث لوحظ على نمط البناء التأثير المرابطي⁽¹⁾ مما يعني نقل بعض التقاليد المعمارية لهذا القصر مثل باب الخوخة (الصورة رقم: 14 و 15) والزخارف الحصية، وهي الحال ذاتها بالنسبة لقصر سدراته المندرثر والذي جلبت إليه زخارف ذات طابع سمرائي بعد أن هاجرت إليه وفود جديدة قادمة من المشرق (الشكل رقم: 30) (الصورة رقم: 32)، إلى جانب تلك العقود الحدوية والمنكسر المتجاوز التي اتسمت بها مساكن قصر القنادسة⁽²⁾ وهي ذات تأثير وافد إلى المنطقة من جهات المغرب الأقصى والشمال الجزائري كتلمسان.

كما أن العلاقات الرستمية ببلاد السودان في جملتها علاقات تجارية وقد امتلك الرستميون عدداً من القواعد الصحراوية التي تقع على طرق التجارة مع بلاد السودان وأولها كانت وارجلان⁽³⁾، بل وفي مرحلة موالية أي بعد سقوط عاصمتهم تيهرت سيشدون الرحال إليها للاستقرار بها وينقلوا إليها تأثيراتهم المعمارية التي صاغوا بها مساكنهم.

كما أن إقليم توات -بمناطقه الثلاثة ومنها قورارة- هو الآخر عرف قدوم قبائل بربرية زناتية قادمة من الشمال بحثاً عن الأمن جراء الاضطرابات السياسية والاجتماعية التي عرفتتها منطقة المغرب الإسلامي بعد رحيل الفاطميين، وأن هاته القبائل هم من اختطوا القصور الصحراوية بالمنطقة⁽⁴⁾، ليظهر بذلك تأثير معماري على هذه القصور ذو أصول إباضية، وبالتالي انتقال تأثيرات حددت تصميم المساكن التي خضعت على عهد الإباضيين لرأي الفقهاء من أمثال أبو العباس أحمد الفرسطائي.

1. محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة ...، مرجع سابق، ص: 24، 199.

2. نفسه، ص: 141.

3. محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160هـ / 296هـ، ط. 2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987، ص: 210.

4. نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية بإقليم توات ..، مرجع سابق، ص: 180-181.

الباب الثاني

الدراسة الوصفية

الفصل الأول: المسكن في قصور وادي مزاب

الفصل الثاني: المسكن في قصر ورقلة

الفصل الأول

المسكن في قصور وادي مزاب

المبحث الأول: المعطيات الجغرافية

المبحث الثاني: لمحة تاريخية عن منطقة مزاب

المبحث الثالث: المسكن بقصور وادي مزاب

المبحث الأول: المعطيات الجغرافية

تعد صحراء الجزائر التي تنتمي للصحراء الكبرى من بين أكثر الصحاري مساحة، ورغم ما عرفت به الصحراء من حر شديد وجفاف فهناك تباين واضح بين مناطقها وأقاليمها، فمنطقة الأهقار أكثرها رطوبة وأقلها حرا، في حين منطقة توات وعين صالح تحديدا أكثرها حرا، لذا وجب المرور على موقع وادي مزاب جغرافيا ومناخيا كي تتجلى الصورة بوضوح في هذا الشأن، وحتى يتسنى الربط بين هذه المعطيات والشكل المعماري لمساكن المنطقة.

1. الموقع الجغرافي:

ينتمي وادي مزاب إلى الحوض الشرقي للصحراء الجزائرية الذي يحده شمالا جبال الأطلس الصحراوي، ومن الغرب والجنوب الغربي قورارة وتوات، ومن الجنوب الأهقار والطاسيلي، ومن الشرق الحمادة الحمراء ومنطقة غدامس⁽¹⁾، فيما يقع بالتحديد شمال الصحراء الجزائرية ضمن ما يعرف بمنطقة الشبكة، هذه الأخيرة تعني تلك المساحة المحصورة بين خطي العرض 32° و $20^{\circ}33'$ شمالا، وخطي الطول $4^{\circ}0'$ و $30^{\circ}2'$ شرقا، على مساحة قدرها 8000 كلم²(2).

إلا أنه وبالموازاة مع تكييف تصنيف سهل وادي مزاب مع قانون التراث رقم 98/04 المؤرخ في 15 جوان 1998، أعيد تصنيف الموقع وبالتالي تحديد مساحة وحدود الموقع بما يتوافق والمساحة المطلوب حمايتها، وحسب المرسوم التنفيذي رقم 05-209 المؤرخ في 04 جوان 2005 المتضمن إنشاء وتحديد حدود القطاع المحمي لسهل وادي مزاب (الشكل رقم: 31)، والتي عينت وفق نقاط محددة (الشكل رقم 3)، ووردت بالترتيب كما يلي⁽³⁾:

- من الشمال الشرقي باتجاه الشمال الغربي المساحة المسماة **حمرايات** والتابعة لبلدية العطف باتجاه عالية **وادي لبيض** التابع لبلدية الضاية بن ضحوة مرورا بنقاط تقاطع وادي أزويل والطريق الوطني رقم 01 على بعد 01 كلم من مدينة غرداية ووادي العديرة.

- أما من الجنوب الشرقي باتجاه الجنوب الغربي، من عالية **وادي لبيض** (بلدية الضاية بن ضحوة) باتجاه مصب الوادي في السد الكبير للعطف، مرورا بتقاطعات **وادي أريدان، وادي**

1. Marth et Edmond Gouvion ; **Kharidjisme : Monographie du M'zab**, imprimerie Vigie Marocaine, Casablanca, 1926, p: 175.

2. Marcel Mercier; Op. Cit. p. 30.

3. المرسوم التنفيذي رقم 05-209 المؤرخ في 26 ربيع الثاني 1426هـ الموافق لـ 04 جوان 2005.

التوزوز، وادي بلغنم، وادي نتيسه، والطريق الوطني رقم 01 على مسافة 04 كلم من مدينة بنورة.

- إلى الشرق على مسافة 1.5 كلم حتى مصب الوادي في السد الكبير للعطف.
 - إلى الغرب على مسافة 1.5 كلم حتى عالية سد الضاية بن ضحوة.
- بمساحة إجمالية قدرها حوالي 52 كلم²، ومعدل ارتفاع 500م عن سطح البحر. وتعتبر مدينة غرداية عاصمة لسهل وادي مزاب وأهم مدنه كما أنها عاصمة للولاية، حيث تبعد عن العاصمة بمسافة 600 كلم جنوبا، و 300 كلم عن المنيعة، و 200 كلم عن ورقلة، و 1200 كلم عن تمنراست، و 300 كلم عن الجلفة.

2. المعطيات الجيولوجية:

تشكل الهضبة الكريتاسية - *Plateau crétacé* من الجير الصلب للعصر التوروني - *Turonien*، والتي حفرت بها أحادييد في كل الاتجاهات بفضل الحت النهري لبداية الزمن الرابع - *Quaternaire* (الشكل رقم: 2)، حيث شقت شبكة معقدة من الوديان ومنها جاء اشتقاق تسمية "الشبكة"، ومن هذه الوديان لدينا وادي مزاب المتجه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، وأكثر ما يميز هذه الوديان جفافها، ولكن تتسرب المياه إلى الطبقة الجوفية - *Nappe phréatique* أثناء جريان الوديان على عمق 40م إلى 70م الأمر الذي سمح بوجود حوالي 1500 بئر⁽¹⁾، وهي الجيولوجيا التي حددت شكل العمران والتوسع وكذا أماكن الفلاحة.

3. المعطيات المناخية:

كباقي المناطق الصحراوية تمتاز المنطقة بمناخ قاري شبه مداري - *Sub-tropical* و صحراوي جاف تقل فيه الرطوبة الناتجة من تبخر مياه الأمطار المتساقطة هذا الأخير الذي يعدل من فروق في درجة الحرارة لشمس بالكاد تغيب كامل السنة خلف سحب عابرة وخفيفة (الشكل رقم: 4).

يُعرف عن المنطقة تميزها بسقوط مفاجئ وغزير للأمطار - *Averse* في ظرف قصير، الأمر الذي يتسبب في سيلان سريع ومباشر لأودية المنطقة، قد تفيض وتشكل خطرا على حياة الناس والممتلكات وكل ما يوجد في طريقها، ومرد ذلك كله إلى عدم استقرار وتباين في معدل

1. Pierre Donnadieu et autres; Op. Cit. p. 24.

نزول الأمطار، وهنا يمكن أن نورد بعض المعطيات الخاصة بالمنطقة والتي أخذت عن محطة الأرصاد الجوية لمدينة غرداية الواقعة على علو 441م عن سطح البحر⁽¹⁾.

3-1 الحرارة:

معدل درجات الحرارة اليومي المسجل على النحو التالي: بالنسبة لشهر جانفي 10.1°م مع تفاوت حراري - *Amplitude* يومي مقداره حوالي 12°م، أما بالنسبة لشهر جويلية 33.1°م، مع تفاوت حراري يومي قدره حوالي 17.5°، بالنسبة لأدنى درجة حرارة مسجلة فهي 0°م، وأما أقصى درجة فوصلت 46°م⁽²⁾.

3-2 التساقط:

ينحصر المعدل السنوي لتساقط الأمطار بين 50ملم - 60ملم، مع تسجيل سنوات شديدة الجفاف حيث لا يتعدى المعدل السنوي للتساقط 20ملم إلى 30ملم، أما الحدود المسجلة فهي في أقصى معدلها تصل 120.5ملم، فيما سجل أدنى حد لها وصل 18ملم. نسجل من خلال ذلك 10 أيام تساقط للأمطار سنويا كمتوسط، وفي الحقيقة أن فيضان الأودية يستدعي أمطار غزيرة لعدة ساعات، وهذا الأمر لا يحدث إلا مرة كل سنتين إلى ثلاث سنوات، وبالنسبة للرطوبة نجد معدلها بين شهري أكتوبر وأفريل يصل حوالي 42٪، وبين شهري ماي حتى سبتمبر حوالي 04٪، أما الضباب فيمكن القول أنه منعدم⁽³⁾.

3-3 الرياح:

تمتاز المنطقة بالرياح الشمالية الغربية الباردة في فصل الشتاء كونها رطبة نسبيا، وهي ذاتها التي تحمل الأمطار خلال شهري جانفي وديسمبر، أما في فصل الصيف فالرياح الشمالية الشرقية هي الميزة الرئيسية للمنطقة خاصة وأنها رياح شديدة وساخنة، لاسيما تلك الجنوبية منها والمسماة بالسيروكو-*Siroco*⁽⁴⁾، بالإضافة إلى ذلك تلك الرياح الرملية الجنوبية الغربية في فصل مارس، أفريل، وماي، حيث الرياح تجري بسرعة 16م/ثا وأحيانا أكثر، ليستمر هبوبها حوالي 20 يوما في السنة.

1. Pierre Donnadieu et autres; Op. Cit. p : 25.

2. Ibid. p: 26.

3. Ibid.

4. Marcel Mercier; Op. Cit. p. 40.

المبحث الثاني: لمحة تاريخية عن منطقة مزاب

عرفت المنطقة قبل التزوح الإباضي تواجدا بشريا تذكره الروايات، مما يعني أن هناك إمتداد تاريخي لحقبات تجعل من منطقة وادي مزاب مسرحا لأحداث يلفها الغموض في ظل غياب المصادر التي تتحدث عن المنطقة في المراحل التي تسبق قدوم الإباضية للمنطقة، وسنحاول تتبع مسار المنطقة التاريخي لتبيان أهم المراحل التي أسفرت عن تأسيس القصور الخمسة.

1. أصل التسمية:

بحسب اللهجة المزابية يتم استبدال حرف الصّاد زاي مفخّمة في الكلمات وخاصة العربية مثل الصّوم الذي يصبح أزومي، والصّلاة التي تصبح تزايت⁽¹⁾، وقد ذكر لنا ابن خلدون اسم مصاب على أنه تسمية أهل المنطقة، فهم يعودون بحسبه إلى بني بادين كما أنّهم فرع من زناتة البربرية⁽²⁾، لذا نجد أن كلمة مصاب تتحول بحسب القاعدة لتصبح مزاب، أمّا سبب تحريف العين ألف أن من البربر من لا يستطيع النطق بالعين محقّقة، وإنّما ينطق بها همزة، وقد يسهّلها إلى ألف، ونجد ذلك جليا في بعض المخطوطات القديمة⁽³⁾، كما أن لعامل الزمن دوره في تطور هذه التسمية.

يرى الشيخ محمّد أطفيش أن كلمة مزاب مشتقة من مضاب بضاد معجمة وعلّ سبب تحريفها إلى أن الضاد يقترب مخرج صوتها من الزاي⁽⁴⁾، كما أن هناك من المؤرخين من استعمل تسمية أخرى رأى فيها الأصل لكل ذلك، ونقصد بذلك اسم بني مصعب، كونها أقدم تسمية ذكرت في المصادر التاريخية الإباضية، فقد ذكرت في كتاب السيرة لأبي زكرياء بصيغة **بادية بني مصعب**⁽⁵⁾، وهناك من الكتاب من يستعمل لفظ بني ميزاب، ويقصد به أصحاب الميزاب، وترجع في الأصل إلى قصة وقعت لأحد مشائخ الإباضية الأوائل، ونقصد أبي بلال مرداس، فقد دخل مكة مرة، وجلس تحت ميزاب الكعبة يدعو الله فإذا بقطرة تسقط عليه منه، فاعتقد أنها استجابة

1. بالحاج معروف، العمارة الدينية الإباضية بمنطقة وادي ميزاب، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ العمارة الإسلامية، جامعة أبي

بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية مارس 2002، ص:52.

2. عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج. 7، ص:58.

3. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، المطبعة العربية، غرداية، 1992، ص:7.

4. بالحاج معروف، المرجع السابق، ص:52.

5. محمّد بن يوسف أطفيش، الرسالة الشافية، مخ. (نسخة مصورة)، ص:20.

لدعائه فصار الإباضية من ذلك الحين يقفون أثناء الطواف صوب ميزاب الكعبة للدعاء فلقبوا بذلك الاسم⁽¹⁾، لكن لماذا اقتصر على المنطقة دون باقي الإباضية. مما سبق نستنتج أن تسمية مزاب هي الأرجح لذا سنستعملها في الدراسة على أنها التسمية الأرجح للمنطقة تاركين باقي التسميات لضعف احتمال صحتها.

2. لمحة تاريخية:

يخيل من أول وهلة لمن لا يعرف منطقة وادي مزاب من خلال المعطيات الجغرافية والمناخية خلوها من الحياة، إلا أن الواقع أثبت غير ذلك، حيث تؤكد الدراسات الأثرية للمنطقة عكس ذلك، فالحياة دبت فيها منذ عصور ما قبل التاريخ. ففي بحثه أكد بيير روفو - *Pierre Roffo*⁽²⁾ بناء على ما وجدته من أدوات حجرية، ونقوش صخرية في أكثر من موقع تعود العصر الحجري الأول، حيث ألقى في الدورة الحادية عشرة لمؤتمر ما قبل التاريخ المنعقد بفرنسا عام 1934م محاضرة بين فيها حصيلة بحوثه الميدانية في بلاد الشبكة، أين أحصى إحدى عشرة محطات تعود إلى هذا العصر، ووصف خلاله ما جمع من أدوات، أضف إلى ذلك غنى المنطقة بالنقوش الصخرية⁽³⁾، التي تراوحت مواضيعها بين الرسوم الحيوانية والهندسية ورسوم لبعض أعضاء الجسم البشري مثل اليد والرجل⁽⁴⁾. لم تعرف المنطقة غيرها من مناطق الصحراء أي نوع من أنواع التواجد الروماني، فيما كانت منطقة عبور لقوافل القبائل الزناتية، وقد بقي التوسع الروماني على حدود واد جدي بالصحراء الجزائرية⁽⁵⁾، كما أشار البعض من الباحثين⁽⁶⁾ إلى وجود أقوام الجيتول أو الميلانو جيتول جيتول أو الإثيوبيين، كانوا يرتادون هذه المنطقة بعيدا عن سلطة الشمال.

1. محمد بن يوسف أطفيش، المصدر السابق، ص: 84-85.

2. بالحاج معروف، المرجع السابق، ص: 50.

للمزيد ينظر :

Pierre Roffo; **Contribution à l'Etude de la préhistoire du Sahara septentrional**, Ancienne Imprimerie, Alger. 1934.

3. يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص: 10.

4. بالحاج معروف، المرجع السابق، ص: 50.

5. Marth et Edmond Gouvion; Op. Cit. p: 217.

6. Berbrugger, **Les Romains dans le sud de l'Algérie, observations archéologique sur les Oasis méridionales du Sahara Algérien (MZAB)**, Revue Africain, n° 10, 1858, pp: 298-300.

يذكر لنا ابن خلدون في كتابه ما نصه: " . . من بني واسين هؤلاء بقصور مصاب على خمس مراحل من جبل تيطر في القبلة لما دون الرّمال على ثلاثة مراحل من قصور بين ريغة وهذا الاسم للقوم الذين اختطّوها ونزلوها من شعوب بادين وضعوها في أرض حرّة على احكام وخراب ممتنعة في مسارحها بين الأرض المحجرة المعروفة بالحماة في سمت العرق متوسطة فيه، قبالة تلك البلاد على فراسخ في ناحية القبلة، وسكانها لهذا العهد شعوب زناتة، وإن كانت شهرتها مصاب... " (1)، إن بني مزاب وإخوتهم من بني بادين: بنو عبد الواد وبنو توجين وبنو زردال ... من قبيلة زناتة البربرية لما فشلت ثوراتهم ضد قبيلة كتامة، ثم من بعدهم صنهاجة التي طبّق ملوكها توصيات المعز لدين الله الفاطمي في التّصف الأخير من القرن الرابع الهجري نزحت زناتة إلى شمال الصّحراء فانتشروا في ما بين الرّاب وملوئية حتى الجنوب واستقرّوا بها وعمروها (2). لما ظهرت المذاهب الفقهية سبقت إلى بني مصعب أصول المعتزلة الواصلية* فأخذوا بها (3)، وقد كان هؤلاء السكان يغلب عليهم طابع البداوة والبساطة ونظام حياتهم يعتمد على تربية المواشي بالدرجة الأولى وعلى الزراعة بالدرجة الثانية (4)، كما توجد بعض القرى والمداشر التي اندثرت ولم يبق منها إلا بعض آثارها، والتي لا يعرف عنها إلى حد الآن إلا القليل والمتعلق خاصة بأسمائها ومواقعها نذكر منها **تَمَزْرَتْ**، **تُرْشِي**، و**أَكُونَاي** (5)، ومن ذلك ما ذكره الشيخ إبراهيم مطياز عن قرية **بوهراوة** شمال شرق **غرداية**، حيث كانت معمورة بالمعتزلة انقرضت ولم يبق لها أثر (6)، وفي إشارة إلى العلاقة بينهم وبين الرستميين أكد أن العلاقة كانت متوترة إلى درجة درجة أنهم دخلوا في حروب ضدهم.

1. عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 59.

2. إبراهيم مطياز، تاريخ بني مزاب، مخ. (نسخة مصورة)، ص: 7. نقلا عن: بالحاج معروف، العمارة الإسلامية: مساجد مزاب ومصلياته الجنائزية، ط. 1، دار قرطبة، المحمدية، الجزائر، 2007، ص: 45.

* الواصلية هم أصحاب أبي حذيفة بن عطاء الله الغزال الأثغ كان تلميذ حسن البصري وبالمغرب منهم شردمة في بلد إدريس بن عبد الحسيني الذي خرج في أيام أبي الجعفر المنصور ويقال لهم الواصلية واعتزلهم يدور حول أربع قواعد: القول بنفي صفات الباري تعالى من العلم والقدرة والقول بالقدر، والمثلة بين المتزلتين قوله في الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين. للمزيد ينظر: أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني، الملل والنحل، تح. أمير علي مهنا، ج. 1، ط. 6، دار المعرفة، بيروت، 1997، ص: 59-63.

3. يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص: 16.

4. علي يحي معمر، الإباضية في الجزائر، صح. أحمد عمر أويك، ج. 2، المطبعة العربية، غرداية، ص: 448.

5. إبراهيم محمد طلاي، مزاب بلد كفاح: دراسة سياسية اجتماعية، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1970، ص: 20.

6. إبراهيم مطياز، المصدر السابق، ص: 11.

في أوائل القرن 5هـ توالى الجفاف على منطقة وارجلان، وما جاورها عدد من السنين وداهمت الكثبان الرملية مدينة سدراتة، وكانت بعض الأودية التي تنساب تحت طبقات من الأرض حتى إذا وصلت إلى منطقة سدراتة وورجلان نبعت على شكل عيون غزيرة قد تغيرت مجاريها فغارت تلك العيون، وضافت الحياة بالناس لاسيما أصحاب الماشية منهم فلم يجدوا منتجعا لإنقاذ ماشيتهم غير بادية بني مصعب⁽¹⁾، وفي سنة 420 هـ انعقد مؤتمر بأريغ بعد أن غص بسكانه، فاقتضى الأمر بالإجماع لانتداب العلامة **أبي عبد الله محمد بن بكر** ليحجول في صحراء جنوب المغرب الأوسط عله يجد ما عسى أن يمكن التفسح فيه ، فوقع اختيارهم على وادي مزاب، الذي هو معمور بالمعتزلة من بني مصعب كما رأينا ، فقد انعقد مؤتمر ثاني ليقرر التروح إلى الوادي ويرجع العلامة ومن معه إلى المنطقة ، وفي عام 422 هـ وصل بلدة العطف المعمورة بالمعتزلة⁽²⁾، ويقول يحيى بن أبي بكر (ت: 471هـ): "وكان الشيخ يشي ويربع في البراري عند بني مصعب وغيرهم وكانوا إذ ذاك واصلية فرد بعضهم إلى الوهبية.." ⁽³⁾، وبقي يدعو بينهم لاعتناق المذهب الإباضي، ولم يكن الأمر سهلا وكان على مراحل بل حتى أن بعضهم بقي على الاعتزال، وقامت بينهم مناوشات، حيث توجد بينورة ناحية ختالة مقبرة للنفوسيين استشهدوا في بعض المعارك بين المعتزلة والنازحين إلى مزاب، وذلك أواخر القرن الخامس الهجري⁽⁴⁾.

توافدت أقوام أخرى فيما بعد، والتي كانت هجرتها نتيجة أحداث كسقوط دولة بني مدرار في سجلماسة عام 976م، ووصول بني هلال إلى المغرب عام 1050م، هذا بالإضافة إلى ما عرفته سدراتة من غزو وتهديم كالذي حدث عام 1075م على يد أحد أمراء قلعة بني حماد ونقصد به المنصور بن الناصر، والغزو الثاني 1229م بقيادة يحيى بن إسحاق الميورقي المعروف بابن غانية في ثورته ضد الموحدين، لتدمر نهائيا عام 1274م⁽⁵⁾، كما أن المنطقة استقبلت هجرات أخرى لأفراد وعائلات على مر القرون من المناطق المجاورة والتي سبق ذكرها، بل حتى من مناطق بعيدة عن الشبكة فهناك من جاء من قصور بني خفيان قرب المنيعة، قصر البخاري، المدية، وادي غنيم

1. علي يحيى معمر، المرجع السابق، ص: 436.

2. إبراهيم مطياز، المصدر السابق، ص: 72.

للمزيد ينظر: يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، ط. 2، المطبعة العربية، غرداية، 2006، ص: 20.

3. أبو زكرياء يحيى بن بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تح. إسماعيل العربي، الجزائر، 1979، ص: 173.

4. إبراهيم مطياز، المصدر السابق، ص: 42.

5. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، ط. 1، مرجع السابق، ص: 27.

قرب الأبيض سيدي الشيخ، جبل نفوسة، جربة، سجلماسة، فقيق، والساقية الحمراء⁽¹⁾ وغيرها من الأماكن.

بقدم الإباضيين أسست قرى جديدة كتلك التي أسست عام 1004م وتدعى **أَعْرَمُ** **أَنْوَادَايَ** بين مليكة الحالية والوادي على سفح الجبل، وقد خربها أولاد عبد الله عام 1123م ولم يبق سوى مسجدها، وكان السكان يسكنون أسفل عند المسجد الذي على الوادي فوق البنايان المعد لعمال الفخار لينتقلوا إلى حيث هم اليوم، وفي عام 1012م أسس **خليفة بن أبغور** مدينة العطف (الصورة رقم: 34 و35) (الشكل رقم: 32)، وكانت إذ ذاك تسمى **تَاجْنِينَتُ** التي تعني المكان المنخفض⁽²⁾، وسكنت هذه القرية ثلاث عشرة عائلة أصلها من المعتزلة⁽³⁾، و**خليفة بن أبغور** هذا هو جد قبيلة موجودة بالعطف مازالت تحمل اسمه إلى اليوم، كما يحتمل أنها أسست عام 403 هـ وقبل أن تأسس سكن أهلها الخيام، وكان الإمام عبد الله محمد بن بكر يزور المنطقة في هذه الفترة، وربما كان خليفة بن أبغور أحد تلاميذه أو أحد أتباعه من بني مصعب⁽⁴⁾، وقد كان ذلك قبل زوال سدراتة بقرنين، ويذكر الشيخ أطفيش في الرسالة الشافية أن أهل العطف كانوا موجودين في قرية اسمها **أَعْرَمُ تَنْالْزُضِيَتُ** ويعني هذا الاسم قرية الصوف⁽⁵⁾، واندحرت إلى جانب **أُوخَيْرَةَ** و**أَعْرَمُ نَوْلَاوَالُ**، وتوجد إلى الآن مقبرة المعتزلة المحصنة بالعطف. تأسست **بنورة** العام 1065م (الصورة رقم: 36 و37) (الشكل رقم: 33)، وتدعى **آتْ بُونُورُ** وهو اسم قبيلة، وهناك من يرى أنها أسست عام 1046م كما أن هناك من يرجح عام 1047م كسنة تأسيس لها، وأول من سكنها أولاد **أبي عيسى** وقيل أن جماعة **بني مطهر** التي هاجرت من سدراتة هي التي أسستها⁽⁶⁾.

تلى ذلك تأسيس **غرداية** العام 1053م (الصورة رقم: 40 و41) (الشكل رقم: 34)، وكان **بابا والجمة محمد بن يحيى**، **الشيخ أبو عيسى بن علوان**، و**الشيخ بابا السعد** أول من

1. إبراهيم محمد طلاي، المرجع السابق، ص: 18.

2. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، ط. 1، مرجع السابق، ص: 27.

3. Marth et Edmond Gouvion; Op. Cit. p: 228.

4. صالح اسماوي، نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب ، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة (تاريخ)، الجزائر، 1986، ص: 15.

5. Claude Pavard; **Lumière du M'Zab**, Edition DELROISSE. Paris. France, p: 12.

6. بكير سعيد أعوش، وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية: دينيا، تاريخيا، اجتماعيا ، المطبعة العربية، غرداية، 1991، ص: 66.

سكنها لينظم إليهم من هاجر من ليبيا، جربة، ورجلان، وأريغ⁽¹⁾، كما أن هناك رأي يرجع تاريخ تأسيسها إلى عام 1085م⁽²⁾، وعن تأسيس مليكة والتي تدعى آت ملىشت (الصورة رقم: 42 و43) (الشكل رقم: 35) جاء من بعد ذلك لكن على مرحلتين، فكانت الأولى قد بنيت فيها في مكان يدعى أغرم أنواداي وذلك عام 1018م، إلا أنها زالت واندحرت عام 1123م، وفي مرحلة ثانية قامت الجماعة النفوسية الإباضية التي جاءت مهاجرة من ليبيا وذلك عام 750هـ وعلى رأسها أبو دحمان ويرو بن سليمان⁽³⁾ بتأسيسها القصر الحالي، ويرجح رأي آخر التأسيس في العام 1355م⁽⁴⁾.

مع بداية القرن 8هـ وفي عام 1321م تحديدا اندمجت خمسة قرى قديمة على مقربة من المدينة الحالية وهي: بُو كياو، تُرشين، أَجُوناي، وتَفِيلاّت، وقيل أن عدد سكان القرى التي أوجدت بني ميقن قديما كانت تمثل نصف عدد سكان الإباضية في مزاب⁽⁵⁾ (الصورة رقم: 38 و39) (الشكل رقم: 36).

يرجع هذا التعدد في المدن كما تذكر بعض المصادر التاريخية إلى عدة عوامل منها ما هو دفاعي ومنها ما تعلق باتساع العمران وكثرة السكان، ومنها ما كان نتيجة لخلافات بين بعض القبائل والعشائر والتي لا يتسع المقام لذكرها مفصلة. من خلال هذه اللوحة نخلص إلى أن عمران الشبكة لم يكن دفعة واحدة وبصفة جماعية وإنما كان تعاقبا وفي فترات امتدت فيها الهجرة من هنا وهناك طيلة قرنين أو ثلاثة قرون⁽⁶⁾، والمنطق لا يقبل أن توجد في هذه الفترة القصيرة من الزمن وفي هذه الرقعة الضيقة التي لا يزيد طولها عن ثمانية كيلومترات خمسة قرى بهذه السرعة على واد واحد⁽⁷⁾، ولأن هذه القرى كانت في أول أمرها في وطن لا يجاوره أعداء يفكرون في الاعتداء والسيطرة عليه، ولم يكن همهم إنشاء دولة تنافس الدول الأخرى ولم تكن حياتهم معقدة بالتحضر والتمدن فتحتاج إلى جهاز إداري، بل كانوا على البساطة بما كان في كل شيء ذلك ما سمح لكل قرية أن تستقل بشؤونها، ولكن

1. Claude Pavard; Op. Cit. p: 20.

2. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، ط. 1، مرجع السابق، ص: 22.

3. بكير سعيد أعوش، المرجع السابق، ص: 68.

4. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، ط. 1، مرجع السابق، ص: 23.

5. بكير سعيد أعوش، المرجع السابق، ص: 69.

6. إبراهيم محمد الطلاي، المرجع السابق، ص: 18.

7. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، ط. 1، مرجع السابق، ص: 22.

بمرور الوقت انتقلت السلطة من بين يدي رؤساء القبائل إلى الهيئات الدينية دون معرفة تاريخ هذا التحول بالتحديد.

لم تكن الحلقات التي نظمها الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر ولا التي نظمها الشيخ أبي عبد الله وتلميذه الربيع سليمان بن يخلف (ت: 471هـ/1079م) وكذا تلميذه أبي الخطاب عبد السلام منصور بن وزجون تهدف إلى السيطرة على المجتمع الإباضي أي أن هدفها تربوي وليس سياسيا.

في القرن 6 الهجري ساهم أبا عمار عبد الكافي الوردجاني في الإعداد النهائي لحلقة تدعى حلقة العزابة، هذه الحلقة التي أخذت زمام الأمور لتسيير المجتمع الإباضي إلا أن هذا النظام لم يكن موجودا بعد في النصف الأول من القرن 7هـ/13م⁽¹⁾.

المبحث الثالث: المسكن بقصور وادي مزاب

أنشئت قصور وادي مزاب على قمم الهضاب الصخرية آخذة بذلك شكلها المورفولوجي فتراوحت بين الشكل الدائري وغير المنتظم، فحينما تنحدر بانحدار هذه التلال وأحيانا أخرى تصعد بصعودها، فيما تقف عاجزة عن الامتداد أمام الوديان والصخور الضخمة ذات الانحدار الشديد، في ترتيب ارتكز على مركزية المسجد في المدينة الإسلامية حيث يحتل أهم وأعلى نقطة بهذه التلال.

تحيط بالمسجد المساكن من كل جهة حيث تلتصق الواحدة بالأخرى مشكلة لحمة واحدة لا يخرقها سوى تلك المسالك والممرات الضيقة، وهذا صعودا ونزولا أو في مسار يوازي المسجد في شكل حلقات تعطي في بعض الأحيان فكرة عن مراحل توسيع القصر، كما يمكن أن نصادف بعض المساحات الواسعة نسبيا مثل ما هو الحال عليه في قصر غرداية، حيث كانت فيما مضى ساحات سوق للقصر، لتلي الأحياء السكنية باقي عناصر القصر من أسوار وأبراج ومدخل.

تتألف المساكن التقليدية بواد مزاب من طابق أرضي وطابق أول وسطح (الشكل رقم:37)، وقد يوجد في بعض المساكن طابق سفلي أي دهليز، ويغلب على هذه المساكن شكل مخططها المستطيل بنسبة تصل إلى 46% من مجموع هذه المساكن، فيما تشكل المساكن ذات

1. علي يحي معمر، المرجع السابق، ص:428.

المخطط الغير منتظم ما نسبته 17%⁽¹⁾، وهذا الشكل تحدده وتتحكم فيه جيولوجيا الأرض الصخرية، حيث يصعب في بعض النقاط من القصر إيجاد حل لشكل الأرضية بل ويستحيل حتى الحفر فيها.

روعي في بناء المسكن معطيات المناخ الصحراوي القاسي وشديد الحرارة، الأمر الذي جعله يتأقلم مع هذا المحيط ويكيف مرافقه شكلا وحجما بل ومضمونا كذلك، وهذا للتخفيف من وطأة هذه العوامل، وتعتمد غالبية المساكن إن لم نقل كلها على طابقين و سطح كما سبق وأن ذكرنا وبمساحة لا تتجاوز مائة متر مربع، ولا يتصل الطابق الأرضي بالفضاء الخارجي إلا من خلال فتحة أفقية تسمى محليا شباك، ليوفر بذلك عزلاً حرارياً جيداً، وأما الطابق العلوي فلا تتجاوز المساحة المغطاة فيه نصف المساحة الأرضية، وواجهة المنزل تكاد تكون واحدة لا تختلف إلا من حيث المساحة، فهي بسيطة لا يميزها سوى تلك الفتحات الصغيرة، والتي ترتفع عن مستوى قامة الإنسان البالغ وهذا حفاظا على حرمة المساكن، وإلى جانب هذه الفتحات المدخل الرئيسي للمسكن.

ولكي يتسنى لنا فهم المسكن التقليدي بواد مزاب ومعرفة عناصره وخصائصها نحاول أن نتطرق لها بالترتيب الواحدة تلو الأخرى فيما يلي:

1. الواجهة:

تعد الواجهات إحدى مظاهر التجانس بين مختلف المباني التقليدية في وادي مزاب (الصورة رقم:44)، ولهذا الواجهات أهمية في إبراز أشكال وتكوينات العناصر المعمارية والمسحة الفنية المشتركة بين المباني وإن كانت هذه الأخيرة على نطاق محدود يميل إلى التجريد، وكذا في التعبير عن التراث والحضارة الإسلامية، وتتجانس مفردات هذه الواجهات وتشكل نسقا جماليا بامتياز سلب عقول الكثيرين من أمثال المعماري *Le Corbousier*، كما تقوم بوظيفة مناخية مهمة في ظل معطيات أقل ما يقال عنها أنها قاسية، حيث وفرت الظلال وخففت من وطأة الحر وكذا حركة الرياح، ويحدث أن تختلف هذه العناصر من مسقط إلى آخر من حيث الحجم أو

1. مختار قرميدة، المساكن التقليدية بوادي ميزاب: دراسة فنية معمارية ، ديوان حماية وادي ميزاب وترقيته، غرداية، 2001،

الموضع أو الشكل أو العدد أو غيرها، لكنها تحافظ على وحدة الوظائف التي يتميز بها كل عنصر عن الآخر مما يجعل المسكن كامل الوظائف⁽¹⁾.

تميزت واجهات المساكن التقليدية بمنطقة مزاب بكونها صماء وخالية من جميع أشكال الزخرفة ومظاهر الترف والثراء، فهي حيطان عادية تكاد تتساوى في الارتفاع، ولا تتخللها سوى مداخل البيوت وبعض الفتحات الصغيرة في مستويات تعلو الطابق الأرضي، وأحيانا تكون هذه الواجهات في بعض البيوت ذات مساحة محدودة لا تزيد عن الطابق الأرضي تبعا لموقعها في الممرات المهقوفة، فيما توجد مساكن أخرى تكاد مساحة واجهتها لا تزيد عن تلك المساحة التي تعلو المدخل الرئيسي للمسكن، حيث لا تطل على الشارع سوى من خلال المدخل الرئيسي وما يعلوه.

1-1. المدخل:

تميزت مساكن مزاب بتواجد المدخل في إحدى الزوايا كما هو الحال في مساكن شمال إفريقيا⁽²⁾، محليا يسمى **ألف تندارت**، (الصورة رقم: 45 و 46) وخلافا لبقية المداخل داخل المسكن في سهل وادي مزاب نجد أن الباب الخارجي عادة ما يكون كبير الحجم ارتفاعا وعرضا إلى جانب كونه معقودا وهذا في ظل شح مواد البناء⁽³⁾، أضف إلى ذلك استعماله بصفة متكررة طوال النهار، إضافة إلى أنه يمثل مدخل الدابة التي تكون في العادة محملة بالمحصول الفلاحي أو الحطب أو السقاية أو غيرها، مما يتطلب هذا النوع من المداخل وعلى هذا المستوى من الحجم لتسهيل جميع العمليات، هذا في حال وجود مرتبط الدابة داخل المسكن أين نجد للواجهة مدخل واحد وهو ما يمثل نسبة 80٪ من المساكن، وكون المنطقة تتميز كغيرها من المناطق الصحراوية بتربية الماشية خصص فضاء صغير داخل المسكن لإيوائها، فهو يقع عموما في الطابق الأرضي ويكسبون بالقرب من المدخل الرئيسي للمسكن، في حالات أخرى أين يكون فضاء الدابة مستقلا عن باقي المسكن نجد أن له بابا خاصا به في الواجهة إلى جانب المدخل الرئيسي والواقع أنه أمر

1. محمد جودي، واجهات مساكن قصور سهل وادي مزاب: دراسة تنميطية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار والمحيط،

قسم علم الآثار، جامعة تلمسان، 2006-2007، ص: 43.

2. Michel Van der Meerschen ; **Les Médinas Maghrébines**, UNESCO, p: 77.

3. C. Trumelet ; **Les Français dans le Désert**, Journal d'une expédition aux limites du Sahara Algérien, GARNIER FRERES, Paris, 1863, p: 369.

نادر لا يتعدى حدود 04%⁽¹⁾، كما يمكن أن يرد ذلك إلى تفادي ما يمكن أن ينجم عن الدابة من روائح وفضلات وضوضاء إلى داخل المسكن.

يمكن أن يكون إلى جانب هذين المدخلين آخر ثالث وهو ما ينطبق على نسبة معتبرة من المساكن، حيث نجد أن هذا المدخل مفتوح مباشرة على قاعة الضيوف (الدويرة أو الحجر)، وهذا بغرض فصل الفضاء الخاص بأصحاب المسكن عن عيون الضيوف، فيما يكون المدخل الثاني خاص بالأسرة ويفتح مباشرة إلى السقيفة ومنها إلى وسط الدار⁽²⁾.

وفي إحداث مداخل المساكن يرد تحديد موقعها وعددها حين إنشاء القصر إلى ما يتفق عليه بين من يشتركون في الحي، وفي حال الخلاف يرد الرأي إلى أهل النظر والصلاح منهم في إحداث ما يحدثونه أو نزع ما كان قبل ذلك، إلا أن المتفق عليه أن لا تفتح الباب في الطريق الخاصة إلا بإذن أهلها واتفاق أصحابها كلهم وبدون استثناء، وفي حال كانت الطريق العامة فيمكن إحداثها ما لم تضر بالجيران أو قابلت باب أحدهم، يقول الشيخ أطفيش ما نصه: "من له دار في شارع العامة أو بيت فله أن يحدث لها أبوابا حيث شاء إلا أنه لا يضر جاره ولا يقابل باب غيره... وأما السكة النافذة للخاصة أو غير النافذة لهم فلا يحدث بعض من فيها بابا أو غيره إلا بإذن أهلها كلهم ومن في سطره ومن في السطر الآخر، من في أعلاها أو أسفلها أو وسطها"⁽³⁾، فلا يجوز للذي يبني بعد الأول أن يحدث بابا داره أمام باب جاره الذي سبقه⁽⁴⁾، ويحضر حضرا تاما عدم فتح دكاكين أمام البيوت وفي حال فعل فإنهم يمنعوه ويأخذوه بترعها، كما أنه يحضر وضع مداخل البيوت في غير محلها الأول⁽⁵⁾.

كون المداخل تفتح دوما إلى داخل القصر يمنع كل من أراد أن يفتح مدخلا له إلى خارج القصر من جهة السور⁽⁶⁾، وهنا يفصل الشيخ أبي العباس قائلا: "... وإن اشتروا دارا مهدمة فإنهم بينونها وإن اختلفوا على موضع بابها فلينظروا حتى يتبين لهم، وإن وجدوا علامة بابها فإنهم يقتدون به... ومنهم من يقول إن لم يتبين أثر علامة الباب، فلينظروا أي موضع أصلح لهم فليجعلوه منه...، وإن اشتروا دارا فوجدوا لها بابين أو أكثر من ذلك فدعى أحدهم إلى نزع بعض تلك

1. مختار قرميذة، المرجع السابق، ص: 12.

2. محمد جودي، المرجع السابق، ص: 44.

3. أبي العباس أحمد الفرستائي، المصدر السابق، ص: 24-25.

4. صالح اسماوي، العطف، محاضرة أقيمت بملتقى في قسنطينة، 1989، ص: 11.

5. أبي العباس أحمد الفرستائي، المصدر السابق، ص: 172.

6. نفسه، ص: 181.

الأبواب وأبي ذلك الآخرون، فالقول قول من دعى إلى إثبات الأبواب التي كانت أول مرة على حالها، وإن اشتروا دارا لها علامة بايين، فإنهم يجعلون لها تلك الأبواب كلها...⁽¹⁾.
أما بالنسبة للمقاسات فيقدر معدل عرض المدخل بحوالي 1.04م، ويبلغ ارتفاع المدخل الرئيسي للمسكن 1.60م، أما تلك الموجودة في الممرات غير النافذة - *Impasse* تتراوح بين 1.80 إلى 2م بالتقريب⁽²⁾.

2-1. الباب:

يسمي باب المسكن أو بالأحرى المدخل الرئيسي *تُوُورْتْ* -أو- *تَاوُورْتْ-Taourt* جمع *تِيُورَة-Tioura* (الصورة رقم: 47) ويعد الأكثر أهمية من حيث المقاييس، ويصنع دوما من خشب النخيل، مما يجعله ثقيلًا وضخمًا⁽³⁾، وعادة ما يبقى مفتوحا طول النهار لاستعماله المتكرر من قبل أفراد الأسرة، العائلة، أو حتى الضيوف، دون أن ننسى الأطفال فهم يخرجون ويدخلون منه للعب خارجا⁽⁴⁾، بالإضافة إلى كونه مدخلا للدابة القادمة من الغابة محملة بالأغراض من كلاء، حطب، وماء..، إلا أن المار في الشارع لا يستطيع مع ذلك رؤية ما بداخل المسكن.
ينتمي باب مسكن وادي مزاب إلى نوع يعرف تحت تسمية الباب ذو الحربة - *Porte à baïonnette*، ورغم أنه مفتوح دوما نجد هناك جدار يحجب النظر والرؤية عن المارين إلى داخل المسكن، وهي في ذلك التزمت بالقاعدة العامة في المساكن الإسلامية، ويأخذ إطار الباب شكلا مستطيلا، ومصراعه بسيط مشكل من ألواح ضخمة من خشب النخيل، وتوضع واقفة لتشد إلى بعضها بقطعة هي الأخرى مصنوعة من الخشب، بشكل مستعرض نجدها في غالب الأحيان مسننة⁽⁵⁾.

كل واحدة من هذه الألواح العمودية يشكل طرف الباب محورا لها، والذي هو عصي تدور وفق هذا المحور في الاتجاهين عند الفتح أو الإغلاق، حيث يكون في الأعلى داخلا في حلقة تحدث في الساكف، أما في الأسفل تثبت داخل حفرة في العتبة، ويصنع هذا المحور من الخشب المقاوم للاحتكاك لضمان استعماله المتكرر إلى أطول وقت ممكن، ويحمل المصراع من الداخل

1. أبي العباس أحمد الفرستائي، المصدر السابق، ص: 209.

2. Brahim Benyoucef; Op. Cit. p: 131.

3. Pierre Donnadieu et autres; Op. Cit. p: 74.

4. André Ravéreau ; Op. Cit. p:125.

5. Mercier Marcel; Op. Cit. p. 228.

نظام الإقفال غير المرئي من الخارج، أما من الخارج تثبت عليه حلقة تستخدم لسحب الباب عند الخروج وعلى مهل قبل أن يتوقف تماما، إلى جانب طارق يستعمل لمن يقصد المسكن ليكمل الكل (1).

نجد أن الباب من الداخل له عارضتين خشبيتين بينما من الخارج أي على الواجحة نجد له عارضة واحدة فقط (الشكل رقم: 38)، وتقسم العصى طبيعيا إلى قسمين، هاتين المنطقتين إذا كانت مزينة فإنها تحمل رسوم متجانسة، وتنفذ هذه الرسوم بأكسيد الرصاص الأحمر زنجفر- *Minium*، وهي عبارة عن خطوط كبيرة تحد فيما بينها مربعات عليها أزهار- *Rosaces* (الصورة رقم: 47)، وهي إلى الآن ترسم بدقة متناهية على بعض الأبواب القديمة، كما أنها رسوم خشنة جدا وتتويجها مدورة تفتقد إلى الانتظام، وهي إما تكون منغلقة أو مفتوحة داخل دائرة، على سبيل المثال نجد صورة قديمة تؤرخ بزمن بعيد تمثل نجمة لكنها مشوهة، وقد عرف هذا النوع من العناصر عند الأشوريين ثم القرطاجيين فيما بعد، كما كان عنصر تزيين لدى الرومان في مصابيحهم، ونجدها الآن على أبواب منطقة القبائل والأوراس، وكذا الأطلس المغربي (2).

تحمل العارضة الوسطى صف من الأشكال المسننة محاطة بشريط مستعرض يشكل تأطيرا لها، ومجموعة الحزات تمثل سباحات- *Chapelets* من المعينات- *Losanges* تحاذيها من الأسفل والأعلى صف من المثلثات، وهي بذلك زخرفة خطية مكونة من مناطق لخطوط عمودية تتناوب مع الحرف اللاتيني X مقفول في اتجاه الأعلى، وهذه العناصر يمكن ملاحظتها حتى على الزرابي وتأخذ تسميات خاصة بها (3).

لأن الخشب يوفر عملية قطع سهلة نجد الأبواب تصنع من مادة خشب الصنوبر، ولكن الصناع مازالوا يستعملون نفس الرسوم التقليدية، ويرجع ذلك إلى قلة خشب النخيل المعد لصناعة الأبواب والألواح عموما وكذا نقص العاملين عليه من حرفيين، كونه يتطلب تقنية عالية وجهد كبير، ومن بين ملحقات الباب هناك القفل والحلقات والمطارق التي لا يكاد يخلو منها باب:

1. Mercier Marcel; Op. Cit. p. 228.

2. Ibid. p. 228.

3. Ibid. p. 228.

ثبت جهاز الإقفال لباب المسكن في سهل وادي مزاب داخل الجدار بدل تثبيته على الباب، حيث أن هذا الأخير يفتح دائما إلى الداخل، ثم نخرج لنسحبه باستخدام الحلقة حيث يتقدم مصراع الباب إلى أن يصطدم بالعتبة - *Seuil* والساكف - *Linteau*، ولكي يثبت جهاز المزلاج مصنوع من الخشب، في منطقة سهل وادي مزاب نجد أن هذا المزلاج لا يصنع بمادة أخرى غير الخشب، مما يوحي بقدم هذا العنصر، ودليل على التوظيف الذكي للمواد المحلية.

يطلق المزابيون اسم *إناس* - *Ennas* والمقصود بها الدويرة - *Douira*، وهي مؤلفة من ثلاثة أجزاء قطعيتين متعاشقتين - *Pièces maîtresses*، هما العلبة المجوفة - *Boite évidée* ولسان القفل الذي هو المزلاج - *Pêne* حيث يمكنه الحركة ذهاب وإيابا داخل العلبة، أما القطعة الثالثة فهي المفتاح - *Clef*، وبالنسبة للعلبة يجب أن تكون مصقولة من جميع أطرافها وتصنع من الخشب كما سبق وأن أشرنا، ولها ثلاثة أوجه العلوي منها مزود بأوتاد - *Chevilles* ذات عقب، ويصل عددها في العموم السبعة أوتاد، حيث تتزلق عموديا داخل ثقوب (الشكل رقم: 41).

لتأمين هذه الأوتاد المصنوعة من الخشب الصلب والحيلولة دون خروجها، هناك قطعة ضخمة التريبع تغطي المزلاج الثابت، وهي الأخرى مثبتة بواسطة أوتاد مسندة، وهذه التقنية في نظام التجميع هي الأكثر تداولا والمسماة "نقرة التعشيق"، والتي هي عبارة عن فتحة في الخشب تستقبل لسانا خشبيا آخر، ويشكل الوجه الداخلي مخطط الانزلاق للمزلاج وبمجال الانزلاق هنا محدد بواسطة بروز للتوقف، ويحمل المزلاج تجويفات على أحد أطرافه مخصصة لأوتاد المزلاج التي تسقط تلقائيا في التجويفات كي توقف.

لكي تحرر هناك مفتاح من الخشب مزود بأسنان والتي هي أوتاد حديدية (في الغالب عددها إثنان) تلج داخل المزلاج لتسمح بوضع سليم فوق الفتحات التي حفرت بعضها فوق بعض، أين يوجه الوتدان الثابتان على المزلاج في ذات الحركة مع المفتاح، وفي هذه اللحظة نلاحظ حركة تصاعدية على المفتاح حيث أسنانه المخترقة داخل ثقوب المزلاج تصطاد الأوتاد المتحركة إلى الأعلى، ويحمل المفتاح في الغالب مسمار توقف مخصص للتوجيه بهدف البحث عن أحسن وضعية، ولنفس الغرض لديه أيضا ثقبان أين تتزلق داخلها الأوتاد المثبتة على المزلاج.

يعلو الوحدة قطعة من الخشب ذات الشكل المربع والأقل طولاً من أجل تسهيل العملية من دون صعوبة، وبعض هذه القطع يقارب طولها 40سم، ونلاحظ أن الوجه الذي يحمل الأسنان في الغالب مزين بزخرفة خطية بسيطة.

المزلاج نفسه نميزه بحسب توقفه، حيث أن اللسان يدخل الجدار بطول متباين يختفي بطول يتراوح بين 0.50 إلى 0.25سم، وهذا الطول للسان عندما يكون في وضعية الدخول يسمح للمصراع بحرية الحركة.

أحدث على الجدار المقابل للسان تعبير منحنى بعمق يتراوح بين 30سم إلى 40سم على حافة إطار الباب تحديداً ويسمح من الجهة الخارجية بإدخال ذراع المفتاح، وعند الخروج سندفعه بعد أن يتقدم وحينها سيوقف المفتاح عصي الباب، ولكي ندخل يجب القيام بالحركة العكسية، وإذا أردنا أن نغلق الباب من الداخل هناك رواق صغير ذو اتجاه متشعب مقارنة بالأولى أعد في جدار داخل المنزل يدخل معه (الصورة رقم: 21)، كما يمكن أن نجد نوع آخر من الأقفال المصنوع من المعدن والمجلوب من منطقة جربة يقفل بمفتاح جد ثقيل حد الإزعاج حيث يصل طوله حدود 25سم⁽¹⁾.

الحلقات والمطارق:

تعرف محليا باسم *تيسلسلت* أو الحلقة بالعربية كما هو متداول، وتعد العنصر الوحيد المصنوع من الحديد الذي يمكن أن يصادفنا في المسكن بوادي مزاب (الشكل رقم: 40 و 41)، وفي أغلب الأحيان نجده بسيط دون أن تميزه خصائص جلية أو ذات وزن، ونجده في بعض الأحيان مشدود بظفيرة-*Ganse* حديدية تخرج من عقدة تزيينية مثبتة على الباب، مصنوعة هي الأخرى من الحديد، تحاكي في شكلها النجمة أو على شكل مثلثات متشابكة تعطي نجمة سداسية الرؤوس، أو مربعات تتوضع فوق بعضها البعض وتشكل الزوايا على هيئة أسنان- *Pointes*، والحلقة نفسها مجموعة مربعة ذات انبساط خفيف، وعلى أوجهه الأربعة جديلة زخرفية على شكل خط حاد متناوبة مع حبيبات، ولا تختلف زخرفة الطارق في منطقة سهل وادي عن زخرفة الحلقات، فنجد أن التفريعان الاثنان يلتقيان ببعض في المركز، لتشكل نقطة رمح، بشكل في غاية الإبداع والدقة اعتماداً على زخرفة خطية بسيطة⁽²⁾.

1. Pierre Donnadieu et autres; Op. Cit. p: 103.

2. محمد جودي، المرجع السابق، ص: 49.

3-1. العتبة:

أول ما يصادفنا من عناصر المزل في مزاب العتبة **أَلْعَبْتُ** (الصورة رقم: 48)، والتي نجدها في عمارة حوض المتوسط بشكل عام، حيث تتقدم مدخل المزل بارتفاع متباين يصل إلى حدود 20 سم، ومفهوم العتبة لا يقتصر على حجر صلب أو قطعة من اللوح تحت الباب كما تعرفها المعاجم الفرنسية *Seuil*، بل تأخذ العديد من التعاريف، إضافة إلى أنها كانت مصدر الكثير من خيالات المجتمع التي تصل إلى حد الخرافة، وأقل ما يمكن أن نقوله بخصوصها بالنسبة للمسكن في منطقة مزاب أنها تمثل الحاجز والخط الفاصل بين عالم الرجال وعالم النساء الخاص⁽¹⁾. للعتبة إلى جانب الدور الرمزي في حياة المجتمع المزابي دور آخر لا يقل أهمية عن الأول، جاء تلبية لظروف طبيعية وأخرى تتعلق بالحياة البرية هناك، فمثلا نجدها تقي الدار من دخول الأتربة المحملة برياح الزوابع الرملية وكذا حركة الأرجل، إلى جانب منعها دخول الهواء الساخن مكان الهواء البارد المنعش داخل المسكن أيام الحر الشديد، بالإضافة إلى حماية المسكن من تسرب ماء المطر إليه والهواء البارد شتاءً، كما أنها حاجزاً مانعاً يصد الحشرات السامة والزواحف الهائمة إلى المسكن⁽²⁾، وتعتبر علامة يرجع إليها البناء أو صاحب الدار المنهدمة، أو الذي يريد إعادة بنائها فهو ملزم بها أينما وجدها، كونها المحدد للمدخل ولا يمكن الحيد عنها⁽³⁾ قيد أمثلة أو تغييرها، ورغم ذلك يغيب هذا العنصر في 33٪ من المساكن التقليدية⁽⁴⁾، مما يعني تخلي بعض السكان عن هذا العنصر الهام والذي له تاريخه ومكانته في التفكير المحلي بل والإسلامي، أو بسبب تراكم الردم في الشارع وبالتالي ارتفاع مستوى الشارع ليتجاوز العتبة.

4-1. الفتحات:

تغيب الفتحات على واجهات المساكن التقليدية بواد ي مزاب (الصورة رقم: 44)، فيما عدا المداخل وفي بعض الأحيان نافذة متوسطة الحجم نلاحظها من الشارع فوق باب الدار، وهي

1. Pierre Donnadieu et autres; Op. Cit. p: 71.

2. محمد التريكي، خالد بوزيد، ميزاب بين الماضي والحاضر: المعمار والممارسة الاجتماعية، رسالة دكتوراه الدرجة الثالثة، المعهد التكنولوجي للفنون والهندسة المعمارية، تونس، دورة جوان 1989، ص: 92.

3. أبي العباس أحمد الفرستائي، المصدر السابق، ص: 209.

4. مختار قرميدة، المرجع السابق، ص: 13.

النافذة الوحيدة للمتر إلى جانب عدد من الكوات⁽¹⁾، وفي الطابق الأرضي لا نجد أي فتحة تطل على الخارج⁽²⁾، باستثناء تلك المزاغل والتي هي عبارة عن ثقب للتهوية أكثر منها نوافذ (الصورة رقم:50)، يمكن أن نجد مصطفة على خط واحد (الصورة رقم: 49)، على سبيل المثال كل واحدة منها على شكل مثلث وهو شكل ينتشر كثيرا في بلاد الشاوية بالأوراس، وأحيانا لا نجد سوى مثلثين واحد على الآخر متناظرة رأسيا، وتسمى فتحات التهوية هذه **أُلُونُ** بمعنى نافذة صغيرة، في أحيان أخرى تجتمع هذه الفتحات في تدعيم داخلي للجدار وكذلك متقاربة حيث تذكر بالبيوت القديمة، وتشكل عمليا بواسطة حجارة الربط⁽³⁾.

يتخلل الواجهات في بعض الأحيان مزاغل أو كوات، غير أنها ليست متجانسة من حيث الحجم، لكنها ليست مسلوقة المسحة الفنية، وتكون إما منعزلة أو مجتمعة تستفيد في بعض الأحيان من تأطير، لكنها غير متجانسة من حيث الحجم، وفي حالات أخرى نجد مصطفة على خط واحد، وهذه الكوات تسد باستعمال قطع من القماش.

وجود هذه الفتحات أو الكوات معناه ومن دون شك أنها تخص جدار قاعة الضيوف (العلي) الموجودة بالطابق الأول للإضاءة والتهوية من جهة الشارع وتكون فوق المدخل⁽⁴⁾، والحال نفسه بالنسبة لمربط الدابة أو الماشية الذي يتخلل جدران بعض الفتحات الضيقة للتهوية والإضاءة حيث تكون مطلة على الشارع هي الأخرى⁽⁵⁾، وهناك كوات مشابهة ولنفس الغرض تخص المرحاض الأرضي أو ذلك الموجود في الطابق الأول والمتطابقان في أغلب الأحيان، ويكونان ملاصقين لجدار الواجهة للمسكن، وهذا لاشترائهما في خزان واحد للفضلات، وهذا الأخير يحفر أمام جدار الواجهة ليسهل تفريغه عندما يمتلئ⁽⁶⁾، وفتحت ثقب في جدران التحويط للسطح-*Acrotère* بغرض مراقبة الشارع من جهة المدخل.

بالنسبة لاستحداث الفتحات فإنه لا يحدث أحد نافذة مهما كانت مساحتها إلا برخصة من الجيران ليحددوا له المكان الذي يمكن أن يحدث فيه هذه النافذة أو الكوة، وعند الضرورة يأذنون له بفتح نافذة مناسبة ومحاذية للسقف، بحيث لا يمكن لأحد أن يطلع منها على سطوح

1. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، ط. 1، مرجع السابق، ص:88.

2. Pierre Donnadieu et autres; Op. Cit. p: 75.

3. Marcel Mercier; Op. Cit. p: 253

4. Ibid. p: 84.

5. مختار قرميذة، المرجع السابق، ص:30.

6. Pierre Donnadieu et autres; Op. Cit. p: 83.

الجيران مهما حاول، لأن السقف يحده ⁽¹⁾، وكل هذا حتى لا يؤذي الآخرين بالكشف عن حرماهم فللمترل حرمة المرعية، وكل بناء من هذا الشكل يخضع لرضى الجيران وموافقتهم ومراعاة العرف العام ⁽²⁾.

يمكن أن نلاحظ بروزات متصلة بواجهة المترل وهي لا تمثل جزء من المسكن الأصلي تضي عليه بنية فيزيائية متميزة، وهي لا تعرف تسمية محلية محددة ولكن تطلق عليها تسميات بالعربية مثل "حرجة الغرفة"، أشبه ما تكون بالروشن في العمارة الإسلامية، وهذا العنصر يع د وافدا إلى منطقة مزاب، حيث أنها تمثل شكلا لنفس الفكرة التي تولدت عنها المشربيات المصرية، إذا فهذه الأجسام البارزة عن الجدار وفي حال وجودها فإنها تشكل امتداد الغرفة استقبال الضيوف، ونجد أن بعضها فتحت به في الوسط نافذة صغيرة بوضاوية الشكل، وعلى العموم لا يمكنها أن تستفيد إلا من فتحة أو فتحتين على الأكثر صغيرة من حيث المقاس، تحدث على الجانبين مما يجعلها لا تظهر في مباشرة على الواجهة ⁽³⁾.

ينص هنا القانون المنظم للعمارة التقليدية على أن هذا النوع من الشرفات المغطاة لا يجب أن تتعدى المسافة الخارجة عن سمت الجدار في الطابق الأول عشر 10/1 من عرض الشارع، كما أن الفتحات والنوافذ تكون عمودية وقليلة ولا يتعدى عرضها 0.60م ⁽⁴⁾.

5-1. الميزاب:

يسمى محليا سُوفير⁽⁵⁾ وهو أحد أهم العناصر المكونة للواجهة والبارزة عنها (الصورة رقم:49)، وقد دأب أهالي المنطقة على إدراجها ضمن مساكنهم، إلا أنها اقتصرت على السطح كونها عنصر مخصص لتصريف مياه الأمطار، حيث تصرف المياه الناتجة عن الأمطار والساقطة على السطح مباشرة إلى الشارع أو خارج المسكن رغم انخفاض معدل تساقطها خلال السنة، وقد كانت فيما مضى تصنع من خشب النخيل ⁽⁶⁾، أو من الفخار أو تبنى.

1. محمد ناصر، الشيخ القرادي حياته وآثاره "الفن المعماري بميزاب الحلقة الأولى"، نشر جمعية النهضة العطف، 1990، ص:159-160.

2. ابراهيم محمد طلاي، المدن السبع في وادي ميزاب، جمعية التراث لبني يزقن، ص:28.

3. محمد جودي، المرجع السابق، ص:55.

4. ديوان حماية وترقية وادي ميزاب، تقرير عن الديوان ومهامه، غرداية، ص:08.

5. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، ط. 1، مرجع السابق، ص:43.

6. Pierre Donnadieu et autres; Op. Cit. p: 104.

عرفت المنطقة بصناعة الفخار منذ وقت مبكر فكانت أفرانه أسفل موقع أغرم أنواداي⁽¹⁾ بالقرب من مليكة، حيث يروى أنه عندما كان الشيخ باي أحمد بن سليمان بن نوح قادما من جبل نفوسة مار بمنداس ومليانة ثم المدية، أين قرر أربعون رجلا من أولاد فخار مرافقته، وقد كانت حرفتهم صناعة الفخار وكذا الجبس، ليأسسوا أفرانهم قرب أنواداي، حوالي 895هـ/1016م⁽²⁾، كما وجدت آثار أفران في القرارة⁽³⁾.

الميزاب أو المزراب عبارة عن أنبوب بطول يصل حدود 0.50م وقطر 0.10م تقريبا تصنع من العجينة الطينية وتوضع في فرن، وأثناء بناء جدار التحويط للمسكن تتركب على مستوى القاعدة، حيث يكون أغلبه ضمن الجدار حوالي الثلثين أو النصف كون هذا الجدار على هذا المستوى يصل حدود 20 إلى 30سم في وضع مائل نسيبا باتجاه الشارع، وفي موقع يحدده مستوى ميلان السطح أي أماكن ركود المياه المتجمعة.

نظرا لما لصاحب المسكن من التزام تجاه الجار والمارة، ولأهميتها وضع لها قوانين منظمة تنص فيما تنص أنه إذا أراد رجل أن يحدث ميزابا لبيته على الطريق، فلا يجد ذلك سواء جاز ذلك الطريق بين الدور أو بينها وبين العمارات أو في الفحص وسواء كان ذلك الطريق شارعا أو غير شارع للعامة أو للخاصة⁽⁴⁾ إلا ما كان قبل، وكذا لا يحدثه على بيت غيره ولا على ما يضر فيه غيره، وإن أحدثه فمكث مقدار ما يثبت فيه ثلاث سنين⁽⁵⁾، فلا يجد من أحدثه عليه نزع.

إن أحدث صاحب المنزل ميزابا في زقاق لخاصة فأجازوه أو أحدثه بإذنهم ثبت وأصل ذلك تحريم المضرة، إلا إن احتملت بطيب نفس، إذا فإحداث الميزاب في الطريق الشارع يجوز إحداثه، ولا يخشى إلا المضرة كأن يطيله فيصب في حائط يقابله أو في مال يفسده أو مقابل آخر فلا يجد المار المرور بينهما وإن كان له ميزاب واحد فلا يزيد إليه آخر وإن نزع ثم أراد أن يرده فله ذلك، ولا يجد أن يوسعه بعد ضيقه ولا أن يرفعه إذا كان أسفل قبل ذلك ولا يطيله بعد قصره وأما أن يضيقه بعد سعته أو يتزله بعد رفع أو يقصره بعد طوله فلا بأس لأنه نقص في المضرة، وإن كان له ميزاب ولم يعرف موضعه فلا يجد إحداثه بعد ذلك إلا في موضعه الأول فإذا لم يعرف فلا

1. المحمّد بن يوسف أطفيش، الرسالة الشافية، مصدر سابق، ص:35.

2. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، ط. 1، مرجع السابق، ص:33.

3. نفسه، ص:42.

4. المحمّد بن يوسف أطفيش، مختصر العمارات، مخ. (نسخة مصورة)، ص:2.

5. نفسه، ص:2.

يحدثه، وإن عرف موضعه فلا يحدثه في مكان آخر⁽¹⁾، ومن أحدث منزلاً على الطريق وميزاباً له عليها وطلبه محتسب بإزالته فعليه إزالته⁽²⁾، وتفصيل أخرى لا يتسع الأمر لذكرها، مع العلم أننا أخذنا بعض التفاصيل والقوانين التي تهم الميزاب من جهة الواجهة فقط، حيث أن هناك عديد الحالات منها ما يخص مواضع أخرى غير الواجهة الرئيسية، كالتالي توالي الجيران مثلاً أو حالات كالتالي تخص الميراث وما يلزم الورثة في شأن الميزاب وغيره.

1-6. الارتفاع:

تعد الحاجة أساس بناء المساكن في سهل وادي مزاب، فلا توضع مقاييس تزيد عن حاجة ساكنيها، فكل الفضاءات خضعت لهذه القاعدة خاصة ما تعلق منها بالارتفاع الأمر الذي انعكس مباشرة على الواجهة وبالتالي تحدد علو للمسكن ككل، وما تجدر الإشارة إليه أن طبيعة المواد المستعملة ومقاومتها لم يكن لها تأثير كبير في تحديد العلو، بل خضعت لمبدأ عدم الإسراف والتبذير.

نجد أن الارتفاع تحت سقف المسكن لا يتجاوز المترين وعشر أي سنتيمتراً 2.20 م إلى 2.30 م على أكبر تقدير وأحياناً أقل⁽³⁾، حتى أنه في الكثير منها يصل 1.80 م خاصة القديمة منها⁽⁴⁾، ويدخل في تحديد علو المسكن أمران هما الكشف والظل، حيث يمنع الجار من كشف جاره من خلال الإشراف عليه، كما يمنع الجار أن يجعل الظل على جاره الظل القبلي والظل الغربي، إلا إن كانت بينهما عمارة، أو ترك ثلاثة أذرع⁽⁵⁾، وتدفع المضرة في المنازل فيما بين الدور إذا كان من أراد أن يبني ومنع من الشمس والفجر وأما الريح فإنه يرجع ذلك إلى الأمان⁽⁶⁾، بمعنى أنه يجوز أن يرتفع تحويط الدار الموالي للشارع فوق سبعة أمتار ونصف إذا أراد أحد السكان أن يبني داراً متصلة بالجيران، حيث يتوجب أن يرفع الجدار الموالي لجاره الجوفي على ما كان عليه في السابق كي لا يحجب عنه الشمس القبليّة، ويحترم الارتفاع من الجهة الغربية، حتى لا يحجب الشمس على جاره الشرقي، ولا حق للجار في استغلال المساحة المتروكة لعدم ملكيته

1. محمد بن يوسف أطفيش، مختصر العمارات، مصدر سابق، ص: 33.

2. نفسه، ص: 33.

3. Pierre Donnadieu et autres; Op. Cit. p: 104.

4. محمد التريكي، خالد بوزيد، المرجع السابق، ص: 104.

5. محمد بن يوسف أطفيش، مختصر العمارات، مصدر سابق، ص: 16.

6. محمد بن يوسف أطفيش، ترتيب نوازل نفوسة، مخ. (نسخة مصورة)، مكتبة الشيخ صالح لعلي، ص: 456.

لها، ويمكنه أن يحيطها بسلك لينتفع بوضع الحطب فيها على أن لا يحجب الشمس عنه، وإذا رفع إنسان جداره لستر سطحه لا بد عليه أن يترك مسافة بقدر علو الحائط، أما في حالة ما وجد زقاق بينهما فلا حرج في ذلك⁽¹⁾.

ظهرت في المنطقة أعراف مستمدة من الشرع، ولأن القاعدة الشرعية تقول: "إن العادة محكمة" وأن العرف مصدر من مصادر التشريع، نجد العرف هو الذي يحدد مقدار العلو في المنازل⁽²⁾، وقد أظهرت دراسة الديوان السابقة على عينة من المساكن التقليدية أن متوسط قياس الارتفاع للمسكن يقدر بـ 6.15م، فيما أوعز ذلك إلى القواعد الأساسية التي تنظم العمران بالمنطقة⁽³⁾، لذا فعلو البناءات لا يتعدى طابقين وسطح ومن زاد عن ارتفاع مسكن جاره فعليه ترك فضاء من مسكنه بقدر الارتفاع الذي يريده على أن لا يتعدى العلو الكامل 7.50م⁽⁴⁾، وفي ذلك حفظ لحق الجار في السترة والشمس والمساواة.

2- الطابق الأرضي:

يصادفنا عند ولوج المسكن من خلال المدخل الرئيسي بالطابق الأرضي السقيفة، والتي تعد مساحة فاصلة بين عالمين مختلفين سعى الإسلام للفصل بينهما لما فيهما من خرق لخصوصية الأسرة ممثلة في العنصر النسائي، ليليه رواق مدخل الدار الذي هو فضاء للانتقال من الأول إلى وسط الدار، وقبل الانتقال إلى وسط الدار قد نصادف في كثير من المساكن غرفة مخصصة لاستقبال ضيوف أهل المسكن من الرجال فقط، ويحيط من حول وسط الدار المطبخ وغرفة مخصصة لاستقبال ضيفات أهل المسكن، إلى جانب عدد من الغرف المخصصة لساكنيه، ويطلق عليه تسمية **أَدَابَه** بلغة المزابيين .

1. محمد ناصر، المرجع السابق، ص:160.

2. بكير بن يحيى، **التشريع والفكر العمراني (مقال)**، العمارة والعمران الإباضي بوادي ميزاب، ملف حول الأيام الدينية الخامسة المنعقدة بالعالية، جمعية الاستقامة، مطبعة تقنية الألوان، الجزائر، 1990، ص:29.

3. مختار قرميدة، المرجع السابق، ص:8.

4. ديوان حماية وترقية وادي ميزاب، **تقرير عن الديوان ..**، مرجع سابق، ص:8.

2-1. السقيفة:

تسمى محليا **تَسْكِيفْتُ** وتعرف لدى المختصين بالمدخل المنكسر *Chicane* ومحليا يسمى **إِمِي**⁽¹⁾ وتحتل في المسكن التقليدي بوادي مزاب الزوايا الركنية منه مثلما هو الحال عليه في أغلب مساكن شمال إفريقيا، وهذا الموقع يفسر بكونه يمنع الرؤية إلى وسط الدار⁽²⁾، وكما سبق وأشرنا فهي الفضاء الفاصل بين داخل المسكن وخارجه، حيث داخل المسكن الفضاء المخصص للأسرة، وتستغل في فصل الصيف كقاعة جلوس وفضاء لتناول الوجبات كونها مسارا لتيار هوائي بارد يسلك مسارا يمر من خلال شبك وسط الدار مروراً بالمدخل الرئيسي ليلطف من حرارة الجو المرتفعة بالمنطقة، وإلى جانب ذلك تعد الفضاء المفضل للمرأة لنصب المنسج، وبالنظر لهذه الوظيفة الملحوظة وجود هذا النوع من الحركية زودت الجدران بعدد من المشاكاوات لتوضع بها أدوات النسيج وأشياء أخرى لها صلة بالطبيعة الأنشطة التي يشهدها هذا الفضاء، ويمكن أن نلاحظ أن هذا الفضاء استغل إلى جانب ذلك في تعليق وسائل تبريد الماء كالدلو والقربة. تكون السقيفة في الغالب مراقبة من الداخل من خلال فتحة تكون عادة بينها وبين تيزفري أو وسط الدار، وللسقيفة دور العزل الصوتي بين الداخل والخارج، كما تعتبر فضاء انتظار لمن يطلب الإذن بالدخول، في الزاوية المحاذية للشارع غير زاوية المدخل يوجد في بعض الأحيان المرحاض⁽³⁾ إلى جانبه مكان لربط الدابة أو فضاء العترة، وتنتهي السقيفة بفضاء انتقالي يفصل بينها وبين وسط الدار يستغل في العادة للقيام برحي الحبوب كالقمح⁽⁴⁾ بواسطة رحي مثبتة في ركن منه، وهو عبارة عن رواق يسمى محليا **تَهْجَة**⁽⁵⁾.

2-2. وسط الدار:

نتنقل مباشرة من رواق السقيفة إلى وسط الدار الذي يسمى محليا **أَمَاسُ أُنْتَدَارْتُ**، حيث يعتبر الفضاء الرئيسي في المسكن (الصورة رقم: 51)، تبعا لشكله ومقاييسه وتوزيعه وهيكلته لمختلف الفضاءات فيه، إضافة إلى كونه شبه مغطى إلا من خلال فتحة الشباك التي تساعد على

1. Jean-Loïc Le Quellec ; Op. Cit. p: 82.

2. Pierre Donnadiou et autres; Op. Cit. p: 124.

3. محمد التريكي، خالد بوزيد، المرجع السابق، ص: 92.

4. Marcel Mercier; Op. Cit. p: 248-251.

5. ديوان حماية وترقية وادي ميزاب، المسكن التقليدي وعرف العمران بالقطاع المحمي لوادي مزاب، غرداية، الجزائر، ص: 5.

الإضاءة والتهوية⁽¹⁾، وهي فتحة تصل الطابق الأرضي بالطابق الأول ومنها تنزل أشعة الشمس ويتجدد الهواء⁽²⁾ (الصورة رقم:53).

يستمد وسط الدار أهميته بالنظر إلى تلك الإمكانيات التي يوفرها لسكانه لاستعماله في أكثر من نشاط، كونه فضاء شبه مغطى كليا إلا من خلال الفتحة (شباك)⁽³⁾ التي سبق الإشارة إليها والتي لا تتعدى مساحتها 1.5م²⁽⁴⁾، حيث يمكن تغطيتها بكل يسر ضد عوارض الطقس المختلفة بالجريد أو حصير من القصب⁽⁵⁾ ليتواصل استعمالها بدون انزعاج، إضافة إلى كونه يمثل مجال لعب الأطفال خاصة الصغار منهم، فهو يعتبر الفضاء الذي تحصل فيه كل النشاطات المترتبة تقريبا ابتداء من الطبخ، حيث الموقد يأخذ زاوية منه، فغسل الأواني والثياب وغيرها، يستعمل إلى جانب ذلك كفضاء يرقد فيه الأطفال الصغار أيام الصيف الحارة وتقام فيه الأعياد والأعراس⁽⁶⁾. انعكست أهمية وسط الدار على شكله ومقاييسه، فكان أول فضاء يختط ومن حوله مختلف الفضاءات مما جعل شكله متوازنا، فشكل مخططه عموما ذو شكل مستطيل، يقدر معدل مساحته بـ 17.91م²⁽⁷⁾، ويتوسطه دعائم لتدعيم السقف وفي بعض الحالات تحل محلها أعمدة يتراوح عددها بين اثنتين إلى ثلاثة، وقد تكون في بعض الحالات مدججة في الجدران، كما جهزت الجدران بعدد من المشكاوات لوضع وسائل الإنارة وبعض الأثاث، ومن مظاهر هذه الأهمية كذلك ارتفاعه النسبي.

3-2. الغرف:

نجد بالطابق الأرضي للمسكن عددا من الغرف التي تتوزع على مستويين، مستوى معزول عن أهل الدار ومستوى يتصل بالفضاء المخصص لهم، فأما الأولى وهي واحدة نقصد بها قاعة استقبال الضيوف من الرجال حيث تسمى **ذويرة**، كما تسمى لدى البعض الآخر **حُجْرَة**،

1. ديوان حماية وترقية وادي ميزاب، المسكن التقليدي ...، مرجع سابق، ص:6.

2. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، ط. 1، مرجع السابق، ص: 88.

3. S. Kitous et autres ; **Pour un Urbanisme Climatique des Villes : cas de la Vallée du M'Zab**, Living in Deserts : Is a sustainable urban design still possible in arid and hot regions, Ghardaia, Algeria, 9-12 Decembre 2006, p: 134.

4. محمد التريكي، خالد بوزيد، المرجع السابق، ص:89.

5. André Ravéreau ; Op. Cit. p: 125.

6. محمد التريكي، خالد بوزيد، المرجع السابق، ص:95.

7. مختار قرميدة، المرجع السابق، ص:17.

أما باقي الغرف فنجدها تتوزع حول وسط الدار، وعلى رأسها قاعة استقبال النساء التي تسمى محليا **تيزيفري**، فيما الباقي هي غرف تخص أهل الدار وتسمى **تَرْقَة** أو **تَرْقَوِين**.

2-3-أ. غرفة استقبال الرجال:

يعتبر الفصل بين الوسط الخاص بأهل الدار والزائرين من الضيوف خاصة الرجال منهم أمر ينص عليه الشرع والعرف، ولأن الضيف لا يخلو منه قاموس المجتمعات الإسلامية خصص لهذا الأخير فضاء لاستقباله وضيافته على أكمل وجه، وبحكم أن منطقة وادي مزاب امتداد لهذا الفضاء الواسع خصت هي الأخرى الضيف في كل مساكنها⁽¹⁾ بغرفة يختلف موقعها من مسكن إلى آخر، ففي بعض الأحيان نجدها في الطابق الأرضي⁽²⁾ وتسمى عندئذ **حُجْرَة** أو **ذَوِيرَة** وهناك من يطلق عليها اسم الحجر، أما إذا كانت في الطابق الأول سميت عندهم بالعلي.

نركز الحديث عن تلك الموجودة في الأسفل مراعاة للتسلسل، حيث تتصل مباشرة بالسقيفة، وهي معزولة أكثر عن النشاط اليومي للنساء، حيث يوجه مدخل هذه القاعة نحو المدخل الرئيسي للمسكن، وفيها يمكن لسيد البيت أن يستقبل ضيوفه بشكل مستقل عن باقي المسكن⁽³⁾، وقد يحدث أن يكون لها فتحات على الطريق وإن كان ذلك نادرا في هذا المستوى من المسكن، أما مخطط هذه القاعة فيأخذ شكلا مستطيلا في أغلب الأحيان، ومتوسط مساحة هذه القاعة يقدر بـ **10.91 م²**⁽⁴⁾، وعرض الغرفة اختزل تبعا لقدرة عوارض خشب النخيل (حوالي مترين)، وهي ليست ظاهرة تخص مزاب فقط بل توجد في جميع واحات الصحراء⁽⁵⁾، كما يمكن أن تزود هذه الغرف في مؤخرتها بدورة مياه أو باب خاص يؤدي إليها يمكن صاحب الدار أن يلج من خلاله من الفضاء الخاص إلى قاعة الضيافة هاته أو حتى للمرأة لتقوم بشؤون التنظيف للقاعة عند خلوها من غير أهل الدار.

2-3-ب. غرفة استقبال النساء:

أول ما يلفت انتباه الداخل للمسكن المزابي بعد تجاوز السقيفة تلك القاعة المميزة من حيث الموقع والمقاسات ونقصد قاعة استقبال الضيفات أو كما تسمى محليا **تيزيفري**، حيث نجدها

1. Commandant GODARD ; Op. Cit. p: 75.

2. Michel Van der Meerschen ; Op. Cit. p: 77.

3. Ibid. p: 69.

4. مختار قرميدة، المرجع السابق، ص: 19.

5. André Ravéreau ; Op. Cit. p: 124.

منعزلة⁽¹⁾ بشكل يسمح للنساء أن يجتمعن وينجنزن أشغالهن، ويقمن بنسج الزرابي والمنتجات التقليدية أو حتى كفضاء للأكل أو لسمر الأسرة خاصة في فصل البرد، وأكثر ما يميزها مدخلها العريض نوعاً ما⁽²⁾ (الصورة رقم: 54) و(الشكل رقم: 37)، كما يكون موجه في الغالب إلى القبلة أو الغرب⁽³⁾ أو جنوب-غرب للاستفادة أكثر من أشعة الشمس خاصة في فصل الشتاء إلى جانب التهوية اللازمة إلى جانب توسطه واجهة هذه القاعة، من خلال شباك وسط الدار الذي يتوسط سقف الفناء، وهذا الموقع المختار بعناية نابع من الأهمية التي يوليها المزابي لهذا الفضاء، حتى أنها فضاء تخصص لإقامة الصلاة⁽⁴⁾ لأهل المسكن خاصة النساء كون الرجال لهم ارتباط بالمسجد في أداء صلواتهم الخمسة.

معماريًا نجد القاعة ذات مخطط مستطيل الشكل في أغلب مساكن وادي ميزاب بنسبة 76%⁽⁵⁾، وكما سبق وأن أشرنا فمدخلها يتوسط الواجهة بوضع يسمح بمجال رؤية يشمل جميع جميع المرافق المحيطة بوسط الدار، كما تجدر الإشارة إلى غياب الباب بهذا المدخل، وزودت هذه القاعة بمسطبة مبنية مخصصة للصلاة⁽⁶⁾، وقد يحدث أن نجد في أغلب المساكن فتحة صغيرة مقاساتها حوالي (0.30x0.20)م² وعلى ارتفاع يقترب من مستوى شخص في وضعية قعود متجهة نحو المدخل الرئيسي للمسكن تهدف إلى معرفة القادم⁽⁷⁾، كما زودت جدران القاعة بعدد من الكوات الصغيرة يوضع عليها وسائل الإنارة التقليدية وبعض الأثاث المترلي، وفي كثير من الحالات نجد بالقرب من هذه القاعة السلم المؤدي للطابق العلوي.

2-3-ت. الغرف:

تحيط تَرْقَوِينُ أو تَرْقَوِينُ بالفناء ومفتوحة عليه، وهي في العموم تتراوح بين غرفة إلى ثلاثة غرف، وفي النادر أربعة غرف، أما من حيث المساحة فيتراوح معدل ذلك بين 04 إلى 07م²، فيما يتخلل جدران الغرف عدد من الكوات، ويتقدم باب الغرفة عتبة صغيرة، وزود المدخل بباب

1. André Ravéreau; Op. Cit. p: 124.

2. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، ط. 1، مرجع السابق، ص: 88.

3. ديوان حماية وترقية وادي ميزاب، المسكن التقليدي...، مرجع سابق، ص: 7.

4. Jean-Loïc Le Quellec; Op. Cit. p: 82.

5. مختار قرميدة، المرجع السابق، ص: 21.

6. محمد التريكي، خالد بوزيد، المرجع السابق، ص: 98.

7. مختار قرميدة، المرجع السابق، ص: 21.

خشبي له قفل تقليدي الصنع، وارتفاع المدخل لا يتجاوز عادة 1.30م⁽¹⁾ ورغم ذلك يكون الدخول منه سهلا (الصورة رقم:57) و(الشكل رقم:37).

تنوزع الغرف بحسب الوظيفة المنوطة بها فهناك المخصصة للنوم وهناك المخصصة للتخزين، وما يميز هذه الأخيرة ضيق مساحتها، وأحيانا تحتوي على مخزن صغير يسمى **باجو** ذو ارتفاع يقارب 1.5م وعرضه 1م⁽²⁾، مخصص لحزن التمر، أما الغرف عموما تتميز بانخفاض مستوى سقفها بحيث أن مجال الرؤية ونحن جلوس يساوي مقدار مجال الرؤية ونحن جلوس على كراسي في البيوت الغربية⁽³⁾.

تخصص إحدى هذه الغرف كغرفة نوم للوالدين وتكون مجهزة بأثاث يتمثل أساسا في سرير خشبي، وأحيانا يكون مبني بالحجارة **والتشمّت**، بحيث يكون له ارتفاع يتراوح بين 0.50 إلى 0.65م عن مستوى الأرضية، فيما يغطي سقف الغرفة بأكسية صوفية تصنعها النساء بأيديهن وتحتوي على زخارف عديدة وجميلة وذات ألوان طبيعية، مما يوفر للنائم مساحة تأمل كما يمنع عنه سقوط الأتربة والجير من السقف، أما باقي الغرف في الطابق الأرض إن وجدت مخصصة لنوم الأطفال الصغار، كما تثبت الأوتاد على الحائط لتعليق الثياب.

تنوزع غرف المسكن عموما على الطابقين الأرضي والأول، وفي حال كانت تشغل المسكن عائلة تضم عددا من الأسر تخصص تلك الموحدة في الطابق الأرضي للأسر القديمة في حين الأسر الحديثة بالطابق الأول، وفي هذا مراعاة للسن حيث أن الجد أو الأب لا يقدر على الصعود إلى أعلى بسهولة⁽⁴⁾.

2-4. المطبخ:

يسمى محليا **أني** - **إِنَائِن** وبالمفهوم الحالي للمطبخ فهو غير موجود، حيث لم يخصص له فضاء خاص بالمفهوم المعاصر (الصورة رقم: 59)، ذلك أن الأكل لا يعتبر في التراث الثقافي الإسلامي مهمة أصلية أو رئيسية بل أنه لا يعدو أن يكون تلبية عابرة لحاجة فطرية، لذا ففي القديم لم يكن هناك اهتمام بتخصيص فضاء الأكل وآلاته⁽⁵⁾ مثل ما هو حاصل في أيامنا هذه،

1. محمد التريكي، خالد بوزيد، المرجع السابق، ص:99.

2. نفسه، ص:24.

3. Jean-Loïc Le Quellec ; Op. Cit. p: 82.

4. محمد التريكي، خالد بوزيد، المرجع السابق، ص:99.

5. نفسه، ص:97.

حيث كان يقتصر فقط على موقد يختار له ركن من زوايا وسط الدار بشكل يسمح للمرأة بمراقبة كل ما يحدث في المسكن والمدخل بصفة خاصة، ويمنع بناءه إلى جدار الجار دفعا للمضرة إلا بموافقة جاره⁽¹⁾.

يجهز ركن المطبخ عموما بمدخنة تبني عادة في زاوية من جدار الواجهة، كما يخصص ركن بالقرب منها لوضع الحطب، ويزود المطبخ بعدد من الكوات والرفوف لوضع أواني الطبخ والإنارة⁽²⁾، ونادرا ما تكون له فتحات للتهوية، وأحيانا تبني خزانة فوق ركن الحطب ذات مقاسات 60 سم X 60 سم⁽³⁾، مخصصة لحزن بعض المواد الاستهلاكية، إلى جانب وجود بعض الأوتاد الخشبية المثبتة لتعليق بعض الأدوات المنزلية التي هي في الأصل قليلة.

2-5. الكنيف (المرحاض):

يطلق عليه محليا بالميزابية اسم أجمير، أما موقعه بالطابق الأرضي في عموم المساكن بسهل وادي مزاب نجده في مؤخرة وسط الدار⁽⁴⁾، أما معماريا فهو عبارة عن حفرة مربعة أو مستطيلة الشكل تستخدم كمجمع للفضلات، وتحاط جوانبها بالحجارة، فيما يستعمل جذع النخيل في تسقيف الحفرة إلى جانب الحجارة الصغيرة، لتترك فتحة صغيرة تأخذ الشكل المستطيل، ليبني فوقها المرحاض في مرحلة أخيرة.

يسجل في المسكن المزابي التزامه بالتوجيه الديني، حيث التزم بتوجيه هذا المرفق بوضع لا يواجه فيه القبلة لما لهذه الواجهة من قدسية وحرمة، حيث نجد أن الاتجاه العام لهذا المرفق غرب إلى شمال غرب، ويكون ملاصق للجدار الخارجي للمسكن حيث يمكن إفراغ الخزان من الفضلات، يشار إلى أن مساحة المرحاض قد تشمل وجود حمام بسيط إلى جانب المرحاض وهي غرفة ضيقة، سقفها يرتفع عن مستوى قامة الإنسان البالغ بقليل، وليس بها باب بل ستارة من قماش ذلك أن تصميمها المعماري صيغ بشكل يمنع الرؤية من الخارج إلى الداخل (الصورة رقم: 60).

بالرجوع إلى المعطيات المناخية وغيرها مما سبق نستنتج ندرة عنصر الماء بالمنطقة الأمر الذي انجر عنه حرص شديد من الأهالي بعدم التبذير إلا بقدر الحاجة، لذا نجد أن الرطوبة تكاد

1. ديوان حماية وترقية وادي ميزاب، المسكن التقليدي... مرجع سابق، ص: 6.

2. Yves Bonete ; **Contribution a l'étude de l'Habitat au M'Zab**, Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord, n° 5, 1959, p: 64.

3. مختار قريمدة، المرجع السابق، ص: 26.

4. نفسه، ص: 28.

تكون منعدمة تماما بهذه المساكن عكس نظيرتها في شمال إفريقيا، ورغم ذلك فالشرع شدد على عدم إسناد المرحاض إلى حائط الجار منعا للضرر⁽¹⁾.

2-6. مربط الدابة:

كانت الدواب فيما مضى وسيلة نقل بامتياز حتى بالنسبة لسكان واد مزاب بل أكثر من ذلك كانت المعين لهم في أعمال الحرث والزرع وكذا السقي وذلك باستخراج الماء بالطرق التقليدية من البئر التي قد يصل عمقها حدود 50م، لذا كان لزاما عليهم تخصيص فضاء لدوابهم التي لا غنى لهم عنها سموه بلغتهم **تَزْدِيْتُ** أو **تَزْرِيْتُ**، حيث اختير في موقع يتعد فيه برائحته الكريهة وما تسببه من إزعاج بصوتها وحركة غير مرغوبتين، لذا لم يكن هناك أحسن من مدخل المسكن أو الجزء الموالي له تتوفر فيه هذه الأفضلية، فاحتل هذا الفضاء موقعا بجانب السقيفة مباشرة⁽²⁾، وفي بعض الأحيان خصص باب لهذا الفضاء يمكن الدخول إليه دون المرور على عبر المدخل الرئيسي، فينفذ إليه عادة من الشارع مباشرة، وهذا لتسهيل دخولها وخروجها، وإلى جانب الدواب هناك فضاء مشابه خصص للعترة التي لا يكاد يخلو مسكن في مزاب منها لمنافعها الكثيرة⁽³⁾، والتي يمكن أن تستر ما تبقى من فضلات الطعام، وتجود بما تيسر من حليب، ويسمى هذا الفضاء محليا **أَيْشِينْ** نائرات.

يتميز التخطيط المعماري لهذا الفضاء بالبساطة فهو المستطيل الشكل ومتوسط مساحته الذي لا تتعدى حدود 2.76م²، ويتخلل جدرانته بعض الفتحات الضيقة للتهوية والإضاءة تفتح على الشارع، فيما مدخل هذا الفضاء مزود بعتبة لتوقف خروج الفضلات⁽⁴⁾ إلى داخل المسكن أو خارجا باتجاه الشارع.

3. الطابق الأول:

تأقلم المسكن في منطقة واد مزاب بشكل كبير مع بيئته، فرغم أنه يدرج تحت خانة مسكن البحر المتوسط، فإنه في جميع القصور الخمسة يتشكل من طابقين، واحد أرضي والآخر علوي (الشكل رقم: 37)، وهذا بدل أن تمتد على الأرض بطابق واحد، ويسمى الطابق العلوي

1. ديوان حماية وترقية وادي ميزاب، المسكن التقليدي...، مرجع سابق، ص: 9.

2. محمد التريكي، خالد بوزيد، المرجع السابق، ص: 94-95.

3. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، ط. 1، مرجع السابق، ص: 115-116.

4. مختار قرميدة، المرجع السابق، ص: 30.

محليا أُنْدَجْ، وأكثر ما يميز هذا الطابق عن سابقه أن المساحة المغطاة فيه لا تتجاوز نصف المساحة الأرضية، لتظهر أهمية هذه المساحة المكشوفة في فصل الصيف خاصة في الليل، حيث تنقلب حرارة الجو هواء بارد فتنقل كل مظاهر الحياة إلى هذا المستوى، وتتم الأعمال المتزلية بهذا الطابق إلى غاية الفترة الصباحية من هذا الفصل، وهنا نجد كذلك تلك الفتحة المسماة بالشباك والتي سبق الحديث عنها في صياغ كلامنا عن وسط الدار، وبالنسبة للجزء المغطى نجده يضم مرافقا تلتف حول الشباك، نذكر منها غرف النوم تَزَكَعُ، المرحاض أَدْجَمِيرُ، المطهرة لَنَغْسَلُ، مخزن التمور تَخْبِيْتُ، في بعض الأحيان نجد كذلك غرفة استقبال الرجال التي تسمى في هذه الحالة بالمزابية لَعْلِيْ بهذا الطابق، ويتقدم الكل رواق محمول على أقواس ودعامات يسمى محليا إِيكُومَارُ، إذا فهي مرافق تشبه تلك الموجودة بالطابق الأرضي باستثناء هذه المساحة المكشوفة والأروقة.

3-1. الغرفة:

تتوزع غرف الطابق العلوي حول فضاء واسع⁽¹⁾ ومكشوف يسمى تِيغْرُغْرَتْ، فيما تسمى الغرفة كما سبق وأشرنا تَزَقَّة التي حيث يزيد عددها في بعض الحالات عن ثلاثة غرف، وهي غرف مخصصة للنوم⁽²⁾ (الصورة رقم: 56)، ويسكنها الأبناء المتزوجون⁽³⁾، ذلك أن في الأمر مراعاة لعامل السن إذ أن الجد أو الأب لا يقدر على الصعود إلى الأعلى بسهولة وتوفيراً لنوع من الاستقلال والراحة النفسية التي يتطلبها العرسان الجدد⁽⁴⁾، كما أنها بسيطة مزودة بمشاكبي أو حتى بعض الرفوف⁽⁵⁾ إلى جانب سرير مبني بالحجارة والتمشمت أو مصنوع من الخشب، ليزين السقف من الداخل وكذا أسفل جدران الغرف بغطاء مصنوع من الصوف ومزين بالألوان والزخارف، كما تثبت الأوتاد الخشبية بالحائط لتستعمل لتعليق الثياب.

1. Guy Bisson ; **Deux Maisons a Beni-Isguen (M'Zab)**, Etude comparative, Archive OPVM, p:3.

2. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، ط. 1، مرجع السابق، ص: 89.

3. مختار قرميذة، المرجع السابق، ص: 40.

4. محمد التريكي، خالد بوزيد، المرجع السابق، ص: 99.

5. Euromed Héritage ; **Maison de la vallée du M'Zab-Algérie**, Architecture Traditionnelle Méditerranéenne, CORPUS, 2001, p: 2.

يتخلل هذه الغرف التي هي عبارة عن خلايا نسكية⁽¹⁾ بسيطة وزاهدة فتحة الباب، التي يتميز بقلّة ارتفاعها، حيث لا تتجاوز 1.30م لكن الدخول منه يكون سهلا وعاديا، ولكل مدخل غرفة عتبة تمنع تسرب الرياح والهواء البارد شتاء، والحشرات السامة في فصل الصيف⁽²⁾، وقل ما نجد لهذه الغرف فتحات من غير فتحة الباب.

ضمّن عمل المعماري بتوزيع هذه الغرف على مستوى هذا الطابق وكذا توجيهها بشكل سمح لها من الاستفادة الجيدة من الضوء والتهوية من خلال أبوابها ومن خلال تلك الفتحات⁽³⁾ التي فتحت بالجدران الخارجية للغرف والمطلة خاصة على الشارع، إلا أن هذا التوزيع أقلّ ترتيبا وانتظاما من نظيرتها في بلاد المغرب، حيث أنّها موزعة وظيفيا وليس توزيع كلاسيكي بل مبنية وفق الحاجة، وفي ظلّ عدم الاهتمام التام بأي مبادرة للتناسق ما أضفى عليها جمالية خاصة، وهذه الغرف تميزت بأنّها أصغر من نظيرتها بالطابق الأرضي⁽⁴⁾، وهو أمر فرضته الحاجة لايجاد مساحة مكشوفة سوف تأتي للحديث عنها.

جاء الطابق الأول بغرفة على الرغم من صغرها استجابة لعدم قبول سكان هذه المنازل العيش طيلة فصول السنة بأيامها ليلا ونهارا في الطابق الأرضي، والتي هي في الحقيقة رغبة فرضتها هي الأخرى بيئة خاصة تباينت فيها كل المعطيات صيفا وشتاء.

3-2. غرفة استقبال الرجال:

تسمى غرفة استقبال الرجال لدى الأهالي في حال وجودها بالطابق الأول **لَعْلِيّ**، ففي أكثر من نصف مساكن المنطقة نجدها في هذا المستوى⁽⁵⁾، وأكثر ما يميز هذا الفضاء وجود مدخلها في وضع مقابل للمدخل الرئيسي مباشرة، ليصل بين المدخلين سلم (درج) ليتم صعود الضيوف إليها مباشرة (الصورة رقم: 58) وفي ذلك فصل بين الفضائين الرجالي والنسائي، حيث تكون معزولة أكثر عن فضاء النشاط اليومي للنساء، كما يمكن أن تفتح هذه القاعة على فناء الطابق الأول والذي يسمى **تغرغرت** بمدخل خاص.

1. وزارة الأخبار، الفن المعماري الجزائري، سلسلة الفن والثقافة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع مطبعة التاميرا، مدريد، إسبانيا،

جوان 1970، ص: 58.

2. محمد التريكي، خالد بوزيد، المرجع السابق، ص: 99.

3. S. Kitous et autres ; Op. Cit. p: 135.

4. André Ravéreau ; Op. Cit. p: 125.

5. مختار قرميدة، المرجع السابق، ص: 17.

معماريًا تتخذ قاعة لعلي هنا مخططًا ذا شكل مستطيل متوسط مساحته يصل 11م²، كما تزود جدرانها بعدد من الفتحات للإضاءة والتهوية وتطل على التغرغرت أو الشارع، كما يمكن أن تزود هذه القاعة في مؤخرتها بدورة مياه أو باب خاص يؤدي إليها⁽¹⁾ كما أشرنا سابقًا، أين يسمح لأهل المسكن من الولوج إليها لتنظيفها وإعدادها للضيوف.

3-3. الشبّاك:

يعتبر المسكن المزايي وليد مخطط متوسطي كيف بمهارة، من جهة مع الإضاءة الصحراوية الشديدة، ومن جهة أخرى مع الظروف الاجتماعية المحيطة نتيجة استيطان الإباضيين في هذا الموقع⁽²⁾، كونهم أصحاب تجربة تمتد إلى سدراته التي هي امتداد تاريخي وحضاري لتيهرت، ومن مظاهر هذا التكيف نجد أن المساحة المكشوفة تحتوي بأحد زواياها على الفتحة المطلّة على الطابق الأرضي، حيث تعد أكبر فتحة لوسط الدار نحو السماء في حين أعيد تغطية الفناء المركزي في المستوى السفلي، والكل محمي بفتحة معتدلة على السماء تسمى شِبَّاك لها ما يشبهها في عدة واحات باحتراز، وهذا الحل لحتمية فورية لإيجاد منفذ مهم للسطح⁽³⁾، ويمتد الشبّاك إلى الجهة القبليّة والجهة الغربية لاستقبال أشعة الشمس في أطول فترة بالنهار⁽⁴⁾ (الصورة رقم: 53 و56). شكل توزيع الغرف حول وسط الدار المغطى حاجة ماسة إلى التهوية والإضاءة، فإلى جانب المدخل الرئيسي والفتحات المستحدثة في الجدران السميكة هناك الشبّاك الذي وفر إنارة وتهيئة حقيقية للمسكن المزايي، ففي فصل الصيف نجد أن التباين في درجة الحرارة بين الطريق ذو الهواء المنعش والدار والسطح الساخنين يحفز على التهوية الطبيعية إلى داخل المسكن⁽⁵⁾، بحيث يترك باب المدخل الرئيسي مفتوحًا خلال الصيف، فيما تلتطف الإضاءة الشديدة ببعض الحواجز المتنوعة مثل الجريد أو حصير القصب وغيرها⁽⁶⁾، فيما يغطي في فصل الشتاء أثناء الليل بأغصان النخيل أي الجريد وذلك للمحافظة على الحرارة الداخلية، فيما يفتح في النهار لاستغلال أشعة الشمس إلى جانب التهوية.

1. مختار قرميّة، المرجع السابق، ص: 19.

2. André Ravéreau ; Op. Cit. p: 123.

3. Ibid. p: 84.

4. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، ط. 1، مرجع السابق، ص: 89.

5. S. Kitous et autres ; Op. Cit. p: 135.

6. André Ravéreau ; Op. Cit. p: 125.

معماريًا يأخذ شكل مخطط الشباك الشكل المربع وبمعدل مساحة يصل إلى 2م² (1)، فيما يتوسط وسط الدار في أغلب المساكن وقل ما يكون في أحد جوانبه ليمتد أفقياً، كما يبنى له تحويط يرتفع عن مستوى أرضية الطابق الأول بجوالي 0.10م، يبنى باستعمال الحجارة والتمشمت.

3-4. الأروقة:

يعرف محلياً باسم **إيْكُومَارْ** وهو رواق واحد يحيط بالفضاء المكشوف من جهتين أو ثلاثة، كما أنه مسقف ومحمول فوق صف من الأقواس والأعمدة ليكون بذلك مفتوحاً على السطح أي الفناء المكشوف والمسمى **تغرغرت**، فيما يتراوح عددها من رواق إلى رواقين وفي بعض الأحيان يصل إلى ثلاث أروقة (2) (الصورة رقم: 56 و 61)، وتوجه نحو الجنوب الغربي والجنوب الشرقي لاستغلال أشعة الشمس في فصل الشتاء حيث يكون معرضاً لأشعة الضوء، من لحظة شروق الشمس إلى ساعة غروبها، كما يسمح هذا التوجيه بتسرب أكبر قدر من ضوء الشمس إلى الطابق الأرضي من خلال فتحة شباك وسط الدار، وتتحول إليه جل الأنشطة كالمنسج، كما يضم مطبخاً ثانياً لهذا الغرض، ففي الساعات العابرة من صباح اليوم التالي وكذا المساء تصبح مقصورات *Loggia* لأهل المسكن، فيما يتباين تجهيزها من مسكن إلى آخر لكنها مهيأة بأقل دقة من نظيرتها في باقي حواضر المغرب (3)، ويمكن أن تكون أيضاً فضاء لاستقبال الضيوف من النساء (4)، وإلى جانب ذلك يعد فضاء انتقالي بين الغرف في الطابق الأول والطابق الأرضي من جهة والسطح غير المسقف من جهة ثانية (5).

معماريًا نجد أن هذه الأروقة في العموم لا تتعدى مساحتها 20م²، وتتخذ شكل الزاوية القائمة في أغلب الأحيان، وكما قلنا تحمل على دعائم أو أعمدة يبلغ عددها أربعة على الأقل، ويتباين شكلها ما بين الدائري والمربع، بينما ارتفاعها يتراوح ما بين 1.20م و 1.30م عموماً، وهناك حالات نجدها متوجة بتاج، أما بالنسبة للأقواس فهي تتراوح ما بين الشكل النصف الدائري والمنكسر، ويبلغ متوسط ارتفاعها 1.62م، في حين يقدر متوسط المسافة التي تفصل بين

1. مختار قرميذة، المرجع السابق، ص: 17.

2. نفسه، ص: 33.

3. André Ravéreau ; Op. Cit. p: 125.

4. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، ط. 1، مرجع السابق، ص: 89.

5. ديوان حماية وترقية وادي ميزاب، المسكن التقليدي...، مرجع سابق، ص: 8.

العمودين 1.11 م⁽¹⁾، كما نشير إلى أن هناك حالات نجد فيها أن هذه الأقواس تأخذ شكلا غير منتظم.

تظهر الصور العائدة إلى أواخر القرن 19 م نوع آخر من الأقواس استخدم هو الآخر في رفع الرواق خاصة بالنسبة لتلك المساكن القريبة من المسجد في قصر غرداية، حيث تأخذ الشكل المربع، فيما المساكن البعيدة عن المسجد تأخذ الشكل النصف دائري، وربما يعود ذلك إلى تقنية بناء الأقواس التي كانت تعتمد فيما مضى على جذوع النخيل التي تصل بين طرفي العمودين، لتعوض في التوسعات التالية بتقنية أخرى تعتمد على جريد النخيل المتوفر بكثرة مع الإبقاء على الشكل المربع للقوس الأخير المتصل بجائط الجار حتى يمنع انتقال الضغط من أقواس الرواق إليه⁽²⁾ وفي ذلك طبعا دفع للمضرة.

3-5. الفضاء المكشوف:

فرضت الطبيعة القاسية على سكان مزاب استحداث فضاءات تخفف من وطأة الحرارة في كامل أوقات اليوم سواء في الليل أو النهار، كما نتج عن قلة الغرف في الطابق الأول مقارنة بالطابق الأرضي وجود مساحة شاغرة⁽³⁾، فكان الفضاء المسمى محليا *تِيغَرُغَرْتْ* حلا وجدت فيه العائلة والأسرة الميزابية المساحة المثلى لذلك (الصورة رقم: 53 و 61)، كما وجدت فيه المرأة مساحة تستغل فيها وجود الشمس شتاء لتقوم ببعض الأعمال اليومية، إضافة إلى مختلف الاستعمالات اليومية مثل نشر الثياب وتجفيف الثمار وتكييفها فإنها تستعمل في الصيف ليلا، حيث يتزل الهواء البارد بعد يوم شديد الحرارة فتكون السهرة ممتعة يخلو فيها السهر والسمر⁽⁴⁾، هذا دون أن ننسى أهم وظيفة لهذا المرفق حيث يزود الطابق الأرضي بضوء الشمس والهواء من خلال فتحة شباك وسط الدار الذي سبق الحديث عنه.

أما من الناحية المعمارية فهو فضاء مكشوف ذو مخطط مستطيل الشكل، ومعدل مساحة يصل 13.44 م²، وفي إحدى زواياه نجد شباك وسط الدار، وترتفع جدران الفناء بمقياس يتراوح بين 2 م و 2.80 م⁽⁵⁾، ويمتد إلى الجهة القبليّة والجهة الغربيّة لاستقبال أشعة الشمس في أطول فترة

1. مختار قرميدة، المرجع السابق، ص: 33.

2. محمّد التريكي، خالد بوزيد، المرجع السابق، ص: 101.

3. André Ravéreau ; Op. Cit. p: 125.

4. محمّد التريكي، خالد بوزيد، المرجع السابق، ص: 101.

5. مختار قرميدة، المرجع السابق، ص: 36.

بالنهار⁽¹⁾ حيث أنها الوضعية الأنسب لاستفادة من أكبر قسط من أشعة الشمس خاصة في فصل الشتاء.

3-6. غرفة الخزين:

لا يخلو مسكن من مساكن مزاب في الطابق الأول من مخازن مبنية يسمى الواحد منها بالمزابية **بَاجُو**⁽²⁾ أو **تَحْيِيَت** المشتقة من الكلمة العربية خبأ (الصورة رقم: 63)، وعادة ما يحتوي المسكن في مزاب على غرفة واحدة أو أكثر مخصصة لخزين، ومرد ذلك لاعتماد أهل البلد على الفلاحة الأمر الذي يقتضي توفير فضاء لخزن محصولها، كما أن قلة الموارد ومحدودية عطاء وإنتاج الأرض، بالإضافة إلى تعرض هذه المنطقة إلى أزمات غذائية متوالية بفعل مواسم الجفاف وقساوة الطبيعة، جعل الأهالي يقتصدون في معاشهم، فلا مجال للإسراف والتبذير⁽³⁾، وإلى جانب هذا نشير إلى بعد المنطقة عن مسالك القوافل التجارية إلى أوقات متأخرة.

تتخذ هذه الغرفة أو الغرف موقعا مهما بين المطبخ والدرج وهي عبارة عن غرفة صغيرة⁽⁴⁾ مزودة بمشكاوات حائطية لحفظ المؤن الغذائية وتخزين التمر⁽⁵⁾، كما يمكن أن تبنى بها أهراء *Silo* لخزن كل مادة على حدا، حيث تخصص إحداها للتمر الذي هو غذاء رئيسي لسكان الصحراء، وآخر للشعير، وثالث للقمح⁽⁶⁾ وهكذا.

3-7. المطبخ:

نادرا ما يبنى مطبخ للطابق العلوي -والمسمى محليا **إِنَايْن** مثلما هو الحال بالنسبة لمطبخ الطابق الأرضي- في إحدى زوايا الرواق، ويكون متطابق مع نظيره في الطابق السفلي، وهذا كي يشتركا في مدخنة واحدة، أما من حيث الخصائص المعمارية والتجهيزات فهي لا تختلف كثيرا عن سابقتها، وأكثر ما يستخدم لمناسبات الأعراس والمآتم وما شابهها⁽⁷⁾، دون أن ننسى أيام الحر

1. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، ط. 1، مرجع السابق، ص: 89.

2. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، ط. 2، مرجع سابق، ص: 117.

3. محمد التريكي، خالد بوزيد، المرجع السابق، ص: 103.

4. وزارة الأخبار، المرجع السابق، ص: 58.

5. ديوان حماية وترقية وادي ميزاب، المسكن التقليدي...، مرجع سابق، ص: 9.

6. Commandant GODARD; Op. Cit. p:75.

7. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، ط. 2، مرجع السابق، ص: 117.

حيث يستعمل في فصل الصيف لطهي الشاي خاصة ⁽¹⁾ لسهر و سمر أفراد العائلة وهذا في أكثر المساكن.

3-8. المطهرة والمرحاض:

نجدهما في الطابق العلوي على مستوى عمودي واحد مع نظيرتها بالطابق الأرضي، وهذا تسهيلا لعملية تجميع الفضلات والماء المستعمل، ووجودهما بالطابقين راجع إلى الاستعمال المتوازي لكليهما، ويمتاز هذان الفضاءان بمحدودية مساحتهما، كما أنهما يفتقران إلى الأبواب، ومرد ذلك إلى محدودية استعمالهما في الزمن، إضافة إلى أن شكلهما المعماري مصمم بطريقة تكفل لهما نوعا من الحجة والحد من مجال رؤية من بخارجهما، ويشار إلى أن الماء يقل استعماله كون أهل المنطقة يقدمون الاستحمام على الاستنجاء* ⁽²⁾، أما الغسل فلا يتطلب سوى ابريق واحد ذي ثقب صغير جدا يلق في أعلى المطهرة ليستعمل كمرش، ويمنع إسناد المرحاض والمطهرة إلى جدار الجار.

4- السطح:

يسمى محليا **تَمْنَايْت** ⁽³⁾ أو **أَنْدَجْ أَمُقْرَانْ**، ويكون عموما في المساكن التقليدية خالي من أي بناء إلا في بعض الحالات، حيث يخصص منه فضاء مكشوف للنوم في فصل الصيف، بالإضافة لتخصيص فضاء صغير لحزن الحطب، وأحيانا أخرى يخصص فضاء لتربية الدجاج. معماريا يتميز السطح باختلاف في مستويات الأرضية، بالنظر إلى الطبيعة الجبلية المنحدرة التي انعكست على مستويات المساكن التي بنيت عليها، وقد ساعد ذلك في تفادي تجمع وركود مياه الأمطار الموسمية فوق السطح، وقد أحيط السطح بنوع من جدران التحويط *Acrotères* ارتفاعها يتراوح بين 0.80م و 2.20م كأقصى حد ⁽⁴⁾، ويوعز ذلك إلى أسباب تقنية والمتمثلة أساسا في محدودية مقاومة هذا النوع من الجدران في ظل وجود رياح قوية

1. محمد التريكي، خالد بوزيد، المرجع السابق، ص: 97.

2. نفسه، ص: 103.

* يقول الشيخ أطفيش: "ونحن الإباضية نقول لا بد من تقديم الحجارة لأنه صلى الله عليه وسلم يقدمها وكذا أهل قبا والصحابه..."
شامل الأصل والفرع، ص: 189.

3. ديوان حماية وترقية وادي ميزاب، المسكن التقليدي...، مرجع سابق، ص: 8.

4. مختار قرميدة، المرجع السابق، ص: 41.

قد تصل شدتها حد الدمار، إلى جانب أسباب اجتماعية دينية تطبقا لمبدأ لا ضرر ولا ضرار بالتداول على المساكن المجاورة، فللجار الحق في الشمس والهواء، كما أنه يعد بمثابة حد حاجب للعيون المتطفلة من كلا الجارين فلكل مسكن حرمة التي صانها الدين والعرف، حيث يمنع على الرجال الصعود إليه نهارا إلا بعد الاستئذان، كي تختفي الجارات عن أنظارهم ⁽¹⁾ حيث يعد في النهار فضاء نسائيا بامتياز، ولم يمنع ذلك من وجود بعض الفتحات الصغيرة المظلة على الشارع (الصورة رقم: 12 و62).

5- مواد البناء:

كون سهل وادي مزاب يقع في منطقة متميزة جيولوجيا لم يكن ذلك البتة مانعا أو حاجزا لعملية إعمار المنطقة بل على العكس من ذلك، فقد أسهمت هذه الطبيعة الجيولوجية والبنية التحتية للمنطقة في العملية أيما إسهام، حيث وفرت للبناء الأوائل المواد الأولية لعمارهم المحلية، ليصبح اعتمادهم عليها كاملا وكليا إلى جانب مواد أخرى كخشب النخيل التي بدورها تغرس وتنمو وتصنع في المنطقة، فصار لها الفضل الكبير في جعلها عمارة هي الأنسب على الإطلاق وأكثرها تكيفا مع مناخ يصعب العيش فيه صيفا وشتاء.

سمح تنوع مواد البناء ووفرها محليا باستغلال الإمكانيات المتوفرة استغلالا كبيرا سواء على المستوى التقني أو المستوى الجمالي الأمر الذي حدد للبنية انتمائها الجغرافي، وأكثر ما ينعكس ذلك ويظهر جليا على الشكل الخارجي للمسكن، فمواد البناء هاته تستدرج الأنوار بلونها النباتي أو الرملي ⁽²⁾، كما أن هناك من الحرفيين المعماريين من لا يزال يعرف تقنيات تصنيع هذه المواد، رغم أن الكثير منها قد اندثار وترك طي النسيان أو على وشك أن يكون، كما هو الحال مع تقنية صناعة الجير مثلا، ويمكن أن نلخص مجموع مواد البناء التي تدخل في عمارة المساكن بمنطقة مزاب وما يتصل بها فيما يلي:

5-1. الحجارة:

تسمى محليا أَدْرَارُ وتتواجد في كل مكان ومع ذلك ليست كلها تفي بالغرض، لذا فإن طريقة استخلاصها ترتبط أساسا بوضعية الطبقة المستغلة فيمكن أن تكون الصخور المراد

1. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، ط. 2، مرجع السابق، ص: 117.

2. Manuelle Roche; **Le M'Zab; Architecture Ibadite en Algérie**, Arthaud, France, 1970, p:41.

استخلاصها سطحية أو في باطن الأرض وفي هذا الحالة الأخيرة يكون الأمر صعب ويتطلب وسائل خاصة⁽¹⁾، حيث تختار وتقتلع حجارة البناء من بين الطبقات الكلسية المنتظمة فوق بعضها البعض⁽²⁾، فالكتل الكبيرة منها والمصفحة تستخدم في التبليط والعتبات، والصغيرة منها تشكل العنصر الأساسي في البنية الحجرية وتسمى محليا مادون⁽³⁾، وخلال بداية نصب الورشة لاقتلاع الحجر تحدث توسيع بسيط في الموقع تكون بداية عملية القلع. يستعمل الحجر مباشرة في عملية البناء كما يمكن أن ترفقه عمليات تهذيب في الورشة، أما الحجارة المسطحة فخصصت للترتيبات أو الوضعيات الأفقية، والصغيرة منها للتسقيف والدعامات، بالإضافة إلى استعمال الحصى لملا الفراغات الحاصلة بين الحجارة الكبيرة على مستوى الجدران، إلا أن المبدأ العام في اختيار الحجارة لبناء الجدران هو مراعاة سمكها حيث يتراوح ما بين 0.50م و 0.75م في الأسفل بل قد يصل 0.80م في بعض المساكن (الصورة رقم:65)، ليتناقص هذا السمك صعودا حتى يصل معلا يتراوح بين 0.20م و 0.45م⁽⁴⁾ أي على مستوى السطح.

2-5. التمشمت:

تعتبر تَمْشَمْتُ مادة الربط الأساسية كما تنطق كذلك تَمْشَمْتُ وهي من اختصاص مدن سهل وادي مزاب ورقلة المنيعه والأغواط ولكن بفارق من حيث التركيبة، والذي سيحدد اللون النهائي للمسكن، وتوجد مناجم التمشمت في محيط غرداية، وهي مناجم جد قديمة استغلت حتى استنفذت عن آخرها، وتسمى كَدَّانْ، كما أنهم يقولون بالعبرة المحلية حجارة من الكاف وهي عبارة عن جبس *Gypse hydraté* ذات لون رمادي، يتواجد على شكل بقع منعزلة في وسط كلسي⁽⁵⁾، أو بالأحرى على شكل أكوام ذات مقطع عدسي الشكل، أو طبقات أفقية ذات عمق يصل إلى حدود 1م، وهنا يمكن استنتاج وجود شطوط صغيرة تشكلت فيما مضى في منخفضات لتغطي بعد تشكلها بالكلس الذي سوف يتوضع فوقها في مرحلة تالية، وهي حجارة ذات بنية

1. الشريف درارحة، الحجارة الطبيعية، سلسلة مواد البناء، ع. 1، دار نجيب للطباعة والنشر، الأبيار، الجزائر، ص:24.

2. Pierre Donnadieu et autres; Op. Cit. p: 87.

3. Marcel Mercier; Op. Cit. p: 299.

4. مختار قرميدة، المرجع السابق، ص:42.

5. Marcel Mercier; Op. Cit. p: 299.

فجوية نتيجة عملية الحت الناتجة عن المياه المتسربة، أين تمتلئ هذه الفجوات بالرمل وبقايا كلسية، لتفاعل وتشكل رواسب مخضبة بالأبيض والأحمر⁽¹⁾.

يستخرج هذا الجبس من الهضبة الكلسية على شكل كتل، ويحرق داخل أفران تسمى أشبورُ نصف مدفونة، وتحتوي في قاعدتها على فتحة لتهوية الغرفة، حيث تملأ بمواد محترقة عبارة عن بقايا نباتية صحراوية يابسة وقش، وتوضع قطع الجبس بعناية من خلال نفق دائري مهياً على شكل قبة في الجزء الأعلى بسمك قدره 1.5م، وبعد عملية حرق تدوم لأكثر 24 ساعة يستنفذ خلالها الحطب وتتحول كتل الحجر إلى قطع متفتة، ومن ثم يعزل التمشمت عن بقايا عملية التصنيع من حجارة وفحم⁽²⁾، ونحصل على حجر ذو التركيبة الكيميائية التالية*:

- كربونات الجير 88%.

- الطين (سيليكات الألومنيوم) 11%.

- فلور الكالسيوم 1%.

3-5. الجير:

بحكم الطبيعة الجيولوجية الصخرية الكلسية لمنطقة وادي مزاب فإن كربونات الجير متوفرة بكميات كبيرة غطت حاجات البناء في المنطقة طيلة هذه القرون، وتستخرج هذه المادة أفقياً من الهضبة الكلسية من الطبقات الزجاجية - *Lanticulaire* الممتدة على عمق 1م تحت سطح الأرض، وتوضع هذه الحجارة بعد استخراجها في أفران يصل ارتفاعها حوالي 2م، وهي أكثر ارتفاع من نظيرتها الخاصة بحرق التمشمت ويسمى فرن، وعملية حرقه مماثلة للتمشمت ولكن تحتاج من 5 إلى 6 أضعاف ما يستهلكه التمشمت من حطب⁽³⁾، ذلك أن عملية حرق الجير تحتاج إلى درجة حرارة عالية تصل 900°م لكي يتحول⁽⁴⁾ (الشكل رقم: 42)، الأمر الذي يصعب العملية ويجعلها مكلفة جدا خاصة في ظل نقص مادة الخشب المخصصة للحرق، لذا يحرق

1. Marcel Mercier; Op. Cit. p: 300.

2. Pierre Donnadieu et autres; Op. Cit. p: 88.

* نقلا عن: Marcel Mercier عينات قام بتحليلها M.Lar Borde.

3. Ibid. p: 88.

4. Donndieu (C et P), Didillon (H et J); **Habiter le Désert, les maisons Mozabites**, 3^{eme} édition, Pierre Mardage, Bruxelles, 1986, p: 88.

- بدل ذلك الشيخ، العرفج، وكذا المتن...⁽¹⁾، وبعد أن يجهد يمكن استعماله في تغطية الجدران على الخصوص، وما تجدر الإشارة إليه تميز جير المنطقة عن باقي المناطق بنوعيته الجيدة.
- أمّا عن طريقة تحضير ملاط الجير⁽²⁾ ومن أجل الحصول على ملاط جيّري - *Mortier de chaux* جيد وملائم، واستخدامه ككسوة على الواجهات أو مادة رابطة يجب إتباع الطريقة التحضيرية التالية، والتي تستغرق ثمانية أيام خطوة بخطوة (الصورة رقم: 64):
- اليوم الأول: تغطيس الجير الحجري داخل الماء لتتم عملية الغليان بصفة أكيدة وتامة، أين يتحول CaO إلى $Ca(OH)_2$ ⁽³⁾.
 - اليوم الثاني: إضافة كمية كافية من الماء للحصول على سائل جيّري من النوع الرفيع مع التخلص من الشوائب، ثم القيام بمزج السائل الجيري بالرمل (الحصبة) مزجا جيدا للحصول على ملاط متجانس ومشبع بالجير.
 - اليوم الثالث حتى اليوم السابع: ترك الملاط يتخمر.
 - اليوم السابع: تحضير كمية أخرى من السائل الجيري على الطريقة التقليدية المذكورة سابقا (في اليوم الأول).
 - اليوم الثامن: إضافة السائل الجيري إلى الملاط المتخمر والقيام بعملية المزج والخلط حتى الحصول على ملاط جيّري جيد ولزج، ليكون بذلك صالحا للاستعمال.

4-5. الرمل:

شكل الرمل غير الصلصالي الذي يستخرج من الأودية⁽⁴⁾ مادة حيوية في عملية البناء، وقد توافرت هذه المادة بالمنطقة بالنظر إلى العدد الهائل من الوديان المتداخلة في بعضها البعض والقادمة من مسافات بعيدة جدا تسمح لها في كل مرة يفيض فيها الوادي بترسب كميات هائلة من الرمل، حيث يستعمل مع مادة التمشمت في عملية البناء ومع الجير لغرض التلبيس، كما يمكن استعماله كطبقة عازلة في التسقيف على أن يكون هذا الرمل خالي من الصلصال، حيث تقدر نسبة الرمل المضاف بـ 1 كلغ من الجير مقابل 10 كلغ من الرمل⁽⁵⁾ ويترك لمدة أسبوع أو

1. Marcel Mercier; Op. Cit. p: 301.

2. ديوان حماية وترقية وادي ميزاب، تقرير عن الديوان ومهامه، غرداية، ص: 10-11.

3. ديوان حماية وترقية وادي ميزاب، التبليط بالحجارة: دليل التبليط التقليدي بالحجارة المحلية، ص: 4.

4. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، ط. 1، مرجع السابق، ص: 91.

5. بالحاج معروف، المرجع السابق، ص: 264.

أسبوعين ثم يضاف إليه محلول الجير مرة أخرى، لنحصل بذلك على ملاط لزج جاهز للاستعمال، إلا أنه يصعب تحديد نسب حجمية دقيقة للخليط وهذا لعدة عوامل أهمها نوعية الرمل المستعمل، حيث أن الرمل ذو الحبيبات الدقيقة يعطي مرونة للخليط لكن ينقص من نسبة الجير المستعمل فيه، في حين لو استعمل رمل ذو حبيبات خشنة وجب زيادة نسبة الجير في الخليط⁽¹⁾.

5-5. الخشب:

استعمل الخشب كمادة بناء أساسية كما هو الحال في باقي المباني الصحراوية، واعتمد بشكل شبه مطلق على النخلة الشجرة الأكثر شيوعا بالمنطقة، كما استعملت بعض الأخشاب الأخرى ولكن بصفة محدودة جدا مثل خشب شجر الليمون والمشمش، وما تجدر الإشارة إليه أن النخلة أو الأشجار الأخرى لا تستعمل لهذا الغرض إلا بعد موتها فهي شجرة مقدسة لدى السكان، فهي تعتبر ثروة حقيقية لسهل وادي مزاب، لتستغل عن آخرها وبجميع أجزائها: الجذع، الجريد، الكرناف وغيرها، حيث تعتبر جميعها مهمة من وجهة نظر البناء.

5-5-أ. جذوع النخيل:

يقطع جذع الشجرة المسمى محليا **أَكَرْشُوشْ** إلى عوارض تسمى محليا **أَر-رُورُ** أو **ثَمَالْفَتْ** خشب، والواحدة منها لها وجه يصل عرضه ما بين 15 إلى 10 سم في الجانبين ولا يزيد طولها أبدا عن 2 إلى 3 م، وهو الأمر الذي حدد عرض الغرف مسبقا⁽²⁾، ليستعمل كعوارض كاملا أو يقسم طوليا إلى 2، 3، 4 أقسام طوليا ويتوقف ذلك على سمك الساق ونوع الاستعمال، لتعطينا عوارض مسطحة ذات مقاسات جانبية من 0.12 م إلى 0.15 م، وطول يتراوح ما بين 2 إلى 3 م ليصل أحيانا إلى 4 م، كما يمكن أن ينشر على شكل ألواح أصغر من الأولى ذات عرض يتراوح بين 0.30 م إلى 0.40 م وسمك 0.03 م مخصصة لأعمال النجارة لصنع الأبواب مثلا، أما الأولى مخصصة لإقامة العوارض⁽³⁾.

1. ديوان حماية وترقية وادي ميزاب، التبليط بالحجارة: دليل التبليط التقليدي بالحجارة المحلية، غرداية، 2011، ص: 5.

2. Marcel Mercier; Op. Cit. p: 302.

3. Pierre Donnadieu et autres; Op. Cit. p: 88.

5-5-ب. الجريد وسعفه:

يجفف أولاً تحت أشعة الشمس ليستعمل فيما بعد جزئياً بحيث يترع منه سعفه ويستعمل العرق فقط، أو كل العرق بأوراقه (سعفه) ويتوقف ذلك على استعماله ومثل ذلك التسقيف مع الجذع، أما اللين منه فيستعمل مباشرة بعد قطعه من النخلة وبمقاسات متساوية لبناء الأقبية النصف دائرية أو تقويسة العقد، وهذا لما يوفره من ليونة أثناء وضعه على عكس ما هو عليه الجريد الجفف في الشمس، حيث يستعمل في الأسقف المسطحة، وهذا بوضعه متراصاً إلى بعضه ليكون بمثابة فراش يوضع عمودياً على العوارض الخشبية، وبعدها يوضع فراش آخر من سعف النخيل لمنع ملاط الجير من التسرب عند التسقيف.

5-5-ت. الكرناف*:

يعتبر الجزء الواصل بين الجريد والجذع، ويكون ذو شكل مثلث يتميز بمقاومته النسبية، ويمكن استعماله كدعامات⁽¹⁾ في التسقيف على سبيل المثال، حيث يوضع بشكل متناظر على هيئة أسنان منشارين متقبلة، حيث يضيفي على السقف لمسة فنية رائعة كانت بمثابة تعويض عن الجانب الزخرفي الغائب في المساكن المزايية.

5-5-ث. أخشاب أخرى:

كل جذوع الأشجار المثمرة الأخرى كالشمش، الليمون، الرمان وغيرها من الأنواع الأخرى يمكن استعمالها كروابط للعقود والدعامات التي تحمل عوارض السقف الخشبية، وهذه الروابط جعلت لحفظ التوازن وشد رؤوس هذه الدعامات وتثبيتها، كما استعملت في حالات نادرة كدعامات لتلك الشرفات المغطاة وهي تشبه في ذلك مساكن قصبه الجزائر. كما أن جذوع كل الأشجار الأخرى المثمرة منها وغير المثمرة كشجرة الأكاسيا، والليمون، الرمان يمكن استعمالها كعوارض، وعند عملية هدم المسكن مثلاً هناك بعض العناصر يمكن استرجاعها مثل الدعامات والأبواب المصنوعة من الخشب، لتستعمل مرة أخرى كون حالتها تسمح بذلك.

*. الكُرناف: أصول الكُرب تبقى في الجذع بعد قطع السَّعْف الواحدة : كُرنافَة والجمع كرانيف (المعجم الوسيط)

1. Pierre Donnadieu et autres; Op. Cit. p: 88.

6- العناصر المعمارية وتقنية البناء:

لا يقتصر مفهوم الطابع المحلي على مواد البناء فقط بل يتجاوزها إلى تقنيات البناء والمهارات، والتي تشكل فيما بينها مجموعة متلازمة مع مفهوم خاص للتراث أمثلته عوامل اجتماعية ثقافية واقتصادية، وتقنية البناء ما هي إلا وريثة لتقنيات الأجداد الذين أسسوا لهذه العمارة المتميزة، وهي بالتأكيد مفتاح فهم عناصر المبنى وكيفية تشييده خاصة ما تعلق منها بالمساكن، في ذات الوقت نجد هناك من التقنيات ما اندثر أو على وشك الاندثار كما هو الحال مع تقنية التليس التقليدية أو البناء بالحجر وغيرها.

1-6. الأساسات:

في غياب أساسات حقيقية تتوضع الجدران مباشرة على الأرضية⁽¹⁾، وهذا بحكم الطبيعة الجيولوجية للمنطقة ذات البنية الصخرية الكلسية القاسية لدرجة يصعب الحفر فيها ولو لبضع سنتمترات أين نجد اختلاف طفيف بينها من حيث العمق، وتقل أكثر فأكثر في الهضبات الصخرية والتي هي أساسا مفككة تحت تأثير عوامل الحت التي جعلتها مكشوفة⁽²⁾، وكون الغاية من حفر الأساس الوصول إلى الأرضية الصلبة نجد أن هذا الوضع خدم كثيرا البناء فيما لو استثنينا الانحدار الشديد الذي أدخل بالشكل العام للمسكن، حيث يعمد البناء إلى حفر سطحي يتراوح بين 0.02م إلى 0.03م، ونجد أن هذه الأساسات في حال وجودها مؤلفة من حجارة ضخمة مصقولة بشكل غير متناسق يربط بينها ملاط التمشمت أو ملاط الجير، وبمهارة عالية يرتب الحجر وتشد بملاط التمشمت فيما بينها، وعلى كل حال يدفن البناء جدار المسكن على عمق يتراوح بين 0.30م إلى 0.40م⁽³⁾ في حال الحفر كما أن للأساس سمك ملحوظ.

2-6. الجدار:

يسمى محليا هارو وتبنى من حجارة متباينة في الأحجام وسمك الجدار الخارجي يبدأ في الغالب 1م عرضا في القاعدة ليصل إلى 15سم في السطح (الصورة رقم: 65)، هذه الأخيرة تعتبر جدار سترة "جدار التحويط" و يتراوح علوها ما بين 1.50م إلى 1.80م، كما تسد الفراغات

1. Pierre Donnadieu et autres; Op. Cit. p: 91.
2. Marcel Mercier; Op. Cit. p: 309.
3. Ibid. p: 309.

الحاصلة بين الحجارة الكبيرة باستعمال الحصى⁽¹⁾، وقد نتج عن استعمال الحجارة الضخمة الغير مهيأة من جهة ومقاساتها المتباينة من جهة أخرى وجود جدران وزوايا غير مستقيمة، كما يمكن أن نجد الجدار مؤلف من جدارين يدك التراب المخلوط بالحجارة الصغيرة فيما بينهما.

أما فيما يخص الملاط الذي يدخل في تركيبة الجدار (الربط والتليس)، فعادة ما يكون من الطين أو رمل وتمشمت أو رمل وجير، وذلك بالنسبة للجدران السميكة (الحاملة) خاصة الواجهة، أما بالنسبة للجدران الأخرى فيتكون الملاط من رمل وتمشمت.

عرف واد مزاب تقنيتين لرصف حجارة الجدران الأولى تقنية المزج أما الثانية تقنية السنبلة، فالأولى تقنية فرضتها طبيعة الصخور المستعملة، فهناك من الصخور ما هو خام لا يطبق عليه سوى بعض التهذيب الخفيف، أين يجد البناء نفسه مضطرا لاختيار أحجار معينة عن سواها، ليجد ما يناسب من الحجر لوضعه في الفراغ المناسب، فيما يستخدم مادة رابطة كالتمشمت أو ملاط الجير، لكن نشير إلى أنها التقنية الأكثر شيوعا بمزاب، مع العلم أنها ظهرت خلال القرن الثالث قبل الميلاد كما شاع استعمالها في عهد المرابطين والصنهاجيين فكانت الطريقة الأمثل لديهم كما عرفت في كثير من قصور الصحراء⁽²⁾ نظرا لبساطتها وعدم تكلفتها.

أما تقنية السنبلة نسبة إلى شكل السنبلة فهي تقنية تعتمد على وضع كتل حجرية صغيرة مصفحة بشكل مائل على طول المدماك الواحد، فيما يعكس اتجاه الميلان في المدماك التالي، وبهذا ينتج شكل يبدو للناظر سنبلة لتكرر العملية صعودا على كامل مداميك الجدار بالتوالي.

تتطلب عملية بناء جدار سرعة فائقة ومهارة عالية، حيث تصنف الحجارة ويوضع ملاط التمشمت كمادة رابطة فيما بينها، وهنا يحيط بالبناء مساعديه دون أن يتركوا المجال ليد فارغة، أما بالنسبة للجدران التي ليست ذات أهمية ونقص ذلك جدار التحويط للسطح يضع المادون كذلك على علو معتبر⁽³⁾.

3-6. العقود:

اعتمد المعماري في المنطقة لتوزيع ثقل المداخل على عقود مصممة، فيما اعتمد على العقد النصف الدائري والمنكسر أو حتى الغير منتظم، والتي استعملت بشكل أقل ما يقال عنه أنه متقن

1. Pierre Donnadieu et autres; Op. Cit. p: 91.

2. علي حملاوي، قصور منطقة جبال عمور (السهل الجنوبي) من القرن 16-19م دراسة تاريخية أثرية، رسالة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2000، ص: 198-199.

3. Marcel Mercier; Op. Cit. p: 311.

مما نتج عنه مساحات صغيرة خاصة احتوت زخارف تطرقنا إليها مسبقا في حديثنا عن مدخل المسكن بالمنطقة، وأهم العقود التي استعملت العقد النصف دائري، متجاوزة (حدوية)، عقود تامة (نصف دائرية) (الصورة رقم: 56 و66)، نصف إهليلجي متجاوز، منكسر.

وتبنى هذه العقود بالحجارة المصفوفة بالترتيب بالتقابل اعتمادا على تقنيتين، حيث يتم إنجازها باستعمال دعامات (ركائز سائدة) خلال فترة تماسك مادة التمشمت أو باستعمال القوالب، وهذه التقنية الأخيرة هي الأكثر تداولا، فيقوس الجريد خاصة اللين منه بين دعامتين ويثبت بمادة التمشمت لتوضع الحجارة فوقه، وهذا القالب أكثر مقاومة سواء كان بارز أو مدمج، وبالنظر إلى اختلاف المسافة الفاصلة بين الأعمدة وكذا مقاسات الجريد وليونته يمكن التحكم في عملية التقويس إلى حد ما، وقد نتج عن ذلك أشكال مختلفة لهذه العقود⁽¹⁾، وفي الأخير يلبس الجريد باستعمال ملاط مكون من الرمل والجير.

4-6. التسقيف:

استعملت في تسقيف المباني السقوف المسطحة التي تتكون من جذوع النخيل المقطوعة طوليا وتصطف بحيث يترك بينها فراغ يقدر ما بين 0.20م إلى 0.30م، ويستبدل جذوع النخيل بجذوع أشجار أخرى، وتوضع فوق الجذوع مجموعة متراسة من عروق جريد النخيل أو الجريد وهو الأكثر انتشارا بشكل متقاطع معها لتشد بسيور جلدية، كما يمكن استعمال حجارة مسطحة، أو الأقبية أو الكرناف بشكل متقابل، وقد توضع أحيانا بين الفراغات التي تتركها جذوع النخيل أحجار دقيقة السمك وتمسك بملاط التمشمت (الشكل رقم: 43)، ويلى ما سبق طبقة طينية يصل سمكها إلى حوالي 0.30م تليها في الأخير طبقة من الجير ممزوج بالرمل⁽²⁾، لتوضع في الأخير طبقة من ملاط الجير يتراوح سمكها بين 0.10م إلى 0.15م⁽³⁾، والسقف في مستوييه الأول والثاني يمثل مسافة هامة من مجموع ارتفاع المسكن لما له من سمك عند إنشائه وسمك اكتسبه بعد كل عملية صيانة دورية للسطح يقوم بها أهل المسكن قبل كل فصل شتاء.

في بعض الحالات يكون الفضاء المراد تسقيفه واسعا فيلجأ إلى استعمال العوارض حيث نجدها في مستوى تحت السقف لتحمل بذلك جذوع النخيل، وكثيرا ما تكون هذه العوارض

1. Pierre Donnadieu et autres; Op. Cit. p: 94.

2. Ibid. p: 95.

3. مختار قرميدة، المرجع السابق، ص: 42.

بارزة عن الجدار فتراها من خارج المسكن على الواجهة، وهو أمر مرتبط بصعوبة القطع وكذا إهمال من الأهالي للترف وكل ما من شأنه أن يجعل المسكن متميزا عن غيره، كما أن المواد لا تأتي وفق الطلب من حيث المقاس حيث تتفاوت فيما بينها بعض الشيء.

5-6. الأقبية:

تنجز الأقبية بنفس تقنية إنجاز العقود⁽¹⁾، حيث توضع الحجارة فوق عروق الجريد المقوسة وتشد بمادة التمشمت، وهي صغيرة الحجم في الغالب أقل من 1م، حيث أنها تغطي فضاءات صغيرة المساحة، ولا تشكل بروزا من الخارج بل تكون مضمرة في السقف (الصورة رقم:66).

6-6. السلام (الدرج):

استعملت السلام تسوونان على نطاق واسع في المسكن المزاب لربط المستويات التي رأيناها بعضا ببعض، ويتراوح عددها من اثنان إلى أربعة سلام، ويختلف شكلها ما بين المنتظم والمستقيم والمنكسر، أما من حيث التوزيع فنجد أولها عند المدخل الرئيسي أين يؤدي إلى الطابق العلوي مباشرة إلى غرفة استقبال الضيوف من الرجال، ويوجد سلم آخر في وسط الدار يصعد منه إلى الطابق العلوي وهو يخص أهل الدار خاصة النساء، كما يمكن أن يوجد سلم آخر يؤدي إلى الدهليز إن وجد، وآخر سلم يؤدي من الطابق الأول إلى السطح.

تبنى السلام على ركام من الحجر، أو على جدارين وفي هذه الحالة يمكن أن تبنى بواسطة حجارة مستوية، إما على عقد أو على عوارض من خشب النخيل، ويبنى بالحجارة المشدودة بملاط التمشمت المخلوط بالرمل أو بدونه، وكلما كانت هناك مقاومة وتماسك جيدين للتمشمت كان هناك توازن وتناسق في البناء، وفي الأخير يلبس الدرج أو يطلّى بالجير (الصورة رقم:67 و68).

7-6. التلبيس والطلاء:

تنجز عموما باستعمال ملاط التمشمت والرمل أو ملاط الجير، والغاية منه سد الثغرات الموجودة بين الحجارة الكبيرة، وإعطاء الواجهة وأسطح الجدران شكلها الأخير، ولونه رملي أو

1. بالحاج معروف، المرجع السابق، ص:247.

وردي بحسب لون الرمل المستعمل، وفي أغلب الأحيان يستعمل في التلبيس مادة التمشمت لوحدها وبالتالي يصير لونها رماديا⁽¹⁾، الأمر الذي يتطلب طلائها بلون رملي أو ما شابهه لما يتميز به هذا اللون من تأقلم وتكامل مع البيئة، حيث أنه يحافظ على التوازن بين المدينة ومحيطها زيادة على أنه لا يتغير على مر الزمن، بخلاف الألوان الأخرى التي تؤول في النهاية بفعل عوامل الطقس إلى هذا اللون نفسه، أما في حال استعمال ملاط الجير كتكسية للجدار يمكن تكليسها بمحلول جيري ملون بلون الرمل المحلي أو تركها على حالها بعد التلبيس (الصورة رقم:69).

تم عملية تكسية أسطح جدران الواجهات تقليديا بالعرجون، وهذا لما لهذه التقنية من خصائص وفوائد على البناية تتمثل على الخصوص في تخفيض المساحة المعرضة للشمس والرياح، كما تجنب الواجهة من تسرب قطرات المطر داخل جدارها، وكذا للمظهر الجيد للبناية وانسجامه مع العمران التقليدي المحلي شكلا ولونا⁽²⁾، فبعد تلبيس الواجهة بالملاط الجيري المحضر حسب الطريقة المذكورة سابقا، يتم الانتقال إلى المرحلة الثانية أين تكسى الواجهة الرئيسية بطريقة العرجون التقليدية (الصورة رقم:69) كما يلي:

- يغطس العرجون اليابس في الماء حتى يصبح لنا وصالحا لأداء العملية.
- يستخدم العرجون المشبع بملاط الجير (المائل للسيولة) في تكسية الواجهات.
- كما يمكن أن تتم عملية التلبيس باليد⁽³⁾ (الصورة رقم:70) حيث نرى آثار الأصابع بادية على الواجهة، كما يضيفي هذا النوع من التقنيات جمالية ورونقا على البناية ككل، وأكثر من ذلك تبرز الصلة الوثيقة والعلاقة الحميمة بين الإنسان ومسكنه.

1. Pierre Donnadieu et autres; Op. Cit. p: 101.

2. ديوان حماية وترقية وادي ميزاب، تقرير عن الديوان ومهامه، مرجع سابق، ص:9.

3. Jean-Loïc Le Quellec; Op. Cit. p: 83.

الفصل الثاني

المسكن في قصر ورقلة

المبحث الأول: المعطيات الجغرافية

المبحث الثاني: لمحة تاريخية عن قصر ورقلة

المبحث الثالث: المسكن بقصر ورقلة

المبحث الأول: المعطيات الجغرافية

لا يبعد قصر ورقلة عن وادي مزاب كثيرا بل يعد من بين أقرب المناطق إليه وبالتالي وجود تشابه كبير بين المنطقتين من حيث المناخ عموما، ولكن هناك معطيات أخرى حددت وجود فوارق بين المنطقتين كوجود منطقة مزاب على أرضية صخرية كما رأينا في الفصل السابق، ونعتقد أن هذه الفوارق ربما ستحدد عدة أشياء في كل منطقة على رأسها المعمار، وهو ما سنحاول الوقوف عليه هذا الفصل.

1. الموقع الجغرافي:

تعد ولاية ورقلة إحدى أهم ولايات الجزائر، وسميت الولاية نسبة إلى مدينة ورقلة أو وارجلان والتي تعود جذورها إلى ما قبل التاريخ، وهي العاصمة الإقليمية للجنوب الشرقي خلال الفترة العثمانية، وقد سميت ولاية الواحات إبان الاستقلال، وضمت جميع مدن الجنوب الشرقي من الأغواط شمالا إلى تمنراست جنوبا، لتكتفي بعد التقسيم الإداري لسنة 1974م بثلاث مدن كبرى هي ورقلة عاصمة الولاية، حاسي مسعود، وتقرت، وبمساحة تقدر بـ 163233 كلم²(1)، أما ولاية ورقلة حاليا فتتقاسم حدودها الجغرافية مع الجمهورية التونسية من الجهة الشرقية، وولاية إليزي وتمنراست من الناحية الجنوبية والغربية، والوادي وبسكرة من الناحية الشمالية الغربية(2) (الشكل رقم:1).

تقع مدينة ورقلة فلكيا على خط طول $5^{\circ} 15'$ شرقا وخط عرض 31° و $58'$ شمالا، وهي بالتالي تقع في حوض ورقلة في الجنوب الشرقي للجزائر وهو جزء من المنخفض الصحراوي الكبير يبلغ طوله 30 كلم، وعرضه يتراوح بين 12 و 18 كلم، وارتفاعه بين 103 و 150م فوق مستوى سطح البحر، يمتد بين هضبتين، الأولى تحده من الغرب، وارتفاعها 230م والثانية من الشرق بارتفاع يناهز 160م، وهي متصلة برمال العرق الشرقي الكبير(3) (الشكل رقم:1)، إذا نجد أن قصر ورقلة يقع وسط سبخة كبيرة ممتدة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي لتنتهي

1. مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ج. 2، (طبع في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية)، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص:1460.
2. عبد القادر موهوبي، المرجع السابق، ص:64.
3. عبد الله بن جيلاني السائح، صفحات من تاريخ ورقلة: منذ أقدم العصور حتى الاحتلال الفرنسي، بمساهمة ولاية ورقلة تحت إشراف مديرية الثقافة، دار هومه، بوزريعة، الجزائر، 2010، ص:22.

شرقا عند جبل بوكران وغربا عند جبل ملالة⁽¹⁾، ويرتفع عن مستوى سطح البحر 130م⁽²⁾ (الشكل رقم: 1 و3).

يوجد قصر ورقلة على سطح ينحدر من الغرب إلى الشرق مما جعل بعض الوديان تتجه باتجاه هذا الانحدار ومثل ذلك نجد وادي مزاب، وكذا وادي النساء، كما أن الانحدار في نقاط أخرى يتجه من الجنوب إلى الشمال الأمر الذي حدد اتجاه وادي مية، لتلتقي هذه الوديان في مصب سبخة السفينون التي لها مستوى سطح يصل إلى 101م عن سطح البحر، ويعتبر وادي مية من الأودية الميتة⁽³⁾، حيث غطته كثبان الرمال ولم يبق إلا مجراه، وتبعد هذه السبخة عن مدينة ورقلة بـ 20 كلم إلى الشمال.

وتعد مدينة ورقلة عاصمة ولاية ورقلة وأهم مدنها، حيث تبعد عن العاصمة بمسافة 800 كلم بالجنوب الشرقي⁽⁴⁾، و300 كلم عن المنيع، و200 كلم عن غرداية، و 1000 كلم عن تمنراست، و1500 كلم عن تلمسان.

2. المعطيات الجيولوجية:

تجثم ورقلة على الحوض النهائي لنهر يعود للزمن الرابع يسمى وادي مية أو كما يسمى "نهر المائة مصب" حيث يقبع الآن أسفل طبقة رسوبية سميككة (الشكل رقم: 2)، والوادي لا يتصل فقط بهذه المصببات بل هناك مجموعة من الأحواض المغلقة حيث تمتد في شكل سبخة دون أن تتصل فيما بينها⁽⁵⁾، تضاريس الولاية قليلة الانكسار ويغلب عليها تكوينات العرق الشرقي الكبير وهو بمثابة بحر شاسع من الرمال حيث يبلغ ارتفاع بعض الكثبان 200م وتغطي ثلثي مساحة الولاية البالغة 163.233 كلم²، فلما الجزء الغربي والجنوبي من الولاية فعبارة عن هضبة تغطيها الحجارة تسمى الحمادة، وأما المناطق السهلية فمحصورة جدا وتمتد في اتجاه شمالي -جنوبي،

1. تلمساني بن يوسف، دراسة وصفية اجتماعية لواحة ورقلة من خلال تقرير فرنسي، ملتقى حول التوسع الفرنسي في الصحراء

الجزائرية مقاومة الشريف بوشوشة، في إطار الذكرى السابعة والثلاثون للانتفاضة التاريخية بورقلة، فيفري

1999، مديرية الثقافة لولاية ورقلة، 1999، ص: 107.

2. عاشور شرفي، القاموس الموسوعي: معلمة الجزائر، دار القصة للنشر، الجزائر، 2009، ص: 1460.

3. Coudreau ; Op. Cit. p : 2.

4. مختار حساني، المرجع السابق، ص: 1460.

5. Jean Lethielleux ; **Ouargla cité saharienne : des origines au début du XXé Siècle**, Documents d'Histoire Maghrébine-Vol. IV, Collection dirigée par Chantal de la Véronne, Librairie Orientaliste Paul Geunthner, Paris, 1983, p: 1.

والمنخفضات قليلة العدد وتتركز أساسا في منطقة وادي ريغ، وأما مواردها المائية فمعظمها ممثلة في المياه الباطنية التي تتألف من أربع طبقات مختلفة: الطبقة الأولى ذات امتداد شمالي-شرقي يتراوح عمقها من 1 إلى 8م، أي طبقة حقبة البليوسين وتسمى الطبقة الرملية، والثانية طبقة الحقبة الجيرية (الألبية) يتراوح عمقها من 1000 إلى 1700م، وأما الأودية فعلى الوجود من كثرتها فإنها قليلة الأهمية بالنظر إلى ندرة جريانها⁽¹⁾، كما تتميز التربة في منطقة ورقلة بالفقر والملوحة وذلك للجاذبية الشعرية التي تسحب الرطوبة من الأسفل فتتلقاها أشعة الشمس فتحمل بخار الماء وتترك الأملاح المتحللة من الصخور⁽²⁾.

3. المعطيات المناخية:

كانت ورقلة في الماضي السحيق منطقة ممطرة وكثيفة الأشجار عكس ما هي عليه الآن ، ولكثرة المياه آنذاك سكن الإنسان القديم المغاور المرتفعة على الحافة اليسرى لمجرى نهر واد مية ، وبعد ظهور فترات الجفاف والتصحر نزل الإنسان إلى بطن الوادي⁽³⁾، وتغير المناخ بشكل أثر على نمط حياة الناس والبيئة ككل (الشكل رقم:4).

3-1 الحرارة:

مناخ المنطقة صحراوي حار وجاف صيفا وبارد جاف شتاء، ويمتاز بالمدى الحراري الواسع سواء اليومي أو الفصلي، وهي أكثر المناطق الصحراوية حرارة، لتقترب درجة الحرارة تحت الظل +50°م صيفا⁽⁴⁾، وتنخفض في الشتاء ولاسيما أثناء الليل، فالمناخ هنا يمتاز بفوارق حرارية يومية وفصلية معتبرة تصل حدود 30°م⁽⁵⁾.

1. عاشور شرقي، المرجع السابق، ص:1460،1461.

2. عمر لقمان بن حمو سليمان بوعصانة، معالم الحضارة الإسلامية بورجلان 909م/1229م، بمساهمة ولاية ورقلة تحت إشراف مديرية الثقافة، دار غرناطة للنشر والتوزيع، باب الوادي، الجزائر، 2010، ص:37.

3. نفسه، ص:36.

4. نفسه، ص:37.

5. عبد الله بن جيلاني السائح، المرجع السابق، ص:23.

الشهر	جانفي	فيفري	مارس	أفريل	ماي	جوان	جويلية	أوت	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
المعدل الأدنى	4.4	6.1	9.5	13.7	18.3	23.3	25.5	25.1	21.4	15.5	9.7	9.7
المعدل المتوسط	17.8	20.8	24.8	29.4	34.4	39.9	42.8	42	37.2	30.3	23.5	18.5
المتوسط	11.1	13.4	17.1	21.5	26.3	31.6	34.1	33.5	29.3	22.9	16.6	12.1
القصوى المطلقة	28.9	33.8	39.8	44	47	50	52.7	52.4	52	44	35.5	29.7
الدنيا المطلقة	6.9-	3.6-	1-	4	7.9	12.8	16.8	18.8	10	3.2	1-	3-

الجدول رقم (01): معدل الحرارة الشهري (35 سنة من المراقبة) الوحدة م°

(المصدر: محطة الأرصاد الجوية لورقلة)

2-3 التساقط:

نسجل معدل 200 مم من الأمطار التي تتساقط خلال 30 يوم في العام كما أنها غير منتظمة، فيما يمكن تسجيل بعض السنوات الجافة تماما والتي تشمل كل الصحراء المنخفضة⁽¹⁾ بما فيها ورقلة، حيث يقف الأطلس الصحراوي حاجزا أمام تسرب الرطوبة القادمة من البحر الأبيض المتوسط، لتسقط الكميات القليلة على الجزء الجنوبي للأطلس الصحراوي، لذا فالصحراء في هذا الجزء تشهد مناخا غير منتظم التساقط ونادرا ما يحدث، كما أن الفوارق بين الشهور منخفضة جدا⁽²⁾، حيث يسجل الجفاف الشديد بشكل خاص في ورقلة فيما نسبة التساقط قليلة مقارنة بالمنطقة وتقرت على سبيل المثال.

الشهر	جانفي	فيفري	مارس	أفريل	ماي	جوان	جويلية	أوت	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
المعدل	4.4	2.5	5.6	6.3	1.6	0.9	1.2	0.1	0.5	6.7	8.5	6.8
عدد أيام المطر	1.8	0.9	1.6	1.8	0.9	0.5	0.1	0	0.5	2.5	1.5	2
الأقصى الملاحظ	34.4	18.1	45.8	31.7	13.4	4.6	40.1	1.8	5	31.5	67.4	37.1

الجدول رقم (02): معدل التساقط الشهري (32 سنة من المراقبة) الوحدة ملم

(المصدر: محطة الأرصاد الجوية لورقلة)

3-3 الرياح:

تتسم برياح تسمى الشهيلي (الشكل رقم: 4)، ودرجة حرارتها فالرياح المسماة الخماسين، ورياح الهرمطان تعد نسيما منعشا مقارنة برياح الشهيلي⁽³⁾، وموسم الرياح الرملية يبدأ عادة في بداية الربيع وذلك للاختلال الناجم عن تباين الضغطين: الضغط المرتفع الآزوري الطارد

1. Chaouche-Bencherif Meriama ; la micro- Urbanisation et ville Oasis; ...Op. Cit. p: 228.

2. Ibid. p: 229.

Rognon P.; Biographie d'un désert: le Sahara. Ed. L'Harmattan, Paris. للمزيد ينظر:

3. Coudreau ; Op. Cit. p: 14.

للرياح من المحيط الأطلسي، والضغط المنخفض الجاذب لها من حوض البحر الأبيض المتوسط، ولهذا السبب نجد منطقة ورقلة تعتبر ممراً للزوابع الرملية المتجهة من الغرب إلى الشرق صوب خليج قابس بالقطر التونسي⁽¹⁾، حيث تهب هذه الرياح الموسمية بين شهري فيفري وأفريل (الشكل رقم:4)، وتبلغ ذروتها في شهر مارس، وغالبا ما تتسبب في خسائر فادحة تصيب الزرع والماشية، ويبدأ الجو في التحسن ابتداء من شهر سبتمبر عندما يتغير اتجاه الرياح، لتصبح شمالية شرقية، والمعروفة محليا باسم البحرى، وهي غالبا ما تكون محملة بشيء من الرطوبة فتعمل على تلطيف الجو لاسيما ليلا، ويرحب سكان المنطقة كثيرا بهذه الرياح فهي تساعد على تلقيح أشجار نخيلهم⁽²⁾، وبالتالي فالرياح السائدة هي الرياح الجنوبية-الغربية باتجاه الغرب بداية من شهر أفريل لتهدأ بداية من شهر جوان أين تحل محلها رياح من الشرق باتجاه الجنوب-الشرقي إلى غاية شهر سبتمبر، وهو ما يفسر درجة الحرارة العالية خلال هذه الفترة، أما الرياح المحلية فهي ذات اتجاه شمال جنوب أو شمالية غربية باتجاه جنوبية شرقية، مع تسجيل خلال السنة غلبة للرياح الشمالية الغربية، والصحراوي الجنوب شرقي أو كما يسمى السيروكو يسود خاصة خلال فصل الصيف وهو المسمى بالشهيلي كما سبق الذكر⁽³⁾.

نتيجة لهذه الوضعية وبالنظر لندرة الرياح الشمالية والتي تكون في العادة رطبة نجد تفسيراً منطقياً لقلة التساقط، حيث أن الرطوبة النسبية تصل حدود 60% في شهر ديسمبر كحد أقصى، فيما تصل 24% في شهر جويلية⁽⁴⁾، وهي نسبة مرتفعة مقارنة بواحات أخرى، ومرد ذلك يعود إلى وجود الغطاء النباتي المعتبر لواحة ورقلة والتي تسهم بشكل واضح في عملية التبخير.

المبحث الثاني: لمحة تاريخية عن قصر ورقلة

تحتاج دراستنا لقصر ورقلة إلى توضيح الصورة بخصوص هذه المنطقة التي تضاربت الأقوال والنظريات في أصل تسميتها، وكذلك المقصود من وراء هذه التسمية إن كان إقليم أم مدينة، كما تحتاج إلى التطرق لظروف نشأة هذا القصر، ولمعرفة ذلك حاولنا جمع ما أمكن بهذا الخصوص، والتركيز على نشأة القصر الحالي.

1. عمر لقمان بن حمو سليمان بوعصانة، المرجع السابق، ص:37.

2. عبد الله بن جيلاني السائح، المرجع السابق، ص:22.

3. Chaouche-Bencherif Meriama ; **la micro- Urbanisation et ville Oasis...**; Op. Cit. p: 228.

4. Ibid. p: 233.

1. أصل التسمية:

يذكر صفى الدين البغدادي الذي اختصر معجم البلدان لياقوت: " وارجلان: بالفتح، ثم السكون، (وفتح الجيم)، وآخره نون: كورة بين إفريقيّة وبلاد الجريد، ضاربة في البرّ، كثيرة النخل، يسكنها قومٌ من البربر. واسم مدينة هذه الكورة **فجوهة**"⁽¹⁾، ويذكر في موضع سابق: "جوهة بالضمّ ثمّ السكون، وفتح الهاء الأولى: بليدة بالمغرب في أقصى إفريقيّة، وهي قصبّة كورة مجاورة لبلاد الجريد تسمّى **وَرَجْلان**"⁽²⁾، كما أنّها عرفت بأسماء كثيرة لدى المؤرخين ومنها وارقلان⁽³⁾ وركلاء، واركلي، واركلان، وأن حرف الكاف قد ينطق كحرف الجيم المصرية، وإلى جانب الأسماء السابقة هناك أيضا وارجلان، واركلا، وارقلا، وارقلة، والمعروفة به الآن وارجلان، وورقلة⁽⁴⁾، واركلا⁽⁵⁾، وبالتالي فقد وقع اختلاف بين الجغرافيين في تحديد اسم القصر أو بالأحرى لنقل نطقه هذا من جهة، والمؤرخين من جهة أخرى.

المتتبع لكتب التاريخ والمصادر التي جاءت على ذكر هذه التسميات تجعله يخمن أن الأمر مرده إلى ارتباط التسمية بمراحلها التاريخية في القرون الأولى للهجرة حتى القرن الثالث ، فكانت تطلق على إقليم يحده شرقا بلاد الزاب وغربا وادي مزاب وجنوبا مدينة سدراته والقرى التابعة لها، بل أن مارمول يوضح هذه الحدود بقوله: "تحد مملكة ورغلة شمالا مملكة القيروان وصحراء ايغيدي بليبيا، وتحدها شرقا صحاري برقة، وغربا تحدها صحاري نفيغة ونفريس"⁽⁶⁾.

تعني كلمة وار عند البربر أولاد أو أبناء، وهي مأخوذة من كلمة أرو – أرا التي تعني بدورها كلمة نفاس⁽⁷⁾، فكلمة وار تعني أولاد ، كما يهوى البعض أن معناها الأسد⁽¹⁾، أما كلمة

1. صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، وهو مختصر معجم البلدان لياقوت، تح. علي محمد البجاوي، مج. 3، ط. 1، دار الخيل، بيروت، 1992، ص: 1432.
2. نفسه، مج. 1، ص: 361.
3. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج. 4، منشورات الأسد، طهران، ص: 920. و ج. 2، ص: 162.
4. الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج. 1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، القاهرة، ص: 296.
4. إبراهيم أعزام، غصن البان في تاريخ وارجلان، مخ. (نسخة مصورة)، ص: 4.
5. أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، تح. سعيد الفاضلي، وسليمان القرشي، مج. 1، ط. 1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2006، ص: 111.
6. للمزيد ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج. 7، دار الفكر، 2000، ص: 69.
6. مارمول كرباخ، المرجع السابق، ص: 167.
7. عمر لقمان بن حمو سليمان بوعصبانة، المرجع السابق، ص: 31.

كلان أصلها آكلي في المفرد ، أمّا في الجمع يقال إكلان، والتي تعني السود أو الزوج باللغة الورقية القديمة، وهي ما تزال تستعمل في مزاب بنفس المعنى، وعند حذف البادئة " إ" في الجمع المذكور أي كلان بدل إكلان يصبح المعنى الزوج أو السود، وما يؤكد هذه النظرية رواية نشأة ورقلة من طرف الشيخ حادور رفقة مجموعة ممن رافقه من الإباضية من منطقة زنجبار يمتنون تجارة العبيد، وقد كانوا سمرا، حيث استقروا بسدراته وكان لهم إمام ربما من منطقة جبل نفوسة أو من عمان، فأطلقوا هذه التسمية على مؤسسي القصر سنة 726م، وبالتالي فهذه التسمية التي تعني أبناء الزوج أو أبناء السود، ولأن المنطقة شهدت تجارة الزوج خاصة وأن العملية مست عائلات بأكملها⁽²⁾ فشاع استعمال التسمية بصيغتها النهائية.

يعتقد أيضا -حسب رواية لارجو. *Largeau* - أن هذه التسمية نسبة إلى امرأة سكنت مكان القصر في الوقت الذي شنت فيه غزوة على جبل كريمة وخرب ما حوله، فبنت كوخا وغرست النخيل فسُميت المدينة باسمها⁽³⁾، أما تسميتها على صيغتها الحالية ورقلة فهي المتداولة بين الناس أما عند المؤرخين والباحثين فهناك من يستعمل ورقلة وآخرون يستعملون وارجلان. إنّ نطق كلمة ورقلة يختلف غد السكان المحليين، كما يختلف نطقه عند الأقوام المحيطة بها مثل أهل نقوسة، فواركلان وورقلان كانت الصيغ الأولى، وأهل ورقلة ينطقونها وارقرم، وصيغة حديثة ورقلن، أما النقوسيون فينطقونها وارقرا، وكلاهما يلفظون اسم ورقلة بلكنة بربرية فيقولون "وارقرين" أو "ورقرن"، والميزابيون وارجلان، ووارجلان، أما التوارق فيلويارقلن أو إيوارقلم، أما العرب البدو فينطقونها ورقلة، وهي الكلمة الأكثر تلقي لدى العسكر الفرنسيين عند دخولهم البلد وظلت كذلك⁽⁴⁾، وبناء على ذلك ستكون التسمية التي سنستخدمها في بحثنا التسمية الحالية ورقلة والتي هي أكثر شيوعا.

2. لمحة تاريخية:

تقع مدينة ورقلة - كما سبق وأشرنا- في حوض ورقلة والذي بدوره عبارة عن منطقة منخفضة تضم واحات للنخيل، ويمتد هذا المنخفض من مدينة نقوسة شمالا إلى قارة كريمة جنوبا، أي ما يعادل 30 إلى 40 كلم طولا، ولأن المناخ في الصحراء غير ما هو عليه في وقتنا الحاضر،

1. عبد الرحمن حاجي، ورقلة تاريخ وحضارة، ج. 1، ص: 93.

2. Jean Lethielleux ; Op. Cit. p: 20.

3. عمر لقمان بن هو سليمان بوعصبانة، المرجع السابق، ص: 31.

4. Jean Lethielleux ; Op. Cit. p: 19.

فقد كانت المنطقة رطبة وممطرة، الأمر الذي نتج عنه وجود أنهارا جاريا ، وبالتالي غطاء نباتي مشكل من الأعشاب والأشجار، والذي بدوره سمح بوجود حيوانات تتناسب وهذه البيئة مثل فرس النهر، التماسيح، السلاحف، الفيلة، الخنازير، والظباء⁽¹⁾، مما أهل المنطقة أن تكون بيئة جذب للاستقرار البشري في مرحلة موالية.

فقد اكتشفت العديد من الآثار الدالة على الاستيطان البشري في منطقة ورقلة بداية من فترة ما قبل التاريخ، ففي وقت مبكر من الزمن الرابع ظهر الإنسان بربري، ومنهم من سجل بعض التطور قبل حتى أن يفعل في أوروبا حسب بعض المختصين، فيما يرى آخرون أن البربر هم نتاج تقاطع بين شعوب قدمت من أوروبا وأخرى من آسيا في أوقات مبكرة وفي فترات مختلفة، وهي شعوب بدائية تماما يمكن أن نسبها لهجرات متتالية في عصور ما قبل التاريخ، وهذا لتأكيد أن ما يسمى بالبربر ما هو إلا اصطلاح يعود في الأصل إلى لفظ بربري بمعناها الإغريقي وليس لجنس معين في ظل غياب دليل علمي يثبت ذلك⁽²⁾، وهذا وجهة نظر يتبناها الباحثون الغربيون. يتحدث ابن سلام اللواتي عن جماعة البربر التي قصدت الخليفة عمر بن الخطاب رضوان الله عليه موفدة من طرف عمرو بن العاص وقد أسلموا، فحينما سألهم عن نسبهم أجابه أحد الحاضرين معه هؤلاء من ولد بر بن قيس، وبر بن قيس هذا كثر نسله في البراري فقالت العرب تبربروا أي كثروا⁽³⁾، وعلى اعتبار أن ابن سلام من أقدم مؤلفي المغرب -حيث توفي سنة 275هـ/887م- نجده قد أعطى تفسيراً جديداً للكلمة⁽⁴⁾، وهي فكرة مقبولة جداً كونها جاءت على لسان أحد القوم من سكان شمال إفريقيا ممن وفد على الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لكن يجدر بنا ذكر ما يراه اليعقوبي من تفسير غير ما سبق فهو يرى أن القوم نسبوا إلى جدّهم بربر بن عيلان بن نزار⁽⁵⁾.

يعود ظهور الإنسان في ورقلة إلى الحقبة الأولى من البلاستوسين، حيث مرت الصحراء بظروف مناخية متقلبة تراوحت بين الرطوبة والجفاف، وقد حدث ذلك خمس مرات خلال

1. Jean Lethielleux ; Op. Cit. p: 6.

2. Ibid. p: 5.

للمزيد ينظر:

Docteur Leblanc; **Le problème des Berbère, dans Histoire et Historique de l'Algérie.**

3. العربي دحو، مدخل في دراسة الأدب المغربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988، ص:17.

4. عمر لقمان بن حمو سليمان بوعصانة، المرجع السابق، ص:40.

5. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج. 1، بيروت، 1960، ص:165.

الحقبة المذكورة، وجاءت بعد هذه الفترة فترة الهيلوسين التي أتاحت المجال لإنسان العصر الحجري الحديث أن يقود ثورة إنتاج الطعام التي عرفتها الإنسانية حينذاك⁽¹⁾، حيث يلاحظ استقرار بعض الجماعات البشرية منذ ذلك الحين على أطراف الأهمار وحول العيون والآبار والواحات والشطوط والبحيرات، وقد ساعدهم في ذلك ميول المناخ إلى الأمثل الذي يمتد تاريخه من 5500 سنة قبل الميلاد حتى منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد على وجه التقريب⁽²⁾.

يعود أقدم تاريخ لوجود الإنسان بالمنطقة من خلال المكتشفات الأثرية إلى أكثر من مائة ألف 100000 سنة قبل الميلاد، حيث عثر الأثريون في ثمانينيات القرن العشرين⁽³⁾ على ذوات الوجهين *Bifaces*، والتي ناهز عددها الستة والثمانون قطعة، حيث اكتشفت بالموقع المسمى عرق التوارق حوالي 20 كلم جنوب قصر ورقلة، غير بعيد عن قارة كريمة، وهي الفترة المعاصرة للعصر الحجري القديم. *Paléolithique*، أما في فترة ما بعد العصر الحجري القديم *Epipaléolithique* في حدود 6000 سنة و 5700 سنة قبل الميلاد، فنجد أن آثار هذه الفترة أكثر وفرة في حوض ورقلة، وحمراية، وحاسي محادمة والبكرات وغيرها، زيادة على ملالة وحاسي أمويلح، وكذلك الحال بالنسبة لبقايا العصر الحجري الأخير والمسمى بالنيوليتيك *Néolithique*، فهي كثيرة عثر عليها في أكثر من موقع مثل بامنديل، حاسي قنيفيدة بالمكان المسمى "كثبان الرمال"، وفي غيرها من الأماكن، ويرجع تاريخها إلى حوالي 3000 سنة قبل الميلاد⁽⁴⁾.

يرى ستيفن قزليل. *S. Gsell* أن السكان الأوائل للمنطقة كانوا من السود أو الأثيوبيين⁽⁵⁾، فقد أثبتت الدراسات التي أجريت على هياكل عظمية تنتمي للعصر الحجري

1. Balout L. ; **Préhistoire de l'Afrique du nord**, arts et métiers graphiques, Paris, 1955, p: 81.
2. محمد الصغير غانم، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003، ص: 110-111.

للمزيد ينظر:

- Sanford K. S. ; **Palaéolithique man and the Nile Vally in apper and Middle Egypte**, the université of Chicago
3. عبد الله بن جيلاني السائح، المرجع السابق، ص: 26.
4. دنيس بيلي، تاريخ ورقلة: دراسة حول تسلسل الأحداث التاريخية ، تر: علي يدر، ط. 2، دفاتر ورقلة ر. 2، جمعية القصر للثقافة والاصلاح والمركز الثقافي للوثائق الصحراوية، 2010، ص: 2.
- للمزيد ينظر: Lybica ; Tome22, pp: 97-115 et Tome20, pp: 205-235.
5. بوطارن مبارك، خلف محمد نجيب، الدور التجاري لمدينة ورقلة في العصر الوسيط ، حوليات مخبر التاريخ والجغرافيا، مجلة علمية محكمة، ع. 2، بوزريعة، الجزائر، 2008، ص: 50.

الحديث. *Néolithique* عشر عليها في المنطقة، أنها تعود لأجناس زنجية عاشت في الصحراء إبان الألفية التاسعة قبل الميلاد، وفي الستينات من القرن الماضي تم اكتشاف هياكل عظمية في مدافن وقبور بحوض ورقلة، أثبت البحث العلمي أنها لسكان زنوج نزحوا من الجنوب على إثر الجفاف الذي اجتاح الصحراء الكبرى منذ الألفية الثالثة، وبالتحديد بداية من 2700 سنة قبل الميلاد⁽¹⁾، وظلت هذه الموجات البشرية تفد حتى الألفية الثانية، ليبدأ نزوح العنصر الأبيض ويمتزج مع الجنس الزنجي⁽²⁾.

من الخطأ الاعتقاد بوجود قطيعة بين سكان آخر فترة ما بعد العصر الحجري الأخير والسكان الناطقين بالبربرية، والذين هم إلى غاية يومنا هذا يحتفظون بميزات خاصة، وبناء على الرسوم التقليدية التي زينت بها مداخل أبواب منازل قصر ورقلة العتيقة، والمعروفة "لام أليف" أو إشارة الآلهة تانيت المعروفة بعشروت⁽³⁾، هذه الأخيرة تعد واحدة من بين الآلهة المغربية والتي تسمى تانيت بني بعل وهي الآلهة التي تنصدر أسماؤها معظم النقوش البونية في الجزائر إلى جانب بعل حمون القرطاجي، وبعل إدير وغيرهم⁽⁴⁾.

كانت المنطقة في فجر التاريخ تعيش في معزل عن التيارات الحضارية التي سادت في حوض البحر الأبيض المتوسط، لكن في نهاية القرن الحادي عشر قبل الميلاد ومع وصول الطلائع الأولى للفينيقيين وتأسيس قرطاج في تونس وظهور مملكة نوميديا، ظهرت حركة تجارية بين هذه الممالك والمناطق الصحراوية، فشهد طريق العبور من الصحراء حتى سواحل المتوسط، نشاطا كبيرا عبر طريق القوافل المار بورقلة، ومما يؤكد وجود مثل هذا النشاط ما تم اكتشافه من آثار فينيقية سنة 1966م في حديقة عيادة طب العيون التابع لشركة سونطراك حاليا، وهي عبارة عن حلي مرصعة بالمعدن تحوي أكسيد النحاس، مؤكسدة بشكل كبير، تحيط عنصر من السيراميك رسم على سطحه العلوي رموز محاطة بدائرة، حيث عمد الأب لوكلون. *Pr. Leclant* إلى

للمزيد ينظر: Gsell S. ; *Le passé de l'Afrique du Nord*, p: 488.

1. Jean Lethielleux ; Op. Cit. , p: 7.

2. عبد الله بن جيلاني السائح، المرجع السابق، ص: 28.

* عشروت هي الآلهة الرئيسية في كل من بلاد بابل وآشور بسموها عشتر، وفي المدن الفينيقية على سواحل فلسطين ولبنان وسورية عشروت، وهي آلهة واحدة في كل هذه المناطق، إلا أن اسمها والقليل من طقوسها تختلف من مكان إلى آخر اختلافا بسيطا.

3. دنيس بيلي، المرجع السابق، ص: 3.

4. محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفنيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003، ص: 128.

فكها، حيث وجد أنها تشبه رموزا تظهر على بعض الوثائق المصرية الخاصة بالسامية الفينيقية، وقد كانت هذه المساحة وما جاورها تشكل جزءا من مدينة ورقلة الأم قبل تدميرها في عام 1229م. عرف عن الفينيقيين أنهم صيادون للفيلة التي استعملوها في حروبهم، وحسب

أبيان *Appien* فإن أسوار قرطاجة كانت بها اسطبلات للفيلة تسع 300 فيل، فقد كانوا يترددون على المناطق التي بها أشجار مثل وادي ريغ القريبة من ورقلة كما توغلوا في الصحراء لجلب متطوعين من الغارانت بالجيش القرطاجي، إلى جانب أنهم تجار ساروا ضمن القوافل التجارية صوب الصحراء وكان عليهم المرور بالواحات الصحراوية وكانوا متحفظين في الكشف عن مسار تجارتهم⁽¹⁾ الأمر الذي أبقى عليها مجهولة لدى المؤرخين، ولكن يعطي مؤشرا على مرورهم أو تواجدهم بمنطقة واد مية المجاور لواد ريغ.

في المقابل فإنه لم يعثر على ما يثبت وجود الرومان في المنطقة ب شواهد مادية، وعلى الرغم من أن البعض ذكر وجود آثار معسكرات أو منشآت في أكثر من موقع حول توقرت⁽²⁾، فإن الوجود الروماني اقتصر على النشاط العسكري المتمثل في إقامة الحصون المشرفة على الطرق الرئيسية بين الصحراء والمناطق الخاضعة لنفوذهم، وإرسال الحملات العسكرية إلى الجنوب عبر الطرق الصحراوية، وفي مجلة *Lybica* الصادرة عام 1972⁽³⁾ تذكر أنه وجدت في المنطقة قطع نقدية رومانية كثيرة⁽⁴⁾، وهذا دليل على أن المنطقة عرفت مبادلات تجارية على أيام الرومان، كما أن هناك مفردات يستعملها أهل ورقلة دون سواهم تعود في الأصل إلى جذور رومانية ونذكر منها على سبيل المثال: تسمية الجدار "مورو" والتي يعتقد أنها مشتقة من الكلمة " *murum* " ورئيس القبيلة الذي يسمى أكورات. *Akurat* يحتل أنها جاءت من الكلمة " *curatus*، *curator* " الرومانية⁽⁵⁾، وهي غير معروفة في العربية، على العكس بالبربرية وخاصة ورقلة. وإذا رجعنا إلى المصادر التاريخية القديمة، فإننا لا نجد فيها ذكرا للدور الذي أدته المنطقة في عهد الوندال والبيزنطيين، اللهم إلا بعض الإشارات البسيطة التي أوردها هؤلاء المؤرخون في سياق كلامهم عن مواضيع أخرى، وللعلم فإن البيزنطيين رغم محاولاتهم للسيطرة على هذه

1. Jean Lethielleux ; Op. Cit. p: 9.

2. Ibid. p: 12.

3. عبد الله بن جيلاني السائح، المرجع السابق، ص:34.

للمزيد ينظر : Lybica ; Tome20, pp: 236-237.

4. دنيس بيلي، المرجع السابق، ص:3.

5. Jean Lethielleux ; Op. Cit. p: 13.

الجهة، إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك وبقيت خارج حدودهم⁽¹⁾، بل أنه لم يثبت إلى حد الآن اكتشاف آثار مادية لهم بالمنطقة.

يختلف الكثيرون في تأسيس قصر ورقلة وأقدم تأريخ لذلك جاء على لسان حسن الوزان المكنى ليون الإفريقي، حيث يذكر أنها مدينة جد قديمة بنيت بأيدي النوميديين في صحراء نوميديا⁽²⁾، حيث يذكر ما نصه: "وَرَكْلَة مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا"⁽³⁾، لكن هذا الكلام يكثفه الكثير من الغموض كون المنطقة بعيدة عن نوميديا ويحتاج إلى تفصيل أكثر.

يجهل تماما ظروف الفتح الإسلامي في منطقة ورقلة، فالغموض يلف هذه الحقبة من تاريخها لانعدام الوثائق المدونة، وكل ما توفر من كتب عن ورقلة يعود إلى ما بعد الفتح بقرن من الزمن، وأكثر من ذلك ليس هناك ما يؤكد أو ينفي وصول الفاتحين الأوائل للمنطقة، والغالب أن الأهالي دخلوا الإسلام طواعية، والفضل في ذلك يعود إلى الدعاة والتجار المسلمين أثناء سيرهم إلى بلاد السودان، وهذا ما يفسر سطحية التأثير العربي في هذه المرحلة السابقة للزحف الهلالي في القرن الخامس الهجري⁽⁴⁾، وما يؤكد هذا الطرح ما ذهب إليه أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري (توفي خلال أواسط القرن 6هـ/12م) في كتابه - كتاب الجغرافية - حين يذكر ما نصه: "مدينة قرافون وهي أقرب مدائن الصحراء إلى وارقلان وإلى سحلماسة، وبين هاتين المدينتين يسكن المرابطون وهؤلاء القوم أسلموا حين أسلم أهل وارقلان في مدة هشام بن عبد الملك لكنهم كانوا على مذهب خرجوا به عن الشرع"⁽⁵⁾، فهو بذلك يحدد لنا فترة دخول الإسلام بفترة حكم هشام بن عبد الملك أي بين سنتي 105-125هـ/723-742م، لكن حين التمعن في عبارة أهل وارقلان نستنتج أن الجغرافي الزهري يقصد أهل مدينة تسمى وارقلان، وهو ما يؤكد أن ورقلة مدينة سابقة لظهور الإسلام، إلا أن هناك من يحدد تاريخا بعينه لانتشار المذهب الإباضي

1. بوطارن مبارك، المرجع السابق، ص:51.

2. F. Elie de la Primaudaie ; **Le commerce et la navigation de l'Algérie**, Revue Algérienne et Coloniale, Juin 1860, p:103.

3. الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر. محمد حجي، محمد الأخضر، ج. 2، ط. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص:136.

4. عبد الله بن جيلاني السائح، المرجع السابق، ص:39.

5. أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، كتاب الجغرافية، تح. محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ص:119.

في ورقلة بداية من سنة 101هـ/719م⁽¹⁾، وما يدعم هذا الطرح ذهاب أبناء المنطقة إلى البصرة للاستزادة من العلم من أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وذلك سنة 135هـ/752م⁽²⁾، وهي آراء تتفق وما جاء على لسان أي عبد الله الزهري.

يقول عبد الرحمان بن خلدون: "بنو وار كلا هؤلاء إحدى بطون زناتة، من ولد فرني بن جانا، والمعروفون لهذا العهد بنو وار كلا وكانت فئتهم قليلة، وكانت مواطنهم قبلة الزاب، واختطوا المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثمان مراحل من بَسْكَرَة في القبلة عنها ميامنة إلى المغرب، بنوها قصورا متقابلة ومتقاربة الخطّة، ثم استبحر عمرانها فَأَتَلَفَ وصارت مصرا واحدا، وكان معهم جماعة من بني زنداك من مغراوة، وإليهم كان هرب زيد النكاري عند فراره من الاعتقال سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، وكان مقامه بينهم سنة يختلف إلى بني برزال قبلة المسيلة بسالات، وإلى قبائل البربر بجبل أوراس، يدعوهم جميعا إلى مذهب النكارية، إلى أن ارتحل إلى أوراس، واستبحر عمران هذا المصر واعتصم به بنو وار كلا هؤلاء، والكثير من طواعن زناتة عند غلب الهلاليين إياهم على الضواحي، واختصاص الأثبح بضواحي القلعة والزاب وما إليها"⁽³⁾، وهو ما يجعلنا نستنتج أن قصر ورقلة القديم كان قائما في القرن 4هـ/10م وأن القصر عرف توسعة هامة أيام قدوم بني هلال ودخولهم إفريقية حوالي 1050م وهم يحملون عقود إقطاع منحهم إياها الخليفة الفاطمي⁽⁴⁾، الأمر الذي نتج عنه تحصن بني وار كلا بالقصر إلى جانب نزوح عدد كبير من فروع زناتة القادمين من الضواحي كالقلعة والزاب وما بأحوازهم، لكن سوف نرى كيف أنه سيؤول إلى الخراب ويبنى في غير موضعه.

ظنّ الرستميون الفارون إلى منطقة ورقلة أنهم قد تخلصوا من أعدائهم وبطشهم، ولكن ما كادوا يفعلون حتى شن العبيديون الفاطميون الغارة عليهم، فعاثوا في وارجلان فسادا، حيث خربوها واجتثوا نخيل واحتها، واستبعدوا بهذا فكرة إقامة دولة فيها، إلى أن شكلت ثورة أبي زيد مُخَلَّد بن كيداد منعظا هاما في مجرى الأحداث، فبعد أن عاد من الحجّ سنة 310هـ/922م أعلن ثورته على العبيديين، وكان على رأسهم عبيد الله، فقويت شوكته وألحق بهم الهزائم حتى

1. إبراهيم أعزام، المصدر السابق، ص:32.

2. عمر لقمان بن حمو سليمان بوعصبانة، المرجع السابق، ص:100.

3. عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص:69-70.

4. محمد الهادي الشريف، ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس، تر. محمد الشاوش، محمد عجينة، ط. 3، دار سراس للنشر، تونس،

1993، ص:49.

كاد يقضي عليهم، كما أنه تحول من مذهب الوهبية إلى النكارية^(*)، فكان من الطبيعي أن تقف ورجلان إلى جانبه ضدّهم بعد أن ذاقوا ظلمهم دون أن ننسى الظلم الذي مس السنة فاستصدروا الفتوى للانضمام إلى أبي يزيد وقتلهم الفاطميين⁽¹⁾، حيث استقبل في ورقلة خلال هذه الفترة، وقضى عاما كاملا بينهم وجمع من حوله أنصار كثيرين خاصة من جموع الوهابية الإباضية القاطنون بالقصر⁽²⁾.

هناك مؤلف سابق لعصر الزهري هو أبي عبيد الله البكري المتوفى سنة

487هـ/1094م، حيث جاء على ذكر وارجلان وهي أقدم تسمية في كتب المؤرخين القدامى كما يذكرها بصيغة أخرى في نفس الكتاب هي وارجلن، فيذكر ما نصه: "...فإن أردت من تادمكة إلى القيروان فإنك تسير في الصحراء خمسين يوما إلى وارجلان وهي سبعة حصون للبرابر أكبرها يسمى أغرم أن يكامّي أي حصن العهود ومنها إلى مدينة قسطيلية أربعة عشر يوما ومن قسطيلية إلى القيروان سبعة أيام..."⁽³⁾، ومن هذا الكلام نستنتج أن أقدم تسمية لورقلة هي وارجلان على لسان صاحب أقدم مصدر صادفناه يتحدث عن ورقلة أي كتاب البكري.

يدعم محمد بن عبد المنعم (خلال القرن الثامن هجري) ما ذهب إليه البكري في وصفه

لورقلة إذ يذكر ما نصه: "وركلان في طرف الصحراء مما يلي إفريقية، وهو بلد خصيب كثير النخل والبساتين، وفيه سبع مدائن مسورة حصينة بعضها قريب من بعض، وهي كثيرة الزرع والضرع والبساتين والمياه، والعجب أن الرجل منهم يحفر فيها بئرا بأزيد من مائة دينار، فإن أرضهم صلبة والماء بعيد يدرك على أزيد من مائة قامة، فيجد على الماء طبقا من حجر صلد فيستبشر عند وجوده، ويطعم أصحابه فرحا به، ويتزل إليه من يعرف كيف ينقره مربوطا في حبال وثيقة، وينقره فينفور الماء، فإن أبطأ الرجال في رفعه حتى يدركه الماء هلك لحينه، ويبقى الماء على مرّ الدهور ينفور، وهكذا جميع آبارهم، وبها يسقون جناتهم وزرعهم ونخلهم. وتضرب ببلد واركلان دنانير على نوع المرابطية، وهي مشهورة، وبين واركلان والجريد أربعة وعشرون يوما، ومن بلاد الجريد إلى القيروان سبعة أيام، وأهل واركلان بربر، وفيهم جمال، ونساؤهم موصفات

* طائفة انشقت عن الصف الإباضي لإنكارهم نظام الخلافة الوراثي، حيث أنكرت إمامة عبد الوهاب الوراثية فبعد أن مات عبد

الرحمن بن رستم اختار الإباضية بعده ابنه عبد الوهاب الذي ظلّ إماما حتى 211هـ/827م أين ظهرت هذه الحركة.

1. إحسان عباس، مصادر ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد، مجلة الأصاله، ع. 41، الجزائر، 1971، ص: 32.

2. Charles Feraud ; Ben-Djellab : Sultan de Tougourt, Revue Africaine, Vol 30, A. Jourdan, libraire-éditeur, Alger, 1886, p: 369.

3. أبي عبيد البكري، المصدر السابق، ص: 182.

بالحسن، وبينها وبين غدامس نحو عشرين يوما في صحراء قليلة الماء، في هذه الصحراء معدن حجارة يشبه العقيق، وربما كان في الحجر الواحد منها ألون من الحمرة...⁽¹⁾، ويظهر من كلام عبد المنعم أنه نقل من كتاب آخر، ولم يزر المدينة كونها في أيامه -أي القرن الثامن الهجري- لم تعد سبعة حصون وهو ما سنراه لكنها معلومات قيمة تشير إلى وجود مصدر آخر تحدث عن المدينة وأعطانا معلومات مهمة حولها.

تواصل تألق ورقلة تجاريا في هذه المرحلة، لكن كان ذلك نقمة عليها في ذات الوقت فقد جلب إليها أطماع الطامعين من أمثال المعز أمير القيروان سنة 1034⁽²⁾، وبحلول سنة 443هـ/1052م سنة بداية الفوضى التي عمت شمال إفريقيا جراء الزحف الهلالي، ليستغل القائد الزناتي المستنصر بن خزرون هذه الاضطرابات، فدفع بالسلطان الحمادي الناصر ليتنازل له وينسحب من وادي ريغ والزاب، وقد تعرضت مدينة ورقلة القديمة إلى هجوم المنصور ابن السلطان الحمادي الناصر⁽³⁾ سنة 468هـ/75-1076م، وصادف هذا الهجوم فتنة وقعت في القصر ما أضعف مقاومة الأهالي وهم منقسمين على أنفسهم، فما خرج المنصور إلا بعد أن خرب القرى وقتل أكثر العباد خاصة الوهايبة الإباضية، وقطع النخيل، وغور العيون، وقلب حكم بني توجين، وقد كان الموقع الذي استقرت عليه المدينة الجديدة يقع شمال شرق بقايا المدينة المدمرة وبنيت المدينة بسواعد من بقوا أحياء⁽⁴⁾ بعد هذه المجزرة، ولينظم إليهم آخرون في هجرات متوالية.

إذا فوارجلان كانت سبعة حصون تسمى أغرم وليست قصور، هدمت سنة 468هـ/1076م وبنيت في موضع يقع بشمالها الشرقي وهو اسم ينطبق على موقع سدراتة والتي حسب البكري فإن أحد هذه الحصون كان يسمى أغرم أن يكامّي دون أن يذكر اسم سدراتة، وبالتالي فلحصون السبعة مجتمعة تسمى وارجلان وكل منها له اسم خاص يلتصق به صفة القرية باللغة البربرية أي أغرم التي شاع استعمالها في شمال إفريقيا عموما.

1. محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح. إحسان عباس، ط. 2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص:600.

2. مختار حساني، المرجع السابق، ص:1461.

3. Ernest MERCIER; **Histoire de l'Afrique septentrionale: (Bérberie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête Française**, Tome 2, ERNEST LEROUX éditeur, Paris, 1868, p: 36.

4. Charles FERAUD. Op. Cit. p: 371.

يتكلم الإدريسي عن وارقلان خلال القرن 6هـ/12م في فترة حكم الموحدين، فيذكر: "ومن مدينة المسيلة إلى وارقلان 12 مرحلة كبار وهي مدينة فيها قبائل مياسير وتجار يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلاد ونقارة فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلادهم باسم بلدهم وهم وهيبة إباضية نكاره خوارج في دين الإسلام ومن وارقلان إلى غانة 30 مرحلة ومن وارقلان إلى كوغة نحو من شهر ونصف ومن وارقلان إلى قفصة 13 مرحلة"⁽¹⁾، ومن هذا الكلام نستنتج أن هذه البقعة كانت مستقلة عن حكم الموحدين لسببين أولهما الاختلاف المذهبي فالموحدون حملوا الناس على مذهب الظاهرية⁽²⁾، وثانيا كون هذه المدينة تضرب نقودها بنفسها وباسم بلادها، لكن هذا لا يعني عدم ولائها لهذه الدولة.

يذكر أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري المتوفي في منتصف القرن 6هـ/12م "وآخر عمل القيروان في الجنوب مدينة وارقلان"⁽³⁾، مما يعني أن ورقلة كانت تابعة سياسيا لمدينة القيروان حيث هي إحدى أعمالها، كما أنه ذكر أنها تعتبر حدا للجزء السابع أي بلاد السودان وأرض الحبشة والزنج والنوبة، حيث يذكر: "ويجده من الشرق مدينة وارقلان، ويدخل من هذه المدينة إلى هذه البلاد ويخرج منها جلب الصحراء من العبيد والخدم" كما يشير إلى العلاقة بينها وبين مدينة كوكو التي هي حاضرة الحبشة "وإليها تدخل القوافل من أرض مصر ومن وارقلان"⁽⁴⁾، وفي هذا إشارة إلى مدى النشاط الذي عرفته ورقلة.

عرفت المدينة خرابا آخر على يد يحيى بن غانية المايورقي سنة 626هـ/1229م⁽⁵⁾ انتقاما من أهلها لإيوائهم الإباضيين الفارين من سدراته بعد تخريبها، فوَقعت ضحية التعصب المذهبي، ولكن أهلها أعادوا بناءها أجمل مما كانت عليه، وبالتالي فسكانها بداية من القرن الثالث عشر كانوا السكان الناجون وبقايا الإباضية النازحين من سدراته، مما أسفر عن اتساع عمراتها وزيادة عدد سكانها، والظاهر أن الخراب طال أيضا ما بقي من سدراته ودمروها فجلى عنها سكانها، واختفت بعد ذلك تحت الرمال التي لا تزال تحتفظ بأسرارها⁽⁶⁾.

1. الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص:296.

2. محمد المنوي، حضارة الموحدين، ط. 1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1989، ص:13.

3. أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، المصدر السابق، ص:119.

4. نفسه، ص:123.

5. عمر لقمان بن حمو سليمان بوعصبانة، المرجع السابق، ص:69.

6. إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص:155.

وبالتالي فإقامة التّازحين من سدراته في مدينة ورقلة الحالية تعود إلى القرن الثالث عشر عندما أعيد بناؤها من جديد، واندمجوا ضمن النسيج العمراني لقصر ورقلة، وشيدوا مساكنهم وأقاموا مساجدهم إلى جوار منازل سكان المدينة في أحيائها الثلاثة، و كانت لغتهم الأمازيغية⁽¹⁾، وخلال هذه الفترة أمر أبو زكريا الحفصي بأن تقام الصلاة باسمه سنة 1236م، وفي ذلك إشارة واضحة لاستقلاله عن الخليفة الموحد، وسرعان ما أخضع كامل الجزء الشرقي من بلاد المغرب لسلطانه⁽²⁾، ويضيف عبد الرحمان بن خلدون: "ولما استبد الأمير أبو زكريا بن أبي حفص بملك افريقية وجمال في نواحيها في إتباع بن غانية"، فقد أزعج الأخوان ابنا غانية—من سلالة الملوك المرابطين السالفين في المغرب الأقصى— الموحدين وولاتهم أيما إزعاج بين 1184-1234م⁽³⁾، مرّ بهذا المصر فأعجبه وكلف بالزيادة في تمصيره، فاختمت مسجده العتيق ومبنيته المرتفعة، وكتب عليها اسمه وتاريخ وضعه نقشا في الحجر⁽⁴⁾، وفي مرحلة النفوذ الحفصي شهدت المنطقة سلطة امتدت حتى ورقلة، تحت إمرة قائد يسمى مزني، حيث واصلت عائلته ربح من الزمن بعده في حكم البلاد⁽⁵⁾، وكان ذلك خلال القرن 14م كما أن هذه الأسرة من الأثبج⁽⁶⁾.

تملمت المنطقة خلال هذه المرحلة بين أحضان النفوذ الحمادي، ومنه إلى النفوذ الحفصي لتنتقل إلى حكم المرينيين، وشهدت المنطقة ابتداء من 1285م نشوب صراع مرير بين قبيلتي أغبال وفيلالي، من جهة، وبني جوهر من تقرت وبن بايبة من نقوسة من جهة ثانية الذين تمكنوا بعد المقاومة من إقامة خلافتهم في المدينة⁽⁷⁾، ولكن في سنة 1347م يقرر أخيرا يوسف بن مزني البقاء تحت لواء الحفصيين بعد أن أقروا له بسلطته على وادي ريغ وورقلة⁽⁸⁾، ويذكر ابن خلدون: "وهذا خلدون: "وهذا البلد لهذا العهد باب لولوج السفر من الزاب إلى المفازة الصحراوية المفضية إلى بلاد السودان يسكنها التجار الداخلون لها بالبضائع وسكانه لهذا العهد من بني واركلا وأعقاب إخوانهم من بني يفرن ومغراوة، ويعرف رئيسه باسم السلطان، شهرة غير نكيرة بينهم، ورياسته لهذه الأعصار مخصوصة ببني أبي عبدل، ويزعمون أنهم من بني واكين إحدى بيوت بني واركلا،

1. عبد الله بن جيلاني السائح، المرجع السابق، ص: 76-77.

2. محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص: 53.

3. نفسه، ص: 52.

4. عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص: 70.

5. Charles FERAUD. Op. Cit. Vol. 23, 1879, p: 162.

6. إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص: 143.

7. مختار حساني، المرجع السابق، ص: 1462.

8. Charles FERAUD. Op. Cit. pp: 372-373.

وهو لهذا العهد أبو بكر بن موسى بن سليمان من بني أبي عبدل، ورياستهم متصلة في عمود هذا النسب"، وإذا عرفنا أن بن خلدون قد توفي سنة 808هـ/1405م فذلك يعني أن هذا الوصف ينطبق على الفترة المعاصرة لأواخر القرن 14م.

شهدت ورقلة علاقات تجارية متميزة مع يهود تمنطيط حتى أواخر القرن 15م، وهنا نشير إلى وصف الحسن الوزان للقصر على أيامه خاصة إذا علمنا أنه من مواليد أواخر القرن الخامس عشر ميلادي وتوفي بعد تاريخ 957هـ/1550م، إذ يذكر: "...لها سور من الآجر النيء ودور جميلة، وحوها نخل كثير. ويوجد في ضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى. الصناع فيها كثيرون، وسكانها أغنياء جدا، لأنهم في اتصال مع مملكة أكدز، منهم عدد كبير من التجار الأجانب الغرباء عن البلد، لا سيما من قسنطينة وتونس، يحملون إلى ورقلة منتجات بلاد البربر ويستبدلوها بما يأتي به التجار من بلاد السودان... لوركلة أمير يشرفونه كالمملك، يعيل نحو ألف فارس من حرسه، ويجي إليه من إمارته مائة وخمسون ألف مئقال، ويؤدّي إلى جيرانه الأعراب خراجاً مرتفعاً"⁽¹⁾، وعلى ذكر الأعراب نشير إلى ما ورد في كتاب بن خلكان في وفياته إذ يقول: "...قلما ملكت زناتة بلاد المغرب ودخلوا إلى الأمصار والمدن أقام بنو معقل هؤلاء في القفار، وتفردوا في البيداء فنمووا لا كفاء له، وملكوا قصور السوس غربا ثم توات ثم بودة ثم تمنطيت، ثم واركلان ثم تاسبيت ثم تيكراين شرقا، وكل واحدة من هذه وطن منفردة يشتمل على قصور عديدة ذات نخيل وأهمار، وأكثر سكانها من زناتة وبينهم فتن وحروب على رياستها فحازت عرب معقل هذه الأوطان في مجالاتهم ووضعوا عليها الإتاوات والضرائب وصارت لهم جباية يعتدون فيها ملكا..."⁽²⁾، من خلال الوصف السابق وهذا الوصف نستنتج أن ورقلة خلال خلال القرن 15م وبداية القرن 16م عرفت رقيا معماريا هاما جعل الوزان ينهر بمنزلها ليصفها بالجميلة كما أن تقنية بناء السور اعتمدت على استعمال الآجر النيء، لكن المتغير في محيط هذا الإقليم وجود البدو العرب الذين فرضوا سيطرتهم على كامل الصحراء، وبالتالي فرض الإتاوات على حكام هذه القصور لحماية قوافلهم وتجارتهم من السطو.

1. الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص: 136-137.

2. ابن خلكان، مصدر سابق، ص: 287.

عرفت المنطقة سنة 1552م في أيام العثمانيين مرور باشا الجزائر صلاح راييس على رأس 3000 جندي و1000 فارس وقطعتي مدفعية⁽¹⁾، في مهمة بسط نفوذ وتصحيح للأوضاع بعد أن رفضت تقرت دفع الإتاوات وبعدها خرج صوب ورقلة للقبض على سلطانها وقتله كونه رفض هو الآخر دفع ما وجب عليه من إتاوات، ليجد عند وصوله أن السلطان فر برفقة أربعة آلاف فارس ولم يجد في المدينة سوى أربعون تاجرا قدموا من السودان كما جرت عليه العادة لبيعوا الرقيق، ففرض عليهم ضريبة مقابل إخلاء سبيلهم ويمضوا بسلام، وقضى الباشا عشرة أيام بالقصر رفقة جيشه، فيما تحصن السلطان في القليعة (المنيعة حاليا)، وطلب منه العودة وتعهد له بأن لن يمسه منه مكروه، على أن تدفع من الآن وصاعدا المدينة الإتاوات للجزائر، ولم يدخل السلطان المدينة إلا بعد أن تركها العثمانيون وتعهد بدفع 40 عبدا في كل عام، وكانت بالتالي البعثة الوحيدة للأتراك بالمنطقة، ومن هذا التاريخ تغيب المراجع والمصادر التي تذكر ورقلة في حين تدخل المنطقة في فوضى إلى أن حل الطاعون وضرب الزلزال في عهد باشا الجزائر الخذر سنة 1602م، وفي ظل هذه المعطيات وحالة اليأس راسل أهل ورقلة حاكم فاس الذي كان له أربعة أولاد، وكان علاهم الأصغر فأرسله سلطانا لورقلة سنة 1602م، ومن شدة فرحة القوم أهده 40 عبدا وعدد من النخيل، كما بنو له قسبة خاصة به، وبحلول عهد هذا الحاكم الجديد عرفت ورقلة عهدا جديدا حيث أصبحت حكومة مستقلة⁽²⁾، ولكن عاود يوسف باشا في عهده الهجوم على القصر سنة 1640م مرفوقا بسلاح المدفعية فهزمهم وفرض على جماعتهم 25 عبد كل سنة⁽³⁾.

يعد القرن 11هـ/17م الفترة التي حل فيها الرحالة العياشي (1037-1090هـ/1627-1679م) بقصر ورقلة على أيام السلطان علاهم بتاريخ 4 جانفي 1663م، حيث يذكر في كتابه ما نصه: "...فدخلنا واركلا قبل غروب الشمس، ونزلنا باب المدينة المسمى باب السلطان،... ودخلنا للمدينة لحضور صلاة الجمعة، وصلينا بجامع يسمى جامع المالكية،... ثم بعد الصلاة طلعتنا للمئذنة، وهي مشرفة على المدينة كلها، فنظرنا إلى أطرافها ووسطها، وكنا نستقلها قبل ذلك، فإذا هي مدينة لها سبعة أبواب، وهي في وسط خط من النخيل، ومساحة

1. C. Trumelet ; **Les Français dans le désert**, Journal d'une expédition aus limites du Sahara, GARNIER frère, libraires-éditeurs, Paris, 1863, p: 26.

2. Charles FERAUD. Op. Cit. pp: 373-374.

3. C. Trumelet ; Op. Cit. p: 26.

المدينة بالتخمين نحو من نصف فرسخ* في مثله، محيط بها خندق مملوء ماء من كل جهاتها، لا يصل أحد إلى سورها إلا من ناحية الأبواب، وقد خلا كثير منها بسبب فتنة وقعت فيها قبل قدومنا بنحو من شهرين"، ومن خلال هذا النص نفهم أن المدينة كانت على درجة من الاتساع... ثم لقيت إمام المسجد بعد ذلك وأدخلني إلى منزله وأحضر لي ما عندي من الكتب... وحبسني لطعام حتى حانت صلاة المغرب، فدخلنا المسجد بإزاء داره لصلاة المغرب، وهو مسجد متقن الصنعة مخصص الأرض والحيطان، على بابه أماكن وفي جوانبه معدة للوضوء وقضاء الحاجة، ومكان لتسخين الماء، فأعجبتني غاية... ولأهل هذه البلدة دراهم يتعاملون بها يكثر فيها النحاس، أربعة وعشرون في ربع ريال⁽¹⁾، يتضح من خلال نص العياشي الكثير من التفصيل خلال هذه الفترة أهمها أن المدينة كانت تشغل مساحة معتبرة أهلتها لأن يطلق عليها اسم المدينة بدل القصر، والأمر الثاني كثرة الأبواب التي هي في الواقع تعكس عدد المسالك المتصلة بها، كما أن هناك مؤشرات عن الوضع الأمني للقصر الذي هو في حالة من الفوضى الداخلية وأخرى خارج حدود القصر، وأسفرت عن وجود سور حصين ومعزز بخندق مائي كما أن الفضاء المخصص للزوار من حجاج وتجار بعيد عن المجال السكني، وليس لهم الحق في دخول القصر سوى أوقات الصلاة وبرفقة أشخاص من القصر، حيث كان هو في رفقة الإمام، لكن هناك وضع ينم عن ركود ثقافي وعلمي كبير جدا لدرجة استهلاك خطب تعود إلى أيام الموحدين، كما دلت على ذلك تلك المخطوطات المنقوصة، بل حتى ما يوجد في خزانة الأمير لم يرقى إلى درجة الإعجاب لدى العياشي بقدر ما أعجب بشخصية الأمير.

المبحث الثالث: المسكن بقصر ورقلة

بعد أن وقفنا على الارتباط الوثيق بين قصر ورقلة ومدينة سدراته وبالنظر لما عرفته هذه الأخيرة من اكتشافات أثرية على يد الأثريين من أمثال طاري وفان برشم، ارتأينا أنه من المفيد عرض أهم المساكن التي كشفت بالموقع رغم قلة النتائج لمحاولة إيجاد بعض الحلقات المفقودة بين كل هذه القصور وسدراته التي تعتبر منطلق نشأة كل القصور سواء في ورقلة أو منطقة وادي

*. الفرسخ أصله فارسي دخل العربية بمعنىين، يدل الأول على الزمن، والثاني ارتبط بمسافة اتفق على تحديدها بالمسافة التي إذا مشاها الرجل قعد واستراح، وهي عند بعضهم ستة أميال، غير أن الفقهاء المسلمين قدروا الفرسخ بثلاثة أميال.

1. أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص: 114، 118.

مزاب، لذا سنحاول التركيز على مخططات المساكن أكثر من أي شيء آخر وهذا بالنظر لما تبقى من هذه المدينة في شكل جدران لا ترتفع كثيرا.

1- مساكن سدراة:

يقع الموقع على مسافة 14 كلم جنوب غرب مدينة ورقلة الحالية، هذا إذا علمنا أن المسافة الفاصلة بين العاصمة ومدينة ورقلة حوالي 800 كلم، على مصب وادي مية الممتد من جنوب غرب جبل العباد إلى قارة كريمة جنوبا وإلى حوالي 20 كلم شمال مدينة ورقلة⁽¹⁾، ويتربع الموقع على مساحة تقارب 02 كلم²⁽²⁾، وعلى امتداد 1600 م في اتجاه شمال غرب-جنوب شرق، وتتوضع منشآت هذا الموقع على شكل مجموعة تلال يتراوح ارتفاعها ما بين 141 م إلى 150 م⁽³⁾.

تنحصر المساكن المكتشفة بالموقع في عدد قليل ولكن على درجة كبيرة من الأهمية، ويعد فكتور لارجو أول من أشار إلى هذه البيوت دون تحديد موقعها، حيث يذكر في هذا الصدد أن البيوت الكبيرة لمدينة سدراة ذات شكل مربع وغير منتظمة التخطيط، وهي تتكون من قسمين متقابلين يفصلهما صحن إحداهما عبارة عن رواق يتكون من بوائك ذات أقواس نصف دائرية وترتكز على دعائم مربعة الشكل، كما أنه لاحظ بيت آخر مربع التخطيط يبلغ طول أضلاعه في جميع الاتجاهات 9 م، وبيوت أخرى يقدر طولها بذات القياس السابق وتتكون من غرفة واحدة يتقدمها صحن مغلق، ليضيف أن أغلب هذه البيوت مؤلفة من غرفة واحدة تقدر مقاساتها ما بين 6 م و7 م، فيما كسيت أغلب جدران هذه المساكن بطبقة من الجص⁽⁴⁾.

عشر طاري هو الآخر على مجموعة من الغرف لم يحدد موقعها، وتتمثل في بيت يتكون من ثلاثة غرف يبلغ طول كل واحدة منها 3 م وعرضها 1.50 م، جدرانها محلات بزخارف قوامها ورود منقوشة على الجص، وأشار إلى وجود غرفتان يفصل بينهما جدار فتحت به ثلاثة نوافذ، إلى جانب بقايا بيت في أقصى الجهة الغربية يتكون من صحن مقاساته (2.15X2.34) م² تتقدمه

1. ورشة الأبعاد الثلاثة، دراسة الحفاظ والتهيئة لمدينة سدراة الأثرية، ج. 1، المرحلة 1 و2، ص: 2.

2. G. Aumassip et autre ; **Aperçu sur l'évolution du paysage et le peuplement de la région de Ouargla**, Libyca, T. 20, 1972, p: 235.

3. M. V. Berchem ; **La découverte de Sedrata, Ouargla, Sahara Algérien 1950-1951**, Proceedings of the 22nd congress of Orientalists, Istanbul, September, 15th to 22nd, 1951, Leiden 1957, p: 634.

4. ورشة الأبعاد الثلاثة، المرجع السابق، ص: 11.

غرفة تنتهي بإيوانين وحجرة صغيرة، ويبلغ طول الغرفة الوسطى 2.34م وعرضها 2.15م، أما اليمنى فتبلغ مقاساتها (2.34م×1.63م)²، في حين يبلغ عرض الحجرة الصغيرة 0.91م، والجدير بالذكر أن الغرفتين (ب) و (د) كانتا مرتفعتين عن مستوى الغرفة الوسطى بمقدار درجة واحدة، ويتم الدخول إليهما عبر أقواس نصف دائرية ترتكز على أعمدة نصف أسطوانية، كما زودت إحدى جدرانها بجنيات مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها حوالي 0.43م، وقد كان هذا الجزء من البيت تكسو بعض جدرانه زخارف متنوعة لم يرى لها مثل بمدينة سدراته، وتتمثل في زخارف كتابية وخمسة فرسان يمتطون مهارى ويحملون الرمح، وثلاثة جنود يسيرون على الأقدام يحملون نفس السلاح، علاوة على ترقيا يركب مهريا ويقود أسيرا، كما احتوت هذه الزخارف على صور لحيوانات أخرى كالأسد والنعامة والجمال وشجر النخيل⁽¹⁾.

يذكر بيت آخر على بعد 150 خطوة من الدار الموجودة بالموقع 4 يبلغ طولها 9.30م أما عرضها فيبلغ 4.25م تتكون من ثلاث غرف مستطيلة وقاعات للخرن يبلغ طول أحد المخازن 1.40م وعرض 1.35م، أما الثاني فتقدر مقاساته بحوالي 0.93م طولاً و 0.85م عرضاً، وبأسفل هذا الأخير يوجد سلام تؤدي إلى السطح، وما يلاحظ في هذا البيت أنها خالية من إحدى العناصر الأساسية وهو الصحن⁽²⁾.

عثرت مارغريت فان برشم خلال سنتي 1951 و 1952م في الجهة الشمالية-الغربية لسور البيت المحصن على بيت متسع يضم غرف متنوعة ومتعددة، بدو عليها آثار الترميم، يدخل إلى هذا البيت عبر مدخل منكسر تتقدمه سقيفة، فتح بها في الجدار الشمالي الشرقي مدخل مغطى بقبو ويؤدي إلى غرفة مربعة (أ)، وتحتوي هذي الأخيرة على حنية عميقة في جدارها الجنوبي، ويقابل هذه الغرفة من الجهة الجنوبية قاعة ذات شكل غير منتظم (ب) وليس بها أي منفذ يؤدي إليها، وما يلاحظ على هاتين الغرفتين أنهما تعرضتا إلى عدة تغييرات تدل عليها القطع الجصية المعاد استعمالها بطريقة معكوسة وآثار الأبواب المسدودة في وقت لاحق، ويفضي المدخل المنكسر إلى صحن فسيح، تشغل زاويته الجنوبية-الشرقية غرفة صغيرة مربعة (ج) مقاساتها (1.30×1.14)م²، ويمكن الدخول إليها عبر بايين فتحة في الجدار الشمالي والجدار الغربي تكتنفهما دعامتين صغيرتين، وما يلفت الانتباه هو العثور على محراب متجه إلى القبلة، يبلغ ارتفاعه حوالي 1.40م وعرضه 0.51م من القاعدة إلى بداية العقد، ومن بدايته إلى نهاية العقد

1. ورشة الأبعاد الثلاثة، المرجع السابق، ص: 11.

2. نفسه، ص: 12.

0.30م، ويمتاز المحراب بوجود رف من الحجارة يرتكز عليها عقد المحراب وتستغل في الوقت نفسه لأغراض أخرى، وبمحاذاة هذه الغرفة وبالجهة الغربية يوجد رواق لم تكتشف جميع أجزائه باستثناء بقايا دعائم مدججة في الجدار (و) (1).

وفي الجهة الشمالية للصحن تم الكشف عن غرفة كبيرة مستطيلة الشكل مقاساتها (2.10x9)م²، وتطل على الصحن بباب فتح بالجدار الجنوبي للغرفة، تنقسم هذه الغرفة بواسطة أقواس نصف دائرية محلاة بزخارف قوامها عناصر نباتية وهندسية، إلى ثلاثة أقسام، غرفة وسطى (هـ) يكتنفها إيوانين (هـ-1) و(هـ-2)، وترتكز هذه الأقواس على أعمدة أسطوانية لم يعثر إلا على جزء منها، كما تشتمل الغرفة أيضا على إيوان ثالث في الجهة الشمالية (هـ-3)، وكان مستوى أرضية تلك الأواوين مرتفع عن مستوى أرضية القاعة الوسطى، أمّا بالنسبة للتسقيف فكانت الغرفة مغطاة بقبو مهدي الشكل، تحلي أركانها الأربعة مشكاوات شبيهة بتلك التي عثر عليها في القصر، كما عثر بنفس الغرفة على زخارف كتابية يحتمل أنها كانت تشغل الجزء العلوي لجدرانها (2).

يوجد بيت آخر في الناحية الغربية للمدينة وهو معروف بـ"البيت ذي المطامير" (الشكل رقم:47)، تم اكتشافه أثناء عمليات التنقيب التي قام بها الباحث هنري طاري سنة 1881م ثم أعيد الكشف عنه من طرف فان برشم سنة 1952م ويعد هذا البيت من البيوت الواسعة في سدراته، له مخطط مستطيل الشكل غير منتظم الأضلاع، تقدر مقاساته 18م بالجدار الجنوبي و20م بالجدار الشمالي و10م للجدار الشرقي و11م بالنسبة للجدار الشرقي، يتم الدخول إليه عبر باب محوري، فتح في الجدار الشمالي-الشرقي، ويؤدي مباشرة إلى فناء فسيح يبلغ عرضه 5.20م أمّا عمقه فيقدر بحوالي 8.50م (ج)، يحيط بهذا الصحن من الجهتين الشرقية والغربية غرف وأروقة مستطيلة وضيقة، فبالنسبة للغرفة (أ) تبلغ مقاساتها 6.92م و6.80م طولاً وعرضها 2.30م، وتحتوي على عمودين صغيرين لم يبق أثرهما باستثناء التاج الذي كان يعلو أحد أعمدة الإيوان الجنوبي-الغربي، وهو في غاية من الدقة والإتقان، وقد كانت هذه الأعمدة تحمل أقواساً حدوية تقسم القاعة إلى ثلاثة أقسام قاعة وسطى وإيوانين، ترتفع أرضية هذين الأخيرين عن أرضية القاعة الوسطى بدرجة واحدة، كما فتحت بالجدار الغربي وعلى ارتفاع 1.44م عن الأرضية حنيات مضلعة الشكل يبلغ ارتفاعها 0.43م وعرضها 0.51م يعتقد أنها استخدمت

1. ورشة الأبعاد الثلاثة، المرجع السابق، ص:13.

2. نفسه، ص:14.

كخزانات أو كأماكن لوضع وسائل الإنارة، يزين الغرفة في الأعلى شريط زخرفي قوامه أسنان المنشار، تتصل هذه القاعة بالغرفة التي تتقدمها (ب) بواسطة مدخل عرضه 1.19م، وتعد هذه الأخيرة بمثابة سباط حيث تؤدي به جميع الأغراض المتزلية على غرار ما هو معروف بالمناطق الصحراوية، وتبلغ مقاساتها (7.04م x 2.70م)²، وتطل على الصحن ببائكة من ثلاثة عقود حدوية ترتكز على دعائم وأعمدة مدججة تقوم على قاعدة مربعة ارتفاعها 0.45م وعرضها 0.43م وتتكون هذه الغرفة بدورها من إيوانين مرتفعين عن مستوى أرضية الغرفة الوسطى، فالإيوان الشمالي-الغربي يقدر عمقه بحوالي 1.17م أمّا الثاني فيبلغ عمقه 1.80م⁽¹⁾. يوجد في الجهة المقابلة غرفة ماثلة (د) للغرفة (ب) تفتح على الصحن ببائكة ذات ثلاثة أقواس غير أن عملية الحفر بها لم تتواصل لثلاث تنهار جدرانها، وتفضي هذه الغرفة إلى غرفة ثانية مستطيلة الشكل (هـ) وتبلغ مقاساتها حوالي 6.40م طولاً و 2.60م، تحتوي على جرتين يبلغ ارتفاعهما 1.57م بينما يختلفان في العمق والفتحة، ويقدر عمق الجرة الكبيرة 1.70م وقطر فتحتها يتراوح بين 0.77م و 0.88م، أمّا الصغرى فيبلغ عمقها 1.62م وفتحتها ما بين 0.60م و 0.68م، وبأسفل هاتين الجرتين يوجد ثقب يخرج منه عسل التمر⁽²⁾.

2- مسكن قصر ورقلة:

تتلاقح مساكن القصر فيما بينها محيطة بممثلة الجامع، وفي ذلك تأمين لحمايتها والدفاع عنها، ولا نكاد نميز بداية المسكن وأين ينتهي، وقل ما نجد في بعض الأماكن من القصر بين مسكن وآخر خرق فاصل⁽³⁾، والمسكن الورقلي عموماً ذو تخطيط مستطيل وهو أكثر عمقا مقارنة بعرضه⁽⁴⁾، فيما هناك من يحدد معدل مقاسات المسكن في القصر تتراوح (20x15م)⁽⁵⁾، كما أن هناك مساكن غير منتظمة التخطيط وهذا حتى تستغل الأرضية المتاحة، فقد نصادف فجأة زوايا غير متوقعة⁽⁶⁾، وفي أحيان أخرى نجد للمسكن غرفة على السقيفة⁽⁷⁾ أي فوق المسلك نافذاً

1. ورشة الأبعاد الثلاثة، المرجع السابق، ص: 15.

2. نفسه، ص: 15-16.

3. DELHEURE J. ; **Vivre et mourir a Ouargla « Tameddurt t-tmenttant Wargren »**, Etudes ethno-linguistique Maghreb-Sahara, Université de Provence 7, SELAF, Paris, 1988, pp: 25, 89.

4. Chaouche-Bencherif Meriama ; la micro- Urbanisation et ville Oasis; ... Op. Cit. , p : 347.

5. Jean Lethielleux ; Op. Cit. p: 92.

6. Ibid, p: 92.

7. أبي العباس أحمد الفرستائبي، المصدر السابق، ص: 203.

كان أو غير نافذ، ويسمى المسكن التقليدي بـورقلة تَادَارْتْ، كما يعتبر المسكن انعكاسا للقصر أو صورة له فالغرف تحيط بالفناء المركزي (وسط الدار) الذي هو قلب المسكن مثلما تحيط المساكن بساحة السوق قلب ورقلة.

تتألف أغلب هذه المساكن من طابق أول وسطح، وأصغرهما مساحة نتيجة للتقسيم والإرث قد تصل ستة أمتار طولاً وأربعة أمتار عرضاً⁽¹⁾، وما يميز مساكن قصر ورقلة أنها سميكة ومقاومة للحرارة صيفا وللبرودة شتاء ومخففة للصوت والصدمات، ولكن ديلور. *Delheure* يرى أنها ليست كذلك فالبنية لم تتأقلم مع البيئة سواء الشمس أو البرد، ففي الصيف تصبح كقدر فوق الموقد، وفي الشتاء تبرد مثل المياه المتحجرة تحت الظل، ولكن يمكن القول أن هذا المسكن قد ضبط وفق مزاج الورقلي الخاص ومن ثم لستر المرأة⁽²⁾، والملاحظ في المسكن الورقلي أن الحركة تكون أفقية أي في الطابق الأرضي ثم في الطابق الأول والسطح، وحركة عمودية عن طريق السلالم التي تسمح بالانتقال من طابق لآخر، كما أن المجالات التي لها علاقة مع الخارج تكون مجمعة في الجهة التي لها علاقة مع الخارج كالرحى، ومربط الدابة، أما المجالات التي لها حرمة فهي بعيدة عن المجالات الخارجية كغرف النوم⁽³⁾ وغيرها من الفضاءات الخاصة (الشكل رقم:49)، ويحدث أن نجد المساكن المتجاورة للأقارب تتصل فيما بينها من خلال باب غير مرئي داخل المسكن أو في السطح حيث تنتقل من مسكن إلى آخر⁽⁴⁾، كما أن الضيوف من النساء والرجال قد خصوا بغرف للاستقبال مفصولة عن بعضها البعض، فغرفة استقبال الرجال تتقدم عادة السقيفة مباشرة أو فوق الزقاق وحينها تسمى "العَلِي" لها مدخل مباشر على الدرج⁽⁵⁾ الذي يتم الصعود إليها من خلاله.

1. عبد الرحمن حاجي، المرجع السابق، ج 2، ص:245.

2. DELHEURE J. ; Op. Cit. p: 41.

3. عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص:115.

4. DELHEURE J. ; Op. Cit. pp: 39-41.

5. صالح يوسف بن قربة، مظاهر العمران الإسلامي من خلال كتاب القسمة وأصول الأرضين لأبي العباس أحمد بن محمد الفرستائي "عمران قصور وادي ريغ وميزاب نموذجاً"، أبحاث ودراسات في تاريخ وآثار المغرب الإسلامي وحضارته، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011، ص:475.

2-1. الواجهة:

اتسمت مساكن القصر بارتفاع جدار واجهتها⁽¹⁾ لأنها في الغالب تتألف من طابق أول وسطح، وتلبس أسطح جدران الواجهة بطبقة من الجبس المحلي وفي بعض الأحيان تنتفخ أجزاء من هذا التلبس وتسقط، حيث نلاحظ كتل الحجارة واللبن التراي المجفف، كما أن هناك عدد قليل من هذه المساكن تطلّى واجهته بالجير، حيث تطلّى به أطر الأبواب فقط، وباستثناء الباب الرئيسي لا توجد فتحات على الواجهة باستثناء بعض النوافذ الصغيرة جدا على مستوى الطوابق⁽²⁾، فهي ذات واجهة صماء من جهة الشارع فيما عدا المدخل⁽³⁾ الرئيسي وهي في ذلك التزمت بالتقليد الذي ميز المساكن في العالم الإسلامي، حيث انصرف التركيز على الداخل وترك المسكن بسيطا من الخارج (الصورة رقم:74).

2-1-أ. المدخل:

يسمى باللهجة المحلية **أَتَافُ تُتْدَارْتُ** (الصورة رقم: 75)، للمسكن التقليدي بالمنطقة مدخل رئيسي واحد كما هو الحال في المسكن عبر العالم الإسلامي، وبدل أن يكون في على محور المسكن نجده يتخذ موقعه في الركن⁽⁴⁾، إلا أن ذلك لا يعني غياب مداخل ثانوية قد تصل إلى ثلاثة مداخل، حيث يمكن أن نجد اثنين منها تطل على الشارع الرئيسي وهما خاصان بالضيوف، فيما الثالث خاص بدخول الحيوانات.

عند تدقيق الملاحظة في إطار المدخل نميز وجود أنواعا عديدة للمداخل، فهناك أبواب معقودة وأخرى غير معقودة، ويعلو هذه المداخل رموز حامية. *Prophylactique*، ومن بين هذه الرموز نجد اليد المطبوعة في الجبس، أو الرمز المركب من النجمة والهلل، أو خاتم سليمان، أو حتى بعض الرموز التي لا نجدها سوى في ورقلة⁽⁵⁾، وفي أحيان أخرى يعلو المدخل صفيحة حديدية على شكل حدوة فرس، ولهذه الظاهرة في المجتمع الجزائري مدلولاً شعبياً وهو إبعاد العين، وهذا بالإضافة إلى وجود بعض الأشكال الأخرى وضعت على المداخل كالمثلث والكؤوس

1. عمر لقمان بن حمو سليمان بوعصبانة، المرجع السابق، ص:75.

2. DELHEURE J. ; Op. Cit. p: 25

3. Chaouche-Bencherif Meriama ; **la micro- Urbanisation et ville Oasis...**, Op. Cit. p: 347.

4. C. Trumelet ; Op. Cit. p: 258.

5. DELHEURE J. ; Op. Cit. p: 25

والصحون، ولها أيضا مدلولها في المجتمع الجزائري، وهناك بعض المداخل التي يعلوها قرنان لثور أو غزال وهذا بدافع إبعاد العين والحسد⁽¹⁾.

سجل أندري فيلار. *André Vellar* في تقرير له عن زيارته لورقلة في جوان 1900م في وصفه لزخارف الأبواب والمساكل ما نصه "وسط الدائرة منقوش طبق أو صحن، هذه الأدوات توضح وجود نوع جديد من الحياة المتزلية داخل البيت"، لكن بالنسبة لأهالي القصر فإنهم لا يعرفون معناها على وجه التدقيق، ويرون أنها ربما تمثل حرف لام ألف، كما توجد أيضا كتابات عربية كآيات قرآنية، اسم صاحب البيت، تاريخ البناء أو الترميم، وهذه الرموز منجزة بالجبس وبدل نقشها فإنها بارزة⁽²⁾.

تكميلا لهذه الملاحظات سجل أنطوان جياكوبيتي. *Antoine Giacobetti* في نص مخطوط غير منشور، يوم 02 أكتوبر 1900 ما يأتي: "خصوصية المنازل الوارجلانية تتمثل في الواجهة الرئيسية التي تزينها رسومات بارزة فوق الأبواب إلى جانب كتابات عربية وتاريخ البناء، وتتضمن الرسومات أشكالاً من الخطوط المتداخلة وشكلاً آخر قائم ومنحني مكون من زاوية تعلوها دائرة، ووسط هذه الدائرة قام السكان بإضافة طبق صغير أو كأس أو صحن أو غيرها، وفي بعض الأحيان نجد العديد منها فوق نفس الباب"⁽³⁾، ومن بين العبارات التي كتبت لدينا "لا إله إلا الله"، "نصر من الله"، كما يمكن أن تزين برسوم مزينة ببيض النعام⁽⁴⁾.

2-1-ب. الباب:

يسمى محليا قَاوَرْتُ أي الباب الرئيسي يفتح على مصراع واحد، وهو من الخشب⁽⁵⁾ (الصورة رقم: 76)، حيث يكون عريض مقارنة بغيره من الأبواب، وقد يسمى محليا أيضا "إمبي نَحْطُوبَات" بعرض يصل 1م إلى 2م يسمح بمرور بغل⁽⁶⁾، وقد كان يصنع من خشب النخلة المثبت بمسامير من الرمان أو الورد أو التوت أو المسامير الثلاثية الشكل والمصنوع محليا بحيث يسهل فتح الباب من الخارج ومن الداخل أيضا، ولا تغلق أبواب المنازل الكبيرة للسماح لذوي

1. عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص: 114.

2. جمعية القصر للثقافة والإصلاح وآخرون، ورقلة واحة عبر التاريخ، 200 صورة من المحفوظات، ورقلة، ص: 18.

3. نفسه، ص: 19.

4. عمر لقمان بن حمو سليمان بوعصبانة، المرجع السابق، ص: 75.

5. عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص: 114.

6. Chaouche-Bencherif Meriama; *la micro- Urbanisation et ville Oasis...*, Op. Cit. p: 347.

الحاجة من رحي ما يستحقونه ليلا ونهارا⁽¹⁾، أما طريقة الإغلاق فقد شاع في المنطقة كما هو الحال في باقي القصور الصحراوية أنواع وطرق تقليدية شائعة، كما أن الباب يزود ببعض الملحقات هي:

القفل: نظام غلق الأبواب يعتمد على سداة خشبية والمعروفة بـ "أفكير" وهو نظام شائع في القصور⁽²⁾، (الشكل رقم: 41) حيث حفرت في منتصف ارتفاع المدخل الرئيسي للمسكن فتحة في الجدار، يتم من خلالها فتح الباب أو غلقه من الخارج بحيث يُدخل فيها الذراع بسهولة وهي تقنية منتشرة في كامل الصحراء⁽³⁾، أما بالنسبة لقصر ورقلة يسمى هذا النوع من الأقفال باللهجة المحلية "أناس"، وهذا النوع من الأقفال يضم ثلاثة أجزاء هامة، حيث هناك المفتاح وهو من الخشب الصلب (مثل خشب الأرز)، سطحاه السفلي والعلوي مسويين، وقد ثبت على أحد هذين السطحين ألسنة أو مسامير أ ب ج مصنوعة من الحديد أو الخشب الصلب، ولها ارتفاع يعادل سمك قدم المزلاج، بحيث تدخل فيه دون أن تتجاوزها، فوضعية هذه المسامير وعددها ما يشكل لغز هذا القفل.

المزلاج عبارة عن عمود هو الآخر مصنوع من الخشب الصلب، ويتزلق أفقيا إذ حفرت به ثقب تستقر بها مسامير متحركة، مثبتة داخل غرف صغيرة مطابقة لحجم هذه المسامير في الجزء العلوي الثابت.

الجزء الثابت هو القفل وهي مشكلة من علبة محفورة في الخشب الأبيض، فتحت جانبا ولكي يعمل يكون في نهايتها بروز يوقف انزلاق المزلاج، بحيث كما ذكرنا في الأعلى حفرت فجوات 1، 2، 3، أين تتحرك داخلها المسامير الخشبية عموديا صعودا ونزولا، داخل هذه الفجوات بحيث تدخل في الفتحات المحدثة بالمزلاج بكل سهولة.

فبمجرد أن يدخل المفتاح في العلبة تدخل المسامير المثبتة عليه في الفتحات الموجودة على المزلاج ومن هنا يمكن تحريك المزلاج من اليمين إلى اليسار والعكس، بحيث عند دفع المزلاج نحو اليسار وبمجرد توقفه في الموضع المخصص له نسحب المفتاح نحو الأسفل أين تعوضه المسامير المتحركة ونخرج المفتاح وهنا يكون القفل في حالة إغلاق، وعندما نريد الفتح ندخل المفتاح في

1. عبد الرحمن حاجي، المرجع السابق، ج. 2، ص: 242.

2. L. Voinot ; Op. Cit. p: 446.

3. J. C. Echallier ; **Villages désertés et structure agraires anciennes, le cas du Gourara et du Touat**, Arts et Métiers Graphiques, Paris, 1972, p: 37.

العلبة وندخل بعدها المسامير في الفتحات المخصصة لها بحركة عمودية نحو الأعلى لكي ندخل المسامير المتحركة في القفل في فتحاتها ونسحب نحو اليمين إلى أن يتوقف المزلاج⁽¹⁾، حيث يخرج الجزء التابع للمزلاج والذي يعمل على تثبيت الباب بدخوله في فتحة محفورة في المدخل. ويحكم غلقه عند الضرورة بالخشبة أو عمود من خشب الرمان أو قضبان حديدي يطلق عليه اسم "غانجُو"⁽²⁾ (الصورة رقم: 83)، فيما أصبح فيما بعد -أي الفترات المتأخرة- يستخدم نوع من الأقفال المعدنية لها مفاتيح تتميز بالكبر حيث يصل طولها في الغالب 30 سم وتزن عدة كيلوغرامات، لدرجة أنها تعد سلاح أما الأقفال الخشبية فتصنع محليا في القصور⁽³⁾.

الحلقات والمطارق: لم تشر بعض المراجع إلى أنواع معينة من المطارق والحلقات بالأبواب التقليدية، وحتى تلك الصور التي تعود للفترة الاستعمارية (الصور رقم: 10، 11، 12، 13، 21، 22، 23)⁽⁴⁾ والرسوم التي خلفها الرحالة الذين زاروا القصر مثل أندري فيلاري، وأنطوان جياكوبيتي لم تتحدث عن وجود هذا النوع من الملحقات الخاصة بالأبواب التقليدية، ولكن عندما نقرأ عن وجود حرفيين وصناع بالقصر كما يذكره مرمول كرنخال في حديثه عن القصر فيقول: "... كما يسكنها عدد من الصناع.." ⁽⁵⁾، وربما قد صنع هؤلاء حلقات من المعادن لأبواب المساكن، أو ربما جلبت من تونس أو قسنطينة أو غيرها. يدعم الفرضية الأخيرة تلك الإحالة التي يذكر فيها ليشيو *Lethielleux* أن بواب المدخل توجد حلقة حديدية ضخمة مزينة للطرق⁽⁶⁾، دون أن يفصل الحديث عن موضوع الزخرفة ولا أنواع هذه الحلقات.

2-1-ت. العتبة:

تسمى *توشونت* - *تيشنت*، حيث تبني بكتلة من الحجر تثبت باستعمال التمشنت⁽⁷⁾ وهي الحد الفاصل بين العالم العمومي الذكوري والحياة المحمية للإناث، وتعتبر حاجز في طريق

1. P. Masson ; **Serrure Mozabite**, La Nature, Imprimerie LARCHE, Paris, p: 288.

2. عبد الرحمن حاجي، المرجع السابق، ج. 2، ص: 242.

3. A. De C. Motylinski ; **Guerara depuis sa fondation**, Notes historiques sur le Mzab, Revue Africaine, Vol. 28, A. Jourdan, libraire-éditeur, Alger, 1884, p:438.

4. جمعية القصر للثقافة والإصلاح وآخرون، المرجع السابق، ص: 23، 19.

5. مرمول كرنخال، المرجع السابق، ص: 166.

6. Jean Lethielleux ; Op. Cit. p: 91.

7. Ibid. pp: 90, 91.

الرمال والحشرات السامة والرياح الباردة في الشتاء وربما لها معنى رمزي حسب رافيرو *Ravereau*⁽¹⁾، ومن بين العادات التي ترتبط بالعتبة نذكر على سبيل الذكر لا الحصر تلك الوليمة التي تتبع الانتهاء من بناء المسكن وتوزيعها على عتبة المسكن وتسمى في ورقلة "أمركيدو"، وربما من الأمور التي يجهلها الكثير أن العتبة في المسكن خاصة بالنسبة لهذه المنطقة تمثل أهمية قصوى خاصة بعد انهيار المبنى وإعادة بناؤه حيث تناول أبو العباس هذه القضية بالتفصيل، حين اعتبر في هذه الحالة خاصة بالنسبة لفتح مدخل المسكن أن العتبة مرجعا أساسيا يجب الاعتماد عليه، وعند المرور بأزقة القصر نلاحظ أن أغلب المساكن قد ارتفع مستوى شوارعها عن هذه العتبات مما جعل الكثير منها غير بارزة (الصورة رقم:77).

2-1-ث. الفتحات:

لا وجود للفتحات بخارج المسكن باستثناء فتحة المدخل، وفي بعض الأحيان فتحة الغرفة المخصصة للضيوف من الرجال -أي العلي- تطل على الشارع مباشرة⁽²⁾ (الصورة رقم:78) لغرض التهوية والإضاءة، إلى جانب بعض الفتحات الصغيرة في أعلى الطوابق⁽³⁾، الغرض منها مراقبة من في الخارج دون أن يلاحظ ذلك من الخارج، وهي ذات أشكال متنوعة منها المستطيلة بشكل عمودي والمربعة وغير المنتظمة وفي بعض الأحيان مثلثة.

2-1-ج. الميزاب:

يصنع من الفخار أو الخشب أو يبنى، وقد زودت أغلب مساكن قصر ورقلة بالميازيب (الصورة رقم:78)، وهناك من البيوت من لها ميزاب واحد⁽⁴⁾، وهذا بالنظر لأهميتها فهي وسيلة أثبتت نجاعتها في صرف مياه الأمطار من على سطوح المساكن وتوجيهها بشكل لا يضر بأي أحد سواء كان من المارة أو الجيران، وحتى أن كتب الفقه الإباضية تفصل في موضوع الميازيب بشكل دقيق، وهنا لنا في كتاب الشيخ أحمد الفرستائي عدة صور لهذا العنصر، ولدرجة أهميته يشترط الشيخ رد الميازيب⁽⁵⁾ للدور التي أهدمت وأعيد بناؤها ولكن بشروط.

1. Chaouche-Bencherif Meriama ; *la micro- Urbanisation et ville Oasis...*, Op. Cit. p: 349.
2. عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص:115.
3. DELHEURE J. ; Op. Cit. p: 36.
4. أبي العباس أحمد الفرستائي، المصدر السابق، ص:187.
5. نفسه، ص:188.

2-1-ح. الارتفاع:

يرتفع المسكن النموذجي في القصر إلى حدود 4 أمتار بشكل يمنع التسلق أو حتى امتداد النظر إلى داخله ⁽¹⁾، فأغلب البيوت لا طوابق لها ⁽²⁾، إلا أن جدار الواجهة يتجاوز جدران واجهات المساكن الأخرى المجاورة له عندما يكون هناك طابق، لقد كان المسكن مؤلفاً من طابق أرضي فقط ولكن فيما بعد وخلال القرن 15م بدأت المساكن تعرف وجود طابق أول ومزودة بسطح، وفي القرن 17م ظهر الطابق الثاني والثالث، واستمر هذا النمط إلى دخول المستعمر الفرنسي حيث أشارت الأنسة مارغريت فان برشم سنة 1950-1952م أن علو جدرانها يصل حدود 15م ⁽³⁾.

لقد أدار السكان ظهور كل دورهم لمصدر الرياح الباردة الشتوية والرياح الرملية الربيعية، وفتحوها للشمس من الشروق إلى الغروب، وهنا تصطدم المصالح في التعالي أو حرمان الجار من الشمس، فيذكر المحمّد بن يوسف اطفيش ما نصه: "لا يجعل الظلّ على جاره ظلّ الشرق والغرب في غير الأجنة" ⁽⁴⁾، فكان على الجيران أن يؤخّروا جدرانهم المطلّة على الطابق الأول مقدار ارتفاعها حتى يسقط ظلها على سقوف بيوتهم ⁽⁵⁾، ولعل هذا التوجيه الفقهي وغيره على لسان الشيخ أبي العباس الفرسطائي هو من تحكم في وضبط ارتفاع المساكن في القصور بهذه المنطقة تحقيقاً لدفع المضرة وجلب المنفعة.

2-2. الطابق الأرضي:

يسمى أدايً ويألف من مخزن المؤن والمطبخ وبيت الحطب وغرفة العبد والكنيف ومربط الدابة وغرفة أو غرفتين ومساحة للتجمع عند مدخل المسكن مخصصة للنساء والثانية وسط الدار ⁽⁶⁾، ولهذا الأخير فتحة مركزية للإضاءة والتهوية مزودة في بعض الأحيان بشباك معدني

1. Chaouche-Bencherif Meriama ; **la micro- Urbanisation et ville Oasis**; ...Op. Cit. , p: 92
2. مولاي بلحميسي، ورقلة من خلال النصوص الأجنبية، مجلة الأصالة، ع. 41، الجزائر، 1971، ص:208.

للمزيد ينظر:

T. Lewicki ; **L'Etat nord-africain de Tahert et ses relations avec le Soudan occidental à la fin du VIII^e et au IX^e siècles** – Cahiers d'Etudes Africaines, N° 8, 1962.

3. عبد الرحمن حاجي، المرجع السابق، ج. 2، ص:239.

4. المحمّد بن يوسف اطفيش، مختصر العمارة، مخ.، ص:14.

5. عمر لقمان بن همو سليمان بوعصبانة، المرجع السابق، ص:89.

6. عبد الرحمن حاجي، المرجع السابق، ج. 2، ص:246.

ليسهل تغطيتها في أيام الشتاء، وكذلك خلال هبوب الزوابع الرملية، ويعتبر معدل حرارة المسكن ومصرف لبخار المطبخ في ظل غياب مدخنة مخصصة لهذا الغرض.

2-2-1. السقيفة:

يطلق عليها باللهجة المحلية **تَاسْكِيفَتْ** أو **تَاسْكِيفَتْ** وهي عبارة عن رواق يمتد بالموازاة مع الطريق إلى غاية الفناء المركزي⁽¹⁾، وهو على نمط المدخل المنكسر حيث لا نجد دارا يفتح بابها على بهو أو غرفة، وفي ذلك غاية دينية وأخرى دفاعية⁽²⁾، فالسقيفة تعد المجال الفاصل بين الداخل والخارج، فموقعها بزواوية المسكن سمح لها أن تحجب رؤية ما في داخله عن أعين المارة، كما توفر مكانا للانتظار لمن يطلب الإذن بالدخول، حتى يستعد من الداخل من النساء المحارم، بالإضافة لما تلعبه من دور في التهوية العامة للدار طوال اليوم⁽³⁾.

دائما ما نجد أمام المدخل مباشرة جدارا حتى يمنع المدخل المنكسر عيون المتطفلين من رؤية من بداخل المسكن⁽⁴⁾، حيث يكون الباب المفتوح في العادة جدار يدعّمه من الخلف ووسط ووسط الجدار كوة قدر ما يصلح لإدخال اليد من خلفه لدفعه قبل غلقه مراعاة للستر⁽⁵⁾، ويسمى هذا الجدار باللهجة المحلية **عَمُودْ**، وهو حائط غير متكامل قصد التهوية والستر معا، يفصل بين المدخل ومكان تجمع النساء⁽⁶⁾، ويطلق عليها أيضا اسم **أمواد** وعادة ما كان يحتوي على فتحة حتى تتمكن المرأة من معرفة الشخص الداخل ومراقبة الأولاد، ومنه أيضا يدخل الهواء والضوء للسقيفة⁽⁷⁾، ويؤدي هذا الفضاء دورا هاما في الحياة اليومية للمسكن وهو مزود بدكة مبنية بالحجارة أو ركن خاص برحى الحبوب تسمى **تاسيرت** وكذا المنسج، ويزود الرواق في آخره بخلوة تسمى "وضاية تتسقيفت"، أو رواق خلفي معزول في بعض الأحيان يفصل باستعمال حائط تستغل في إخفاء الأدوات المتزلية وكذا الفلاحة، وفي أحيان أخرى كإسطبل في حال عدم وجود فضاء مخصص لهذا الغرض⁽⁸⁾، كما يمكن أن نجد في هذا المستوى غرفة الحطب والتي تكون

1. Chaouche-Bencherif Meriama ; **la micro- Urbanisation et ville Oasis...**; Op. Cit. p: 347.

2. عمر لقمان بن همو سليمان بوعصبانة، المرجع السابق، ص: 87.

3. صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص: 474.

4. Jean Lethielleux ; Op. Cit. p: 92.

5. عمر لقمان بن همو سليمان بوعصبانة، المرجع السابق، ص: 87.

6. عبد الرحمن حاجي، المرجع السابق، ج. 2، ص: 246.

7. عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص: 114.

8. Chaouche-Bencherif Meriama ; **la micro- Urbanisation et ville Oasis...**, Op. Cit. p: 347.

تكون عند مدخل المسكن أسفل درج الطابق الأول⁽¹⁾، وعادة ما كان للمسكن في قصر ورقلة سقيفتين⁽²⁾.

2-2-2. وسط الدار:

يسمى باللهجة المحلية **أَمْسِنْدَارْ - أَمْسِنْتَدَارْ - أَمَاسْ نَتَدَارْتْ** (الصورة رقم: 79)، ندخل من السقيفة إلى الصحن الذي هو عبارة عن فضاء مركزي محاط بأروقة، حيث يعتبر قلب المسكن، وفي ما مضى كانت أرضية الصحن تغطي بالرمل، والآن تغطي بالتراب المرصوص، وفي الغالب نجد شجرة تين أو نخلة تعلو السطح، وفي بعض الأحيان نافورة⁽³⁾، وهذا الفضاء شبه مغطى مخصص لجلوس الرجال أو النساء، وبهذا النمط استفاد السكان من تهوية الشارع ووسط الدار صيفا ومن حرارة المطبخ شتاء⁽⁴⁾.

كما أن فتحة السطح لا تشغل دوما المركز، خاصة في حال عدم انتظام مخطط المسكن⁽⁵⁾، وإذا كان المسكن مؤلف من طابق تكون فتحة الفناء منقوصة، حيث تكون واسعة في المساكن القديمة (6-7م²)، وفي الأحياء ذات الكثافة السكانية لا تتجاوز 1م² مما يسمح بتغطيتها بخصير من القصب (الصورة رقم: 81)، وتحتل الأروقة جناحين إلى أربعة أجنحة في الفناء ولكن ليست لها نفس الوظيفة، فالقسم المغطى من حيث ندخل عبر السقيفة تاهزة لها وظيفة خاصة فهي مكان العمل الرئيسي للنساء أما الرواق المقابل لمدخل السقيفة يسمى **سَلَامٌ**⁽⁶⁾، ويوجد بوسط الدار بئران، واحدة لصرف المياه المستعملة، أما الثانية فيه للإمداد بالمياه الصالحة للشرب، ولكن هذه الأخيرة اندثرت⁽⁷⁾، ولعل ما ساعد في اندثار هذه الآبار مشكلة صعود المياه وهشاشة البنية الأرضية بالمنطقة.

توجد بالمتزل في هذا المستوى من الفضاء دعامات أساسية في وسطه قد تصل إلى أربعة دعامات، وعليها يرتكز أغلب السقوف، وما وجدوها على هذا النحو إلاّ ليمكن خشب النخل

1. عبد الرحمن حاجي، المرجع السابق، ج. 2، ص: 248.

2. عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص: 114.

3. Chaouche-Bencherif Meriama ; **la micro- Urbanisation et ville Oasis...**, Op. Cit. p: 348.

4. عبد الرحمن حاجي، المرجع السابق، ج 2، ص: 247.

5. Jean Lethielleux ; Op. Cit. p: 92.

6. Chaouche-Bencherif Meriama ; **la micro- Urbanisation et ville Oasis...**, Op. Cit. p: 348.

7. عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص: 115.

الذي يسقف به مقاومة الأثقال فوقه ⁽¹⁾، كما أن فتحة سقف وسط الدار تغطي بالجريد أو القصب أو حصير مصنوع من الحلفاء أو قش الجريد منعاً لشمس الصيف وريح الشتاء ⁽²⁾.

2-2-3. الغرف:

يطلق عليها باللهجة المحلية تَرْقَة وجمعها تَرْقَوِينُ والغرفة المخصصة لنوم الزوجين تسمى أُكُومَارْ، ويظل التموضع العام للغرف قل أو زاد عددها دوماً محيطاً من الجوانب بالصحن أي وسط الدار ⁽³⁾، وهي تتسم بمخططها الطولي بالنظر لما فرضته العوارض الخشبية ذات المقاومة والمقاس المحدود.

2-2-3-أ. غرفة استقبال الرجال:

تتخذ بعض الأسر غرفاً لاستقبال الضيوف من الرجال في الطابق الأرضي مباشرة عند المدخل وفي هذه الحالة تسمى باللهجة المحلية حُجْرَة، وتكون بعيدة عن الوسط المخصص لأهل الدار، ويمكن اعتبارها مسكن منعزل من البناية ككل ⁽⁴⁾، وهناك بعض المساكن تتخذ غرفاً للضيافة لاستقبال الضيوف من الرجال بالطابق الأول كما سنرى.

2-2-3-ب. غرفة استقبال النساء:

عموماً للمسكن في الطابق الأرضي مجلسان، الأول خلف الباب مباشرة يستعمل لمغزل النسيج، واستقبال الداخلات من الشارع من طرف صاحبة البيت دون التوغل إلى الداخل إلا عند الضرورة، أما المجلس الثاني فهو سلام ⁽⁵⁾ وسنأتي للحديث عنه فيما بعد، ويعتبر هذا المجلس أي "ناهزة" قسم مغطى من حيث ندخل عبر السقيفة، فهو فضاء خاص للعمل الرئيسي للنساء، كما أنه فراغ مغطى عادة بالأقواس، نصل من خلاله إلى سلام ⁽⁶⁾، أما بالنسبة لأرضيته فهي أقل ارتفاعاً من سلام وعلى نفس المستوى مع الصحن ⁽⁷⁾.

1. عمر لقمان بن حمو سليمان بوعصبانة، المرجع السابق، ص: 87.

2. DELHEURE J. ; Op. Cit. p: 37.

3. Jean Lethielleux ; Op. Cit. p: 92.

4. DELHEURE J. ; Op. Cit. p: 37.

5. عمر لقمان بن حمو سليمان بوعصبانة، المرجع السابق، ص: 89.

6. عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص: 114-115.

7. DELHEURE J. ; Op. Cit. p: 35.

2-2-3-ت. الغرف:

تسمى الغرف باللهجة المحلية **تَزْقَوِينْ** ونذكر منها غرفة النوم وهي المقابلة لوسط الدار وشكلها مستطيل، بإها من مادة الخشب وهي عبارة مصراع واحد (الصورة رقم: 80)، وتحتوي الغرفة على كوة نصف دائرية الشكل مسقفة بقبة واحدة نصف برميلية، وهذه الغرفة مخصصة لرب البيت، وهي موجودة على يسار الداخل لسلام⁽¹⁾، وتوجد داخلها غرفة صغيرة على يمين المدخل، ويتم الدخول إليها عبر مدخل معقود بعقد نصف دائري متجاوز، وتخصص لتخزين الأشياء الثمينة للمسكن، وتكون هذه الغرفة مخصصة لكبير أهل المسكن في فصل الشتاء، أما في أيام الحر فينام خارج هذه الغرفة.

تقع غرفة نوم الأطفال بمحاذاة غرفة نوم صاحب البيت، وهي على شكل الحرف اللاتيني L، وتكون مسقفة بقبة، أما القسم الذي يليه فبأقبية نصف برميلية⁽²⁾، ولكن ما لاحظناه غياب التغطية بالقباب في المساكن التقليدية، وبالتالي فهو أمر نادر الحدوث.

2-2-3-ث. سلام (السياط)

يسمى الرواق الواقع في الجهة المقابلة لمدخل السقيفة -والذي يسميه البعض سباطاً وفي مناطق أخرى من الصحراء- باللهجة المحلية **سلام**، حيث يرتفع عن مستوى أرضية وسط الدار بمقدار درجة، وهو فضاء مخصص لوظائف أكثر نبلا ويضم في الغالب الغرف والمخزن، ويفرش السلام بزربية حيث تستقبل الضيفات⁽³⁾، فهو فراغ عائلي مغطى بسقف مؤلف من جذوع النخيل التي تترك فيما بينها أقبية نصف برميلية وينفتح على وسط الدار ببائكة، وبه كوة نافذة في الجهة الشرقية مخصصة للإضاءة⁽⁴⁾، يستخدم هذا الفضاء لجلسات الشاي وفي أيام الأعراس يعتبر

1. DELHEURE J. ; Op. Cit. p: 35.

2. عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص: 115.

* **السياط**: سقيفة بين حائطين تحتها ممر نافذ، وقد تنوعت تعريفات فقهاء المذاهب السنية له، وحسب المذهب المالكي: "هو سقف بين حائطين متقابلين بينهما سكة بالنسبة لمن له الجانبان المتقابلان الأيمن والأيسر من دارين، وقد يكون له جانب واحد، ويستعير من جاره الجانب الآخر ليبنى عليه، وقد يكون السباط مستندا على الحائطين، وقد يكون مستندا على أعمدة تكون بنصف كل حائط" ابن الرامي "الإعلان بأحكام البنين".

3. Chaouche-Bencherif Meriama ; **la micro- Urbanisation et ville Oasis...**, Op. Cit. p: 348.

4. عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص: 115.

مكان وقوف العريس⁽¹⁾، وهو نقطة وصل بين السقيفة ووسط الدّار ومكان يأتي من حيث الأهمية بعد سلام مباشرة بالنظر للمهام المنوطة به والتي سبق الإشارة إليها.

2-2-3-ج. المطبخ:

يطلق عليه باللهجة المحلية إناين نجد في الجهة المقابلة للعمود الأول عمود ثان يفصل بين المطبخ وبقية الفضاءات وفيه فتحة للمخاطبة، بحيث أن هذا المطبخ يقع في طرف شبه غرفة مقسمة إلى ثلاث مساحات، حيث الطرف الأول منها عرضه 1.2م للباب، أما الطرف الثاني لتجمع النساء والخدمات قهوة، أما الطرف الأخير فللمطبخ كما سبق وذكرنا⁽²⁾، وهو فضاء مقدس وهو على درجة كبيرة من البساطة بحيث يفصل عن الفضاءات السابقة بواسطة حائط صغير بارتفاع 1.50م، وهذا المطبخ ما هو إلا فتحة وثلاث حجارة توضع عليها القدر، وإذا ما هبت الريح قليلا فإن دخان المطبخ الذي ليس له مدخنة لا يمكنه الصعود عبر فتحة السطح بل يفرض عليه الخروج عبر مدخل المسكن⁽³⁾.

2-2-3-ح. الكنيف (المرحاض):

للمسكن مرحاضان أو ثلاثة، وكلها متصلة بالسفلي الرئيسي الذي يصل عرضه إلى 1.5م أما الطول فيصل حدود 3م، فلا وجود لمسكن بمرحاض واحد، ويتكون المرحاض من حوضين أحدهما صغير والآخر كبير (الصورة رقم: 82)، ويجلب إليه الرمل أسبوعيا لامتناس الرطوبة والروائح، وفي بعض الأحيان نجد فتحة نجدة مموهة في الحوض الثاني متصلا مع كنيف الجار المجاور من الخلف قصد الفرار عند الشعور بالخطر⁽⁴⁾، وهو يلي قهوة ويسمى باللهجة المحلية قومة، وهو مؤلف من جذعي نخيل فوق حفرة أكازرو والذي يفرغ دوريا، حيث الفضلات تستعمل كسماد فلاحى، وهناك حائط يفصل هذه الحفرة عن الإسطل⁽⁵⁾.

1. DELHEURE J. ; Op. Cit. p: 35.

2. عبد الرحمن حاجي، المرجع السابق، ج. 2، ص: 246.

3. Jean Lethielleux ; Op. Cit. p: 93.

4. عبد الرحمن حاجي، المرجع السابق، ج. 2، ص: 247-248.

5. Chaouche-Bencherif Meriama ; la micro- Urbanisation et ville Oasis..., Op. Cit. p: 348.

2-2-3-خ. مربط الدابة:

أمداوتٌ وهو الإسطبل وكما قلنا يلي الكنيف حيث يمكن أن يربط فيه الحصان ولكن قلّ ما نجد هذا العنصر في بيوت القصر في وقتنا الحالي وهذا في ظل الاستغناء عن الحيوانات واستبدالها بوسائل متطورة كالسيارة والدراجة.

2-3. الطابق الأول:

يسمى أنجٌ وله مدخل خاص، وهو مدخل الضيف الذي يطل على الشارع الرئيسي أو يتصل مباشرة بالمدخل الرئيسي من خلال درج صاعد إلى لعلّي في حال وجوده بهذا الطابق، وإذا كان المسكن ليس له لعلّي نجد درج مخصص لهذا الغرض في إحدى زوايا وسط الدار، وفي بعض الأحيان نجد درجان واحدا عند المدخل والآخر في وسط الدار.

2-3-1. الغرف:

نجد بالطابق الأول غرفتان ، الأولى مستطيلة الشكل بإمّا جاء مقابلا للسلم، إذ يبلغ عرضه 1.10م وارتفاعه 2م وهو من الخشب، وتوجد بالغرفة نافذة تطل على الشارع، وقد تخصص هذه الغرفة لنوم الزوجين وحينها تسمى أكوّمار، أمّا الغرفة الثانية فهي مخصصة لاستقبال الضيف وتحاذيها غرفة أقل مساحة منها تحتوي على نافذة على يسار المدخل، وهذه الغرفة مخصصة لنوم الضيوف⁽¹⁾ من الرجال، وهي التي تسمى لعلّي الذي ستأتي الإشارة إليه.

2-3-2. غرفة استقبال الرجال:

لعلّي عندما يكون أهل المسكن أكثر غنى تخصص غرف عديدة للاستقبال في السطح، حيث يصعد إليها من خلال سلاّم خارجية تؤدي مباشرة إلى الطريق، أو بواسطة درج داخلي يكون في إحدى زوايا وسط الدار⁽²⁾، ولكن في هذه الحالة يكون الدرج لصاحب المسكن على وجه الخصوص.

1. عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص: 115.

2. Chaouche-Bencherif Meriama ; la micro- Urbanisation et ville Oasis...; Op. Cit. p: 348.

2-3-3. الشبّاك:

يطلق عليها اسم إِمْرَاقْنُ أو تسمى أيضا تِيرْدَوِينُ حيث يفتح بمركز سقف الصحن فتحة مربعة، وتكون مقاساتها في العادة 3م وهذا بسب طول العوارض الخشبية المصنوعة من جذع النخيل الذي لا يزيد عن 3.5م وهذا لتجنب انحنائها، كما أن هذا الشبّاك لا يشغل بالضرورة دوما المركز⁽¹⁾، ومرد ذلك إلى كون شكل مخطط المسكن غير منتظم، ولتفادي سقوط الأطفال من هذه الفتحة يبني ما يشبه الحاجز أو يبني جدار تحويط صغير⁽²⁾ لمنع حدوث ذلك (الصورة رقم:81).

2-3-4. الفضاء المكشوف:

يسمى محليا تِيغْرَغْرَتْ وهو القسم المكشوف من الطابق الأول وهو بسيط لا يوجد به أي مرافق باستثناء فتحة وسط الدّار التي يمكن أن تحاط بصف من اللبن أو جدار مرتفع قليلا لتفادي سقوط الأطفال أو دخول المياه في حال هطول الأمطار من خلاله إلى وسط الدّار، وفي فصل الصيف يخصص للسمر والنوم.

أخذ السقف أهمية كبيرة كونه المستقبل للريح وضوء الشمس، لذا نجد أن الجيران يتوجب عليهم تأخير جدرانهم المطلّة على الطابق الأوّل -خاصة الفناء- مقدار ارتفاعها حتى يسقط ظلّها على سقوف بيوتهم⁽³⁾.

ونشير هنا إلى غياب المساحة الانتقالية بين الغرف والفضاء المكشوف الموجودة بمساكن وادي مزاب والمسمّاة إيكومار أي الرواق المحمول على صف الأعمدة والدعامات، وبالتالي فالغرف مفتوحة مباشرة على الفضاء المكشوف، ورغم ذلك فهذه التسمية موجودة ولكن يقصد بها غرفة نوم الوالدين.

2-3-5. غرفة الخزين:

يسمونها تَرْقَة حيث تحفظ المؤن ويوجد بها بَادُو أو بَاجُو وهي أحواض مبنية خاصة لحفظ التمور، حيث يمكن أن نجده أيضا في مستوى الطابق الأرضي بجوار غرفة نوم الأطفال،

1. Jean Lethielleux ; Op. Cit. pp: 92-93.

2. DELHEURE J. ; Op. Cit. p: 37.

3. عمر لقمان بن حمو سليمان بوعصبانة، المرجع السابق، ص:89.

حيث تكون مغطاة بأقبية نصف برميلية⁽¹⁾، كما توضع بها حجارة الملح المقتلعة من الشط، ويثبت على جدرانها أوتاد خشبية لتعليق اللحم المقدد⁽²⁾، وعلى كل فهذه غرفة المؤن لعام كامل.

2-3-6. المطبخ:

استحدثت بهذا الطابق غرفة استعملت كمطبخ والذي يسمى إِنَائِن، وهي ليست بالغرفة بالمعنى الحقيقي وإنما هي ركن مكشوف به موقد ومجهز بكوات لوضع هذه الأغراض، ويستخدم المطبخ في هذا المستوى أيام الصيف حيث ينتقل النشاط إلى السطح.

2-3-7. المطهرة والمرحاض:

الأولى تسمى إِلْمَسِي وهي حلوة مستوية لتخزين الماء وللوضوء⁽³⁾، أما المرحاض كما سبق أن أشرنا يسمى قُومَة، حيث نجد أحد المرحاضين في هذا المستوى من الطابق وعلى نفس مسقط مرحاض الطابق الأرضي، حتى يسهل تجميع الفضلات.

2-4. السطح:

يسمى محليا أَنْزُ أو أَنْجُ (أندج) ويتميز بانخفاضه الملحوظ كما يحيط به سياج جداري على ارتفاع بين 1م و1.5م وهو مفتوح في وسطه بفتحة مربعة ذات قياس 3م لكل ضلع، تضيء وتقوي صحن الدار، وتقضي النساء يومهن به، فيثبت المنسج عليه في فصل الشتاء، و يستخدم في فصل الصيف لنوم كل أفراد العائلة به⁽⁴⁾، كما يخصص أيضا لنشر التمور والحبوب لتجفيفها.

2-5. الدهليز:

وهي سراديب أسفل المساكن نتجت عن استغلال السكان تلك الغرف السليمة والتي لم تتعرض للهدم من قبل الأعداء وأصبحت ملجأ سريرا ومخزنا تحت المساكن المعاد بناؤها، وهذا ما يفسر كثرة المغارات والسراديب داخل القصر⁽⁵⁾، ويكون الدهليز مرتفعا عن مستوى الشارع

1. عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص: 115.

2. DELHEURE J. ; Op. Cit. p: 35.

3. Chaouche-Bencherif Meriama ; **la micro- Urbanisation et ville Oasis...**, Op. Cit. p: 348.

4. Ibid. p: 348.

5. عبد الرحمن حاجي، المرجع السابق، ج 2، ص: 243.

دوما لتجنب تسرب المياه السائلة في الشوارع⁽¹⁾، ولعل ما ساعد في اعتماد السكان على هذا الفضاء المعماري طبيعة الأرضية التي بني عليها القصر فهي سهولة للحفر إلى مستويات تسمح ببنائه بشكل بسيط وبدون تكلفة باهضة.

2-6. مواد البناء:

يذكر الشيخ أحمد الفرستائي في حديثه عن مواد البناء ومكان وضعها فيقول ما نصه: "وأما ما لا يستغني عنه مثل وضع الحجر أو الخشب أو الطين أو الجبس، فإنهم لا يمنعون من وضعه مقدار ما يبني فيه، وإن لم يشتغل بالبنان فليجعلوا له أجلاً يبني فيه..."⁽²⁾، لقد كانت المساكن بقصر ورقلة على درجة كبيرة من البساطة وهي في العموم مبنية بالطوب وبججارة المقالع⁽³⁾ أو حتى الحجارة المستعملة في البنايات القديمة، والجبس للتليس وجذوع النخيل⁽⁴⁾، إلى جانب الصلصال بالنسبة للجدران⁽⁵⁾، وقد فرضت البنية الطينية والجبسية لأرضية المنطقة تفضيل استعمال استعمال مواد كالتوب والتمشنت⁽⁶⁾، ولأن هذه المواد كانت على درجة كبيرة من البساطة بل والحساسية المفرطة لعوامل التلف فقد انعكس ذلك بشكل كبير على حالة حفظ القصر عموماً، ويرتبط ذلك ببعض العوامل منها ضعف البنية في حد ذاتها والحاجة إلى صيانة متواصلة، والفيضانات المتزايدة التي تعد السبب في إحداث كوارث، إلى جانب مشكل صعود المياه الجوفية. *la remontée de la nappe phréatique*، وقد شكلت المساكن المنهارة داخل القصور مصدراً مهماً للمواد المستعملة في البناء⁽⁷⁾، حيث تسترجع الأخشاب الصالحة وكذا الحجارة والمادة الترابية وغيرهـا من المواد.

2-6-1. الحجارة:

تسمى محلياً **أذغَاغ** يستخرج البعض الحجارة من المقالع حيث يقوم المراهقون بنبش سطح الأرض قليلاً في أكثر من مكان أين تختفي تلك الحجارة التي هي عبارة عن حجارة كلسية

1. Jean Lethielleux ; Op. Cit. p: 92.

2. أبي العباس أحمد الفرستائي، المصدر السابق، ص: 201-202.

3. Daumas, **Le Sahara Algérien**, Etude géographiques, statistiques et historiques sur la région au sud des établissements Français en Algérie, Paris, 1845, p: 74.

4. تلمساني بن يوسف، المرجع السابق، ص: 107.

5. DELHEURE J. ; Op. Cit. p: 39.

6. Chaouche-Bencherif Meriama ; **la micro- Urbanisation et ville Oasis...**; Op. Cit. p: 176.

7. Commandant Godard ; Op. Cit. p: 63.

بيضاء يسهل صقلها، ومن ثمة تحمل على ظهور الحمير، فيما تحمل النساء الحجارة على رؤوسهن في خط طويل، وتسمى هذه الحجارة باللهجة المحلية "الصم" وهي حجارة قاسية جلبها فيضان الأودية القديمة وشكلتها⁽¹⁾، ويتم جمع الحجارة بسهولة مقارنة باستخراجها من الأرض بمساعدة أمطار الربيع، ولاستخراجها من التربة تحفر حفرة في الأرض بعمق 2.5م ليصبح لدينا مقطع نستخرج منه الحجارة على شكل كتل صغيرة، وبعد ثلاثة إلى أربعة أشهر من التحفيف يصبح لدينا مادة بناء مهمة⁽²⁾ وجاهزة.

2-6-2. التيمشنت:

عد مادة رابطة بامتياز على الرغم من محدودية انتشارها، وهي نوع من أنواع الجبس المستخدم في منطقة مزاب، ومتليبي وورقلة، حيث تستخرج على شكل حجارة كلسية رمادية، حمراء، وفي الغالب شديدة البياض، حيث في العادة يتم العثور عليها على عمق يصل إلى 0.30م عمقا أسفل طبقة كلسية كربونية أو سيليسية يسهل التعرف عليها، هذه الحجارة الهجينة مختلطة بـجبس ليفي أحمر أو أبيض يسمى كَدَّان⁽³⁾، وتستدعي عملية تحضيره وقتا طويلا، كما تسمى التيمشمت أو التيمشنت أو حتى التيشمت، حيث تحرق هذه الحجارة داخل حفرة في فرن بدائي، وتتطلب عملية حرقه 3 إلى 4 ساعات⁽⁴⁾ وقد تصل إلى 5 ساعات، إذا فالتيمشمت مادة رابطة مستحسنة كما يستخدم كطلاء خارجي للجدران الداخلية، وهنا نذكر الزخرفة الحصية في سدراته والتي نفذت بالتيمشمت⁽⁵⁾.

يتوفر هذا النوع من الجبس في كل مكان ويعجن باليد باستعمال بعض الماء بقدر الحاجة، ليصبح ملاطا جاهزا للاستعمال، حيث يشكل على هيئة كرات ويستلمها البناء دون الحاجة إلى نصب صقالة أو قالب، حيث يلصق جيدا وبقوة في مسام الحجر ويجف بسرعة، ويمكن صقلها في حال بناء العقود، أو السطح، أو مقاعد أو رفوف⁽⁶⁾، وهو أسرع جفافا من الجبس،

1. Jean Lethielleux ; Op. Cit. p: 90.

2. Commandant Godard ; Op. Cit. p: 61.

3. A. De C. Motylinski ; Op. Cit. p: 437.

4. M. Ville ; **Notice géographique sur le pays des Beni-Mzab**, Bulletin de la Société Géologique de France, Tome 16, 2ème série, 1858-1859, Imprimerie de L. Martinet, Paris, 1859, p: 732.

5. Commandant Godard ; Op. Cit. p: 63.

6. Jean Lethielleux ; Op. Cit. pp: 90-91.

كما يتميز بعازليته الحرارية الجيدة في المناطق الحارة، كما أن مقاومته ضعيفة للضغط والشد وكذا حساسيته للرطوبة مما يملي حماية للجدران من جريان السيول⁽¹⁾.

2-6-3. الجير:

الجير الدسم هو الآخر صنع واستخدم منذ القدم، ونحصل عليه انطلاقاً من الحجر الكلسي النقي حيث يحرق في درجة حرارة تزيد عن 1000 م^o(2)، وهذا ما يصعب تحقيقه بسرعة في مثل هذه الأفران التقليدية، لذا نجدها تشتعل عدة أيام لتحقيق نفس الغرض، وعملية حرق الحجر الكلسي تتم من خلال حرق أغصان الرتم، حيث 100 كلغ من هذه الأغصان تنتج حوالي 100 كلغ جير، وهناك نباتات أخرى تفي بهذا الغرض⁽³⁾، وتتم عملية الحرق في أفران خاصة، ومن المعلوم أن عملية حرقه تتم بنفس طريقة حرق التيمشمت والفرق في كون هذا الأخير تتطلب عملية حرقه من 5 إلى 6 أضعاف ما تتطلبه عملية حرق التيمشمت من حطب⁽⁴⁾، وبعد أن يتم حرق الحجر الكلسي $CaCO_3$ نحصل على الكلس الحي (أكسيد الكالسيوم) CaO ، ويترك ليبرد قبل أن يتم إخراجه من الفرن، ويطفأ بعدها بالماء لينتج الجير المطفأ (هيدرو أكسيد الكالسيوم) $Ca(OH)_2$ ، حيث يحتاج الجير الحي لإطفائه حوالي 32% من وزنه ماء وتقل هذه الكمية كلما زادت الشوائب⁽⁵⁾، ويجب حفظ الجير الحي في أماكن جيدة بعيداً عن الرطوبة والهواء كي لا يتفاعل.

وعن تحضير الملاط الجيري رأينا أن الحجر الكلسي $CaCO_3$ بعد حرقه *Calcination*.

ينتج لدينا ما يعرف بالجير الحي CaO حيث لا يمكن استعماله مباشرة في عملية البناء لأن ملامسته للماء ينتج عنها بعد تفاعل حراري شديد. *Réaction exothermique* وانتفاخ على مستوى البناية، لذا يتوجب إطفأؤه بوضعه في الماء لنحصل على كلس مطفأ $Ca(OH)_2$ أو كما يسمى هيدروكسيد الكالسيوم، وهي بودرة بيضاء قليلة الذوبان في الماء.

يجب ترك هذا المحلول (الرائق) حتى يتوقف الغليان الناتج عن التفاعل مما يوحى بإطفائه

بشكل كامل، بعدها يتم عزل الشوائب من المحلول بغربلتها، ثم نتحول إلى إعداد الملاط

1. Chaouche-Bencherif Meriama ; **la micro- Urbanisation et ville Oasis...**, Op. Cit. p: 177.
2. OPVM ; **La Chaux : Matériau de construction et de restauration**, Ghardaïa, Algérie, p: 3.
3. Commandant Godard ; Op. Cit. p: 63.
4. Pierre Donnadieu et autres ; Op. Cit. p: 88.
5. خالد ناصر محمد باراشد، مواد البناء المحلية في وادي حصرموت - دراسة تحليلية ، هندسة معمارية، حصرموت للدراسات والبحوث، مج. 2، ع. 2، 2002، ص: 41.

الجيري. *Mortier de chaux* من خلال اختيار رمل مناسب خالي من الصلصال وبحجم مناسب، ثم نسكب عليه كمية من المحلول السابق -أي الجير المطفأ- ونقوم بالخلط الجيد في نفس الوقت للحصول على ملاط متجانس.

تترك العجينة تتخمر بعد الانتهاء من خلطها لوقت كاف قد يصل حدود السبعة أيام، وبعد التأكد من تخمر العجينة نحضر كمية أخرى من المحلول الجيري السابق الذكر بنفس الطريقة، ونقوم بإضافة كميات مناسبة منه إلى العجينة المتخمرة مع التأكيد على الخلط الجيد لنحصل في الأخير على ملاط الجير القابل للاستعمال في مختلف عمليات البناء المذكورة.

نشير إلى أن ملاط الجير بعد استعماله كرابط. *Liant* أو كتليبس. *Revêtement* يتحول بالتدريج إلى التصلب. *Carbonations* إلى أن يصبح طبقة تزداد صلابتها مع الوقت، حيث يتفاعل الجير المطفأ وأكسيد الكربون الموجود في الجو، لنحصل من جديد على كربونات الكالسيوم أين ينتهي الحال بهذا الملاط إلى طبقة صلبة لها نفس خصائص الحجارة الكلسية (الشكل رقم:42).

2-6-4. الرمل:

يسمى **إجدي** يخلط الرمل مع الطين لصنع الطوب، كما يستخدم رمل الكثبان في تغطية أرضية وسط الدار⁽¹⁾، ويستخدم أيضا كطبقة عازلة في عملية تسقيف المسكن، ويشترط في الرمل الذي يدخل في تكوين الملاط أن لا يكون صلصالي، ويجلب من الأودية، وهذا لأنه يدخل في تركيب بعض الملاطات التي قد تتأثر بوجود المواد الطينية وتظهر عليها عيوب فيما بعد.

2-6-5. الطوب:

التراب يعتبر مادة بناء ألفية كما أنه الأكثر شيوعا في العالم بالنظر إلى خاصيته الحرارية، وانتشاره الواسع، وكذا انخفاض تكلفته، فصناعته بالطرق التقليدية على شكل لبن ترابي تعادل 30 مرة مقارنة بالحجارة⁽²⁾، كما أنه استخدم بعدة تقنيات كالتراب المدكوك *Pisé* أو الطوب *Adobe* أو الهيكل الخشبي *Torchis*، وفي المساكن استخدم مخلوط بمواد أخرى سواء نباتية أو معدنية، والطوب هو لبن مشكل من الطين والرمل يجفف تحت الشمس ويكون مخلوطا باللبن أو قش الجريد، ورغم ما به من محاسن كمقاومة الضغوط والعزل الحراري، والاقتصاد إلا

1. Chaouche-Bencherif Meriama ; **la micro- Urbanisation et ville Oasis...**; Op. Cit. p: 347.

2. Jean-Loïc Le Quellec ; Op. Cit. p: 46.

أنه حساس جدا للرطوبة والحت، وبالتالي فإن طبقة من الطلاء الواقي ذو النوعية الجيدة يمكن الجدران المبنية بالطوب من تحدي الزمن⁽¹⁾، وقد استخدم تقليديا بمقاسات (40X20X15)، ويبلل خليط الرمل والطين بالماء ثم يقولب ويجفف تحت الشمس، وفي حال كان الطين بنسب زائدة يحدث ذلك شقوق على مستوى كتل الطوب، ولتحقيق ثبات جيد لهذا اللبن يضاف للخليط ما نسبته 5 إلى 10% من الجير⁽²⁾، وتوضع طبقة من الرمال الجافة، الرماد، أو القش على مساحة مستوية لضمان عدم التصاق الطوب بالأرض فهذا الأمر ينجر عنه فقدان جزء من اللبن أو اكتساب جزء إضافي من الأرض وفي كلا الحالتين يكون لدينا جهد إضافي لتنظيف الطوب⁽³⁾، كما يستوجب عند تحضير التربة القيام بعملية الفرز من خلال نزع الحصى الكبيرة، ثم الغرلة لنزع الجزيئات الأصغر.

2-6-5. الخشب:

يعد النخيل النبات الذي عرفت به الصحراء مثلما عرفت بالجمل بالنسبة للحيوانات، ويمكن أن نسميها "أم الوراقله"⁽⁴⁾ حيث استخدمت هذه الشجرة منذ القدم في أغراض عدة، وفي مجال البناء كما في مجال الغذاء كون التمر يعتبر ثمرة قابلة للتخزين لمدة طويلة، هذا دون أن ننسى قدسية هذه الشجرة لدى المسلمين، فقد ارتبطت بميلاد سيدنا عيسى وكان رطبها غذاء لسيدتنا مريم عليهم السلام، لذا لم يكن من المعقول بل ومن المحذور استغلال هذه الشجرة قبل موتها.

2-6-5-أ. جذوع النخيل:

يطلق عليه أكَرْكَوْشُ وإذا علمنا أن خشب النخيل له طول محدود فهمنا سر تقارب الجدران من بعضها، وسبب الدعامات الأساسية وسط المسكن⁽⁵⁾، تقطع جذوع النخيل إلى قطع بطول 3.5م فقط بالنسبة لهذا النوع من الخشب وهذا لتجنب انحنائها⁽⁶⁾، تشق بعد ذلك إلى أربعة

1. Commandant Godard ; Op. Cit. p: 62.

2. Chaouche-Bencherif Meriama ; **la micro- Urbanisation et ville Oasis...**; Op. Cit. p: 176.

3. ديوان حماية وادي ميزاب وترقيته، العمارة الترابية، دليل مختصر للعمارة الترابية بوادي ميزاب، غرداية، الجزائر، 2010، ص: 17.

4. Jean Lethielleux ; Op. Cit. p: 89.

5. عمر لقمان بن هو سليمان بوعصبانة، المرجع السابق، ص: 87.

6. Jean Lethielleux ; Op. Cit. p: 93.

أجزاء بقطر يتراوح بين 0.10 م إلى 0.15 م⁽¹⁾؛ باتجاه الطول ثم تسوى بسهولة إلى قضبان أقل طولاً، فيما تستعمل أوراق الجريد في وضع السقف⁽²⁾، ولصنع الباب تجمع أربع عوارض خشبية من دون مسامير ولكن بواسطة قطعتين صلبتين من الجريد تربط بها جيداً هذه الألواح فيما تكون العارضة الأولى بارزة في الطرف الأعلى والأسفل من أجل تثبيتها في خشبة الساكف من جهة الأعلى، وتثبت في الأسفل داخل حجر محفور ومثبت بالعتبة كي يسمح بدوران الباب، ومن الخارج هناك عارضة خشبية في وسط الباب تشد العوارض ويكون سطحها مزين بزخارف.

2-6-5-ب. الجريد وسعفه:

تسمى باللهجة المحلية تُوفه حيث تستعمل في عملية التسقيف فوق العوارض الخشبية، كما تستخدم عروقتها المتروعة الأوراق في بناء الأقواس أو حتى في التسقيف، وهذا بعد تجفيفه تحت أشعة الشمس، إلا أن اللين منه يمكن استعماله مباشرة في بناء الأقواس، والسبب في استعماله لنا بدل اليبس المجفف هو أن الأول يمكن له بسهولة دون أن ينكسر على عكس اليبس، أما اليبس فيوضع عند التسقيف بشكل عمودي على العوارض الخشبية بحيث تضم إلى بعضها جيداً دون ترك فراغ لنضع بعدها الجريد كي لتفادي تسرب الملائط.

2-6-5-ت. الكرناف:

يطلق عليها اسم تَكَرْ كُوشْتْ وهي الجزء الواصل بين الجريد والنخلة، حيث تتميز بشكلها المثلث ومقاسات تتراوح بين 20 سم إلى 25 سم ومقاومتها الجيدة بالنظر إلى بنيتها الليفية أصلاً، ويستخدم هذا العنصر في التسقيف بعد أن تجف، حيث توضع فوق العوارض الخشبية بشكل تتقابل فيه المثلثات، أين يكون كل صف منها على شكل أسنان منشار يتداخل مع صف آخر يقابله، وهو الأمر الذي يضيف لمسة فنية وجمالية على السقف.

1. Commandant Godard ; Op. Cit. pp: 64-65.

2. Jean Lethielleux ; Op. Cit. p: 90.

2-6-5-ث. أخشاب أخرى:

عرفت الغابة في واحة قصر ورقلة غرس عدة أنواع من الأشجار، وهو الأمر الذي سمح بتوفير عدد من أنواع الخشب التي استعملت في البناء ولكن على نطاق ضيق عكس خشب النخيل، ومن بين هذه الأنواع لدينا خشب الرمان، وغيره من أخشاب الأشجار التي كانت تغرس بواحة القصر.

2-7. العناصر المعمارية وتقنيات البناء:

تبنى مساكن القصر بالعمل التطوعي أو ما يعرف بـ **توزيع***، أو بفضل بنائين مأجورين، ولا يمكن طلب التوزيع أكثر من مرة أو مرتين في الشهر، وهذا لحاجة البنائين للنقود، وفي حال القيام بالتوزيع يتوجب على البناء أن يسبق الآخرين بيومين أو ثلاثة أيام من قبل، وعند البدء في العمل يكون البناء مرفوقاً بمساعديه ويبدأ العمل بيديه ومطرقته والخيط وكل أدواته، فيمده أحد الأشخاص بالجبس، وآخر يجلب الماء، وآخر ينقل الحجارة، وآخر يجعل الجبس على شكل كرات كبيرة، والأخير يخلط الجبس، لذا ولخلط الملاط تجعل حفرة في الأرض ونخلط الماء والجبس الجاف فيها، وحينما يصبح مبلل يدفع مساعد البناء الملاط لمن يشكله كرات⁽¹⁾.

2-7-أ. الأساسات:

من عادة السكان بناء أساسات مساكنهم على عمق 0.3م إلى 0.4م من سطح الأرض كون الأرضية هشة بفعل الردم، وكلما تعمقت تزيد هشاشة⁽²⁾، ويعد الأساس مكان لوضع حجر الأساس حيث تربط كرات التمشنت كتل الحجارة، وفي عادة أهل ورقلة أن يذبحوا عترة ويريقوا دمها في الأساس وهو نوع من الحماية في معتقدهم، فيما يقسم لحمها وفق قواعد⁽³⁾، فيما يعطى البناء رأس الذبيحة وأرجلها ويأكل عمال التوزيع من لحمها عند الغداء، وعند الانتهاء من بناء

*. التوزيع حسب التقاليد هي حق يستدعي فقط المعاملة بالمثل، حيث يقوم بها الرجال من أجل الأعمال ذات الفائدة العامة، مثل شق الخنادق وحفر الآبار إعداد حقل جديد، وضع الحواجز، جني التمور وغيرها، وباختصار كل عمل لا يمكن للفرد أن يتمه وحده أو في الوقت المطلوب، كما أن النساء هن أيضا هن "توزيع" تخصصهم في صنع الصوف والنسيج، إعداد ولائم المناسبات.

1. DELHEURE J. ; Op. Cit. p: 39.

2. عبد الرحمن حاجي، المرجع السابق، ج. 2، ص: 245.

3. Jean Lethielleux ; Op. Cit. p: 90.

المسكن تعد النساء كسكسا خاصا يوزع على عتبة المسكن وتسمى عملية هذه الإكرامية **أمر كيدو**⁽¹⁾.

يكتسي الأساس أهمية بالغة في العمارة عموما وفي الفقه على وجه الخصوص، فأما الأول فمعلوم أن أي بناء يحتاج إلى أساس يستقر عليه ويشده، أما بخصوص الشق الفقهي فتتضح هذه الأهمية بكون هذا العنصر يعد بمثابة المرجع الذي يعود إليه الناس في عدة حالات مثل الاشتراك في الحائط بين الجيران، وبعد إنهدامه ويزول أثره فكيف يتصرفون وهنا يفصل الشيخ أحمد الفرستائي⁽²⁾ في القضية بالتدقيق.

2-7-ب. الجدار:

اعتمد المسكن في قصر أو غيره من القصور الصحراوية في هيكله على الجدران الحاملة⁽³⁾، ويسمى الجدار باللهجة المحلية **مورزو**، ويتم بناء جدار المسكن بحجارة كبيرة لتعاكسها حجارة متوسطة الحجم، أي حجرة كبيرة تقابلها حجرتان متوسطتان، ويسد الفراغ بينها بالكامل على شكل قالب بالطين وتغوري حتى لا يسكنها الحشرات الضارة، أما سمك جدار الطابق الأول فيتراوح بين 0.40 م إلى 0.30 م، يليه جدار الطابق الأول الذي يتراوح سمكه بين 0.35 م إلى 0.25 م ثم جدار السطح الذي يتراوح سمكه بين 0.20 م إلى 0.15 م⁽⁴⁾، كما تزود في بعض الأحيان واجهات هذه الجدران الداخلية بكوات نافذة وأخرى غير نافذة وبأشكال مختلفة منها ما هو معقود.

يمكن أن نلاحظ على هذه الجدران المبنية بالتراب المدكوك حسب شارل فرود *Charles FERAUD* أو بالحجارة والجبس بعض الكتابات والرسوم وقولبة بارزة تعلق الباب، وكلها مواضيع على صلة بنظيرتها النوميديّة لشمال مقاطعة قسنطينة، وغالبا ما كتب حولها الجنرال فيدارب. *Faidherbe* والدكتور ريبود. *Reboud*، وهي موجهة من الذكريات العقائدية للشعوب البونيقية الأولى، وتحت وقع العادة توارثتها الأجيال عن بعضها بعض⁽⁵⁾، ومن

1. DELHEURE J. ; Op. Cit. p: 39.

2. أبي العباس أحمد الفرستائي، المصدر السابق، ص: 237.

3. Abderrahmane Moussaoui, Op. Cit. p: 191.

4. عبد الرحمن حاجي، المرجع السابق، ج. 2، ص: 243، 245.

5. Charles Feraud ; Op. Cit. p: 270.

بين العادات التي ميزت أهل القصر أنهم عند بناء جدار الشارع يضعون خرقة سوداء، أو قدر مكسور أو رسم خط أسود على العتبة لدفع عيون الحساد.

2-7-ت. العقود:

تسمى قَوَاسٌ وهي مشتقة من العربية، حيث تستخدم على مستوى المدخل الرئيسي وكذلك لحمل سقف وسط الدار الواسعة على وجه الخصوص ⁽¹⁾، ولبنائها يجب تقويس عروق الجريد المتزوعة الأوراق بين كتفين، وبالتالي فإن هذا السعف سيعوض المسامير والدعامات ⁽²⁾، ومن بين العقود المستعملة في المسكن بالمنطقة العقد النصف الدائري المتجاوز ⁽³⁾، ولكن ينتج عن ذلك نوع من الأقواس غير المنتظم لعدم التحكم في شكل هذا النوع من القوالب كما ينتج عن ذلك زوايا غير منتظمة.

2-7-ث. التسقيف:

غطيت المساكن بالأسطح الأفقية كونها التقنية الأكثر بساطة والأنسب، يتراوح سمك السقف ما بين 0.5م إلى 0.7م حتى لا يتسرب المطر إلى الداخل والذي كان يهطل خلال أسبوعين كاملين أو ثلاثة، وتكون ركائزه من الخشب (نصف خشبة) على أشكال مختلفة وعليه الجريد المتزوع سعفه، وليف النخلة ثم التراب المبلل الممزوج بالطين أو طبقة من فضلات الماعز أو الحمير وعليها طبقة خفيفة من تراب التافزة والجبس ⁽⁴⁾، وفي بعض الأحيان تغطي السقف بعد وضع عوارض الخشب تليها شبكة من عروق الجريد المتزوع سعفه، ثم تغطي بطبقة من التراب والتمشنت المكدسة والمدكوكة بحيث تكون متينة جدا بشكل يسمح بالمشي فوقها أو حتى النوم عليها صيفا ⁽⁵⁾، ولأن التمشنت تبقى نافذة ومنتفخة وتشقق في وجد الماء يجب إعادة تليس السطح دوريا قبل سقوط الأمطار رغم ندرتها ⁽⁶⁾ الأمر الذي يكفل عدم تسرب المياه إلى طبقات

1. Jean Lethielleux ; Op. Cit. p: 91.

2. Ibid. p: 90.

3. عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص: 115.

4. عبد الرحمن حاجي، المرجع السابق، ج. 2، ص: 241.

5. Jean Lethielleux; Op. Cit. p: 92.

6. Ibid, p: 90.

السقف وبالتالي عدم تضررها، وأحسن طريقة لحماية السطح ذلك الميلان المعتبر الذي أعطي له⁽¹⁾ لتفادي تجمع المياه وبالتالي تفادي نفاذها إلى الطبقات الأخرى.

2-7-ج. الأقبية:

تسمى باللهجة المحلية **تِيكْرَبَاشْ** ومفردتها **تَكْرَبُوشْتْ** وقد وظفت في تغطية بعض الفضاءات بالمسكن الورقلي مثل **سَلَامْ**، وغرفة رب الأسرة المجاورة لها وكذلك في تغطية غرفة المؤن، وهي عبارة عن أقبية نصف برميلية⁽²⁾، حيث يكون السقف مرتكز على جذوع النخيل مشكلا فيما بينها الأقبية، وتبنى بواسطة قناطر مصنوعة من الطين (الطوب)⁽³⁾، وأكثر ما نجدها في الغرف الواسعة كونها الأنسب للتغطية.

2-7-ح. السلام (الدرج):

يطلق عليه أهل **تَيْشُونَانْ** أو **تَيْسُونَانْ** وبنيت للمساكن سلام تؤدي إلى الطابق الأول ولسطوحها كما هو الحال في بقية القصور، وأكثر ما يميز هذه السلام أنها موجودة في إحدى زوايا وسط الدار، أو أمام المدخل الرئيسي مباشرة في حال وجود لعلي في الطابق الأول (الصورة رقم:84)، ومن بين أهم الأشياء التي تميزت بها أيضا أنها لا تسند إلى جدار الجار، "فيمنع من أراد أن يتخذ في ذلك الدرج، إلا إن لم تلتصق تلك الدرج بذلك الحائط (المشترك بين الجارين) وقد ترك بينهما المقدار الذي يجب أن يترك بين حائطه وحائط جاره ولكن يمنعه صاحبه أن يشرف عليه بتلك الدرج إلى جاره"⁽⁴⁾، لذا فالدرج أخذ حيزا من اهتمام الفقهاء كونه نقطة خلاف بين أكثر الجيران.

استخدم في بناء السلام في مساكن قصر ورقلة الحجارة والتمشمت وخشب النخيل كدعائم وفي حالات أخرى تدعم بأقواس، وفي حالات أخرى بنيت على أكوام من الحجارة المكدسة فوق بعضها بين جدارين حتى أعلى مستوى، وقد تراوحت أشكالها بين المستقيم والمنكسر والمنتظم، وهذه الأشكال فرضها توزيع فضاءات المسكن، وإلى جانب هذه السلام هناك سلم خاص بالسطح، وفي حالات نادرة نجد سلم خاص بالدهليز في عدد من المساكن التي

1. Commandant Godard; Op. Cit. p: 66.

2. عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص:115.

3. Commandant Godard; Op. Cit. p: 66.

4. أبي العباس أحمد الفرستائبي، المصدر السابق، ص:236.

بها هذا المرفق، وقد يحدث أن يكون هناك بالموازاة مع السلم الخاص بالضيوف من الرجال الواقع أمام المدخل مباشرة سلم آخر خاص بأهل المسكن يصعد إلى الطابق الأول.

2-7-خ. التليس والطلاء:

بنيت المساكن في قصر ورقلة كما رأينا بالتراب والحجر الجبسي ولبست أيضا بطبقة طينية⁽¹⁾ فيتم تغطية الجدران في بعض الأحيان بطلاء ذو قاعدة طينية باستخدام اليد، الأمر الذي يجعل الأصابع تترك آثارا على الملاط ما يضيف على سطح واجهة المسكن جمالا، أو يمكن أن يملس هذا التليس مما يجعل سطح واجهة المسكن غاية في الاستواء⁽²⁾، وهذا اعتمادا على ملاط الجير أو طبقة طينية مدعمة بالجير المطفأ كونه رابط جيد يقوي من تماسك الطين وفي أحيان أخرى تضاف للعجينة بقايا نباتية.

1. M. Ville ; Op. Cit. p: 732.

2. Jean Lethielleux ; Op. Cit. p: 91.

الباب الثالث

الدراسة الميدانية،

وتحليل النتائج

الفصل الأول: الدراسة الميدانية

الفصل الثاني: الدراسة التحليلية المقارنة

الفصل الأول

الدراسة الميدانية

المبحث الأول: مساكن قصور وادي مزاب
المبحث الثاني: مساكن قصر ورقلة

المبحث الأول: مساكن قصور وادي مزاب

بعد أن رأينا أهم خصائص المسكن في القصور عموماً وفي قصور بني مزاب وقصر ورقلة على وجه الخصوص كان لزاماً علينا المرور إلى المعاينة الميدانية من خلال اختيار عينات يمكن أن تعطي فكرة أوضح، على أن تتوفر فيها شروط المسكن التقليدي النموذجي، فليست كل المساكن الواقعة بداخل هذه القصور تحافظ على صورتها الأصلية بل مسها التعديل والتغيير في كثير من أجزائها وملاحقتها، ومما صعب المهمة كون هذه المساكن ما تزال أهلة بسكانها، ورغم ذلك تمكنا من اختيار مسكن لكل قصر بوادي مزاب نحاول من خلالها أن نسلط الضوء عليها والتدقيق في تفاصيلها لتجميع المعطيات.

– المسكن رقم 01:

يوجد هذا المسكن في قصر العطف (اللوحة رقم: 1) وهو ملكية خاصة يعود للسيد بوهون علي عامر بن حمودة، ويقع في الجزء الغربي من القصر، وإلى الشمال -الشرقي من مسجد بوسالم لا يفصل بينهما سوى زقاقان، أما مخطط هذا المسكن فهو ذو شكل مربع تقريباً بمساحة تصل إلى 110م²، فإذا علمنا أن الواجهة الرئيسية يصل طولها 11م فعمق المسكن يبلغ 10م، والمسكن بشكل عام مؤلف من طابقين وسطح (طابق أرضي + طابق أول + سطح).

يأخذ المسكن مكانه بين المساكن المجاورة له من جهات ه الثلاث بالترتيب (الجنوبية - الشرقية، الشمالية-الشرقية، الشمالية-الغربية) وبالتالي لا يطل على الزقاق النافذ إلا من خلال واجهته الرئيسيّة، والتي تستقبل اتجاه الجنوب -الغربي بطول 11م وارتفاع 6م، وما يميز هذه الواجهة خلوها من أي فتحات باستثناء المدخل الرئيسي وميز ابان في أعلى مستوى من المسكن تفصل بينهما مسافة 4.5م لتصريف مياه الأمطار من على سطح المسكن، وتتسم هذه الواجهة ذات اللون الرملي إلى جانب بساطتها بتلييسها باستعمال تقنية العرجون التقليدية.

يتخذ المدخل الرئيسي موضعه في الركن على يسار المسكن (اللوحة رقم: 2) وهذا أمر يميز المساكن الإسلامية عن غيرها ، كونه يسمح بالتحكم في تخطيط المسكن خاصة المدخل المنكسر، وهو غير معقود بل اكتفى بالسكاف فقط، كما أن مقاساته معتبرة حيث يبلغ ارتفاعه 1.80م أما عرضه فيبلغ 1م، وزود المدخل بعتبة ترتفع عن مستوى الأرض بـ 0.05م، أما الباب فهو خشبي ذو مصراع واحد مصنوع من خشب النخيل، كما أنه لا أثر لوجود مطارق أو مقابض تقليدية، وهو الآخر مزود بقفل حديث.

يؤدي المدخل الرئيسي إلى مدخل منكسر. *Entrée en Chicane*، كما نجد في مقابل هذا المدخل مباشرة مدخل غرفة استقبال الضيوف من الرجال **دويرة** لها باب خشبي، وهي ذات مخطط مستطيل الشكل بمقاسات (2 x 3.5)م²، وإلى جانب هذا المدخل هناك مدخل آخر زودت به هذه القاعة على يسار الداخل مباشرة، يؤدي إلى وسط الدار مزود بلب خشبي، وسقفت هذه القاعة بعوارض من خشب النخيل، ولبست المساحة الفاصلة بين العارضة والأخرى على هيئة قبو.

يفصل بين المدخل الرئيسي والسقيفة جدار ساتر على يسار الداخل، في محاولة للفصل بين المجال الخاص بالعائلة وفسحة الانتظار للضيوف من الرجال أثناء الدخول إلى غرفة الضيوف خاصة وأن باب المدخل الرئيسي يفتح إلى اليمين، وهذه المساحة تتخذ شكلا يقترب من المستطيل (1.7 x 4.8) م²، وفي نهاية هذه السقيفة في الجدار المقابل نجد مدخلا مخصص لغرفة أخرى، وهي ذات مخطط شكله يقترب من المستطيل (2 x 2.4) م²، زود مدخلها باب خشبي.

تفضي السقيفة مباشرة إلى وسط الدار من خلال مدخل على يمين الداخل في نهاية السقيفة، وبعرض حوالي 1.10 م بدون باب، وبمجرد الدخول لوسط الدار يصادفنا جدار سترة على يمين الداخل ويقع في مقابل مدخل الدويرة من جهة وسط الدار، وهو في ذات الوقت دعامة حاملة لسقف هذا الطابق، وفي مقابل هذا الجدار الدعامة في الزوايا الثلاثة الباقية من وسط الدار نجد دعامات متقدمة يرتكز عليها هي الأخرى السقف بحيث يتوزع الثقل عليها، وما تجدر الإشارة إليه شكل الدعامتين المتقابلتين قطريا في الزاويتين الواقعتين على يمين ويسار الداخل لوسط الدار (الزاوية الشمالية والزاوية الجنوبية)، فهي ذات شكل على هيئة حرف L اللاتيني، بطول 0.7 م وعرض 0.5 م، أما الدعامة الواقعة في الزاوية المقابلة للداخل فهي مدمجة في الجدار، مقاساتها 0.5 م عرضا و 0.7 م طولاً.

يقع في الجهة المقابلة للداخل إلى وسط الدار مدخل بدون باب مزود بعتبة يؤدي إلى قاعة استقبال الضيفات من النساء أو كما تسمى محليا **تيزيفوري**، وهي ذات مخطط مستطيل الشكل بمساحة (2.2 x 3.4) م²، زود جدارها المقابل للداخل بكوات مستطيلة الشكل على نفس المستوى، طول إحداها 0.27 م وعمقها 0.22 م وأما الأخرى فأصغر منها، ويوجد على يمين مدخل هذه القاعة مباشرة مدخل آخر يفضي إلى غرفة ثانية زود جدارها الشمالي-الشرقي بكوة صغيرة، وهي غير مزودة باب ويرتفع مستوى أرضيتها عن أرضية تيزفوري، أما مخططها فهو ذو شكل يقترب من المربع بمقاسات 2.15 طولاً و 1.93 عرضاً.

يقع في الزاوية الشرقية لوسط الدار مدخل غرفة أخرى له باب خشبي، والغرفة ذات شكل مستطيل (2.45 x 3.62)م²، مزودة بكوة في مقابل المدخل ، وهي كبيرة نوعا ما حيث يبلغ طولها 0.73م لكنها ليست عميقة، أما تسقيف هذه الغرف جميعها فقد تم بنفس تقنية تسقيف قاعة استقبال الرجال - أي الدويرة-.

نجد في الجهة الشمالية -الغربية لوسط الدار على يسار الداخل المطبخ ، وهو مكشوف ليس له باب ، ولكن أضيفت له تهيئة حديثة لوضع مستلزمات الطبخ والأغراض، ومخططه على هيئة حرف T اللاتيني، بطول 2.17م وعمق 1م، وفي مقابل المطبخ مباشرة نجد الدرج المؤدي إلى الطابق الأول وهو مغطى وبعرض 0.82م، وشكله غير منتظم.

يفصل بين المطبخ والدرج فضاء غير منتظم يمتد إلى الداخل وينتهي عند جدار المسكن قبالة الداخل، أما على يمينها فهناك غرفة أخرى لها مدخل عرضه 0.50م ليس له باب، وترتفع عن مستوى أرضية الفضاء السابق ذكره، فيما زود الجدار الواقع على يمين الداخل إلى هذه الغرفة بكوة تأخذ مكانا في الوسط، وهي ذات مقاسات معتبرة حيث طولها 0.78م وعمقها 0.29م، وفي الجهة المقابلة لهذه الغرفة مباشرة نجد المطهرة والكنيف المرتفعان عن مستوى أرضية هذا الفضاء، حيث أن الأول له مخطط ذو شكل مستطيل (0.63 x 2.52)م² أما الكنيف فجاء مخططه على شكل حرف L اللاتيني وبعمق 2.53م وعرض 1.92م، وهما غير مزودان بفتحات فيما الكنيف له باب خشبي.

نتقل إلى الطابق الأول صعودا عبر الدرج، فبعد السير بشكل مستقيم نجد مدخل معقود في مواجهتنا بعرض 1م، ويمثل واحد من بين العقود الحاملة لرواق الإيكومار الواقع في الجهة الشمالية-الشرقية، وعدد العقود الحاملة أربعة وهي نصف دائرية غير متناسقة تحملها خمسة دعائم، أما الامتداد الثاني للرواق ففي الجهة الشمالية-الغربية، إلا أن ما نسجله في هذا الجزء - أي إيكومار - اختلاف مستوى الأرضية بين الأول والثاني، حيث يرتفع الثاني عن الأول بحوالي 0.5م، مما استدعى بناء درجات على يمين الصاعد قبل الولوج في المدخل الأول الذي سبق وأشرنا إليه، وعدد هذه الدرجات 3، ويجهل سبب هذا الاختلاف في المستوى وهو فارق معتبر، كما أنه خال من أي عناصر أخرى باستثناء ذلك المدخل الموجود على يسار الداخل بعرض 0.9م، وله باب خشبي، ويؤدي لغرفة ذات تخطيط مستطيل (1.5x3)م²، ويمتد الرواق في هذه الجهة من الشمال-الغربي باتجاه الجنوب-الشرقي (أي القبلة) بطول 6م إلى أن ينتهي عند جدار غرفة ثانية في الطرف المقابل، عند هذه النقطة بنيت درجتان على مستوى فتحة العقد الرابع يصعد منها إلى

الفضاء المكشوف، حيث نجد مدخل هذه الغرفة بعرض 0.8م ومزود بباب خشبي يفتح إلى الداخل، ومخطط الغرفة ذو شكل مستطيل (2x3.62)م²، فيما تميزت جدرانها بالبساطة. نواصل في هذا الاتجاه على مسافة 3م حيث يوجد مدخل الغرفة الثانية والذي بني له درجة لأن هذه الغرفة ترتفع عن مستوى الأرضية، أما شكل مخططها فهو مستطيل بمساحة قدرها (2.29x3.60)م²، وباستثناء الفتحة الصغيرة بعرض 0.20م التي تطل على الفناء المكشوف لا توجد عناصر أخرى تذكر.

نخرج من هذه الغرفة وباتجاه عمودي عليها وعلى مسافة 2.64م نجد مدخل عرضه 0.80م له باب خشبي مخصص لغرفة ثالثة مخططها ذو شكل مستطيل، وهي أكبرها جميعاً بمساحة (1.96x6.22)م²، وعلى يسار الداخل في نفس جدار المدخل هناك فتحة صغيرة عرضها 0.20م يفصلها عن الباب مسافة قدرها 0.49م.

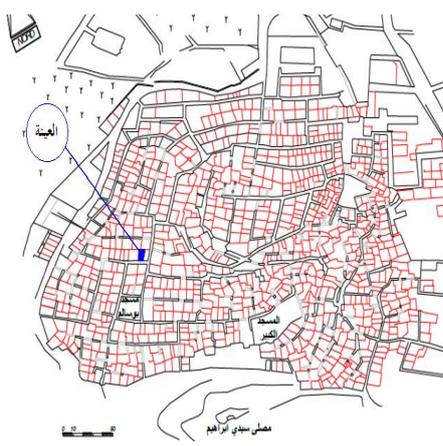
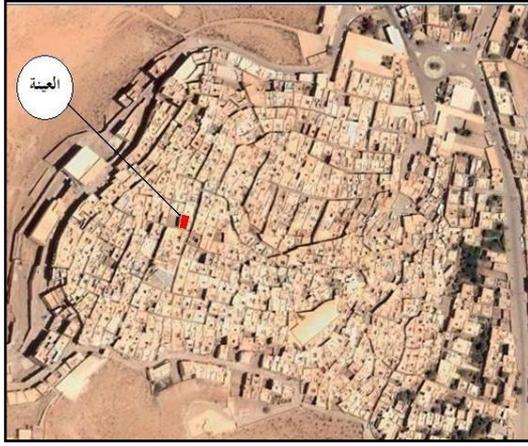
يلي هذه الغرفة القسم الثاني من رواق إيكومار المؤلف من ثلاث فتحات اثنتين منها فقط لها عقود فيما الفتحة الموالية للغرفة السابقة يرتفع ساكفها عن الأرضية بجوالي 1.59م وعرضها 0.83م، أما عرض الفتحتين الأخرين 1.13م و 1.15م على التوالي، وإلى جوار مخرج الدرج نجد مدخل الدرج المؤدي إلى السطح في الاتجاه المعاكس صعوداً، فيما نجد في الجهة المقابلة مباشرة من الطرف الآخر للإيكومار مدخل الكنيف والمطهرة، وهما يقعان في نقطة تتفق عمودياً مع مسقط نظيريهما في الطابق الأرضي.

يقع على يسار مدخل الكنيف والمطهرة مساحة مغطاة تفصل بين جدارهما وجدار غرفة رابعة حيث مدخل هذه الغرفة مفتوح على هذه المساحة وليس على الإيكومار مباشرة، وهو مزود بباب خشبي يفتح إلى الداخل، وهي ذات مخطط مستطيل الشكل (1.56x3.12)م²، ولا توجد بالغرفة إلا فتحة صغيرة بجدار المدخل تقع على يساره بجوالي 0.30م.

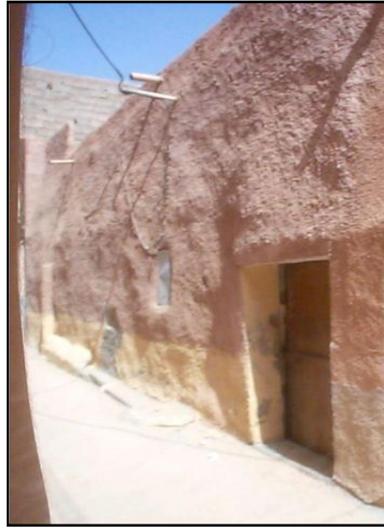
يهمي الفضاء المكشوف محلياً تيغروغوت، وهنا يتخذ مخططه شكلاً مستطيلاً تقريباً بطول 5م وعرض 4م، ويتوسطه فتحة الشباك ذات الشكل المربع بطول 1.5م لكل ضلع، وقد زود بشباك معدني منعا لسقوط الأطفال مع إمكانية تغطيته بسهولة في الأوقات المناسبة لذلك، إلى جانب إحاطة جوانبه بتحويط مبني يعلو مستوى الأرضية بمقدار 0.25م.

نصعد إلى السطح من خلال الدرج الموجود في بداية القسم الثاني لرواق إيكومار، لينتهي بتغطية على مستوى السطح تشبه الغرفة الضيقة، ويتألف السطح من مستويين كل مستوى يأخذ شكل حرف L اللاتيني، وهما متقابلان بالزوايا، حيث المستوى الذي توجد فيه غرفة الدرج

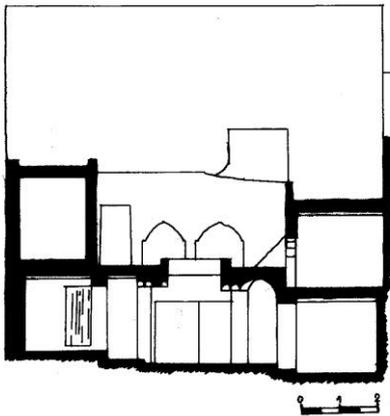
منخفض عن الثاني بحوالي 0.9م، ولأن المسكن تحيط به المساكن من الجهات الثلاثة وترتفع عنه لم تكن هناك حاجة لبناء جدار تحويط خاصة وأن الجهة المرتفعة من السطح موائية لجدار الواجهة ، ورغم ذلك فهناك جدار صغير يرتفع بمقدار 0.20م يتوج السطح في هذا الجزء.



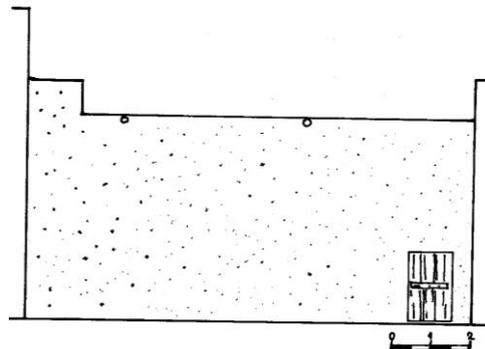
موقع العينة داخل قصر العطف



الواجهة الرئيسية

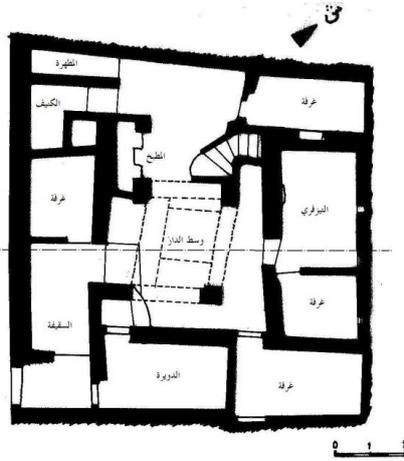


مقطع رأسي للمسكن

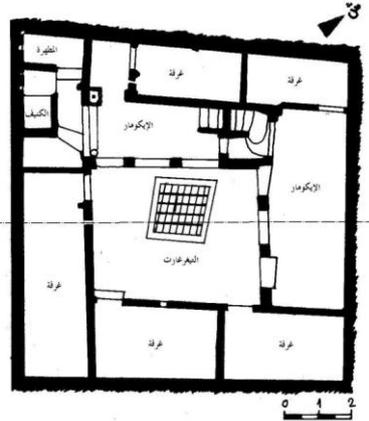


الواجهة الرئيسية

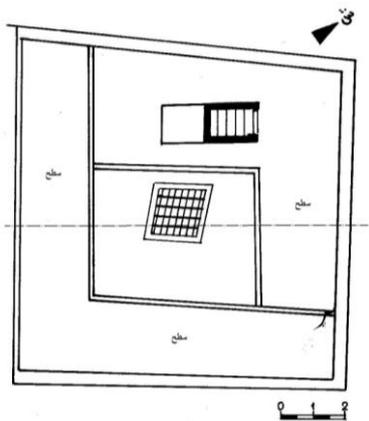
اللوحة رقم: 01



الطابق الأرضي



الطابق الأول



السطح

اللوحة رقم: 02

- المسكن رقم 02:

يقع هذا المسكن داخل قصر مليكة (اللوحة رقم:3) وهو الآخر ملكية خاصة لصاحبه السيد قيرع محمد، حيث يقع في الجزء الشمالي-الغربي من القصر، وإلى الجنوب -الغربي من المسجد العتيق وساحة السوق ولا يفصله عنهما سوى بضع أمتار حيث نجد على المسلك القادم من باب أميدول باتجاه ساحة السوق، وللمسكن واجهتان فالرئيسية تطل على المسلك السابق الذكر، أما الواجهة الأخرى فتطل على سكة غير نافذة، والمسكن بشكل عام مؤلف من طابقين وسطح (طابق أرضي + طابق أول + سطح) وبارتفاع 6.5م، وبحكم وجود هذا المسكن في منحدر نسبي فقد أثر ذلك على مستوى يات المسكن، حيث يتبع المسكن هذا الانحدار من جهة الواجهة الرئيسية، أما الواجهة الأخرى فلا يظهر هذا التأثير بحكم استواء المسلك، في حين يشترك الجدران الشمالي-الشرقي والشمالي-الغربي مع جدران المساكن المجاورة.

تتميز الواجهة الرئيسية لهذا المسكن بشكلها المحدب بشكل يساير مسار الطريق المطلة عليه، حيث نجد المسكن في نقطة مفترق طرق لثلاثة مسالك، طريق رئيسية وأخرى ثانوية متجه جنوب غرب وسكة غير لفذة متجهة شمال-غرب، وإلى جانب هذا فالواجهة خالية تماما من أي فتحات باستثناء المدخل الرئيسي، و الفتحة الصغيرة لتهوية الكنيف بطول 0.40م وارتفاع 0.30م، ترتفع عن مستوى أرضية الطريق بحوالي 1.5م، وعلى نفس المستوى نلاحظ وجود ميزاب على ارتفاع حوالي 4.5م من أرضية الشارع خصص لتصريف مياه الأمطار من السطح، فيما لبست الواجهة بتقنية العرجون، ونلاحظ أيضا سقوط بعض أجزاء من هذا التلبس الأمر الذي يعطي فكرة عن مواد وتقنية بناء الواجهة المتمثلة أساسا في الحجارة، ويعود تساقط الأجزاء السفلية من تلبس الواجهة أساسا إلى مشكل الرطوبة.

يقع المدخل الرئيسي في نهاية الواجهة الرئيسية في الركن الأيمن منها أي عند نهاية

الانحدار، وهو موقع فرضته خصوصية المساكن الإسلامية وخاصة مساكن المنطقة لغايات تصميمية، والمدخل معقود بعقد نصف دائري مصمت محمول مباشرة على أكتاف الجدار ويرتفع رأس العقد عن الأرضية بحوالي 2.30م وبقطر 1.22م، فيما جاءت فتحة المدخل ذات شكل مستطيل بمقاسات 1م عرضا و 1.60م ارتفاعا مزود بباب خشبي وله قفل حديث، كما تتقدم الباب عتبة المدخل بارتفاع حوالي 0.10م.

أمّا الواجهة الثانية المطلّة على السكّة غير النافذة فهي الأخرى خالية من الفتحات باستثناء فتحة بالطابق الأرضي تتوسط هذه الواجهة تقريبا وبعرض 0.50م، إلى جانب تسجيل بعض الأضرار التي مست تلبس هذه الواجهة ممثلة على وجه الخصوص في تقشرها خاصة في المستويات السفلى بسبب الرطوبة.

يؤدي المدخل الرئيسي -الذي هو من نوع المدخل المنكسر. *Entrée en chicane*- إلى سقيفة ذات شكل شبه منحرف تقريبا بعرض 1.6م وطول 2م (اللوحة رقم: 4)، تنتهي بمدخل معقود ليس له باب على يمين الداخل، وقبل الدخول إلى وسط الدار يصادفنا على اليمين الكنيف الذي زود بفتحة للتهوية سبق ذكرها في حديثنا عن الواجهة الرئيسية، إلى جانب وجود كوتين مقاساتها معتبرة حيث يبلغ طول كل منها 0.50م وتقعان في الجدار المقابل لمدخل الكنيف، وقد زود هذا الأخير بباب يفتح إلى الخارج.

يلي الكنيف على يمين الداخل الركن المخصص للمطبخ وهو مكشوف وليس له باب ، كما يلاحظ تلك التهئة الحديثة الخاصة بأعمال التنظيف والطبخ على جدار الواجهة من جهة الداخل، ونسجل أيضا وجود كوة في الركن الأيسر للمطبخ فوق هذه التهئة مباشرة بطول 0.50م، في مقابل المطبخ نجد مدخلا معقودا بعقد نصف دائري مفتوحا على وسط الدار. يتميز وسط الدار بمخطط ذي شكل مربع تقريبا 5م طول و 4.73م عرض، يتوسطه أربعة أعمدة ذات مقطع دائري متوسط قطره 0.40م كونه غير متناسقة، وهي موزعة في زوايا مستطيل حيث المسافة الفاصلة بين عمود وآخر 2.23م طولاً و 1.80م عرضاً، يتركز عليها عوارض السقف بحيث يرتكز السقف مباشرة على العمود ، فيما قاعدة هذه الأعمدة ترتكز مباشرة على أرضية وسط الدار، حيث يصل سمك السقف في هذه النقاط تحديدا حوالي 0.70م، ويتوسط الأعمدة في السقف فتحة شبّك الدار الخاصة بالتهوية والإضاءة، وأحدثت بها على مستوى كل عارضة فتحة صغيرة.

فُتح بواجهة الجدار الشمالي -الشرقي لوسط الدار مدخل عرضه 1م وارتفاع 1.93م، ليس له باب ومزود بعتبة، يؤدي إلى غرفة استقبال النساء تيزيفري ذات مخطط شبه منحرف ، حيث تتسع على يمين الداخل بحوالي 1.93م، فيما تضيق نوعا ما في الجهة اليسرى بحوالي 1.30م، أما طولها فبلغ 4م، زود جدارها المقابل للمدخل بصف من الكوات المعقودة على نفس الارتفاع 0.91م من الأرضية، وهي ليست بالعميقة حيث يبلغ عمق كل واحدة منها 0.35م، هذا إلى جانب فتحة صغيرة نافذة لا يتعدى عرضها 0.10م على نفس جدار المدخل يمين الداخل،

أين تفصل بينهما -أي المدخل والفتحة- مسافة قدرها 0.52م، ويتألف سقف هذه القاعة من عوارض خشب النخيل والذي يستند عليه بشكل متراص ألياف الجريد.

يقع في الجهة المقابلة لتيزيفري غرفتان ، الأولى ذات تخطيط مستطيل الشكل بطول 2م و1.67م عرضاً، لها فتحة مطلة على السكة غير النافذة -سبق الإشارة إليها عند تناولنا للواجهة الثانوية للمسكن- وتقع هذه الغرفة بمحاذاة السقيفة لها مدخل عرضه 1.68م، يوجد في أقصى يسار الغرفة بمحاذاة مدخل الغرفة الموالية التي هي الأخرى ذات تخطيط مستطيل ولكنها أصغر نسبياً 1.40م عرضاً و 2م عمقاً، ولكل مدخل من مداخل هاتين الغرفتين عتبة وباب من الخشب يفتح نحو الداخل، وفي الركن الموالي للغرفة الأخيرة هناك فضاء مغلق مخصص لصرف فضلات الكيف الخاص بالطابق الأول.

نصعد إلى الطابق الأول عن طريق درج صاعد ومغطى يقع بمحاذاة تيزيفري في الركن الشمالي، ويتخذ شكل الحرف اللاتيني L، أما عرضه فبلغ 0.85م فيما يبلغ عدد درجاته 8 درجات تليها 4 درجات في الاتجاه المؤدي للطابق الأول، فبمجرد الصعود لهذا الطابق نصادف رواقاً ذا تخطيط على شكل الحرف L اللاتيني هو إيكومار، فيما يقع الدرج السابق وكذا الدرج المؤدي للسطح في الزاوية الداخلية له.

يطل إيكومار على فضاء مكشوف يسمى تيغرغرت بواسطة بائكة ذات عقود نصف دائرية ترتكز على أعمدة جميلة، فالقسم الأول من الرواق يصادفنا عند الصعود وهو محمول على ثلاثة عقود آخرها أكثر انفتاحاً بحيث يبلغ قطر الأول والثاني 0.75م، أما الأخير فيصل قطره إلى 1.10م ويرتكز على الجدار مباشرة عند نهايته، وكذلك الحال بالنسبة للقسم الثاني من إيكومار نجد أن آخر عقودها أكثر انفتاحاً كما هو الحال في القسم الأول، حيث يصل قطر القوس الأخير 1.26م ويرتكز في القسم الأخير منه على جدار مباشرة، فيما الأعمدة ذات مقطع دائري بقطر 0.25م وارتفاع 1.10م، وتقوم هذه الأعمدة بحمل ثقل سقف هذا الرواق.

تحتل فتحة شبك وسط الدار الزاوية الشمالية من الفضاء المكشوف، وهي ذات مخطط مربع الشكل بمساحة بلغت (1.6x1.8)م²، وقد ثبتت قواعد أعمدة رواق إيكومار على ضلعي هذه الفتحة الشمالي-الشرقي والشمالي-الغربي، فيما بني سياج صغير يحيط بكل الفتحة، بلغ ارتفاعه 0.05م في الجهة التي لا ترتكز عليها الأعمدة، أما من جهة الرواق فبلغ الارتفاع 0.15م كون مستوى أرضية الإيكومار منخفض عن أرضية تيغرغرت.

تصطف في الجهة الموالية لجدار الواجهة الرئيسية ثلاثة غرف متباينة الشكل وغير منتظمة، إذ يقع مدخل الأولى في مواجهة الدرج الصاعد إلى الطابق الأول مباشرة، وزود هذا المدخل بباب خشبي يفتح إلى الداخل عرضه 0.65م، والجدران الواقعة على يمين ويسار المدخل له ماسطح مستو ومستقيم، إذ يبلغ طول الواقع على اليمين 1.90م أما طول الواقع على يسار الداخل فيبلغ 1.15م، بينما جاء جدار المدخل والجدار المقابل له غير مستقيمان ، فمعدل طول الأول 3.15م والثاني 3.37م، وقد زود جدار المدخل بفتحة صغيرة نافذة تطل على إيكومار وتبعد بمسافة 0.76م عن المدخل.

يلي هذه الغرفة غرفة أخرى تكاد تكون مستطيلة لولا الانحناء الواقع من جهة جدار الواجهة، ويدخل لهذه الغرفة من خلال مدخل مزود بباب خشبي يفتح نحو الداخل وهو موجود في الزاوية الشرقية لتيغرغرت، أما مقاسات الغرفة فمعدل العرض 2م ومعدل الطول 2.6م، ونجد الغرفة الأخيرة تحتل الزاوية الجنوبية من الطابق الأول ، ولها جدران يطلان على السكة غير النافذة والمسلك الرئيسي المؤدي إلى السوق، ويقع مدخلها في الزاوية الشمالية منها-أي الغرفة- يفتح نحو تيغرغرت.

فتح بالجدار الجنوبي-الغربي لتيغرغرت مدخل يؤدي إلى غرفة رابعة، وهو مزود بباب خشبي يفتح للداخل، وتتميز الغرفة بمخطط ذي شكل مستطيل (1.5X3.32م)م²، وكل هذه الغرف خالية من الكوات أو أي عناصر معمارية أو فنية أخرى.

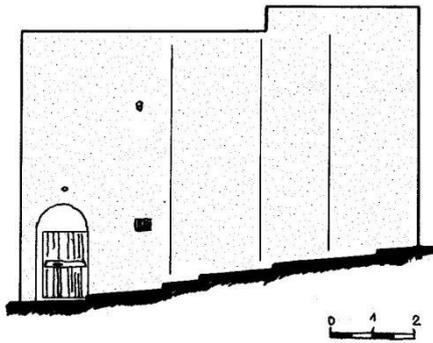
بالنسبة للمغسل والكنيف فهما موجودان بنهاية إيكومار في الركن الغربي ، وكل منهما ذو تصميم مستطيل الشكل (0.80X1.10م)م²، ومدخل الكنيف عرضه 0.60م وأما مدخل المطهرة فأقل عرضا 0.40م، وهما واقعان على مسقط عمودي مع الفضاء المغلق الواقع في الطابق الأرضي والخاص بالصرف.

نصعد من هذا الطابق صوب السطح مباشرة من خلال درج صاعد أشرنا إلى موقعه سابقا، لكن ما تجدر الإشارة إليه وجود مدخل في بداية الدرج مزود بباب مغلق يربط المسكن بالمسكن المجاور وهو على ارتفاع 4 درجات من سطح إيكومار، وقبل نهاية الدرج وبعد ما كنا في اتجاه شمال شرق صعودا ننحرف باتجاه جنوب شرق صعودا أيضا، حيث يأخذ الدرج مخطط على شكل حرف L اللاتيني.

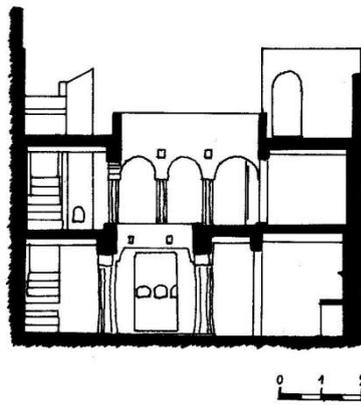
السطح عبارة عن ساحة مكشوفة باستثناء الزاوية الشرقية منها حيث يقوم رواق إيكومار، ويرتكز سقفه على عمود ذي مقطع دائري قطره 0.20م بواسطة عقدين نصف دائريين، ومخطط إيكومار غير منتظم الشكل على منوال تصميم الغرفة الواقعة أسفله. يتوسط السطح فراغ له نفس أبعاد تيغرغرت يقوم بتأمين التهوية والإضاءة للطابقين الأول والأرضي، وقد أحيط هذا الفراغ من جهاته الأربعة بتحويط يصل ارتفاعه 0.55م، وفتح بالجدار الآخر مدخل معقود بعقد نصف دائري مفتوح على السطح عرضه 0.70م، كما زود السطح من جهة الواجهة الرئيسية والواجهة المطلة على السكة غير النافذة بجدار سترة يرتفع عن أرضية السطح بحوالي 1.50م.



موقع المسكن في قصر مليكة



الواجهة الرئيسية للمسكن

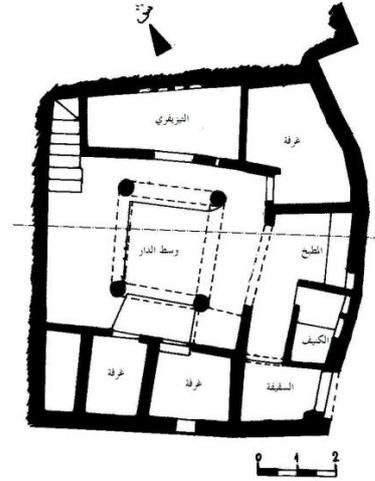


مقطع رأسي للمسكن

اللوحة رقم: 03



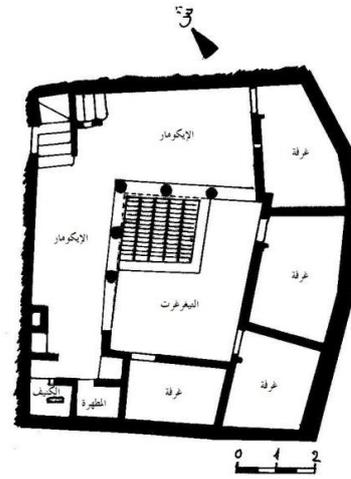
وسط الدار - الطابق الأرضي



مسقط أفقي للطابق الأرضي



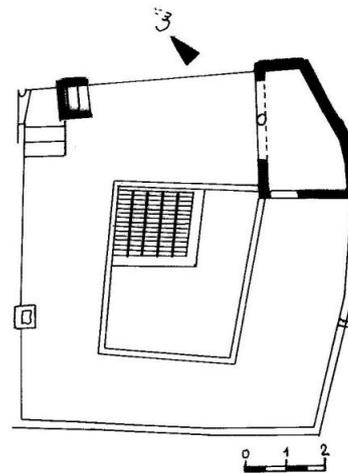
الإيكومار يتقدمه الشباك - الطابق الأول



مسقط أفقي للطابق الأول



دعامات سقف وسط الدار



مسقط أفقي للسطح

اللوحة رقم: 04

- المسكن رقم 03:

يقع هذا المسكن في قصر بنورة في قسمه الجنوبي من القصر في الجهة الجنوبية-الشرقية من المسجد كما أنه قريب من باب القصر المسمى "الباب القبلي". بمسلك غير نافذ يتفرع في اتجاهين متعاكسين (اللوحة رقم: 5)، كما تعود ملكية هذا المسكن للسيد شيخ دحمان عمي دحمان، ويرتفع بمقدار 5.30م عن أرضية المسكن ويتألف من طابقين وسطح (طابق أرضي + طابق أول + سطح)، ومخطط المسكن ذو شكل غير منتظم، إضافة إلى أن مساحة الطابق الأول تزيد عن مساحة الطابق الأرضي بقليل، بحيث مساحة الطابق الأرضي تزيد عن 53م²، فيما مساحة الطابق الأول في حدود 64م²، ومرد هذا الفارق يعود إلى المساحة المضافة للمبنى على مستوى الممر المسقوف رغم أن الطابق الأرضي أضيفت له مساحة جانبية ضمت مدخل الرئيسي والسقيفة. يشترك المسكن في طابقه الأرضي مع الجيران بالنسبة للجدار الشمالي-الشرقي والجنوبي-الشرقي، فيما يطل الجدار الشمالي-الغربي الذي يمثل الواجهة الرئيسية مباشرة على المسلك غير نافذ، أما بالنسبة للجدار الجنوبي-الغربي -أي واجهة المسكن الجانبية- فنجد أنها في مستوى الطابق الأرضي تطل مباشرة على السكة غير النافذة، لكنها تتصل بجدار الجار على مستوى الطابق الأول والسطح.

اتسمت الواجهة الرئيسية على غرار واجهات المساكن الإسلامية بالبساطة وغياب تام للفتحات باستثناء فتحة المدخل الرئيسي الواقعة بالركن الأيمن للواجهة الرئيسية، إذ تميز باستقلاليتها عن شكل الواجهة المستطيل رغم التصاقه بها، كونه والسقيفة واقعين أسفل الطابق الأول لمسكن الجار، و إلى جانب المدخل الرئيسي هناك فتحة مصممة بالركن الأيسر بمقاسات المدخل الرئيسي ولكنها معقودة بقوس، أما التليس فكان بتقنية العرجون المعروفة محليا.

يبلغ عرض المدخل ذي الشكل المستطيل 1.10م فيما يبلغ ارتفاعه 1.70م، وهو غير معقود بل له ساكف مصنوع من العوارض الخشبية، كما زود بعتبة ترتفع عن مستوى أرضية الطريق بحوالي 0.10م إلى 0.13م، ومرد ذلك إلى وجود المسكن فوق أرضية تشهد ميلانا نسبيا أملاه موقع المسكن في منحدر أسفل القصر، فيما زود هذا المدخل بباب خشبي مصنوع من عوارض خشب النخيل المجمعة جنبا إلى جنب.

نتج عن وجود المدخل بهذا الشكل حجب للرؤية الأمر الذي جعل المدخل يتصل بالسقيفة ذات الشكل المستطيل تقريبا بعرض 1.40م و 2.27م طولاً (اللوحة رقم: 6)، وهي

فضاء يقع مباشرة تحت مسكن الجار في هذه الجهة، ولا نجد تفسيراً محدداً لهذه الظاهرة التي قد تكون ناتجة عن تقسيم تركة أو بيع أو سبب آخر نجهله، ولكن هي حالة تؤكد وجود مثال جيد للارتفاق فيما بين الجيران.

نجد في آخر السقيفة على يمين الداخل مدخلاً معقوداً ليس له باب، ويؤدي إلى فضاء يسمى **تاهجة** مستوى أرضيته منخفض مقارنة بأرضية السقيفة، وهو الآخر فضاء يقرب شكله من المستطيل بعرض 2م في بدايته ليتناقص حتى يصل 1.70م في نهايته وبطول يقارب 4م له دكة حجرية ركنية بجدار الواجهة على يمين الداخل عرضها 1.15م، ربما كانت فتحة مدخل فيما سبق، فيما هناك مدخل معقود في وسط الجدار المقابل تؤدي مباشرة لوسط الدار بعرض 1.33م وارتفاع 2.10م.

يتميز وسط الدار بشكله القريب من المستطيل حيث يبلغ طول ضلع 5م أمّا عرضه فحوالي 4م، يتوسط سقفه فتحة شبّاك مربعة الشكل يتراوح طول أضلاعها بين 1.93م و1.80م، كما زودت بشبّاك معدني يسهل من تغطيتها عند الحاجة تقي من سقوط الأطفال أو غبار الزواجر الرملية، أما سقف وسط الدار فهو محمول على دعامتين مركزيّتين ذات مقطع على شكل حرف L اللاتيني طول أكبر أضلاعها 0.40م، وتتمركز هذه الدعامات في الزوايا الشمالية والغربية أمّا في الجهات الأخرى فهو محمول مباشرة على جدران الغرف.

يُخذ الكنيف موقعا في زاوية المسكن الغربية بمحاذاة تاهجة، ويتميز ببساطته وارتفاعه مستوى أرضيته عن أرضية وسط الدار بحوالي 0.45م، حيث زود مدخله بدرجة تتقدمه ارتفاعها حوالي 0.20م، أما عرض المدخل فحوالي 0.50م.

تنوزع الغرف بالجهة الجنوبية-الشرقية، لكن غرفة تيزفري توجد بالجهة الشمالية-الشرقية، وعند الدخول لوسط الدار يقابلنا مباشرة غرفتين أكبرهما تقع بالجهة اليمنى، حيث يقع مدخلها المزود بعتبة بالركن الشمالي للغرفة، ويبلغ عرضه 1.18م وارتفاع 1.90م وله باب خشبي يفتح نحو الداخل، أما مخطط هذه الغرفة فهو قريب من المستطيل، ولكن في نهايتها على يمين الداخل نجد زاوية بارزة إلى الداخل ناتجة عن الركن المخصص للمطبخ، وقد بلغ طول هذه الغرفة حوالي 3م وعرض 1.40م، وهي خالية من أي فتحات أو كوات.

أمّا المطبخ فهو بسيط ليس به سوى رفين لوضع الأغراض الخاصة بالطهي إلى جانب مكان الموقد، وهو مفتوح مباشرة على وسط الدار وليس له باب.

تلي هذه الغرفة الأولى غرفة ثانية أقل منها مساحة بمقدار النصف تقريبا أو حتى أقل من ذلك، وهي ذات مخطط يقترب من الشكل المربع بطول 1.5م لكل ضلع، لها مدخل عرضه 0.65م مزود بباب خشبي يفتح نحو الداخل، خالية من أي عناصر معمارية أو فنية.

يلي هذه الغرفة غرفة استقبال النساء ذات المخطط المستطيل الشكل و بمساحة في حدود 5.75م²، ويفضي إليها عن طريق مدخل عرضه 0.95م وارتفاع 1.50م له عتبة ترتفع عن مستوى أرضية وسط الدار بمقدار 0.13م بدون باب، وقد زودت جدرانها بلربع كوات مربعة الشكل، إحداها توجد على يسار الداخل بزواوية الغرفة الغربية طول ضلعها 0.20م، فيما توجد الثلاثة الأخرى بالجدار المقابل لمدخل الغرفة، اثنتان منها بالزوايا والثالثة تتوسط الجدار ويبلغ طول أضلاعها 0.30م، وكلها بعمق 0.23م، أما الأخيرة فتقع تقريبا وسط الجدار الواقع على يمين الداخل بنفس طول الكوات الأخرى ولكن بعمق أقل 0.13م.

يقع في مقابل مدخل الغرفة الثانية أي الصغيرة الدرج الصاعد إلى الطابق الأول، وأسفل منه نجد فضاء مخصصا لحزن الأغراض، ويبلغ عرض الدرج حوالي 0.82م، وهو ذو مخطط على شكل حرف L اللاتيني، بحيث ينحرف الصاعد جهة اليسار أين يلجج إلى إيكوما مباشرة، وهو عبارة عن رواق مسقوف ذي مخطط على شكل حرف L اللاتيني، ويحمل سقفه صف من العقود نصف دائرية إلى جانب عقد مستقيم في كل طرف من الدواق ترتكز على دعائم، ويبلغ عدد الدعائم في الجهة الشمالية-الشرقية ثلاثة والرابعة في رأس زاوية إيكوما مشتركة مع الصف المتجه عموديا والذي يضم بدوره دعامتان، حيث تحمل هذه الدعائم في الصف الأول أربعة عقود، أما الصف الثاني فيحمل ثلاثة عقود ويفصل بين دعائم الصف الأول مسافة متباينة تتراوح ما بين 0.73م إلى 0.65م، ولكن في الصف الثاني تتسع المسافة لتبلغ 0.95م بين كل دعامة وأخرى، باستثناء المسافة بين الدعامة الأخيرة والجدار من كل صف إذ تبلغ بينهما المسافة 1.65م بالنسبة للصف الأول و1.60م بالنسبة للصف الثاني، لأن العقد في كلا الصفين يرتكز في هذه النقاط مباشرة على الجدار، كما نشير إلى تلك الكوات الواقعة بين كل عقد وآخر وتأخذ شكل مستطيل واقف وبمقاسات (0.15x0.20)م².

نعود إلى نهاية الدرج وعلى يمين الصاعد دوما حيث يصادفنا مدخلا عرضه 0.70م خاص بغرفة ذات مخطط مستطيل الشكل (1.67x4.22)م² جدرانها بسيطة وخالية من أي عناصر معمارية، ويلي هذه الغرفة ركن مخصص للمطهرة والكنيف على نفس المستوى مع نظيرتها

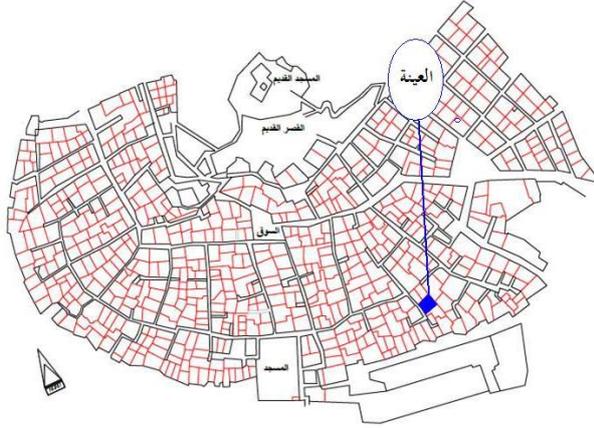
بالتابق الأرضي، وهي غير مجهزة بأبواب ولكن تخطيطها يسمح بحجب الرؤية، فيما نجد بينها جدار فاصل لا يتعدى سمكه 0.10م أما عرض المدخل فيبلغ 0.50م.

نصل مباشرة بعد الخروج من هذا الفضاء وإيكومار إلى فضاء مكشوف يهيى

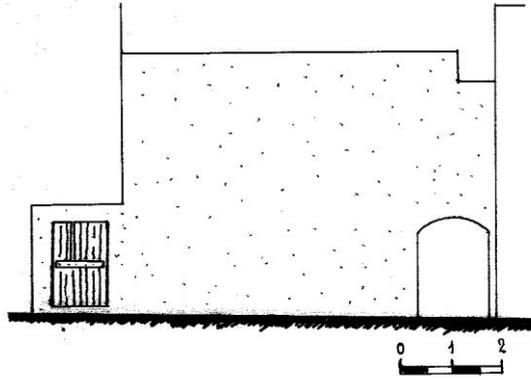
تيغرغرت يقع بزوايته الركنية الشمالية فتحة الشباك، وفي زاويته الغربية مدخل ليس له باب باستثناء عتبة، ويؤدي إلى رواق صغير يفصل بين غرفتين جاءت مداخلها ذات 0.75م عرضا وهي غير متقابلة ولها أبواب، ويقع مدخل الغرفة الواقعة على يمين الداخل في نهاية الرواق، وهي قاعة مستطيلة بلغ طولها 3.5م وعرضها 1.75م، أما الغرفة الواقعة على يسار الداخل فمدخلها على العكس في بداية الرواق وهي الأخرى مستطيلة الشكل حيث يبلغ طولها حوالي 2.90م وعرضها 1.90م، في حين مقاسات الرواق 1.82م طولاً و 1م عرضاً.

في الجهة المقابلة لآخر غرفة وفي نهاية إيكومار نجد مدخلا لغرفة أخرى ذات مخطط مستطيل الشكل طولها 4.10م أما عرضه 1.70م، أما عرض مدخل هذه الغرفة 0.76م وارتفاعه 1.40م وله عتبة ترتفع بمقدار 0.10م عن أرضية إيكومار، ومزود بباب خشبي يفتح نحو الداخل، ولا بد أن نشير إلى غياب أي عناصر معمارية أخرى، وارتفاع أن مستوى أرضية إيكومار عن تيغرغرت.

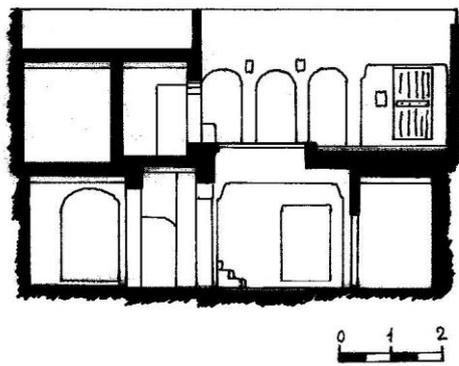
بالنسبة لسطح المسكن فهو غير موصول بالطابق الأول في غياب الدرج، ولعل غياب الدرج على غير العادة في مساكن مزاب يُرد إلى تقسيم تركة أو ما شابه، وما يعزز هذا الطرح التداخل الحاصل بينه وبين المسكن المجاور في الجهة الشمالية-الشرقية. يمثل السطح كل المساحة الواقعة فوق غرف الطابق الأول باستثناء مساحة تيغرغرت، حيث يأخذ مخططه شكلاً يُشبه حرف U اللاتيني المنقوص من زاويته اليسرى السفلى، هذه المساحة المنقوصة تعود للمسكن المجاور وتقع فوق سقيفة المسكن، و يحيط بكل جوانب السطح حائط سترة بارتفاع يبلغ 0.70م.



موقع المسكن بالنسبة لقصر بنورة

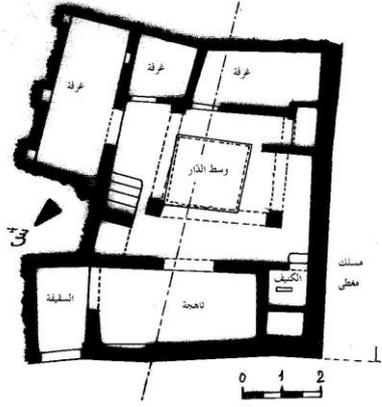


الواجهة الرئيسية للمسكن

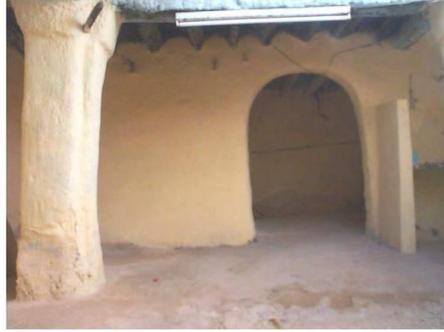


مقطع رأسي للمسكن

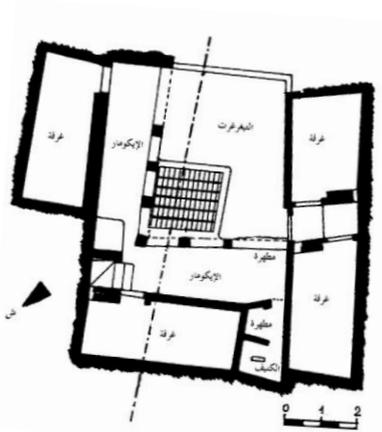
اللوحة رقم: 05



مسطح أفقي للطابق الأرضي



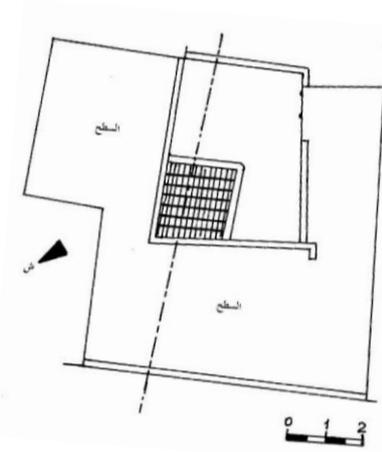
مدخل وسط الدار



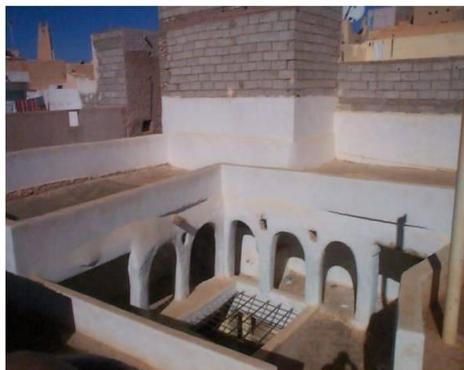
مقطع أفقي للطابق الأول



رواق البيومار - الطابق الأول



مقطع أفقي للسطح



البيومار يعلوه السطح

اللوحة رقم: 06

- المسكن رقم 04:

يقع هذا النموذج بالقرب من نواة قصر غرداية جنوب المسجد العتيق، حيث يفصل بينهما شارع ومسكنين على بعد أمتار من بعضهما، حيث يأخذ موضعه بين المساكن التي تحيط به من جهاته الثلاثة (الجنوبية-الشرقية، والشمالية-الشرقية، والشمالية-الغربية)، فيما يطل على الشارع من خلال واجهته الرئيسية التي تمثل الجهة الجنوبية-الغربية (اللوحة رقم: 7)، أما ملكية المسكن فتعود لجمعية سبل السلام، ويبلغ ارتفاع واجهة المسكن الرئيسية 5.40م لكن الارتفاع الكلي للمسكن يصل إلى 8م وهذه الزيادة ناتجة عن التوسعة العمودية في أعلى عمق المسكن.

جاء مخطط المسكن مربع الشكل تقريبا بمساحة تقدر بحوالي 59م² تقريبا، وما يلفت الانتباه وجود امتداد للمسكن في ركنه الشمالي على مستوى الطابق الأول والسطح بمساحة لا تتعدى 0.90م² وذلك على حساب مسكن الجار، وقد شكلت هذه الزيادة في الطابق الأول جزءا من مساحة غرفة، أما في السطح فاستخدم فضاء للتخزين، ومن جهة أخرى يفقد المسكن قيد الدراسة جزءا من مساحته في ركنه الغربي على مستوى الطابق الأول لصالح مسكن الجار الآخر، وهذه الظاهرة مألوفة في التقاليد العمرانية بالمدينة الإسلامية وفي قصور وادي مزاب بشكل خاص، وهذه الوضعية ناتجة ربما عن قسمة تركة أو شراء أو هبة أو طريقة من الطرق الأخرى في تحصيل الملكية، ويتألف المسكن بشكل عام من طابق أرضي وطابق أول وسطح.

تبدو الواجهة الرئيسية خالية من أي فتحات باستثناء فتحة المدخل الرئيسي للمسكن وتلك الميازيب الموزعة على الطابق الأول والسطح، بحيث هناك واحد في السطح بالركن الأيمن بالنسبة لواجهة المسكن، والآخر يوجد على ارتفاع 3.27م ويبعد عن الحافة اليسرى للواجهة بمسافة قدرها 2.4م، والتليس نفذ بتقنية العرجون رغم أنها فقدت كثير من أجزائها.

تميز المدخل الرئيسي للمسكن ببساطته كما أنه غير معقود وزود بباب خشبي مصنوع من عوارض خشب النخيل التي تجمعها عارضة خشبية خارجية وعمودية عليها، كما زود بحلقة للطرق وقفل معدني حديث، ويبلغ ارتفاع المدخل 1.80م وعرضه 1.08م، كما زود بعتبة ارتفاعها 0.10م من الجانبين كون المسكن موجود على أرضية مستوية وليست منحدره على غير العادة.

يؤدي المدخل مباشرة إلى سقيفة ذات مخطط مستطيل 3.24 م طولاً و 1.45 م عرضاً (اللوحة رقم: 8)، ويوجد خلف باب المدخل مدخل الإسطبل الذي تنخفض أرضيته عن مستوى أرضية السقيفة وليس له باب، وهو ذو مخطط مستطيل الشكل حيث يبلغ طوله 1.15 م أما عرضه فيبلغ 0.72 م، يوجد في نهاية السقيفة في الجدار المقابل للمدخل مدخل قاعة استقبال الرجال دويرة، وهي مزودة بباب خشبي يفتح إلى الداخل، وتميزت هذه القاعة بالبساطة وغياب أي عنصر معماري أو زخرفي على جدرانها، ولكن ينخفض سقفها عند الركن الشمالي وسبب ذلك وجود الدرج المؤدي إلى الطابق الأول في هذه النقطة.

نعطف يمينا بعد مدخل الإسطبل مباشرة في الركن الشرقي للسقيفة حيث يوجد المدخل المؤدي إلى فضاء انتقالي يسمى تَهَجَّة، وهو ذو مخطط على شكل حرف L مقلوب، وقد أخذ هذا الشكل نتيجة لوجود الإسطبل في زاويته الغربية، ويبلغ أطول أضلاعه 4.18 م أما عرضه فبلغ 2.11 م، وقد زود هذا الفضاء على مستوى الجدار الجنوبي-الغربي بدكة حجرية ترتفع عن مستوى أرضية هذا الفضاء بحوالي 0.30 م، أعدت كمكان للجلوس والنسيج على وجه الخصوص حيث ثبت بالجدار أعمدة المنسج، ولكنها لا تمتد على طول الجدار فطولها لا يزيد عن 2.10 م وبعرض قدره 0.70 م، لتترك مساحة تفصل بين الدكة وكوتين مستطيلتين 0.36 م عمقا و 0.5 م عرضا بالجدار المشترك مع الكنيف بالزاوية الجنوبية لتهجة، وتتوضعان الواحدة فوق الأخرى وهي مخصصة لوضع الأغراض.

زود نفس الجدار بثلاث كوات معقودة بعقود نصف دائرية على ارتفاع حوالي 1 م أعلى الدكة، بالإضافة إلى ثلاث كوات أخرى غير معقودة تعلو كل واحدة كوة من الكوات السابقة، ولكن جميعها بطول 0.70 م وعمق 0.20 م، أما التسقيف فبواسطة العوارض الخشبية وجريد النخيل، ويتصل هذا الفضاء مباشرة بوسط الدار من خلال مدخل معقود بعقد مستقيم، وينفتح بعرض يبلغ 2.37 م.

يتميز وسط الدار ذو المخطط المربع الشكل يبلغ (3.5×3.5) م² بوجود رواق يحيط به من الجهتين الشمالية-الشرقية والشمالية-الغربية، ويقوم بحمل سقف الرواق عمودان، أما في الجهة الجنوبية-الشرقية من وسط الدار فنجد فضاءات خاصة للرحى، والعترة، والكنيف.

زود سقف وسط الدار بفتحة ذات شكل يقترب من المربع مساحتها 1.38×1.57 م²، مزودة بشباك معدني يسهل تغطيته عند الحاجة، ويرتفع سقف وسط الدار عن الأرضية بحوالي 2.60 م.

يوجد الكنيف على يمين مدخل تهجة مباشرة، وهو مبني بشكل تقليدي إذ لديه فتحة صغيرة مستطيلة الشكل تؤدي مباشرة لبئر الصرف، وزود بمدخل معقود ليس له باب، ولكن تخطيطه يسمح بحجب الرؤية عن من بداخله، حيث يضطر الداخل إلى هذا الفضاء للانعطاف إلى أقصى اليمين ليجد نفسه في فضاء ذو مخطط مستطيل الشكل (0.87×1.60 م²) ليس بجداره أي كوة سواء كانت نافذة أو غير نافذة.

يقع بمحاذاة الكنيف وعلى يمين مدخله مباشرة فضاء قسم إلى مستويين أحدهما يعلو الآخر، حيث العلوي منهما خصص لوضع الرحي والذي يسمى محليا تاسيرت، ويصعد إليه من خلال لم ذي تسع درجات موجود إلى يمين مدخل الكنيف مباشرة ويبلغ ارتفاعه 1.10 م، وقد زود بجدار حاجز يرتفع بمقدار 0.45 م ليترك مجالا ارتفاعه حوالي 0.30 م لدخول الضوء إلى هذا الفضاء، بينما خصص المستوى السفلي لوضع الأدوات ومستلزمات البيت وأدوات العمل وربما كفضاء للعزّة، ويتميز بمستوى أرضيته المنخفضة، حيث ينخفض عن مستوى أرضية وسط الدار بمقدار 0.05 م، فيما زود بعتبة ترتفع بنفس القياس عن أرضية وسط الدار، أما ارتفاع هذا الفضاء فيبلغ حوالي 1.32 م.

يلي هذا الفضاء المتميز بتصميمه فضاء آخر لا يقل أهمية عن غيره هو المطبخ والمسمى محليا إناين، وجاء هذا الأخير على درجة كبيرة من البساطة والصغر حيث لا تتعدى مساحته 0.72 م² كما زود بكوات لوضع الأغراض ومدخنة مبنية صعودا نحو أعلى المبنى.

يقابل الداخل إلى وسط الدار مدخل غير معقود عرضه 1.34 م يؤدي إلى غرفة استقبال النساء التي صممت بتخطيط مستطيل الشكل وتقدر مساحتها بـ 7.49 م²، ولم يزود هذا المدخل بباب كما نلاحظ ارتفاع أرضيتها، وهي غرفة بسيطة مسقوفة بعوارض خشبية مصنوعة من خشب النخيل، إلى جانب وجود فتحتين مستطيلتين ونافتين رغم صغرهما بجدار المدخل تقعان على يسار الداخل، ويبلغ ارتفاعهما 0.15 م وأما عرضهما فيبلغ 0.08 م وتبعدان عن بعضهما بمسافة 0.30 م، بينما ترتفعان عن مستوى أرضية وسط الدار بمقدار 0.40 م والغرض من إنشائهما الإضاءة والتهوية إلى جانب المراقبة لمجال وسط الدار.

يوجد في الركن الشمالي من وسط الدار مدخل غرفة الخزين، والمزود بباب خشبي يفتح إلى الداخل، وهي غرفة ذات مخطط مستطيل الشكل تقريبا طول ضلعها 2.70 م وعرضها 1.94 م، وما يميز هذه الغرفة وجود تهيئة مبنية على شكل جرة تسمى باجو وهي مخزن صغير ذو

ارتفاع يقارب 1.5م وعرضه 1م، مخصص لحزن التمر بحيث زود في زاويته الموالية للجدار الشمالي-الغربي بفتحة لها باب خشبي يفتح ويغلق لغرض التخزين عرضه حوالي 0.32م. يقع الدرج المؤدي للطابق الأول بين المخزن وقاعة استقبال الرجال المفتوحة على السقيفة، حيث يبلغ عرضه 0.70م، وتمتد درجاته إلى وسط الدار، حيث يتقدم ثلاث منها مدخل الدرج، بالإضافة إلى تسع درجات أخرى نصعد من خلالها إلى أن نصل إلى مفترق ينخفض عن أرضية الطابق الأول بحوالي درجتين ارتفاع كل منهما 0.20م، فإذا ما انعطفنا جهة اليمين نصادف مدخل غرفة تقع مباشرة فوق المخزن، وهي لا تتصل مباشرة بالإيكومار. عند الانعطاف يسارا نجد أنفسنا في الجزء الأول من إيكومار، والذي يحمل سقفه عقدين نصف دائريين يرتكزان على عمودين مقطعهما دائري، حيث يتصلان بزوايا شبك وسط الدار الشمالي والغربية على التوالي، أما الجزء الثاني من الرواق والواقع في الجهة الشماليّة-الشرقية فهو الآخر يحمل سقفه عقدان نصف دائريان يرتكزان على عمودين أحدهما -في الزاوية الشماليّة للشباك- ويعتبر عمودا مشتركا ونقطة التقاء وارتكاز لعقدين في زاوية الرواق، وأما العمود الآخر فمقطعه دائري هو الآخر، وتباين المسافة الفاصلة بين الأعمدة مما يدل على عدم تساوي فتحات العقود، وما يجب الإشارة إليه تلك الأشكال المربعة المبنية التي تتوج الأعمدة في محاولة لمحاكاة وسائل الأعمدة بغرض إضفاء نوع من الجمالية، إلى جانب تلك الكوات الصغيرة المستطيلة الواقعة بين العقد والآخر (0.15x0.30)م² وهي غير نافذة الهدف منها توزيع ثقل السقف على الأعمدة.

يتميز رواق إيكومار بعمقه الكبير نسبيا حيث عمق القسم الأول منه 2.50م، أما القسم الثاني فيبلغ عمقه 2.70م، لذا كان من الواجب التفكير في إيجاد حل لرفع هذا الثقل الموزع على هذه المساحة، وهو ما حصل حيث يرتكز القسم الأول على عارضة تتوسط الرواق وتمتد عليه طوليا، ولكنها ترتكز في طرفيها مباشرة على الجدارين، وهو الحال نفسها بالنسبة للقسم الثاني ولكن في هذا الجزء دعمت العارضة قبل أن تتصل بالجدار بعمود يحمل العارضة بواسطة عقد نصف دائري يمتد على مسافة 1م ويرتكز في الجهة المقابلة على الجدار نفسه. بنيت دكة مخططها مربع الشكل تقريبا في المساحة المحصورة بين العمود المشار إليه أخيرا والزاوية الشرقية للطابق الأول، وجاءت مساحتها (1.39x1.30)م²، فيما ترفع عن مستوى أرضية إيكومار بحوالي 0.25م وخصصت للصلاة، وإلى جانبها بالجدار الجنوبي-الشرقي مبنى

نصف مخروطي صاعد على طول الجدار يمثل مدخنة المطبخ ذاتها التي سبق الإشارة إليها في حديثنا عن المطبخ.

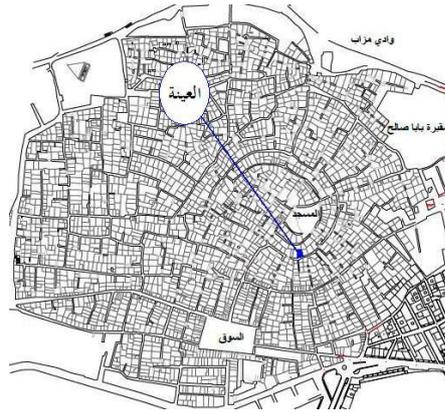
تقع في الزاوية الغربية من الطابق الأول غرفة يفتح مدخلها على إيكومار، كما زود بباب خشبي يفتح إلى الداخل، ولكن ما يميز هذا المدخل وجوده في الركن الشمالي للغرفة، ويبلغ عرضه 0.68م، وجاء تخطيط الغرفة مستطيل الشكل بمساحة قدرها (1.80x2.21)م². خصصت الزاوية الجنوبية للطابق الأول للمطهرة والكنيف -أي أدمج باللهجة المحلية- على مساحة مستطيلة مقاساتها (1.5x2)م²، حيث فتح مدخلها المشترك في الزاوية الشمالية من هذه المساحة، ولكن في اتجاه الشمال الشرقي وبعرض 0.50م، فبعد الدخول نصادف المطهرة على يسارنا فيما يوجد الكنيف في نهاية هذه المساحة وهو تقليدي ليس له سوى فتحة صغيرة مستطيلة تتصل ببئر الصرف، وهي على نفس المستوى مع كنيف الطابق الأرضي، كما زودت على ارتفاع 1.90م بفتحة نافذة صغيرة عرضها 0.15م وارتفاعها 0.20م، وتطل على الشارع لغرض التهوية والإضاءة.

تميز تيغرغرت أي الفضاء المكشوف بشكل مخططه غير المنتظم إلى جانب وجود صف من الكوات في جداره الجنوبي-الغربي -أي جدار الواجهة- حيث بلغ عددها خمسة، وكلها معقودة بعرض 0.50م وعمق 0.20م ولا يفصل بين الكوة والأخرى سوى 0.05م، فيما بني جدار سترة بين هذا المسكن ومسكن الجار الواقع في الجهة الجنوبية-الشرقية بارتفاع 2.35م، ثبت عليه أوتاد خشبية لتعليق الأشياء، أما فتحة الشباك الواقع بزوايته الشمالية فقد بني لها جدار تحويط صغير يرتفع عن مستوى الأرضية بحوالي 0.07م وبعرض 0.32م.

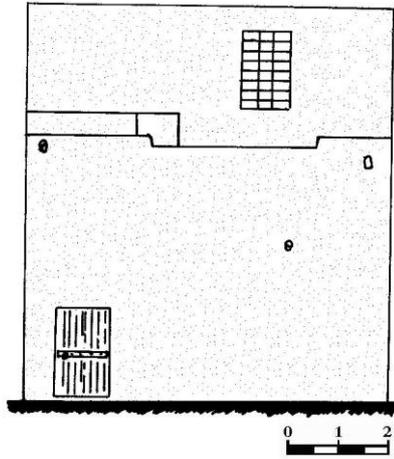
يلاحظ في هذا المستوى تباين مستوى سطح رواق إيكومار والغرفة المجاورة له، حيث يرتفع سطح الرواق عن سطح الغرفة، ليصل هذا الفارق إلى حدود 0.50م وهو أمر واضح بجلاء من خارج المسكن، ويمكن تفسير ذلك باختلاف مستوى الأرضية في اتجاه المسكن صعودا باتجاه المسجد على عكس اتجاه الواجهة.

يظهر من الخارج زيادة توسعة عمودية للمسكن فوق سطح الغرفة الواقعة على يمين الصاعد للطابق الأول و سطح القسم الثاني لإيكومار، وللصعود إلى هذا المستوى هناك درج يقع بمحاذاة نهاية الدرج الصاعد إلى الطابق الأول وفي مقابل الزاوية الشمالية للشباك، بحيث جاء هذا الدرج على شكل حرف "ح" بالعربية، فالصاعد من خلاله ينعطف يمنينا وبعد صعود ثماني درجات ننعطف مباشرة إلى اليسار في خط مستقيم، حيث نجد مدخل مزود بباب يفتح على

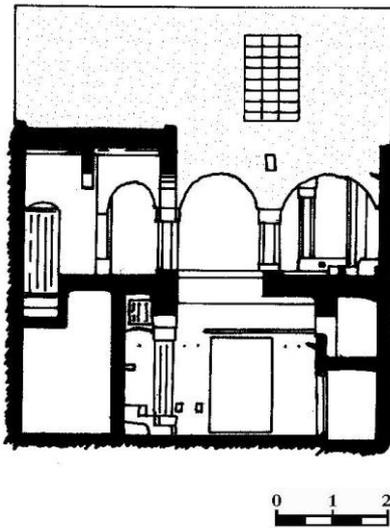
السطح، وهناك يقابلنا مباشرة مخزنا صغيرا ذا مخطط مستطيل مزود بباب وعلى يسار الخارج من باب الدرج هناك ثلاثة درجات أخرى قبل أن نصل قاعة كبيرة مستطيلة الشكل (2.92X5)م²، وبالنظر إلى كبر مساحتها نسبيا حمل سقفها على عارضة تتوسطها وتمتد طوليا، ودعمت بعمود على نفس المسقط مع العمود الذي سبق الحديث عنه في زاوية دكة الصلاة بالطابق الأول، وما يميز هذه القاعة أمران هما بروز المدخنة ذات الشكل نصف المخروطي، وتلك النافذة ذات المقاسات الكبيرة والمطللة على تيغرغرت، حيث وصل ارتفاعها 1.60م وعرضها 1م وهي مزودة بشباك معدني ونافذة زجاجية.



موقع المسكن بالنسبة لقصر غرداية



الواجهة الرئيسية للمسكن



مقطع رأسي للمسكن

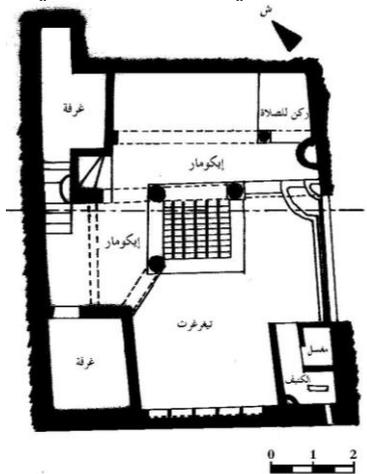
اللوحة رقم: 07



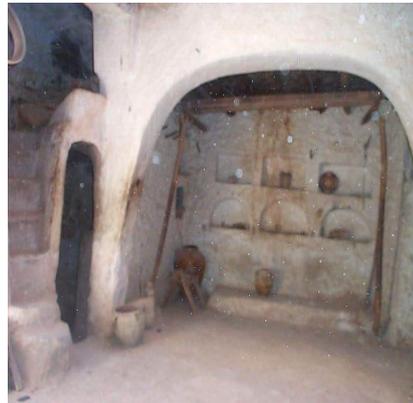
مسقط أفقي للطابق الأرضي



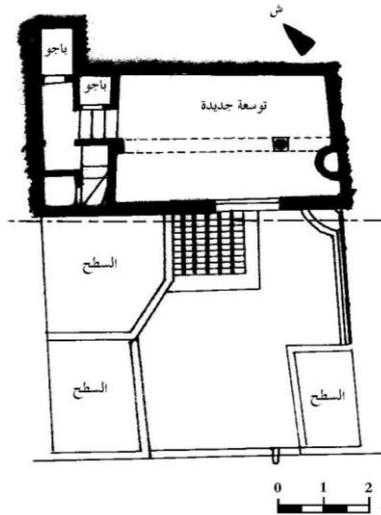
الواجهة الرئيسية للمسكن



مسقط أفقي للطابق الأول



مدخل تيزيفري مشرع على وسط الدار



مسقط أفقي للسطح



تيغرت يتقدمه الشباك

اللوحة رقم: 08

- المسكن رقم 05:

تعد العينة الخامسة آخر العينات المدروسة في منطقة وادي مزاب، وهو ملكية خاصة تعود للسيد سبع محمد، حيث تقع في الجزء الجنوبي-الشرقي من قصر بني يزقن وهي بذلك تكاد تتوسط المسافة الفاصلة بين المسجد والسور جنوب المسجد العتيق (اللوحة رقم: 9)، وهي تقع على السكة الرئيسية الرابطة بين باب "الزنقات" والمسجد، وليس لها سوى واجهة واحدة تطل من خلالها على هذه السكة من جهة الجنوب-الشرقي (القبلة)، فيما تحيط به مساكن الجيران من جهاته الثلاث الباقية (الجنوبية-الشرقية، الشمالية-الشرقية، الشمالية-الغربية)، ويصل ارتفاع واجهة المسكن الرئيسية إلى 7.60م عن أرضية الشارع ذلك أن للمسكن دهليز، وبذلك يتألف المسكن من دهليز، وطابق أرضي، وطابق أول وسطح، ليصبح بذلك للمسكن ارتفاع كلي قدره 10.30م بعد احتساب ارتفاع الدهليز، وجاء مخطط المسكن ذو شكل غير منتظم بلغت مساحته حوالي 76م² تقريباً، وما يميز هذا المسكن وجود تداخل بينه وبين المسكن المجاور في الركن الغربي للمسكن على مستوى الطابق الأرضي بمساحة قدرها 2.7م²، وهي مساحة تابعة لمسكن الجار، بينما تتبع هذه المساحة للمسكن المدروس في باقي المستويات وهذه حالة شائعة في المساكن التقليدية.

جاءت الواجهة الرئيسية للمسكن بسيطة خالية من أي عناصر معمارية أو زخرفية، باستثناء فتحة المدخل الرئيسي ونافذة مستحدثة على مستوى المطبخ في الطابق الأرضي إلى جانب نافذة بالطابق الأول تعلو المدخل الرئيسي، كما يوجد ميزاب واحد على مستوى السطح، يرتفع عن أرضية الشارع بحوالي 5م ويبعد عن الجانب الأيمن للمسكن بـ 1.35م، أما تليس الواجهة فنفذ بتقنية العرجون وهو في حالة جيدة كما يتميز بلون رملي يعلو شريط آخر يرتفع عن أرضية الشارع بمقدار 1م ذو لون رملي غامق.

تميز المدخل الرئيسي للمسكن هو الآخر ببساطته إلا أنه معقود بعقد نصف دائري مصمت خال من أي زخارف، كما تتميز بمقاساته المعتبرة حيث بلغ ارتفاعه حتى الساكف حوالي 1.63م، أما نصف قطره فيبلغ 0.65م، فيما بلغ عرض المدخل حوالي 1.10م، وعتبة المدخل غير موجودة كون مستوى أرضية المسكن جاءت أسفل مستوى أرضية الشارع، وربما يفسر ذلك لارتفاع الردم على مستوى الشارع تدريجياً إلى أن أصبح على هذه الحال، وقد زود هذا المدخل بشباك معدني يفتح إلى الخارج يأخذ شكل المدخل المعقود، وهو عنصر حديث أضيف للمسكن،

وخلف هذا الشباك نجد باب خشبي يفتح إلى الداخل ومزود بقفل معدني حديث، أما أرضية المسكن فتشهد تآكلا باتجاه المنحدر كلما اتجهنا إلى الزاوية اليمنى للمسكن.

يؤدي المدخل مباشرة إلى سقيفة ذات مخطط مستطيل الشكل تقريبا بمساحة تقارب 3.70م^2 ، ويوجد في مقابل المدخل مباشرة مدخل آخر يؤدي إلى **حجرة** - أي قاعة استقبال الضيوف من الرجال - وزود المدخل بباب خشبي يفتح إلى الداخل، وهذه القاعة ذات مخطط مستطيل الشكل مساحته 2.65م^2 جدرانها بسيطة وخالية من أي فتحات باستثناء تلك الكوة المفتوحة على يسار الداخل بطول 0.60م وعمق 0.20م ، أما بجدار القاعة المقابل لمدخلها فهناك مدخلا سلمين، فالأول الواقع على يمين الداخل بارتفاع 1.33م وعرض 0.55م وله باب خشبي يؤدي إلى الدهليز، بينما الثاني الواقع على يسار الداخل فليس له باب ويؤدي إلى **لعلي** - أي قاعة لاستقبال الضيوف من الرجال في الطابق الأول -، كما يفصل بين المدخلين خمس كوات مبنية تتوضع فوق بعضها البعض بارتفاع كلي قدره 1.74م ، في حين بلغت مقاسات كل واحدة منها 0.35م عرضا، و 0.27م ارتفاعا، و 0.30م عمقا إلا أن السفلى منها يزيد ارتفاعها عن البقية حيث بلغ 0.40م ، وهي كوات مخصصة لوضع الأغراض.

بالنسبة للدھليز فكما سبق وأن أشرنا نترل إليه من خلال مدخل الدرج الموجود في نهاية الحجرة على اليمين، حيث يأخذ الدرج النازل شكل حرف **U** اللاتيني مقلوبا ودرجاته متواصلة وليست كلها متطابقة المقاسات حيث معدل طولها 0.20م وارتفاعها 0.20م ، والدهليز عبارة عن فضاء مغلق من جميع الجهات، يوجد في زاويته الشمالية غرفة لها مدخل يقع على اليمين عند نهاية الدرج مزود بباب خشبي يفتح نحو الداخل، أمّا شكل مخططها فمربع تقريبا ويتراوح طول أضلاعه بين 2.68م و 2.17م كما أن جدرانها بسيطة وخالية من أي عناصر معمارية أو زخرفية، ومن خلال ارتباط الدهليز بالحجرة فيمكن القول أن هذا الفضاء هو الآخر قد استغل لاستقبال الضيوف من الرجال وهي ظاهرة معمارية قل نظيرها في المنطقة، أما باقي المساحة من الدهليز فهي تعتبر بمثابة البهو **Hall**.

نعود إلى السقيفة ففي نهاية جدارها الواقع على يسار الداخل فتح مدخل من دون باب يفضي إلى **قبة** مباشرة وهي ذات مساحة يقرب شكلها من المربع ومقاساته 2.80م طولاً 2.43م عرضاً، زود جدارها الموالي للشارع بثلاث كوات تكاد تتوسطه، وهي متناسبة المقاسات، حيث طول كل واحدة منها 0.50م بينما جدارها المقابل للداخل مباشرة فتحت به إلى أقصى

يمين الداخل مدخل عرضه 0.63 م خصص للمطبخ وهو غير مزود ببلب، وفتحت وسط هذا الجدار فتحة للتهوية عرضها 0.40 م.

أخذ المطبخ مخططا ذو شكل مستطيل (2.23م×1.42م) ممتد طوليا في اتجاه شمالي-شرقي إلى جنوب-غربي، وتميز ببساطته ولكن أعيد تهيمته ليزود بعناصر حديثة وزليج، أما الجدار الواقع في الجنوب-الغربي فزود بنافذة للتهوية تطل على الشارع سبق وذكرناها في وصفنا للواجهة.

تطل تهجة على وسط الدار من خلال مدخل مشرع ومعقود ومقاسات تجعل كبيرة بحيث تجعل منه أكبر مداخل المسكن حيث يصل عرضه 1.64 م وارتفاع 1.85 م، أما العقد فهو عقد مستقيم بلغ سمكه 0.20 م، وأكثر ما يميز وسط الدار شكل مخططه المستطيل الممتد طوليا من الشمال-الشرقي إلى الجنوب-الغربي إلى جانب رحابته واتساعه، حيث وصل طوله ما بين 6 إلى 6.22 م طولاً، و 3 إلى 3.28 م عرضاً، وهو شبه مغطى بشكل شبه كلي باستثناء فتحة شبّاك وسط الدار التي تربطه بتيغرغرت، والتي ترتكز في زاويتها الجنوبية والشرقية على دعامتين مدججتين في الجدار بمقاسات (0.30×0.40 م)²، أما في الزاويتين الباقيتين فيوتكر الشبّاك بعوارضه على الجدار نفسه، وعلى ذكر العوارض التي حلت محل العقود نلاحظ أن العارضتين المتقابلتين بالتوازي، والتي إحدهما في الشمال-الشرقي ترتكز في طرفها الأول على دعامة وفي الطرف الآخر على الجدار، ونفس الشيء بالنسبة للثانية في الجنوب-الغربي، فيما ترتكز العارضتان الأخرى - والمتقابلتان بالتوازي- في كل طرف منهما مباشرة على سابقتيهما في اتجاه عمودي، الأمر الذي حقق ارتفاعاً سمح بنصب المنسج في الجدار القبلي ومزاولة هذا النشاط فيه.

يوجد في نهاية وسط الدار على يمين الداخل مدخل عرضه 0.70 م، ومزود بباب خشبي يفتح إلى الداخل له عتبة تفصل أرضية الغرفة عن أرضية وسط الدار، ويؤدي إلى غرفة مخصصة للنوم، وهي ذات مخطط يقترب من الشكل المستطيل حيث يبلغ طولها 2.5 م وعرضها 2 م تقريباً، جاءت خالية من أي عناصر تزيينية أو معمارية أخرى، والتغطية تمت باستخدام خشب النخيل والجبس الذي ملأ الفراغ بين كل خشبة وأخرى معطياً شكل القبوة.

عند الخروج من هذه الغرفة يصادفنا على اليمين مباشرة في الجدار المواجه للداخل عبر مدخل تهجة مدخل غرفة أخرى كبيرة نسبياً ذات مخطط يميل إلى الشكل المستطيل بطول 4.18 م وعرض 2 م، وهذه الغرفة هي الأخرى زود مدخلها بباب خشبي يفتح إلى الداخل، وتمتد على

محور جنوب-شرقي إلى شمال-غربي، كما أنها خالية من أي عناصر معمارية أو زخرفية فجاءت بسيطة لتؤدي وظيفة مكان النوم بالنسبة لأفراد العائلة.

يفصل بين الغرفة السابقة الذكر وقاعة تيزفري الواقعة بالجهة الشمالية-الغربية من الطابق الأرضي مدخل الدرج المؤدي إلى السطح، حيث أن هذه القاعة هي الأخرى تمتد طوليا في اتجاه شمال-شرق إلى جنوب-غرب بمخطط تميز بشكله المستطيل ومقاساته المعتبرة، حيث يصل طوله 3.27م وعرضه 1.68م يتوسط جدار قبلتها مدخل بدون باب عرضه 1م وارتفاعه 1.82م، أما جدران هذه الغرفة فخالية من أي عناصر زخرفية أو معمارية باستثناء صف من الكوات التي تزين الجدار الشمالي-الغربي للغرفة، وهي مؤلفة من أربعة كوات تباينت مقاساتها، حيث الصغيرة منها في الزاوية عند بداية جدار الغرفة بعرض 0.25م، تليها الثانية على مسافة 15م بعرض 0.40م، ثم الكوة الثالثة على بعد 0.10م وبنفس عرض الثانية أي 0.40م، أما الأخيرة فتبعد عن الثالثة بمسافة 0.40م وهي أكثرها عرضا جميعا حيث يصل 0.50م، ولأربعتها نفس العمق 0.10م.

يصادفنا بعد الخروج من تيزفري على جهة اليمين وعلى نفس الجدار دوما مدخل آخر يفصل بينه وبين مدخل تيزفري مسافة 1.25م، وهذا الأخير مخصص لغرفة هي الأصغر بين الغرف الواقعة بالطابق الأرضي، ولها مخطط ذو شكل مربع تقريبا طول كل ضلع من أضلاعها 1.60م، وما نلاحظه بالجدار الشمالي-الغربي للغرفة وجود تراجع للجدار إلى الخلف بمسافة 0.15م وعلى طول 1م بداية من منتصف الجدار وإلى غاية الزاوية الغربية للغرفة، وهي الأخرى -أي الغرفة- جاءت بسيطة خالية من أي زخارف أو عناصر معمارية، كما أنها سقفت بعوارض خشبية شغل الفراغ الفاصل بينها بملاط الجير لتعطي في النهاية شكل الأقبية.

نصعد إلى الطابق الأول من خلال درج سبق وأن أشرنا إليه قبل الحديث عن تيزفري، ويبلغ عرضه إلى 0.80م وجاء على شكل حرف L اللاتيني، بحيث يضطر الصاعد معه إلى الانعطاف جهة اليسار ليجد نفسه في إيكومار مباشرة، والذي هو الآخر يتخذ مخططه شكل حرف L، بحيث يقع الدرج في رأس زاويته ويمتد الرواق على طول الجدار الشمالي-الغربي، أما الجهة الثانية على طول الجدار الشمالي-الشرقي، ويحمل سقف الرواق مجموعة من الأعمدة ذات المقطع المثلث بقطر 0.20م، حيث يصل عددها ستة تفصل بينها نفس المسافة أي حوالي 0.80م بين العمود والآخر، وترتكز عليها عقود نصف دائرية لكن توزيعها بالجهتين ليس بنفس العدد، فسقف الرواق الواقع بالجهة الشمالية-الشرقية يرتكز على عمودين وثلاثة عقود، أما الرواق في

الجهة الأخرى فيرتكز على ثلاث أعمدة وأربعة عقود، وهناك عمود في الزاوية يعتبر عمودا مشتركا بينهما حيث يرتكز عليه العقد الأخير في كل صف في زاوية إيكومار. يرتكز العقد الأخير من كل صف عند نهايته في الطرف الآخر على الجدار مباشرة، وقد حورت المسافة الفاصلة بين كل عمود ونهاية قوس إلى شكل وسادة بارتفاع 0.20م ومن دون أي زخارف، وأحدثت بين كل عقد وآخر فتحة مصممة ذات شكل مربع طول كل ضلع منها 0.10م ليصل عددها الخمسة، أما قاعدة هذه الأعمدة فهي ترتكز مباشرة على الأرضية من دون قاعدة، ولكن بني على طولها ما يشبه العتبة الفاصلة بين مستوى أرضية تيغرغرت وإيكومار، كون مستوى أرضية هذا الأخير في مستوى منخفض عن أرضية الأول بمقدار 0.25م.

يوجد في رواق الإيكومار بالجهة الشمالية-الشرقية غرفتان إحداهما أكبر من الأخرى حيث الأكبر تقع خلف تغطية الدرج، وهذه الأخيرة -أي التغطية- ترتفع بمقدار 1.23م ولها عرض في المستوى السفلي قدره 0.93م يضيق بعد ارتفاع قدره 0.50م، ليصل 0.64م فيما بقي من التغطية، وعند الخروج من الدرج نلتف إلى اليسار حتى نصل إلى الغرفة التي سبق ذكرها حيث يوجد مدخلها المزود بباب خشبي يفتح إلى الداخل، ومقاساته 0.65م عرضا و 1.15م ارتفاعا، أما الغرفة فذات مخطط مربع الشكل تقريبا فقد تراوح طول أضلاعها بين 2.10م و 2.49م، ومزودة بدرجة نحو الداخل وهذا بسبب انخفاض مستوى أرضية الغرفة عن مستوى إيكومار، أما جدران الغرفة فهي بسيطة خالية من أي عناصر معمارية أو زخرفية، فيما عدا تلك النافذة الصغيرة التي تعلو تغطية الدرج والبالغ ارتفاعها 0.50م، وهي ذات شكل مربع مقاسات كل ضلع من أضلاعه 0.27م.

عند الخروج من هذه الغرفة وعلى اليسار مباشرة وبالضبط على مسافة 0.60م نجد مدخل الغرفة الموالية وهي أصغر من الأولى، وهي ذات مخطط مستطيل الشكل يمتد من الشمال-الشرقي إلى الجنوب-الغربي، ويكاد يتوسط مدخلها جدار الغرفة، وهو مزود بباب خشبي يفتح إلى الداخل، كما أنه معقود بعقد نصف دائري مصمت يرتكز على الجدار مباشرة، أما مقاساته فبالنسبة للعرض 0.50م والارتفاع 1.15م، ويتقدم المدخل داخل الغرفة درجة على شكل ربع دائرة تسمح بالتزول إلى مستوى الغرفة المنخفض عن مستوى أرضية إيكومار، وهذه الغرفة هي الأخرى بسيطة وخالية من أي عناصر إضافية أخرى معمارية كانت أو زخرفية، فيما عدا تلك التهئة التي هي على شكل ساقية لصرف (ماء الوضوء ربما؟) إلى خارج الغرفة من خلال فتحة في الزاوية الجنوبية.

نجد في نهاية الرواق بالجدار الشمالي-الجنوبي عند زاويته الجنوبية مدخل غرفة أخرى عرضه 0.67م وارتفاعه 1.15م، مزود بباب خشبي يفتح إلى الداخل وله عتبة تفصل بين أرضية الغرفة وإيكومار، وتتقدمها من الداخل درجة بعرض 0.24 كون العتبة السابق ذكرها مرتفعة نسبياً عن مستوى أرضية الرواق والغرفة معاً، أما الغرفة بحد ذاتها فهي ذات مخطط مربع الشكل تقريباً تراوح طول أضلاعها بين 2م و 2.60م وهي خالية من أي عناصر زخرفية أو معمارية أخرى.

يقع إلى جوار مدخل هذه الغرفة على يساره مدخل الدرج المؤدي إلى السطح، حيث يفصله عن قاعة استقبال الضيوف من الرجال (لعلي)، التي زودت بمدخل تفصل بينه وبين الدرج مسافة قدرها 1.60م، أما عرض هذا المدخل فيبلغ حوالي 0.75م، وقد زود بباب خشبي يفتح إلى الداخل وله عتبة تفصل بين مستوى أرضية تيغرغرت وأرضية لعلي، وعن مخطط هذه الغرفة فيميل إلى الشكل للمستطيل بطول 5.67م وعرض 1.77م ليضيق بداية من منتصفها الواقع في الزاوية الجنوبية لهذا الطابق حيث بلغ العرض في هذا الجزء حوالي 1.60م، ويظهر هذا التغير من خلال التغير في مستوى أرضية الغرفة في حد ذاته حيث ينخفض في هذا الجزء مقارنة بالجزء السابق بمقدار 0.15م، وربما كانت غرفتان ثم تم دمجهما في وقت لاحق، وفي نهاية هذه الغرفة زود الجدار الموالي للشارع فوق المدخل الرئيسي للمسكن مباشرة بنافذة صغيرة ذات شكل مستطيل قائم مقاساته (0.60x0.40)م² والملفت للانتباه أنها تتسع في الداخل ليصبح عرضها 0.50م، وقد سقفت هذه الغرفة بعوارض خشبية تفصل بين الواحدة والأخرى قبوة مبنية بالملاط الجيري والحجارة.

يوجد في الجدار المقابل مدخل الدرج الصاعد نحو السطح على اليمين، وهو مدخل في الظاهر معقود ولكنه امتداد لقبو نصف برميلي يغطي الدرج وهو غير مزود بباب عرضه 0.75م أما ارتفاعه 1م، وفي الجهة اليسرى أسفل الدرج الصاعد للسطح هناك خزانة جدارية مبنية مزودة بباب خشبي، ويبلغ عرضها 0.90م وارتفاعها 1.50م،

عند الخروج من هذه الغرفة التي تقع والدرج الذي يسبقها في جدار تيغرغرت القبلي، تصادف بالجدار الجنوبي-الغربي لتيغرغرت غرفة أخرى يميل شكل مخططها إلى المربع، حيث طول ضلعها 2.50م وهي ذات مدخل مزود بعتبة تفصلها عن أرضية تيغرغرت، كما أنها بسيطة خالية

من أي زخارف أو عناصر معمارية أحر كالكوات، أمّا تسقيفها فبعوارض خشبية من خشب النخيل وتفصل بينها قبوات مبنية هي الأخرى بالملاط الجيري والحجارة. خصص لكل من الكنيف والحمام فضاء خاص بهما في الزاوية الغربية من الطابق الأول، ويُدخل إلى هذا الفضاء من خلال مدخل مزود بباب خشبي يفتح إلى الداخل ، وهو ذو مخطط مربع الشكل طول ضلعه يتراوح بين 2.10م و2.35م، بحيث قسم إلى نصفين الأول عبارة عن فراغ أمّا النصف الثاني بني فيه كل من الكنيف بمخططه المستطيل الشكل في الركن الغربي بعرض 0.73م وطول 1م، وفي الركن المجاور نجد الحمام بمخطط مستطيل الشكل يمتد في نفس اتجاه جدار واجهة المسكن، حيث بلغ طوله 1.5م وعرضه 1م، وهما مفصولان عن بعضهما ولكن بنيا على الطريقة الحديثة أي أمّهما معدلان.

نشير هنا إلى تلك الساقية التي بنيت لصرف مياه الأمطار المتجمعة بتيغرغرت أو حتى تلك التي تخرج من الفضاء المخصص للكنيف والحمام في ركنه الشمالي، كما أن رواق إيكومار في الجهة الأخرى لا توجد به أي ملحقات أو عناصر معمارية أخرى باستثناء تلك الكوة القريبة من الدرج، والبالغ عرضها 0.70م وترتفع عن مستوى أرضية إيكومار بحوالي 0.20م أين تتقدمها درجة تبرز عن سمت الجدار بحوالي 0.05م.

بالنسبة لتيغرغرت - الفضاء المكشوف- الذي يتقدم الإيكومار فهو يتوسط مساحة الطابق الأول، كما أنه ذو مخطط مستطيل الشكل بطول 5م وعرض 3م تقريبا، وقد تمت تغطيته بطريقة حديثة وذلك باستعمال الزجاج.

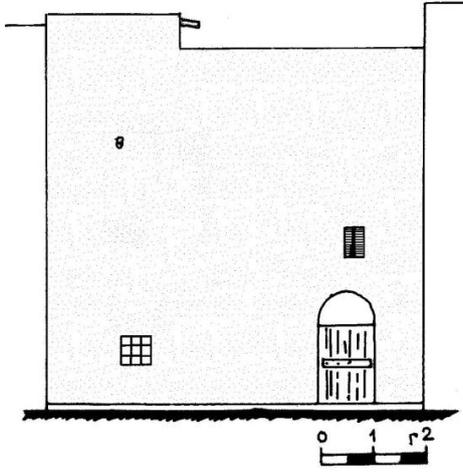
يتمتد شبّاك وسط الدّار في الركن الشمالي لتيغرغرت بشكل مخططه المستطيل باتجاه شمالي-شرقي نحو الجنوب-الغربي بطول 2م وعرض 1.75م، حيث بنيت له في كل ضلع من أضلاعه تحويط على ارتفاع 0.10م وبعرض 0.15م، كما نلاحظ وجود مسافة فاصلة بين ضلع الشبّاك الشمالي-الغربي ورواق إيكومار بحوالي 0.20م، كما زودت هذه الفتحة الأفقية بشبّاك معدني لتجنب سقوط الأطفال الصغار مع إمكانية تغطيته في حال هبوب الزوابع الرملية.

نعود إلى الدرج الفاصل بين الغرفة الموجودة بالزاوية الشرقية للمسكن ولعلي حيث يتخذ مسقطه شكل حرف L اللاتيني، وفي أثناء الصعود نضطر للانعطاف يسارا لنخرج من غرفة الدرج مباشرة إلى السطح، حيث هذه الغرفة أو التغطية بالأحرى ترتفع ع لى مستويين الأول يبلغ 0.60م، أما المستوى الثاني وهي التغطية الخاصة بالجزء الذي ينحرف في الاتجاه العمودي حتى نهاية الدرج فقد بلغ ارتفاعه 1.86م، والسطح عبارة عن مساحة مكشوف ومحاطة من كل

جهاثما بجدار تحويط يبلغ ارتفاعه حوالي 2.20 م من جهاته الثلاث الملاصقة للجيران ، فيما بلغ ارتفاعه من جهة جدار الواجهة الرئيسية للمسكن حوالي 1.70 م في ظل غياب أي فتحات صغيرة كانت أم كبيرة، ولكن هناك إيكومار صغير في زاوية المسكن الغربية، حيث شكل مخططه مربع بطول 2.40 م لكل ضلع بالتقريب، ومفتوح على السطح من خلال عقد نصف دائري محمول على دعامتين ذات مقطع مربع، طول كل ضلع من أضلاعها 0.20 م إلى جانب وجود فتحتين أحدثتا على جانبي العقد وهما نافذتين، كما خصص في الركن الشمالي من إيكومار مدخل آخر معقود وبعرض معتبر 0.70 م.



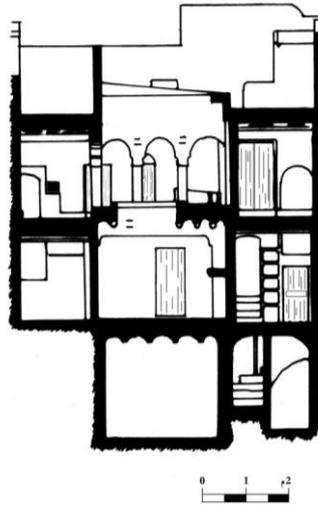
موقع المسكن بالنسبة لقصر بني يزقن



الواجهة الرئيسية للمسكن



الواجهة الرئيسية للمسكن



مقطع رأسي للمسكن

اللوحة رقم: 09



وسط الدار الدار

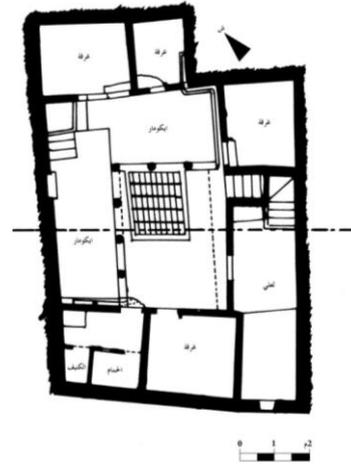


مقطع أفقي للطابق الأرضي

الدهليز



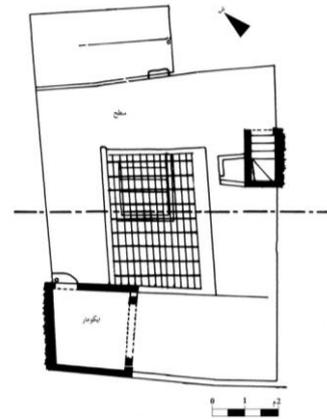
الدرج المؤدي للطابق الأول من الحجرة



مسقط أفقي للطابق الأول



تيعر غرت يتقدمه شباك وسط الدار



مقطع أفقي لسطح المسكن

اللوحة رقم: 10

المبحث الثاني: مساكن قصر ورقلة

وقع اختيارنا في قصر ورقلة على عيتين تقعان ضمن الحزام السكني داخل القصر، وهذا بالنظر إلى أهميتهما من حيث الموقع، حيث يقع الأول غرب ساحة السوق التي هي مركز القصر، فيما الثاني شرقها، إلى جانب القيمة المعمارية حيث تعتبران عيتين نموذجيتين يمكن دراستهما والوصول من خلالهما إلى نتائج مهمة تخص المسكن التقليدي في قصر ورقلة، وبسبب أن مساكن القصر جلها مشغول بساكنيها فقد صعب الأمر علينا إيجاد عينات نموذجية أخرى، كما نشير إلى عملية التغيير الكبيرة التي مست العديد من المساكن داخل القصر، سواء بوجود عناصر دخيلة ومشوهة لواجهاتها أو باستعمال مواد بناء غير تقليدية.

- المسكن رقم 01:

يقع هذا المسكن في قصر ورقلة وهو ملكية خاصة تعود إلى السيد بوقنارة صالح، ويقع في حي بني إبراهيم الجزء الغربي من القصر غرب ساحة السوق على مسافة 150م بالتقريب (اللوحة رقم: 11)، حيث يمكن الوصول إليه مباشرة عبر المسلك الموجود في منتصف ضلع ساحة السوق الجنوبي-الغربي، ويتخذ موضعا بحيث انحصر بين المساكن المجاورة من جهاته الثلاث، فيما يطل على المسلك النافذ عبر واجهته الرئيسية البسيطة الخالية من أي عناصر معمارية أو زخرفية باستثناء المدخل الرئيسي، ويحتل المسكن مساحة قدرها 124م² وأنجز بتصميم غير منتظم الشكل، ويتألف المسكن جميعه من طابقين (طابق أرضي+طابق أول) ودون سطح، وتجدد الإشارة إلى أن المسكن فقد جزءا مهما منه ناحية المدخل الرئيسي وخاصة الطابق الأول بسبب الانهيار، بالإضافة إلى أن الواجهة خالية تماما من أي فتحات.

يعد الطابق الأرضي الأكثر احتواء لتفاصيل المعمارية، فبعد أن نلج إلى المسكن عبر مدخل بسيط عرضه 1.30م وارتفاعه 2.11م، ليست له عتبة ومزود بباب خشبي يفتح إلى الداخل، ويتصل بسقيفة ذات مخطط مستطيل الشكل (1.5x2.67م²) وارتفاع بنحو 2.66م (اللوحة رقم: 12)، وهي بسيطة خالية من أي زخارف أو تفاصيل معمارية، وفي نهايتها على يسار الداخل يوجد مدخل ثاني يؤدي إلى غرفة استقبال الضيوف من الرجال وعرض المدخل 0.90م وارتفاعه 2.15م، فيما جاء مخطط هذه الغرفة ذو شكل شبه منحرف، وتمتد هذه القاعة في الزاوية الجنوبية-الغربية باتجاه مسكن الجهاور، حيث الضلع الموالي لجدار الواجهة الرئيسية

للمسكن هو الأطول وبلغ قطرا شبه المنحرف 5.13م بالنسبة للأول و 5.7م بالنسبة للثاني ، وجاءت هذه الغرفة هي الأخرى بسيطة وخالية من أي تفاصيل أو زخارف معمارية، أما تسقيفها فتم بواسطة العوارض الخشبية من جذوع النخيل التي تفصل بين الواحدة والأخرى مسافة تراوحت بين 0.50م إلى 0.60م، وعبارة عن أقبية مبنية بالجبس والتمشمت والحجارة.

نعود إلى السقيفة وبالتحديد عند نهايتها بالجدار المقابل للمدخل الرئيسي حيث فتح مدخل آخر عرضه 0.8م وارتفاعه 2م تقريبا مزود بباب خشبي يفتح إلى داخل، ويؤدي إلى غرفة تسمى محليا تاهزة، وهي خاصة باستقبال الضيفات من النساء دون الوصول إلى الفناء أو حتى إلى السلام، وهذه الغرفة ذات مخطط مستطيل يبلغ طوله 6.25م وعرضه 2.11م وارتفاع 2.64م، وهي كما جرت عليه العادة مفتوحة على وسط الدار بمدخل يتوسط الجدار، ذي فتحة يصل عرضها 1م كما أنه غير مزود بباب، بينما جاء ساكفه عبارة عن عارضة معدنية حديثة في المبنى، والغرفة عموما بسيطة خالية من أي زخارف أو عناصر معمارية أخرى ، وتم تسقيفها باستعمال عوارض خشب النخيل المرتكزة على الجدران الحاملة للغرفة عرضيا، وبنيت المساحة الفاصلة بين العارضة والأخرى باستعمال الحجارة والجبس والتمشمت على شكل قبوات.

يوجد على يمين الداخل في الزاوية المقابلة له مدخل الدرج المؤدي إلى الطابق الأول،

وستتكم عن هذا القسم في الجزء الخاص بالطابق الأول، لذا سنواصل باتجاه وسط الدار من خلال المدخل المذكور آنفا، حيث يجد الداخل نفسه أمام فضاء مغطى باستثناء فتحة الشباك التي تتوسط سقفه فيما تتوزع الغرف على يمين الداخل وفي الجدار المقابل مباشرة ، أما على يساره لا يوجد سوى الدرج الثاني والمؤدي هو الآخر إلى الطابق الأول بعرض 0.88م، أما الكنيف والمطبخ فهما أول ما يصادف الداخل على يمينه بالترتيب.

جاء مخطط وسط الدار -أو أمسدّار أو أماس نندارت- على شكل حرف L اللاتيني

معكوسا، وفرض هذا الشكل بعدما احتل الدرج جزءا من مساحته، وبامتداد طولي بالنسبة لمخطط المسكن عموما، ويبلغ طول وسط الدار 6.78م أما معدل عرضه فبلغ 4.10م، وهو خالي من الأروقة كون السقف محمول على الجدران مباشرة، إلى جانب دعامتين مدججتين في جداره الشرقي وذات مقطع مربع الشكل، أما فتحة الشباك فهي ذات مخطط مستطيل الشكل مساحتها تقدر بـ (1.58x1.8)م²، وهي مفتوحة مباشرة على الفضاء الخارجي في غياب وجود شباك أو أي حاجز، أما ارتفاع سقف وسط الدار فيبلغ 2.66م.

امتد الكنيف قُومَةً هو الآخر طوليا بمخطط ذي شكل مستطيل (0.78×2.14) م² ومتوسط ارتفاعه 0.80 م، وزود بمدخل معقود بعقد نصف دائري له باب خشبي يفتح إلى الداخل، كما جاء على درجة كبيرة من البساطة ويعاني من نقص الإضاءة والتهوية لعدم وجود فتحات تسمح بذلك، خاصة من جهة وسط الدار كون الجدار الآخر يد جدارا مشتركا مع الجار وهو معدل حديثا.

يتوسط هذا الجدار -أي الجدار الشرقي- مدخل آخر زود بباب خشبي يفتح إلى الداخل عرضه حوالي 0.81 م، ويؤدي هذا المدخل إلى المطبخ ذي مخطط المستطيل الشكل، والممتد عرضيا بالنسبة للمسكن بمساحة (1.57×1) م²، وهو الآخر بسيط ليس به أي قناة لصرف الدخان وبالتالي فهو يعتمد على وسط الدار في هذه العملية، كما أن جدرانها خالية من أي كوات أو عناصر معمارية أخرى، وجاء تسقيفه هو الآخر بنفس التقنية التي طبقت في الأجزاء الأخرى، ونشير هنا إلى وجود إحدى تلك الدعامتين المدمجة والبارزة باتجاه جهة وسط الدار بحوالي 0.35 م وتقع بين المسافة الفاصلة بين الكنيف والمطبخ، وفي الحقيقة ما هي إلا امتداد للجدار المشترك بينهما.

نجد على مسافة 1.40 م الدعامة المدجة الثانية ذات المقطع المربع والحاملة لسقف وسط الدار، ويليهما مباشرة مدخل مزود بباب خشبي يفتح إلى الداخل بشكل يتوسط جدار غرفة ذات مخطط مستطيل الشكل وبأبعاد (1.57×3.26) م² ممتدة طوليا بالنسبة للمسكن، وهي الأخرى بسيطة خالية من أي فتحات أو كوات أو أي عناصر معمارية أخرى، أما تسقيفها فكان بنفس التقنية السابق ذكرها.

يوجد في الزاوية الشمالية-الشرقية مدخل غرفة ثانية مزود بباب خشبي ويفتح إلى داخل الغرفة وهو غير معقود بل مزود بساكف فقط، وتمتد الغرفة بمخططها ذي الشكل المستطيل تقريبا عرضيا بالنسبة للمسكن، ويبلغ طول الغرفة 4.2 م أما عرضها فيبلغ 2.18 م، بينما يصل ارتفاع سقفها إلى 2.63 م، وما يلاحظ هنا ارتفاع أرضية هذه الغرفة عن مستوى أرضية وسط الدار بمقدار 0.30 م.

يفصل بين هذه الغرفة وغرفة أخرى تقع في زاوية المسكن الشمالية-الغربية جدار سمكه 0.35 م، ويلتصق بهذا الجدار مدخل الغرفة الأخيرة، وهو الآخر مزود بباب خشبي يفتح إلى داخل الغرفة بعرض 0.73 م، أما مقاسات الغرفة ذات المخطط مستطيل الشكل والممتدة عرضيا بالنسبة

للمسكن فبلغت مساحتها (2.04x3.61)م²، وهي غرفة لا تختلف عن سابقتها في شيء سوى أنها تصغرها بعض الشيء من حيث المساحة.

بالنسبة للدرج الذي سبق الإشارة إليه فقد بني له جدار يصل إلى مستوى سقف وسط الدار، واستعمل الفراغ الذي نتج بين الدرج والمساحة الواقعة فوقها كفضاء لخزن الأدوات والحاجيات، بحيث بني لها باب يتوسط بروزا عن سمت هذا الجدار بحوالي 0.40م، وبفراغ يفصل بين هذا البروز وجدار الغرفة السابقة بحوالي 0.56م، ويبلغ عرض المدخل 0.46م أما طول هذا البروز ككل فبلغ 1.56م.

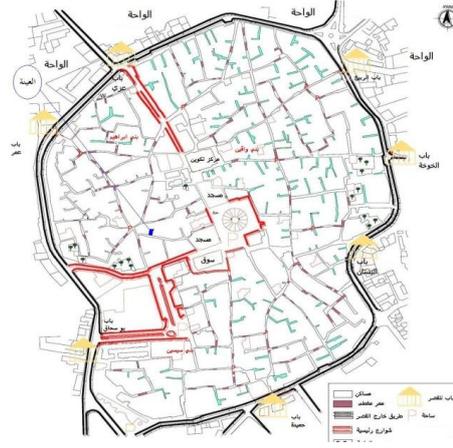
نصعد إلى الطابق الأول من خلال درجين أحدهما موجود في تاهزة، أما الثاني فيوجد بزاوية وسط الدار الشمالية-الغربية، وهذا التوزيع للدرج هو انعكاس لتقسيم الطابق الأول إلى فضاءين مستقلين عن بعضهما يفصل بينهما جدار ليس به أي فتحة أو مدخل، وهو ما يعني تخصيص نصف الطابق الأول للموالي للشارع للضيوف من الرجال ، أما النصف الثاني منه فمخصص لأهل البيت وهو أقرب للسطح كونه خالي من أي مرافق أو غرف.

بالنسبة للدرج الواقع في غرفة تاهزة فهو ذو مخطط على شكل حرف L اللاتيني مقلوب في الاتجاه المعاكس، بحيث يتحتم على الصاعد بعد صعود مباشر الانعطاف إلى اليسار يجد نفسه في تغطية الدرج المزودة بمدخل عرضه 0.80م، أما طول التغطية 3.40م في اتجاه الشمال و1.92م في اتجاه الغرب، وجاء سقف هذه التغطية عبارة عن قبة يرتفع عن مستوى أرضية الطابق الأول في نهايته بمقدار 1.96م، وبالتالي يجد الصاعد نفسه في مقابلة اتجاه الغرب، وفي فضاء مكشوف يفصل بينه وبين القسم الآخر من الطابق الأول جدار فاصل ارتفاعه 2.29م يقوم بتقسيم هذا الطابق إلى نصفين.

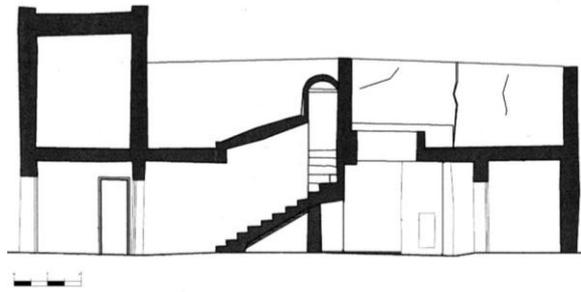
يكاد يكون مخطط هذا الفناء ذو شكل مربع بلغ معدل طول ضلعه 6م تقريبا، وما يميز هذا الفناء المكشوف أنه زود بجدار سترة يرتفع هو الآخر بحوالي 2.29م من جهة الجارين على يمين ويسار المسكن، أما الجدار الجنوبي فقد فتح به مدخل مزود بباب خشبي يفتح إلى داخل غرفة ذات مخطط شبه منحرف ، وتتطابق مساحتها مساحات السقيفة وغرفة استقبال الضيوف من الرجال بالطابق الأرضي مجتمعتين كونها على نفس المسقط، وأكثر ما يميزها ارتفاعها المعتبر حيث يصل إلى 3.21م، وهي بسيطة خالية من أي زخارف أو عناصر معمارية أخرى واتباع تسقيفها نفس التقنية المطبقة في باقي المسكن، وقد خصصت لاستقبال الضيوف من الرجال وتسمى محليا لعلي.

يصعد إلى القسم الثاني انطلاقاً من الطابق الأول عبر درج مستقيم صاعد على طول الجدار الغربي من وسط الدّار، وهو غير مغطى في هذا المستوى عكس الدرج السابق، بل بني له جدار تحويط يرتفع عن أرضية الطابق بحوالي 0.60م وعلى مسافة 2.87م.

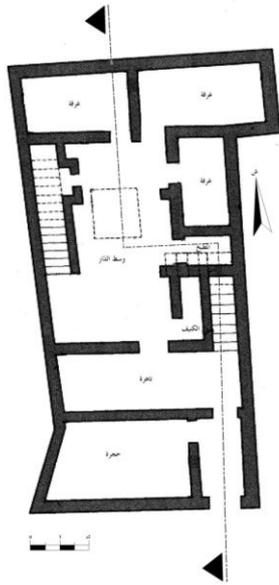
يجد الصاعد نفسه في فضاء مكشوف زود بجدار سترة هو الآخر يرتفع عن مستوى أرضية الطابق بحوالي 2.29م من جميع جهاته الأربعة، وبخلاف فتحة الشباك ذات المقاسات السالفة، وبموضعه الملاصق للجدار الفاصل، وتحويطه المرتفع عن الأرضية بحوالي 0.60م تجنباً لسقوط الأطفال أو سقوط المياه والأتربة، إلى جانب تلك الخدعة الواقعة في الزاوية الشمالية-الشرقية بعمق 1.43م وطول 2.18م، فهذا الفناء أقرب ما يكون للسطح حيث تستغله العائلة في أيام الحر ليلاً للسهر والنوم.



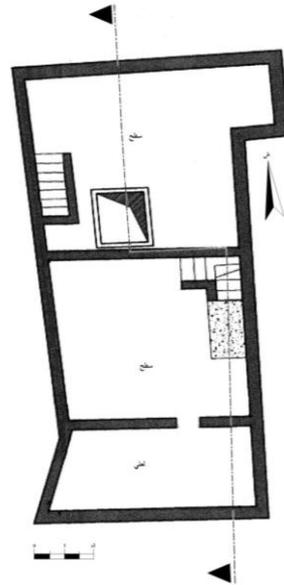
موقع المسكن بالنسبة لقصر ورقلة



مقطع رأسي للمسكن



مقطع أفقي للطابق الأرضي



مقطع أفقي لسطح المسكن

اللوحة رقم: 11



الدَّرَج المؤدِّي إلى الطابق الأول



وسط الدَّار يتوسطه الشبَّاك في السقف



فتحة شبَّاك وسط الدَّار من السطح



مداخل الغرف في الطابق الأرضي



مدخل وسط الدَّار إلى اليمين
والكنيف إلى اليسار



التسقيف بعوارض خشب النخيل

اللوحة رقم: 12

- المسكن رقم 02:

تقع هذه العينة في الجهة الشمالية لقصر ورقلة في حي بني واين وهو مكون من طابق أرضي وطابق أول وسطح، ويتربع على مساحة قدرها 188.80م² ذات مخطط على شكل الحرف اللاتيني L، وله واجهة رئيسية واحدة متجهة جنوب ويطل من خلالها على المسلك المؤدي إلى باب الخوخة شرقا حيث يفصل بينهما مسافة أقل من 150م، أما باقي الجهات فالجدران مشتركة مع المساكن المجاورة (اللوحة رقم: 13)، والمسكن في حد ذاته ملكية خاصة تعود إلى السيد محجر علي بن أحمد.

تميزت واجهة المسكن ببساطتها وعرضها مقارنة بعرض نصف المسكن الشمالي، حيث يبلغ عرض الواجهة 12.7م في حين يتقلص العرض في الداخل بداية من وسط الدار ليصل إلى 8م، كما أن ارتفاع الواجهة المؤلف من طابقين زائد السطح بلغ 9.83م، ولُبت هذه المساحة بالتمشمت وبيع بعض المواد الحديثة في الأجزاء التي عرفت أعمال صيانة.

بالنسبة للفتحات فنجد المدخل الرئيسي للمسكن في الركن الأيمن للمسكن وهو معقود بعقد نصف دائري مصمت تفصل بين رأسه وساكن مسافة قدرها 0.54م، وعرض هذا المدخل 1.45م، أما ارتفاعه 2.45م، بينما يبلغ سمك الجدار 0.55م، ونسجل هنا وجود مدخل مصمت إلى يسار المدخل الحالي بوضع يتوسط مدخل الدرج المؤدي للعلي والسقيفة، ونجد إلى جانب المدخلين فتحة صغيرة لإضاءة الدرج المؤدي إلى لعلي، أما الفتحة الأخرى فتوجد على مستوى الطابق الأول فوق مدخل المخزن مباشرة وهي مخصصة للغرفة التي تعلوه، كما توجد نافذة أخرى عند نهاية الدرج المؤدي للعلي ذات مقاييس كبيرة نسبيا.

زود مدخل المسكن بباب خشبي ذي مصراعين، متساويتين في الطول والعرض، ومزود في وسطه بحلقة معدنية لغرض الطرق وسحب الباب، وتفتح الدفة اليسرى فيما تبقى الثانية مغلقة لا تفتح إلا عند الحاجة إلى تمرير الأحجام الكبيرة، وهناك عتبة في أسفل المدخل لا تكاد تظهر نتيجة لصعود أرضية الشارع مع الوقت والمبلطة أصلا.

يقع إلى أقصى يسار المسكن مدخل آخر يؤدي إلى مخزن مستقل تماما عن السكن العائلي، وهو الآخر معقود بعقد نصف دائري مصمت يفصل بين رأسه وساكن الباب مسافة 0.55م، أما عرض الباب 0.94م وبارتفاع قدره 2.2م، والمدخل مزود بعتبة تكاد تظهر من

أرضية الشارع نتيجة ارتفاع مستوى الردم مع الوقت، وباب المدخل الخشبي مؤلف من مصراعين يفتحان في اتجاهين متعاكسين إلى داخل المسكن، لكن الدفة الواقعة على يسار الداخل أصغر من الواقعة على يمينه، وهو مزود بحلقة معدنية للطرق عليه وسحبه.

يؤدّي المدخل الرئيسي إلى سقيفة ذات مخطط مستطيل الشكل بمساحة

(1.52×6.33 م²) (اللوحة رقم: 14)، وهي مغطاة بعوارض من خشب النخيل الموزعة بشكل عرضي على طول السقيفة، وبنيت المسافة الفاصلة بين عارضة وأخرى بالحجارة والتمشمت على شكل قبوات تراوح عرضها بين 0.50 م إلى 0.60 م.

يوجد عند بداية السقيفة على يمين الداخل درج يؤدي إلى لعلبي، وفي نهايتها على اليمين دائما هناك مدخل من دون باب يفضي إلى قاعة الانتظار واستقبال الضيفات أو كما تسمى تاهزة، وهذه القاعة ذات مخطط مستطيل يمتد عرضيا بالنسبة للمسكن بمساحة (2.24×4.5 م²، ومغطاة بعوارض من خشب النخيل تفصل بين العارضة والأخرى مسافة ق درها 0.60 م، وهي مبنية بالحجارة والتمشمت على شكل قبوات نصف برميلية هي الأخرى، إلا أن العوارض وضعت بشكل طولي بالنسبة لهذه القاعة.

يصادف الداخل إلى تاهزة في الجهة المقابلة مدخل غرفة يتوسط الجدار عرضه 0.70 م وارتفاعه 2.06 م، أما الغرفة في حد ذاتها فلها مخطط مربع الشكل طول كل ضلع من أضلاعه 2.40 م وهي بسيطة ومسقفة باستعمال عوارض خشبية، وبنيت المساحة الفاصلة بينها بالحجارة والتمشمت والجبس، والغرفة عموما خالية من أي زخارف أو عناصر معمارية.

يوجد في الزاوية الجنوبية-الشرقية لتاهزة مدخل آخر يؤدي إلى المخزن الواقع مدخله

على يسار الداخل والكنيف وكذا الحمام، فبالنسبة للمخزن فهو مزود بمدخل له باب خشبي بلغت مقاساته 2 م ارتفاعا و 0.70 م عرضا، وهو خالي من أي فتحات أو عناصر معمارية أخرى، أما تسقيفه فتم بعوارض خشبية تتوضع بشكل عرضي بالنسبة للمسكن، واستعمل في بناء المساحة الفاصلة بين العوارض الحجارة والتمشمت والجبس، أما الكنيف والحمام فهي فضاءات مضافة حديثا حيث يميز الكنيف شكل مخططه المستطيل وضيقة إذ يبلغ عرضه 0.55 م وطوله 2.08 م، ولكن عرض المدخل يصل إلى 0.70 م، أما الحمام فمقطعه ذو شكل مربع طول ضلعه 1 م، كما يتوسط المخزن والكنيف والحمام فضاء مغطى ذي مخطط على شكل الحرف اللاتيني L معكوس طولها 2.38 م وعرضه 1.66 م، وغطيت جميع هذه الفضاءات بنفس التقنية، إلى جانب استخدام البلاطات الخزفية في الكنيف والحمام.

نعود إلى تاهزة وتحديدًا في زاويتها الشمالية-الشرقية حيث فتح في جدارها الشمالي مدخل بدون باب عرضه 1.32م وارتفاعه 2.35م، يؤدي مباشرة إلى وسط الدّار الذي جاء تخطيطه مستطيل الشكل ويمتد طوليا بالنسبة للمسكن (شمال-جنوب)، حيث شغل مساحة قدرها (3.42×5.27) م²، وتوزع كل من السلام والغرف والمطبخ حوله من جهاته الأربع، وأكثر ما يميزه فتحة الشباك التي فتحت بسقفه بمساحة قدرها (1.45×2) م² وبارتفاع 1.39م بشكلها المستطيل والممتد طوليا بالنسبة لوسط الدّار، كما أنه ازدت بشباك معدني الغرض منه وقائي بالنسبة للأطفال والأجسام التي يمكن أن تسقط عبره لسبب ما كالرياح، كما يهيئ تغطيتها في أيام الشتاء وكذلك أثناء الزواجر الرملية في موسم الربيع، وإلى جانب هذا نلاحظ غياب تام للأعمدة والدعامات إذ حمل السقف ذو السمك المعتبر حوالي 1.55م مباشرة فوق الجدران الحاملة، واستعمل في بناء المساحة الفاصلة بين فتحة وسط الدّار والجدار من الجهتين الغربية والشرقية الحجاره والتمشمت وجاءت على شكل أقبية نصف برميلية تمتد طوليا بالنسبة لوسط الدّار، وترتفع أعلى نقطة منها عن الأرضية بحوالي 2.75م، أما المساحة الفاصلة بين الفتحة والجدار الجنوبي لوسط الدّار فسقفت بثلاثة عوارض منها المعدنية والخشبية، لتمتد عرضيا بالنسبة لوسط الدّار وترتفع عن أرضية وسط الدّار بمقدار 2.64م، وبنيت المساحة الفاصلة بين العارضة والأخرى بنفس التقنية السالفة الذكر لتشكّل قيوين (قبو نصف برميلي مبني بالحجارة والتمشمت).

يوجد على يمين الدّاخل إلى وسط الدّار في زاويته الجنوبية-الشرقية على الجدار الشرقي مدخل مزود بباب خشبي يفتح إلى الدّاخل ارتفاعه 2.06م وعرضه 0.85م، وهو خاص بغرفة ذات مخطط مستطيل الشكل ممتدة طوليا بالنسبة للمسكن وبمساحة قدرها (1.78×5.25) م²، فيما جاءت الغرفة بسيطة خالية من أي عناصر زخرفية أو معمارية، أمّا تسقيفها فتم باستعمال عوارض خشبية ممتدة عرضيا بالنسبة للغرفة وبنيت المساحة الفاصلة بينها بنفس التقنية وبنفس المواد.

يلي هذه الغرفة وبالجدار الشمالي لوسط الدّار قاعة استقبال الضيفات من النسوة أو كما تسمى محلياً سلاّم، ويعد أكبر الغرف وصممت على شكل مستطيل ممتد عرضيا بالنسبة للمسكن، حيث بلغت مساحتها (2.77×7.2) م²، وهي بهذا الموقع تحتل مكانا استراتيجيا بالنسبة للمسكن، إذ لها زاوية رؤية جيدة لكل زوايا وسط الدّار والغرف المحيطة به وخاصة مدخل تاهزة، وقد ساعد على ذلك اتساع مدخل هذه القاعة نفسه.

تطل هذه الغرفة على صحن المسكن -وسط الدّار- من خلال مدخل مشرع، ويشكل ساكفه العارضة التي تحمل السقف الذي يرتفع عن أرضية وسط الدّار بمقدار 2.11م، وليس له باب وهذا بسبب عرضه المعتبر حوالي 3.26م، وقد أضيفت عناصر دخيلة تمثلت في قوس نصف دائري تزييني، في حين زينت المساحة الفاصلة بين قوسه والسقف بزخارف نباتية، ويرتكز في طرفيه على عمودين في الأطراف ويمتازان ببدن حلزوني، ويعلو كل عمود تاج ذو شكل هرمي منقوص ومقلوب به زخارف نباتية هو الآخر، فيما يرتكز كلاهما على أرضية وسط الدّار مباشرة من دون وجود قاعدة، إلى جانب ذلك كسيت واجهات جدران وسط الدّار وسلامّ بلاطات خزفية حديثة بداية من الأرضية وحتى ارتفاع 1.20م، وتحمل البلاطات موضوعات عنصرها الأساسي زخارف نباتية.

تميّزت هذه الغرفة بالبساطة وخلوها من أي زخارف أو عناصر معمارية باستثناء كوتين متجاورتين وقائمتين عموديا تفصل بينهما مسافة يقدر عرضها بحوالي 0.60م، لكن كلا الكوتين زودت في منتصف ارتفاعها برف لوضع الأغراض بها، كما أنّها ليست عميقة حيث يبلغ 0.25م، وباستثناء ذلك لا وجود لأي عناصر أخرى، أمّا تسقيف الغرفة أيضا فتم باستعمال عوارض خشبيّة، وبنيت المساحة الفاصلة بين كل عارضة وأخرى باستعمال الحجارة والتمشمت والجير فجاءت على شكل أقبية نصف برميلية تمتد بشكل عرضي بالنسبة للقاعة.

نجد في زاوية سلامّ الشمالية-الشرقية مدخلين متجاورين، أحدهما فتح بالجدار الشرقي والآخر بالجدار الشمالي، فأما المدخل الأول فنود بباب خشبي يفتح إلى الدّاخل يصل عرضه حدود 0.78م وارتفاعه حوالي 2.2م، ويؤدي إلى غرفة ذات مخطط مستطيل الشكل يمتد طوليا من الشمال إلى الجنوب، وهنا يمكن أن نلاحظ أن هذا المدخل يتوسط جدار الغرفة، وبالنسبة لمقاساتها فقد بلغ طولها 5.15م أمّا عرضها فبلغ 1.93م، في حين يصل ارتفاعها إلى 2.63م، وتتميز ببساطتها وخلوها من أي زخارف أو تفاصيل معمارية أخرى، أمّا تسقيفها فتم بنفس تقنية تسقيف باقي الفضاءات حيث رتبت العوارض الخشبية بشكل عرضي بالنسبة للغرفة، وبنيت المساحة الفاصلة بين كل عارضة وأخرى باستعمال الحجارة والتمشمت والجير على شكل أقبية نصف برميلية تتبع اتجاه العوارض.

يؤدي المدخل الثاني الموجود بالجدار الشمالي إلى غرفة أخرى لكنه يحتل موقعا في الركن بالنسبة للغرفة على خلاف الغرفة السابقة، أمّا شكل مخططها فهو الآخر مستطيل الشكل ممتد عرضيا بالنسبة للمسكن، ولكن بمساحة أقل من سابقتها حيث بلغت (1.86x4.54)م²، ومثل

سابقتها تميزت بالبساطة وخلوها من أي عناصر باستثناء فتحة مستطيلة بوضعية عمودية لغرض التهوية والإنارة تقع إلى يمين المدخل وتفصل بينها وبين المدخل مسافة قدرها 0.4م، ومزودة بشباك خشبي يفتح إلى خارج الغرفة، وجاء تسقيفها بنفس التقنية المستعملة في الغرفة السابقة. بقيت مساحة معتبرة بين هذه الغرفة وجدار المسكن الغربي خصصت كمخزن لحزن المواد والأغراض التي تحتاجها ربة البيت خاصة المؤن، لكن مساحتها ضيقة بالنظر إلى هذه الوظيفة، حيث بلغت مساحته (1.85x0.86)م²، وهو فضاء مغلق ليس به فتحات باستثناء فتحة المدخل المزودة بباب خشبي عرضه 0.67م.

نعود بعد هذا المرفق إلى وسط الدار عبر مدخل سلاّم وعلى مسافة 2.77م منه نجد بالجدار الغربي لوسط الدار مدخلا عرضه 0.67م يؤدي إلى الفضاء المخصص للمطبخ، الذي جاء تصميمه مستطيل الشكل بمساحة تقدر بـ (1.92x4)م²، ولكون الدرج المؤدي إلى السطح يمر فوقه تميز بوجود فراغ أسفل الدرج استغل لوضع الأغراض الخاصة به، وقد شغل نصف مساحة المطبخ تقريبا، وهو -أي المطبخ- مجال أعيد تهيئته حديثا وتميز بالضيق، إلى جانب تلك ال نافذة المستطيلة والمزودة بشباك يفتح إلى داخل المطبخ، وهي مطلة على وسط الدار في مكان عند منتصف المسافة الفاصلة بين مدخل سلاّم ومدخل المطبخ، وقد تميزت بمقاساتها الكبيرة نسبيا بغرض تهوية المطبخ وإضاءته.

نصعد إلى الطابق الأول من خلال سلمين، فلأول موجود على يمين المدخل الرئيسي عند ولوج المسكن، أما الثاني فموجود كما سبق وأشرنا في ثانيا حديثنا عن المطبخ في الزاوية الجنوبية- الغربية لوسط الدار، وهو على شكل الحرف اللاتيني L بعرض 0.83م بحيث نصعد باتجاه الغرب على مسافة 2.36م لننعطف يمينا باتجاه الشمال على مسافة 5.18م وبنفس العرض، لنجد أنفسنا في الطابق الأول حيث نخرج من تغطية الدرج ذات الشكل المائل.

أكثر ما يميز الطابق الأول الذي يأخذ نفس تخطيط الطابق الأرضي من حيث الشكل العام هو الفضاء المكشوف والذي يسمى سطح أو تيغرغرت، وهو ذو تخطيط مربع الشكل تقريبا حيث يبلغ طول ضلعا الشمالي والجنوبي 8.05م أما الجداران الغربي والشرقي فيبلغ طولهما 8.79م وبمساحة 70.76م²، يتوسط الفضاء المكشوف فتحة شبك وسط الدار التي بني من حولها تحويط على ارتفاع معتبر حوالي 0.10م وطول 2.45م، وعرض 1.90م، كما أن الجدارين الغربي والشرقي يعلوان على ارتفاع 3.19م يسمح بتوفير جيد للسترة.

تتوسط السطح غرفة موجودة في عمق المسكن بهذا الطابق أي الجهة الشمالية وعلوي وعدد من الغرف بالجهة الجنوبية الموازية للشارع، فأما الغرف الموجودة في الجنوب فتقيرت بتخطيطها المستطيل الشكل الممتد عرضيا بالنسبة للمسكن، إلى جانب طولها وضيقها ومدخلها الذي يكاد يتوسط الجدار، وبلغت مساحتها (1.55X8.05)م²، وامتازت بالبساطة وخلوها من الفتحات باستثناء فتحة المدخل المزودة بباب خشبي يفتح إلى داخل الغرفة، وتمت التغطية باستعمال عوارض خشبية من خشب النخيل ممدودة بشكل عرضي بالنسبة للغرفة وعلى ارتفاع 2.87م من أرضية الغرفة، وبنيت المسافة الفاصلة بين العارضة والأخرى بالحجارة والتمشمت والجير على شكل أقبية نصف برميلية.

نخرج من هذه الغرفة متجهين صوب لعللي في جنوب الفضاء المكشوف، وتحديدًا عند الزاوية الجنوبية-الشرقية بالجدار الجنوبي ندخل من خلال مدخل عرضه 0.70م يؤدي إلى لعللي الذي هو عبارة عن فضاء مخصص لاستقبال الضيوف من الرجال، وجاء تخطيطه مربع الشكل مساحته (5.13X5.28)م²، وما يميز هذه الغرفة وجود موقد مبني في الزاوية الشمالية-الشرقية لعللي على لبيتفاع 1م وعرض 1.11م وبه فتحة معقودة بقوس نصف دائري، ومزود بمدخنة مبنية حتى مستوى السقف تقع على مقربة من مدخل لعللي على يسار الداخل، وغطي سقف لعللي بنفس التقنية أي باستعمال العوارض والأقبية نصف البرميلية التي بنيت بين العارضة والأخرى، ولتوسيع هذا الفضاء ثبتت عارضة في الوسط تمتد من الغرب نحو الشرق وعلى ارتفاع 2.87م وترتكز مباشرة على الجدارين الغربي والشرقي، في حين ترتكز باقي العوارض ولقصرها على الجدار مباشرة، وترتكز في منتصف الغرفة على العارضة السابق ذكرها، وبالتالي كل العوارض تمتد من الشمال نحو الجنوب باستثناء تلك العارضة التي تتوسط لعللي.

نلاحظ وجود مدخلين متجاورين يفضيان إلى غرفتين موجودتين بالجدار الغربي للعللي، فلشمالية منهما أقل مساحة وذات مخطط مربع الشكل إذ تبلغ (2.08X2.32)م²، ويصل عرض مدخلها 0.76م وهو مزود بباب خشبي يفتح إلى داخل الغرفة، وهي بسيطة وخالية من أي عناصر معمارية أو زخارف، وغطيت الغرفة باستعمال عوارض خشبية ممتدة على محور غرب-شرق تفصل بين كل عارضة وأخرى مساحة مبنية بالحجارة والتمشمت وتعلوها طبقة من الردم والحجارة والتمشمت ويعلو الكل طبقة كاتمة للسطح مؤلفة من التمشمت والجير، وبمعدل سمك كلي قدره 0.6م.

تتشارك هذه الغرفة مع غرفة أخرى في نفس الجدار أي أن هذه الغرفة الأخيرة تقع إلى جنوب الغرفة الأولى، وهي ذات مخطط على شكل حرف L اللاتيني مقلوب رأسياً وبمساحة إجمالية قدرها 7.39م²، وقد فرض هذا الشكل وجود الكنيف في الجهة الأخرى -والذي سنأتي على ذكره فيما بعد- وبالنسبة لمقاسات هذه الغرفة فنجد الضلع الشمالي بلغ طوله 2.33م، أما ضلعها الغربي وهو الأطول بلغ 3.93م، أما مدخلها فهوود بباب خشبي يفتح إلى داخل الغرفة وبلغ عرضه 0.70م وارتفاعه حوالي 2.09م، كما أن الغرفة جاءت بسيطة وخالية من أي عناصر معمارية أو زخرفية أخرى، فيما سقفت بنفس التقنية السابقة وبنفس الشكل.

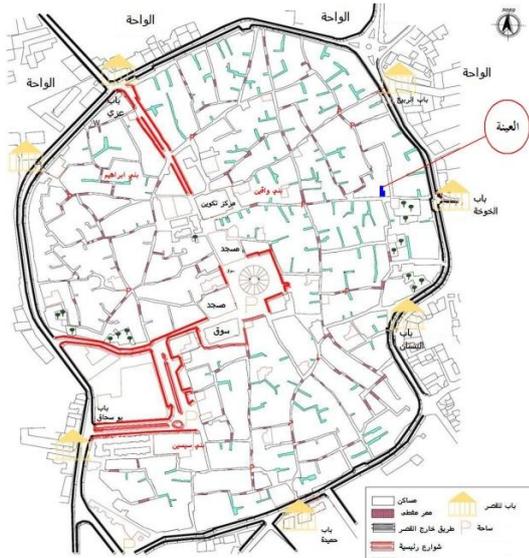
نخرج من هذه الغرفة لنجد مدخلا آخر أعلى يميننا في زاوية لعللي الجنوبية -الغربية بالجدار الجنوبي له، ويؤدي هذا المدخل ذو 0.70م عرضاً إلى الكنيف الموجود على يمين الصاعد للسطح والدرج المؤدي إلى السطح والموجود على اليسار، ويمتاز الكنيف بمخططه المستطيل الشكل بمساحة (0.96x1.66)م²، وهو خال من أي عناصر معمارية باستثناء فتحة صغيرة تطل على الشارع كان الغرض منها التهوية والإنارة كما يفتقد إلى وجود باب، أما تسقيفه فتم بنفس التقنية كما نلاحظ وجود تبلور الأملاح الناتجة بفعل المياه النافثة عبر السقف وهو عموماً محدود بشكل حديث نظراً لاستعمال الرخام والزليج، ونشير إلى مستوى أرضيته المرتفع عن أرضية لعللي بحيث يتم الدخول إليه بصعود درجتين ارتفاعهما الإجمالي يقارب 0.9م.

نعود من حيث دخلنا قبل الصعود إلى السطح حيث نجد في نفس الجدار -أي الجدار الجنوبي للعللي- وقبل الوصول إلى زاوية لعللي الجنوبية-الشرقية بمسافة 0.56م نجد مدخلا آخر يؤدي إلى الدرج الصاعد من الطابق الأرضي على يمين المدخل، وهو مزود بفتحة عمودية وذات مقاسات معتبرة 0.7م عرضاً و1م ارتفاعاً مزودة بشباك معدني الغرض منها إضاءة وتهوية الدرج. هذا على يمين الخارج من باب لعللي أما على يساره وفي مقابل الدرج مباشرة هناك مدخل لغرفة أخيرة مزود بباب خشبي يفتح إلى داخل الغرفة، ومخططها ذو شكل مستطيل يمتد طولياً بالنسبة للمسكن، ومن حيث المسقط فهي تتوافق مع المخزن ذي المدخل المستقل في الواجهة الرئيسية للطابق الأرضي.

تبلغ مساحة هذه الغرفة (3.12x6.45)م²، وجاءت على درجة كبيرة من البساطة وخالية من أي عناصر زخرفية أو معمارية باستثناء تلك الفتحة المربعة المطللة على الشارع والمزودة بشباك معدني، والغرض منها هي الأخرى إضاءة وتهوية الغرفة، أما تسقيفها فتم باستعمال نفس

التقنية أي عوارض خشبية تفصل بينها مسافة تتراوح بين 0.5-0.6م، وبنيت المسافة الفاصلة بين العارضة والأخرى على شكل أقبية نصف برميلية.

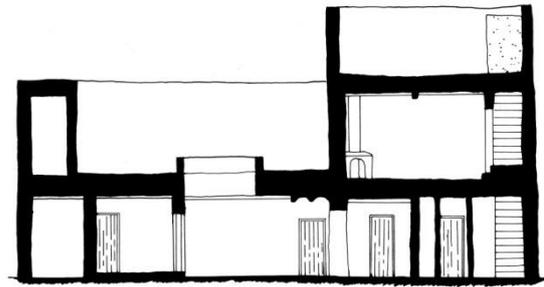
نصعد إلى السطح عن طريق درج مستقيم مقابل للكنيف بهذا الطابق -والذي سبق الإشارة إليه- لنجد أنفسنا خارجين من تغطية مائلة تشبه تغطية درج الطابق الأول المؤدي إلى الفضاء المكشوف، والسطح عبارة عن فضاء مستطيل الشكل مكشوفاً ومحاطاً بجدار سترة مبني بالحجارة والتمشمت على ارتفاع 2.41م، ويستغل في فصل الصيف للسمر والنوم في الليالي الحارة وكذا تجفيف الثمار والبقول.



موقع المسكن بالنسبة لقصر ورقلة

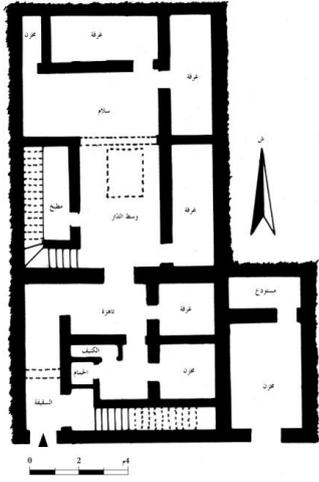


الواجهة الرئيسية للمسكن



مقطع رأسي للمسكن

اللوحة رقم: 13



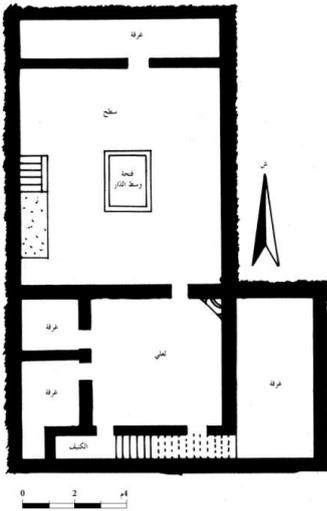
مقطع أفقي للطابق الأرضي



الكوات الجدارية



وسط الدار يليه سلام



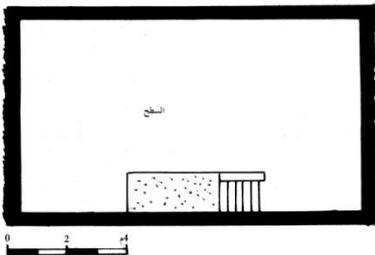
مقطع أفقي للطابق الأول



مدخل وسط الدار



الموقد في غرفة لعلي



مقطع أفقي للسطح



التسقيف بعوارض معدنية

اللوحة رقم: 14

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية المقارنة

المبحث الأول: التخطيط العام وتوزيع الفضاءات

المبحث الثاني: مواد البناء وتقنيات البناء

المبحث الأول: التخطيط العام وتوزيع الفضاءات

رأينا كيف أن المسكن كان على الدوام غاية للإنسان ، ولكن اتسم بسمات اختلفت اختلافا عموديا وأفقيا، ونقصد بالاختلاف العمودي ذلك التحول والتطور الذي عرفه عبر مر التاريخ والعصور، أما الاختلاف الأفقي فنقصد به ذلك الاختلاف الذي فرضته مجموعة من العوامل المتعلقة بالجانب الحضاري والعقائدي والبيئي والاقتصادي وغيرها من العوامل، ولكن هل انطبق الأمر على المسكن التقليدي بقصور وادي مزاب وقصر ورقلة، وهذا ما سنحاول الوقوف عليه من خلال إجراء مقارنة بين المسكنين انطلاقا مما ورد على لسان المختصين وما وقفنا عليه في الزيارات الميدانية التي سمحت لنا القيام بالرفوعات والتوثيق الفوتوغرافي لتفاصيل بعض المساكن على رغم من صعوبة الأمر، وهو أمر بلا شك سيعطينا فكرة على واقع هذه المساكن في الوقت الراهن بعد مرور قرابة القرن عن المعايينات الأولى لها من طرف المستشرقين الفرنسيين على وجه الخصوص.

1. التخطيط العام:

تميز تخطيط مساكن قصور الصحراء عموما ومنطقة مزاب على وجه الخصوص بعدم الانتظام إلى جانب تكيف هذا التخطيط مع الظروف المناخية الصحراوية القاسية، ولكن غالبا ما كانت هناك فوارق في بعض التفاصيل ومما سبق تبين لنا أن نسبة كبيرة من مساكن منطقة وادي مزاب ذات مخطط مستطيل الشكل ، ولكن في الوقت ذاته وجدنا أن هناك نسبة معتبرة من هذه المساكن ذات تخطيط غير منتظم، ولنا في العينة رقم 2-3-5 أمثاق جيدة، حيث لاحظنا أن هذه المساكن ذات أشكال غير منتظمة ففي بعض الأحيان يتعرج جدار المسكن الخارجي وفي أحيان تبرز زليجات في مستوى مساكن الجيران، و سبب ذلك يعود في الدرجة الأولى إلى طبيعة أرضية القصور في المنطقة، والتي تتسم بالبنية الصخرية القاسية وعدم استوائها بل ووجود الأحاديد بما الأمر الذي فرض على المساكن إتباع بنية الأرضية.

أما في قصر ورقلة فنجد أن أغلب المساكن اتسمت بتصميمها المنتظم ولكن هي الأخرى قد تصادف فجأة زوايا غير متوقعة ⁽¹⁾ (اللوحة رقم: 6)، وفي قسم منها بعض المخططات التي يتداخل فيها المسكن مع مساكن الجيران مثلما هو الحال عليه في العينة المدروسة رقم: 1 بهذا

1. Jean Lethielleux ; Op. Cit. , p: 92.

القصر، ويوعز هذا الانتظام بالدرجة الأولى إلى طبيعة أرضية القصر المستوية والهشة والتي في كثير من الأحيان عبارة عن تربة مفككة ناتجة عن تراكم الردم الناتج عن سقوط الهياكل المعمارية على مر القرون.

اتسم مسكن قصر ورقلة بتصميم مستطيل الشكل إلى جانب أن أكثر هذه المساكن تتميز بكبر عمقها من عرضها، مثل ما كان عليه الحال في العينات التي درسناها في القصر، وقد شاع هذا المخطط في وادي مزاب أيضا، ولكن في هذه الأخيرة ليس في كل الحالات يكون العمق أكبر من العرض إذ قد نجد العمق أقل من عرض المسكن وهنا تصبح الواجهة أطول.

نسجل في عدد من المساكن وجود اختلاف في شكل مخطط الطابق الأرضي والطابق الأول، ليصبح لدينا نوعان من علاقات الجوار، الأولى عمودية حيث يشترك الجاران في السقف، أما الثانية أفقية بالجدار المشترك⁽¹⁾، وهي حال وقفنا عليها في عدة نماذج من مساكن منطقة مزاب مثل العينة المدروسة في قصر غرداية وفي مؤخر المسكن على وجه التحديد، في حين لم نقف على هذه الحالة كثيرا في ورقلة وسبب ذلك قلة العينات المدروسة، ولكن هناك بعض المساكن التي بنيت بعض غرفها فوق الممرات لأنه من غير المعقول ألا نجد هذا التداخل بين المساكن خاصة ونحن نعلم أن المساكن عرفت القسمة أكثر من مرة على خلفية تقسيم موارث الموتى من المسلمين.

القصر	رقم العينة	المخطط		مساحة المسكن م ²			الامتداد	
		منتظم	غير منتظم	100-45	150-100	200-150	عمقي	عرضي
قصر العطف	01	X	-	-	X	-	-	X
قصر مليكة	02	-	X	X	-	-	-	X
قصر بنورة	03	-	X	X	-	-	X	-
قصر غرداية	04	X	-	X	-	-	X	-
قصر بني يزقن	05	-	X	X	-	-	X	-
قصر ورقلة	01	-	X	-	X	-	X	-
قصر ورقلة	02	X	-	-	-	X	X	-

الجدول رقم (3): خصائص ومميزات مخطط مساحة المسكن

تبلغ مساحة أصغر مساكن قصر ورقلة 24 م²(2)، في حين تصل أكبرها مساحة 300 م²(3)، في حين نجد هذه المساحة لا تتجاوز في أغلب مساكن قصور وادي مزاب 100 م²(1)،

1. مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص: 161.

2. عبد الرحمن حاجي، المرجع السابق، ص: 245.

ولكن ينطبق الأمر مع عدد قليل من المساكن فأغلبها تتراوح مساحتها بين 90م² و60م² أو أقل بقليل⁽²⁾، من الواضح جدا أن هناك تباين كبير في مساحة هذه المساكن فيما بين المنطقتين، وهذا ما لمسناه في العينات المدروسة حيث أغلب العينات الواقعة في وادي مزاب مساحتها أقل من 100م² في حين العينتين الموجودتين بقصر ورقلة تتجاوزان ذلك بكثير (الجدول رقم: 3)، وعلى الأرجح أن الأمر يعود في منطقة مزاب إلى قضية الميراث إلى حد الشفعة مما يقي للمسكن وظائفه الرئيسية وبالتالي دفع الضرر الذي قد ينتج عن القسمة مرة أخرى⁽³⁾، وعدم استعداد الورثة للتنازل عن ملكية المسكن خاصة في ظل غياب مساحة للتوسع خارج القصر، إلى جانب طبيعة تضاريس المنطقة التي حدت من اتساع رقعة الكثير من المساكن، فيما كبر هذه المساحة في قصر ورقلة ربما يعود إلى ثراء السكان واللجوء إلى تعويض الورثة وشراء أجزاء مجاورة مع إمكانية التوسع خارج حدود القصر كون القصر يقع في منطقة مستوية نسبيا.

ويبقى السؤال قائما بالنسبة لهذه المساكن ونظيرتها بمدينة سدراته التي تعد الجذور المعمارية للمنطقتين، فعلى خلاف مساكن المنطقتين التي تعتمد على فناء مغطى يسمى وسط الدار نجد أن مساكن سدراته الأثرية كشفت النقاب على هذا النوع من التخطيط المعتمد بالأساس على فناء مكشوف يتوسط عددا من الغرف فمتى وقع التحول والانتقال إلى هذا التخطيط الجديد، والذي نحسبه جاء مع الوافدين من تيهرت بعد سقوطها على يد الفاطميين.

2. الواجهات:

انحصرت واجهات مساكن كلا المنطقتين في الواجهة الرئيسية وقليل جدا وجود واجهات ثانوية، وهذا يحدث فقط حين تكون هذه المساكن واقعة في نقاط تقاطع لأكثر من شارع، مثل ما هو الحال في العينة رقم 2 بقصر مليكة (الجدول رقم: 4)، كما تميزت بعرض متوسط لا يتجاوز في الغالب 10م ورغم ذلك هناك عدد قليل من هذه المساكن يزيد عرض واجهاتها عن ذلك.

وتميزت هذه الواجهات أيضا بكونها صماء خالية من أي فتحات باستثناء فتحة مدخل المسكن الرئيسية كما أنها خالية من أي زخارف باستثناء تلك الرموز والكتابات على المساحة

1. يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط. 2، ص:115.

2. مختار قرميذة، المرجع السابق، ص:06.

3. مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص:20.

المصمته للعقد الذي يعلو المدخل الرئيسي، ولكن هناك اختلاف في المواضيع الزخرفية بين المنطقتين فبعد أن غلب موضوع "تانيت" بمدخل مساكن ورقلة⁽¹⁾ نجد أن موضوع اليد طغى على مساكن مزاب، إلى جانب وجود بعض النصوص الكتابية من آيات أو سنة تأسيس⁽²⁾، وهذه المواضيع نادرا ما نصادفها في الميدان ، وذلك إما لعزوف الناس عنها أو طمسها جراء أعمال الصيانة وإعادة التليس للواجهات، كما توجد بعض الفتحات الصغيرة جدا على مستوى الطوابق العليا أو السطح، خاصة في مساكن منطقة وادي مزاب ذلك أن الكثير من المساكن شهدت تغييرات على مستوى واجهاتها، ويعود ذلك إلى إحداث نوافذ بغرض التهوية والإضاءة، كما كان الحال عليه بواجهة العينة رقم 2 بقصر ورقلة (اللوحة رقم: 13)، ومن المؤكد أن تصنيف وادي مزاب كتراث وطني وتراث عالمي مبكرا وقطاع محفوظ مؤخرا أكسبه نوعا من الحماية التي حافظت على الشكل الخارجي للمساكن.

الميازيب	الفتحات	طول الواجهة الرئيسية بالمتر			عدد الواجهات			رقم العينة	القصر
		أكثر من 10	10-5	أقل من 5	اثنتان	واحدة	منعدمة		
X	-	X	-	-	-	X	-	01	قصر العطف
X	X	-	X	-	X	-	-	02	قصر مليكة
-	-	-	X	-	-	X	-	03	قصر بنورة
X	-	-	X	-	-	X	-	04	قصر غرداية
X	X	-	X	-	-	X	-	05	قصر بني يزقن
-	-	-	X	-	-	X	-	01	قصر ورقلة
X	X	X	-	-	-	X	-	02	قصر ورقلة

الجدول رقم(4): خصائص ومميزات واجهات المساكن

تميزت مساكن مزاب بواجهة أعلى من نظيرتها في قصر ورقلة، ففي الغالب نجد مساكنها -أي مزاب- مؤلفة من طابق أرضي وطابق أول وسطح⁽³⁾ ونادرا ما نجد مسكنا مؤلفا من طابق أرضي وسطح، في حين أغلب مساكن ورقلة مؤلفة من طابق أرضي وسطح كما هو الحال في العينة رقم 1 (اللوحة رقم: 11)، كما أن النسبة الأكبر من هذه المساكن لها واجهة واحدة بدل الواجهتين وهناك من المساكن ما ليس له واجهة أصلا بحكم موقعها بين المساكن الأخرى أو في سكة غير نافذة أو حتى تتقاسم المدخل مع نفس المسكن المجاور.

1. دنيس بيلي، المرجع السابق، ص: 3.

2. محمد جودي المرجع السابق، ص: 50، 51.

3. يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط. 2، ص: 115.

2-1. المداخل:

يسمى باللهجة المحلية لقصر ورقلة **أَتَافُ نْتَدَارْتُ** في حين تنطق **أُوْثُوفُ نْتَدَارْتُ** بمزاب، ويحتل المدخل في مساكن وادي مزاب مكانا ركنيا في إحدى زوايا المسكن، وهو الحال ذاته في قصر ورقلة، ووجود المدخل بهذا الشكل سمح بالتحكم التخطيطي للمسكن في حد ذاته فلم يشغل مساحة كبيرة منه كما أنه سهل التوفيق بين تخطيط المجالات وتوفير الخصوصية للمسكن، وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال عدم وجود مداخل ثانوية أخرى.

الباب	العتبة	غير معقود	معقود	ارتفاع المدخل	عرض المدخل	الموقع بالنسبة للواجهة		رقم العينة	القصر	
						وسط الواجهة	الزاوية			
معدني	خشبي	X	X	-	1.80م	1م	-	X	01	قصر العطف
-	X	X	-	X	1.60م	1م	-	X	02	قصر مليكة
-	X	X	X	-	1.70م	1.10م	-	X	03	قصر بنورة
-	X	X	X	-	1.80م	1.08م	-	X	04	قصر غرداية
-	X	-	-	X	1.63م	1.10م	-	X	05	قصر بني يزقن
-	X	-	X	-	2.11م	1.30م	-	X	01	قصر ورقلة
-	X	X	-	X	2.45م	1.45م	-	X	02	قصر ورقلة

الجدول رقم (5): خصائص المدخل الرئيسي في العينات المدروسة.

تمثل المساكن التي تتوفر على مدخل واحد في منطقة مزاب الغالبية، حيث تصل هذه النسبة إلى 80%⁽¹⁾، كما تتميز منطقة ورقلة بوجود المداخل الثانوية بواجهاتها إلى جانب المدخل الرئيسي، وقد يصل عددها إلى الثلاثة مداخل، حيث يكون أحدها مخصصا لدخول الضيوف إلى الدويرة أو الحجرة (مزاب) أو حجرة أو لعلي (ورقلة)، بينما الآخر يكون خاصا بدخول الدواب في حال استقلالته عن باقي المجال السكني وهو أمر نادر في منطقة وادي مزاب لا يتعدى 4%⁽²⁾، وربما يهدف الفصل بين مدخل فضاء الضيوف من الرجال والمدخل الرئيسي إلى توفير الخصوصية للمسكن والإحساس بالحرية للزائر، كما إنَّ استقلالية مدخل فضاء الدابة يهدف إلى التخلص من روائح الدابة والفضلات والضوضاء، وبالنسبة للعينات المدروسة لم نقف على أكثر من المدخل الرئيسي باستثناء العينة رقم 2 بقصر ورقلة حيث لاحظنا وجود مدخل في أقصى يسار المسكن خاص بمخزن مستقل عن فضاء المسكن ولا ندري إن كان هذا النشاط أصيلا أم مستحدث.

1. مختار قرميذة، المرجع السابق، ص: 12.

2. نفسه، ص: 12.

يتميز المدخل الرئيسي في المنطقتين بمقاساته الكبيرة مقارنة بباقي مداخل المساكن الأخرى، ففي منطقة مزاب يقدر معدل عرضه بحوالي 1.04 م، ويبلغ ارتفاعه 1.60 م، أما تلك الموجودة بمسالك غير نافذة فتتراوح بين 1.80 م و 2 م بالتقريب⁽¹⁾، ونفس الأمر بالنسبة لقصر ورقلة إذ نجد المداخل الرئيسية دوما ذات أبعاد كبيرة، وفي الغالب ما تكون معقودة⁽²⁾، وهي حال العينات رقم 2، 5. بمزاب و العينة رقم 2 بورقلة، وسبب هذه الأبعاد المعتبرة يعود بالدرجة الأولى الاستعمال المتكرر له طوال النهار، إضافة إلى أنه يمثل مدخل الدّابة التي تكون في الغالب محملة بالحطب أو الحشيش أو السقاية، وبالتالي فهي مقاسات تستجيب لهذا الوضع لتسهيل الأمر وتفريغ الحمولة داخل المسكن، ولكن لاحظنا من خلال المعاينة الميدانية أنّ مداخل المساكن بقصر ورقلة أكبر نسيما من نظيرتها في قصور مزاب (الجدول رقم: 5)، ونشير إلى وضع هذه المداخل بشكل جعلها منكّبة عن مداخل المساكن التي تقابلها في كلا القصرين.

بالنسبة للمداخل الثانوية لم نجد خلال دراستنا للعينات سوى مسكن واحد له مدخل ثانوي، وتقصّد بذلك العينة رقم: 02 بقصر ورقلة، ولم يكن في هذا النموذج مخصص كما جرت عليه العادة لغرفة استقبال الضيوف أو الدواب، بل مخصصا للمخزن، وربما يعكس ذلك النشاط التجاري الذي ميز المنطقة خلال مراحل من تاريخها.

2-2. الباب:

يسمى باب المدخل في وادي مزاب **تَاوْرْتُ** جمع **تِيوِي**، أمّا في ورقلة فيطلق عليه باللهجة المحلية اسم **تَاوْرْتُ**، وقد يسمى في ورقلة دوما **إِمِي نَحْطُوبَاتُ**، وهو ذو مقاسات معتبرة تبعا لأهمية المدخل الرئيسي، حيث يكون عريضاً مقارنة بغيره من الأبواب، فقد يصل عرضه بورقلة من 1 م إلى 2 م⁽³⁾، كما أنه يصنع في كلا المنطقتين من خشب النخيل (الجدول رقم: 5) مما يجعله ثقيلاً وضحماً⁽⁴⁾، حيث تثبت ألواح الخشب عمودياً الواحدة إلى جانب الأخرى تشدها لوحة خشبية بشكل مستعرض تتميز بذلك الشكل المسنن، وفي ورقلة تثبت بواسطة مسامير مصنوعة من خشب الرمان أو الورد أو التوت أو المسامير الثلاثية الشكل والمصنوعة محلياً بورقلة وهذا ما يسهل عملية فتح الباب من الخارج ومن الداخل أيضاً، ولا تغلق أبواب هذه المساكن

1. Brahim Benyoucef; Op. Cit. p: 131.

2. C. Trumelet ; Op. Cit. p: 369.

3. Chaouche-Bencherif Meriama ; **La Micro-urbanisation et ...**, Op. Cit. p: 347.

4. Pierre Donnadiou et autres; Op. Cit. p: 74.

لسمح لذوي الحاجة من رحي ما يستحقونه ليلا ونهارا (1) كما أن الغرض من فتح الأبواب كذلك تلطيف الجو داخل المسكن خاصة أيام الحرّ وهذا من خلال السماح بحركة الهواء عبر فتحة وسط الدّار مروراً بالسقيفة وباب المدخل أخيراً كما يمكن التخلص من روائح دخان المطبخ المفتقر لمدخنة خاصة به.

تميزت أبواب المنطقتين على السواء بأنّ لها مصراع واحد ، وفي أحد طرفيه محور دوران الباب، وهذا المحور عبارة عن عمود خشبي مثبت من طرفيه، فمن الطرف العلوي في حلقة محدثة بالسالك، أمّا من طرفه السفلي ففي حفرة تحدث في العتبة، ورغم ذلك فقد عوضت الكثير من الأبواب الخشبية بأخرى معدنية خاصة في قصر ورقلة كما أنّها فقدت جمالياتها بعد أن أضيفت إلى أغلبها في وادي مزاب أبواب ذات شبايك معدنية، أمّا بالنسبة للملحقات الباب فهناك:

القفل:

شاع في المنطقتين استخدام نظام قفل يسمى أفكير⁽²⁾ كما أنه شائع أيضا في القصور عموما (2)، وأحيانا يطلق عليه المزابيون وحتى في قصر ورقلة اسم أناس⁽³⁾، وهي مؤلفة من ثلاثة أجزاء ، القطعتان المتعاشقتان، هما العلبة المخوفة ولسان القفل الذي هو المزلاج حيث يحرك أفقيا في الاتجاهين ذهابا وإيابا داخل العلبة، أما القطعة الثالثة فهي المفتاح، ويصنع من الخشب الصلب، وقد سبق وتحدثنا على طريقة عمله، وفي المنطقتين يمكن أن يحكم غلق الباب عند الضرورة بعمود خشبي من خشب الرمان أو قضبان حديدي يطلق عليه في ورقلة اسم غانجو⁽³⁾، وفي مزاب يسمى أبتلج إلاّ أنّه في أوقات متأخرة استبدل بقفل معدني كان يجلب في الغالب من جربة يقفل بمفتاح جد ثقيل ويصل طوله حدود 0.25م⁽⁴⁾ إلى 0.30م⁽⁵⁾، ولكن في أغلب الأبواب الحالية استغني عن النظامين السابقين وعوضهما قفل معدني حديث أقل حجما ووزنا، كما هو الحال في العينات المدروسة، ولم يعد لتلك الأقفال القديمة ولا لهذا النظام وجود يذكر باستثناء تلك الحفر الموجودة في بعض المساكن بأحد طرفي المدخل من الجهة الموالية للقفل.

1. عبد الرحمن حاجي، المرجع السابق، ص: 242.

2. L. Voinot ; Op. Cit. p: 446.

3. عبد الرحمن حاجي، المرجع السابق، ص: 242.

4. Pierre Donnadiou et autres; Op. Cit. p: 103.

5. A. De C. Motylinski ; Op. Cit. p: 438.

الحلقات والمطارق:

تسمى في منطقة مزاب **تيسلسلت** أو الحلقة كما هو متداول أمّا في ورقلة فلم تبق تسميتها الأصلية باللهجة المحلية كونها لم تعد موجودة على أبواب المساكن التقليدية بل حتى تلك الصور التي خلفها بعض المستشرقين، إلى جانب تلك الرسوم التي تركها بعض الرحالة الذين زاروا القصر من أمثال أندري فيلاري، أنطوان جياكوبيتي لمساكن القصر لم تشر لوجودها، على عكس منطقة مزاب التي ما تزال بعض أبواب مساكنها القليلة تحمل هذا العنصر كما كتب عليه المستشرقون وأشاروا إليه، وهي مصنوعة من الحديد، حيث يشد في بعض الأحيان بظفيرة حديدية تخرج من عقدة تزيينية مثبتة على الباب، تحاكي في شكلها النجمة أو على شكل مثلثات متشابكة تعطي شكل النجمة السداسية.

2-3. العتبة:

تخطى العتبة بمكانة بالغة في عمارة المساكن فلا يكاد يخلو منه مسكن في العالم الإسلامي ومساكن القصور الصحراوية أيضا ، لما لها من رمزية الحد الفاصل بين العالم الذكوري والإناثي والداخلي والخارجي والعام والخاص، كما لها أهمية أخرى فقهية ⁽¹⁾، فهي من بين الدلائل التي يعتمدها الفقهاء في إعادة بناء المساكن وكذلك إثبات الأحقية، إلى جانب قيمة رمزية أسطورية خاصة بالنسبة لسكان شمال إفريقيا عموما والصحراء على وجه الخصوص، فهي تقترن بعالم غير مرئي فكانت مصدر الكثير من الخرافات، وبعض العادات مثل عادة **أمر كيدو** (وليمة) بقصر ورقلة والتي سبق وأن تكلمنا عنها، كما أنّ العتبة لعبت دورا هام في الوقاية من الحشرات السامة والرمال، وقد أطلقت عليها تسميات تباينت بين المنطقتين، حيث سميت في ورقلة **توشونت** أو **تيشنت** ⁽²⁾، فيما أطلق عليها تسمية **ألعتبت** اشتقاقا من التسمية العربية.

تبنى العتبة بكتلة من الحجر المثبت باستعمال التمشنت، وقد يصل ارتفاعها إلى حدود 0.20م، لكن يلاحظ بالمنطقتين غياب أو بداية غياب هذا العنصر، ففي قصر ورقلة يغيب هذا العنصر في أغلب المساكن بسبب ارتفاع مستوى الشوارع التي تقع فيها العتبات الأمر الذي جعل هذه العتبات غير بارزة، في حين نجد أنّ ما يقارب ثلث المساكن يغيب منه هذا العنصر، وهو أمر لاحظناه حتى خلال الزيارة الميدانية وكذلك في العينات المدروسة ، ففي العينات الموجودة بمنطقة

1. أبي العباس أحمد الفرستائي، المصدر السابق، ص: 209.

2. Jean Lethielleux ; Op. Cit. , pp: 90-91.

مزاب نلاحظ وجود هذا العنصر في حين نجد في ورقلة تواريه تحت الردم بعد أن ارتفع مستوى الشارع كما هو الحال في العينة رقم 5 في قصر بني يزقن بمزاب، والعينة رقم 1 و 2 في قصر ورقلة (الجدول رقم:5).

4-2. الفتحات:

تغيب الفتحات على واجهات المساكن في الطابق الأرضي، وفي بعض الأحيان نجد فتحة مطلة على الشارع في حال وجود غرفة استقبال الضيوف من الرجال⁽¹⁾ (اللوحة رقم: 13 و 9) لغرض التهوية والإضاءة وتكون فوق المدخل⁽²⁾، إلى جانب بعض الفتحات الصغيرة في أعلى الطوابق⁽³⁾، حيث يكون الهدف منها مراقبة من في الخارج دون أن يُرى من الداخل، وهي ذات أشكال متنوعة مستطيلة بشكل عمودي مربعة وغير منتظمة وأحيانا مثلثة أو عبارة عن مثلثين متقابلين بالرأس، وتكون إما مجتمعة أو منعزلة، وتسمى هذه الفتحات بمنطقة مزاب **أَلُون** بمعنى نافذة صغيرة، وفي أحيان أخرى تجتمع هذه الفتحات، إلا أن هذا النوع من الفتحات يقل في واجهات مساكن قصر ورقلة مقارنة بواجهات مساكن وادي مزاب ، ولكن نلاحظ إحداث فتحات كبيرة بدل ذلك خاصة بعد الوقوف على ذلك ميدانيا ولنا في العينة الثانية المدروسة في قصر ورقلة.

يجد أن نجد فتحة أخرى صغيرة تخص مربوط الدابة أو الماشية لتأمين تهوية وإضاءة هذا الفضاء، حيث تكون مطلة على الشارع هي الأخرى⁽⁴⁾، كما يمكن أن نجد فتحة تخص الكنيف في حال وجوده بالطابق الأرضي (اللوحة رقم: 3 و 4)، أو حتى ذلك الموجود بالطابق الأول وهذا لاشتراكهما في خزان واحد للفضلات⁽⁵⁾ وله فتحة مغلقة بجدار الواجهة ليسهل تفريغه، وهذه التقنيات تحلى عنها السكان منذ زمن بعيد فلم يبق إلا آثارها بجدار الواجهة خاصة بمنطقة مزاب فيما لم نسجل وجود لها بقصر ورقلة، باستثناء فتحة التهوية والإضاءة فقد زودت المساكن التي بها الكنيف من جهة الواجهة بفتحات للتهوية والإضاءة.

1. عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص: 115.

2. Marcel Mercier; Op. Cit. , p: 84.

للمزيد ينظر:

يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ط. 2، ص: 116.

3. DELHEURE J. ; Op. Cit. , p: 36.

4. مختار قرميدة، المرجع السابق، ص: 30.

5. Pierre Donnadiu et autres; Op. Cit. p: 83.

2-5. الميازيب:

زودت مساكن المنطقتين بهذا العنصر المهم مثلها مثل الكثير من المدن الإسلامية، ويطلق عليه في وادي مزاب باللهجة المحلية اسم **سُوْفِير**⁽¹⁾ واقتصر وجود هذا العنصر على السطح وفي بعض الأحيان الطابق الأول، كونها مخصصة لتصريف مياه الأمطار وهذا رغم انخفاض معدل التساقطات المطرية خلال السنة، وكانت فيما مضى تصنع من خشب النخيل⁽²⁾ أو من الفخار أو تبنى، ولكن لم تعد تراعي الشروط التي تنظمها وأصبحت العملية عشوائية، خاصة ونحن نعلم جيدا أنها لها قوانين فقهية تنظمها، ورغم ذلك فأغلب المساكن بقصور المنطقتين زودت بهذا العنصر وهو الأمر الذي وقفنا عليه في العينات المدروسة أو حتى تلك التي أخذنا لها صوراً أو لاحظناها بالعين المجردة، ولكن نجد أن هناك تباين في قياسات هذه المزاريب من حيث القطر والطول -أي المسافة البارزة عن سمت الواجهة- وفي كل الأحوال حافظ السكان على هذا العنصر ولكن لم يحافظوا على قوانينه المنظمة، بل هناك من المساكن التي ينعلم فيها وجود هذا العنصر وتعويضه بتقنيات الصرف الحديثة من أنابيب بلاستيكية أو معدنية أو غيرها.

وبالنسبة للعينات المدروسة فجل المساكن توفرت واجهاتها على ميازيب على مستوى السطح، وفي بعض الأحيان نجد في مساكن قصور بني مزاب وجود هذا العنصر حتى في الطابق الأول مثل ما هو الحال في العينة رقم: 4 بقصر غرداية (اللوحة رقم: 7)، وكلها مصوبة باتجاه الطريق كما هو الحال في العينة رقم: 1 بقصر العطف (اللوحة رقم: 1)، والعينة رقم: 2 بقصر مليكة (اللوحة رقم: 3)، والعينة رقم: 5 بقصر بني يزقن (اللوحة رقم: 9)، ولكن نلاحظ غيابها في العينة رقم: 3 بقصر بنورة وهو حال العديد من المساكن، بعد أن أصبح للمساكن قنوات صرف خاصة مكنت من تجنب صرف مياه الأمطار وحتى التنظيف صوب الشارع.

2-6. الارتفاع:

يرتفع المسكن النموذجي في قصر ورقلة إلى حدود 4م بشكل يمنع التسلق أو حتى امتداد النظر إلى داخله⁽³⁾، فأغلب البيوت لا طوابق لها⁽¹⁾ باستثناء الطابق الأرضي والسطح مثل الكثير من المساكن القصورية كمساكن منطقة التوات⁽²⁾.

1. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، ط. 1، مرجع السابق، ص: 43.

2. Pierre Donnadieu et autres; Op. Cit. p: 83.

3. Chaouche-Bencherif Meriama ; La Micro-urbanisation et ..., Op. Cit. p: 92.

يحدث أن يتجاوز ج دار الواجهة جدران واجهات المساكن الأخرى عندما يزيد عنها بطابق، وقد حدثت هذه الظاهرة في عدد الطوابق في قصر ورقلة بداية من القرن 15م⁽³⁾، وخلال المعاينة الميدانية لاحظنا أن جلّ المساكن مكونة من طابق أرضي وطابق أول وسطح (الجدول رقم:6) مثلما هو الحال في العينة رقم: (2)، كما أن هناك من المساكن ما هو مؤلف من طابق أرضي وسطح مثل العينة رقم: (1).

القصر	رقم العينة	الطوابق			ارتفاع واجهة المسكن بالمتر		
		أرضي	أول	+ سطح	أقل من 5.50	بين 5.5 و 7.5	أكثر من 7.5
قصر العطف	01	X	X	X	-	X	-
قصر مليكة	02	X	X	X	-	X	-
قصر بنورة	03	X	X	X	X	-	-
قصر غرداية	04	X	X	X	X	-	-
قصر بني يزقن	05	X	X	X	-	-	X
قصر ورقلة	01	X	X	-	-	X	-
قصر ورقلة	02	X	X	X	-	-	X

الجدول رقم (6): عدد طوابق المساكن ومعدل ارتفاعها العام

يتألف المسكن بقصور وادي مزاب من طابقين وسط وهي حال العديد من القصور الصحراوية، فأغلب مساكن قصور الجنوب الغربي مؤلفة من طابقين على الأقل⁽⁴⁾، كما هو الحال في مساكن كل قصور وادي درعة بالمغرب الأقصى⁽⁵⁾، حيث تجاوز ارتفاع المسكن في قصور وادي مزاب نظيره في قصر ورقلة، فرغم أن المقاييس لا تزيد عن حاجة السكّان فقد يصل متوسط ارتفاع المسكن 6.15م، لذا فارتفاع المسكن لا يتجاوز طابقين وسطح، فحتى تلك المساكن التي يزيد علوها عن ذلك تترك جزءاً من مساحتها بقدر الارتفاع الذي يريده على أن لا يتعدى العلو الكامل 7.50م⁽⁶⁾، أو يزيد بقليل كما هو الحال في العينة رقم: (5) أين وصل

1. مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص:208.
2. نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية لمنطقتي توات...، مرجع سابق، ص:135.
3. عبد الرحمن حاجي، المرجع السابق، ج. 2، ص:239.
4. مبروك كوارى، القصور في الجنوب الغربي، العمارة وخط الحياة، مجلة الأثر، تصدر عن مديرية الثقافة لولاية بشار، ع. 2، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، 2008، ص:11.
5. جميل عبد القادر أكبر، المرجع السابق، ص:368.
6. ديوان حماية وترقية وادي ميزاب، تقرير عن الديوان...، مرجع سابق، ص:08.

7.60م، وفي هذا حرص على حفظ حقوق الجيران من الشمس والهواء وكذلك السترة، كما نشير إلى أن ارتفاع الواجهات قد يختلف من واجهة إلى أخرى فعلى سبيل المثال الواجهة الرئيسية للمسكن رقم: (4) في قصر غرداية يبلغ ارتفاعها 5.40م في حين ارتفاع المسكن يصل في جهاته الأخرى 8م (اللوحة رقم: 7)، وفي حالة هذا المسكن فقد أثرت الزيادة العمودية في عمق المسكن على المقاسات، ولكن في حالات أخرى قد يجهد السبب إلى درجة ميلان أرضية المبنى في حد ذاتها كما هو الحال في العينة رقم: (2) بقصر مليكة، حيث واجهته الثانوية أكثر ارتفاعا من الواجهة الرئيسية.

ورغم هذا التباين في الارتفاع بين مساكن المنطقتين إلا أننا نسجل تناسقا بين مساكن القصر الواحد بشكل يحفظ حقوق الجيران ويدفع الضرر عنهم، ويفسر ظاهرة الاختلاف في ارتفاع المساكن وبالتالي عدد طوابقها من منطقة إلى أخرى، وتناغم بين مساكن القصر الواحد سواء في وادي مزاب أو ورقلة أو باقي القصور الصحراوية، ذلك الإجماع بين سكانها أنفسهم في ظل غياب قوانين ما أدى إلى الحوار بين الفرق، والذي أدى بدوره إلى انتقال التجارب بين الفرق الساكنة في مجتمع كان يحث الفرق المتصرفة على الابتكار وكان يرتب الحقوق لتستقر البيئة، وبهذا تبلورت الأعراف⁽¹⁾ ليصبح لدينا عرف تقليدي في البناء وشكله العام يخص كل منطقة. ولكن ما يطرح سؤالا هو مساكن سدراته حيث في مساكنها يوجد احتمال أكثر من طابق، ففي المسكن الذي كشف عنه طاري هناك سلم يؤدي إلى السطح⁽²⁾ أو طابق أول ولكن لا نستطيع الجزم بذلك (الشكل رقم: 46)، ولكن لا يدع مجالا للشك من أن سكانها قد لجئوا إلى المستويات العليا في أيام الحر وهو تقليد ورثته مساكن المنطقتين بدون شك.

3. الطابق الأرضي:

يسمى باللهجة المحلية في ورقلة كما في منطقة وادي مزاب **أْدَايْ**، ويتألف (الجدول رقم: 7) في قصر ورقلة كما في مزاب من السقيفة **تَاسْكِيفْتْ** أو **تَاسْكِيفْتْ** وتسمى أحيانا **إِمِي**⁽³⁾ ومربط الدابة والكنيف الذي يسمى باللهجة الورقلية **قُومَه** وباللهجة المزابية **أَجْمِيرْ** أو **قُومَه**، ليلي ذلك فضاء انتقالي ما بين السقيفة ووسط الدار يسمى في ورقلة **تَاهْزَرَة** وفي مزاب يسمى **تَهْجَة**

1. جميل عبد القادر أكبر، المرجع السابق، ص: 380.

2. ورشة الأبعاد الثلاثة، المرجع السابق، ص: 11.

أقيم في جميع المساكن المدروسة بالمنطقتين ما عدا العينتين رقم: 1 و 2 في قصري العطف ومليكة على التوالي بمنطقة وادي مزاب، كما توجد غرفة مخصصة لاستقبال الضيوف من الرجال عند المدخل - أي في حال وجودها بالطابق الأرضي - تسمى في ورقلة حُجْرَة وفي مزاب تسمى حُجْرَة أو ذَويرة وهي حال العينات رقم: 1 و 4 و 5 في قصور مزاب والعينة رقم: 1 في قصر ورقلة.

اسم الفضاء	قصور وادي مزاب (رقم العينة)								قصر ورقلة (رقم العينة)	التسمية المحلية	
	1	2	3	4	5	1	2				
السقيفة	X	X	X	X	X	X	X	X	X	قصور وادي مزاب	قصر ورقلة
قاعة انتظار	-	-	X	X	X	X	X	X	X	تاسكيفت/تاسقيفت	تاهرة
وسط الدار	X	X	X	X	X	X	X	X	X	أماس تدارت/أمسندار/أمسندار	أماس تدار
غرفة استقبال الرجال	X	-	-	X	X	X	X	X	X	ذوية/حجرة	حجرة
غرفة استقبال النساء	X	X	X	X	X	X	X	X	X	تيزيفري	سلام
الغرف	4	3	2	0	3	3	3	4	4	ترة/ج: تزقوين	ترة/ج: تزقوين
المطبخ	X	X	X	X	X	X	X	X	X	أني/إثاين	إثاين
الكنيف (المرحاض)	X	X	X	X	X	X	X	X	X	أجمير	قومة
الحمام	X	-	-	-	-	-	-	-	X	مطهرة	حمام
مربط الدابة	-	-	-	X	-	-	-	-	-	تزديت	أمداوت
غرفة العبد	-	-	-	-	-	-	-	-	-	/	/
المخزن	-	-	-	X	-	-	-	-	X	مخزن	ترة

الجدول رقم (7): مكونات الطابق الأرضي (أداي): في كلا المنطقتين

يسمى وسط الدار أماس تدار بالميزابية وأمسندار أو أمسندار أو أماس تدارت بورقلة ويتميز باتصاله بالفضاء المكشوف في الطابق الأول عن طريق فتحة أفقية بسقفه وأبعادها المتوسطة المساعدة على التهوية والإضاءة المناسبة وسهولة التحكم فيها، ويحيط بوسط الدار المطبخ إثاين بالمزابية والورقلية أو يسمى أيضا أني بالميزابية، وأيضا الغرف إلى جانب غرفة استقبال الضيوف من النسوة، والتي تسمى في ورقلة سلام وفي منطقة مزاب تيزيفري، وقد وجدنا هذا الفضاء يغيب على غير العادة في العينة رقم: (1) بقصر ورقلة فيما هو موجود بباقي المساكن المدروسة الأخرى، ولكن ما يمكن ملاحظته غياب الدهليز في كل العينات المدروسة باستثناء المسكن رقم: (5) بقصر بني يزقن، كما نشير إلى وجود غرفة مخصصة للعبد في مساكن ورقلة، ونسجل غيابها في مساكن مزاب كما لم يرد ذكرها في المراجع التي تناولت مساكن وادي مزاب بالدراسة.

تعد العناصر والملاحق الموجودة في الطابق الأرضي لكلتا المنطقتين نفسها باستثناء سلامٍ والتي يقابلها تيزيفري في مسكن وادي مزاب، وغرفة العبد الموجودة في مسكن قصر ورقلة، وفيما عدا ذلك تكاد تكون الملاحق ذاتها وحتى في توزيعها، ومن خلال العينات المدروسة وقفنا على غياب الفضاءات الخاصة بالدابة ومربط العترة كذلك، وغياب غرفة العبد في العينات المدروسة بل وحتى المخزن فيما لو استثنينا العينات رقم: 4 بقصر غرداية و العينة رقم: (2) بقصر ورقلة، ويعود ذلك إلى التغير الجذري في نمط عيش سكان الواحات والانتقال من المجتمع الفلاحي الزراعي إلى مجتمع صناعي وموظف لدى مصالح الإدارة العمومية، وبالتالي الاستغناء عن الدواب واستغلال الفضاءات التي كانت مخصصة لها في السابق، ليحل محلها الحمام أو دورة المياه الحديثة، كما أن الاستبعاد والرق انتهى بنهاية تجارته وتحول المجتمع جذريا وبالتالي خصص الفضاء الخاص به كغرفة إضافية استغلها أصحاب المسكن كمخازن أو غرف للنوم، كما ارتبط عدد الغرف بمساحة المساكن في حد ذاتها في علاقة طردية.

3-1. السقيفة:

تشابهت تسمية هذا العنصر في كل من ورقلة وقصور بني مزاب، فالسقيفة تسمى في كلتا المنطقتين **تاسكيفت**، وقد تنطق في مزاب **تاسكيفت** بالقاف كما يسميها المتخصصون المدخل المنكسر . *Entrée en chicane*، وهو نوع من المداخل التي تعود جذورها للعهد الفرعوني في شونة الزبيب بين سنتي 1788-2625 ق.م⁽¹⁾، وقد طبع وجودها كل المساكن في القصور الصحراوية سواء بمنطقة توات أو قورارة أو الساورة كقصر القنادسة مثلا رغم أن الكثير منها اتسم بوجود أكثر من سقيفة بحسب النشاطات التي يتصل بها المسكن كما هو الحال في قصر القنادسة⁽²⁾ أو سقيفة تلي سقيفة كما هو الحال توات⁽³⁾، أو بسقيفة واحدة كما هو الحال في أغلب مساكن منطقة وادي ريغ ووادي مية وتاغيت والمينعة وغيرها من القصور، وقد جاء هذا العنصر بالنظر إلى الحاجة الملحة في ظل دراجة الحرارة العالية للداخل وما يمكن أن يسببه له تيار الهواء من مشاكل صحية لذا كان لا بد من وجود حاجز يكسر هذا التيار⁽⁴⁾.

1. فريد الشافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية عصر الولاية، مج. 1، الهيئة المصرية للنشر والتأليف، 1970، ص: 191.

2. محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة...، مرجع سابق، ص: 78.

3. نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية لمنطقتي توات...، مرجع سابق، ص: 148.

4. محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة...، مرجع سابق، ص: 77.

اتسمت مساكن منطقة وادي مزاب وقصر ورقلة بوجود سقيفة واحدة في الغالب، إلى جانب مخططها ذي الشكل المستطيل (الجدول رقم: 8)، كما أن مساحتها لا تتجاوز في الغالب 8م²، وفي الحالة الوحيدة التي وجدنا المساحة تجاوزت ذلك في العينة رقم: (2) بقصر ورقلة، وفي العادة تكون موازية لجدار الواجهة كما هو الحال في العينة رقم: (1) في قصر العطف، ولكن ليست قاعدة ففي العينات المدروسة وقفنا على السقيفة في وضع تكون عمودية على جدار الواجهة الرئيسية كما هو الحال في العينة رقم: (2) في قصر مليكة، والعينة رقم: (3) في قصر بنورة، والعينة رقم: (4) بقصر غرداية، والعينة رقم: (5) في قصر بني يزقن، وكذلك العينة رقم: (1) و (2) في قصر ورقلة.

تكاد تتشابه السقيفة في القصور الخمسة بوادي مزاب وكذا منطقة ورقلة إلى جانب باقي القصور الصحراوية ولا تختلف إلا من حيث المساحة، فقد تكبر وتصغر على حسب مساحة المسكن وأهميته، كما حافظت على الوظيفة التي أنشئت من أجلها فهي مجال فاصل بين الداخل والخارج، حيث سمحت بحجب الرؤية عن المارة من الناس، فيما تتصل في غالب الأحيان بالفضاء الانتقالي المسمى محليا تاهزة أو تهجة وهي حال العينات رقم: (3) و (4) و (5) في قصور بني مزاب والعينات رقم: (1) و (2) في قصر ورقلة، وفي أحيان أخرى تتصل بغرفة استقبال الرجال وأحيانا مربط الدابة.

القصر	رقم العينة	شكل المسقط		المساحة بالمتر مربع			الفضاءات المتصلة به				
		مستطيل	غير مستطيل	أقل من 4	بين 4 و 8	أكثر من 8	وسط الدار	حجرة	تاهزة فحجة	الكنيف	مربط الدابة
قصر العطف	01	X	-	-	X	-	X	X	-	-	-
قصر مليكة	02	-	X	X	-	-	-	-	X	-	
قصر بنورة	03	X	-	X	-	-	-	-	-	X	
قصر غرداية	04	X	-	-	X	-	-	-	-	X	
قصر بني يزقن	05	X	-	X	-	-	-	X	X	-	
قصر ورقلة	01	X	-	-	X	-	-	-	-	X	
قصر ورقلة	02	X	-	-	-	X	-	-	-	X	

الجدول رقم (8): أشكال وتفاصيل السقيفة للعينات المدروسة

2-3. وسط الدار:

تتشابه تسمية هذا العنصر في كل من المنطقتين حيث يطلق عليه في مزاب أماس نْتَدَارْ، وفي قصر ورقلة أمْسَدَارْ أو أمْسَنْتَدَارْ أو أماس نْتَدَارْتْ، وفي كلا المنطقتين عبارة عن فناء

مركزي مغطى عكس مساكن سدراته كما أنه محاط بأروقة، وتحتل الأروقة من جناحين إلى أربعة أجنحة في حال وجودها، وتتخلل سقف وسط الدار فتحة أفقية تسمى شباك وسط الدار أو عين الدار تتصل بالفضاء المكشوف في الطابق الأول قصد التهوية والإضاءة، وتكون في مساكن مزاب لا تتعدى مساحة قدرها 1.5م² فيما تكون واسعة في المساكن القديمة بقصر ورقلة، حيث تتراوح مساحتها بين 6 إلى 7م²، أما المساكن الواقعة في الأحياء ذات الكثافة السكانية العالية لا تتجاوز 1م²، وقد تميز وسط الدار (الجدول رقم: 9) في عمومها بشكل مخططه المستطيل وتتراوح مساحة أغلب مساكن مزاب بين 15 إلى 25م²، فيما تزيد هذه المساحة في المساكن بقصر ورقلة لتتجاوز 25م².

أهمية الفناء تكمن في اعتماد الرواق على الدعائم المحددة لمساحة الفناء⁽¹⁾ أو وسط الدار، لذا بنيت دعائم في وسطه تقوم بحمل سقفه وفي بعض الأحيان تعوض بأعمدة وعددها في منطقة مزاب يتراوح بين 2 إلى 3، وهو ما عايناه ميدانيا (الجدول رقم: 9)، ففي عينات قصور مزاب رقم: (1) و(3) بلغ عددها ثلاثة، فيما يصل اثنتان في كل من العينات رقم: (4) و(5)، وكانت العينة رقم: (2) الوحيدة التي بلغ عدد دعائمها أربعة، وبالنسبة لقصر ورقلة بلغ عدد الدعائم في العينة رقم: (1) اثنتان فيما انعدم وجودها في العينة رقم: (2).

نكتشف أن هذا الفضاء قد تشابه في المنطقتين من حيث أنه فضاء مغطى، ولكن وبالعودة إلى أفنية مساكن مدينة سدراته نجد الأمر مختلف، فهذه الأخيرة فضاءات أو بالأحرى أفنية أكبر مساحة ومكشوفة بحيث يصعب تغطيتها، لذا نجد أنفسنا أمام سؤال جوهري عن مدى تواصل المسكن السدراتي وعلاقته بالمسكن في المنطقتين ومتى كان هذا التحول، وهو موضوع يحتاج إلى بحث مستفيض، ثم كيف لهذا النوع من الأفنية أن ينتشر بسدراته أم أن الأمر يتعلق بمساكن مدينة تيهرت وهي حال عدة قصور أخرى، فرغم أن الكثير منها زودت مساكنها بأفنية مركزية إلا أنها لم تكن من النوع المغطى مثل وادي مزاب وورقلة أو حتى تاغيت البعيدة عنهما بل من النوع المكشوف، وهي حال في معظم مساكن قصر القنادسة⁽²⁾، كما هي حال مساكن توات وقورارة⁽³⁾.

1. محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة...، مرجع سابق، ص: 96.

2. نفسه، ص: 91.

3. نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية لمنطقتي توات...، مرجع سابق، ص: 148.

يسمى الفناء المفتوح في هذه المناطق بالحوش، والغاية منه تكييف حرارة الجو، فالهواء البارد يهبط إلى أدنى مستوى ليلاً وذلك بسبب إعادة إشعاع الأرض للحرارة إلى السماء في الليل، كما يكون الهواء خاليا نسبيا من بخار الماء الذي يمكن أن يعكس الإشعاع الحراري أو تحت الحمراء إلى الأرض ثانية⁽¹⁾، ثم ما يلبث أن يتسرب الهواء البارد إلى الحجرات فيلطف حرارتها، ويظل محصورا بين جدران الصحن حتى ساعة متأخرة من النهار كأنه خزان للترطيب⁽²⁾.

القصر	رقم العينة	شكل المسقط		المساحة بالمتر مربع			عدد الدعامات				
		مستطيل	غير مستطيل	أقل من 15	بين 15 و 25	أكثر من 25	0	1	2	3	4 وأكثر
قصر العطف	01	X	-	-	-	X	-	-	-	X	-
قصر مليكة	02	X	-	-	X	-	-	-	-	-	X
قصر بنورة	03	X	-	-	X	-	-	-	-	X	-
قصر غرداية	04	X	-	X	-	-	-	X	-	-	-
قصر بني يزقن	05	X	-	X	-	-	-	X	-	-	-
قصر ورقلة	01	-	X	-	X	-	-	-	X	-	-
قصر ورقلة	02	X	-	-	X	-	-	X	-	-	-

الجدول رقم (9): مميزات وخصائص وسط الدار

3-3. الغرف:

يطلق على الغرف في قصور المنطقتين اسم **تَرْقَة** في المفرد و **تَرْقَوِين** في الجمع، وقد تميزت هذه الغرف بضيقها فمعدل عرضها في حدود 2م وطولها المتباين، وهذا لمحدودية طول ومقاومة عوارض الخشب ونظرا لقلّة هذه المادة وتهاافت السكان على مواد البناء الحديثة عوضت التالفة منها بعوارض معدنية في العديد من المساكن بالقصور، كما تميزت هذه الغرف خاصة في منطقة مزاب بتزويد جدرانها بالكوات مكان الأثاث الخشبي والخزانات لوضع الأدوات والحاجيات. ضمت الغرف على مستوى الطابق الأرضي في كل من قصور مزاب وقصر ورقلة غرفة استقبال الرجال التي تقع في غالب الأحيان عند المدخل الرئيسي للمسكن، وتسمى في هذه الحال (الجدول رقم:7) **حُجْرَة** في كل من قصر ورقلة وقصور مزاب وقد يطلق عليها في هذه الأخيرة في بعض الأحيان اسم **ذَوِيرَة**، كما أنّ هناك إلى جانب هذه الغرفة غرفة استقبال انتقالية تتوسط السقيفة ووسط الدار مخصصة للنساء اللاتي لهن حاجة على عجل كطحن الحبوب أو النسيج أو

1. حسن فتحي، الطاقة الطبيعية والعمارة التقليدية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط. 1، بيروت، 1988، ص: 116.

2. ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص: 92.

غيرها من الحوائج، وتسمى في منطقة وادي مزاب تَهَجَّة فيما يطلق عليها بقصر ورقلة تَاهَزَّة، وهناك غرفة ثانية لاستقبال الضيفات من النساء في الدّاخل تطل على وسط الدّار تسمى بوادي مزاب تِيْزِيْفَرِيّ أمّا في قصر ورقلة فيطلق عليها سَلَامٌ، إلى جانب غرف نوم العائلة والتي يزيد أو يقل عددها في هذا الطابق.

3-3-أ. غرفة استقبال الرجال:

يحظى الضيف في العالم الإسلامي بالاهتمام الكبير كما كان عليه الحال في العهد الرستمي بتيهرت، لينتقل هذا الاهتمام إلى سدراته ومنه إلى ورقلة وقصور وادي مزاب، وهذا من خلال تخصيص جناح للضيوف من الرجال متصل بالمسكن، ومجهز بكل لوازم الراحة من مسند ومفرش، وكان الفقراء من الناس يخصصون حجرة واسعة يشرعون لها بابا مستقلا إلى الشارع حتى لا يغشى الزائرون الأجانب دار العائلة⁽¹⁾.

ويصلى الفصل بين المجال الرجالي والنسائي من خلال الفصل بين هذا الفضاء والوسط المخصص للعائلة لا من حيث الحواجز فقط بل حتى من حيث التخطيط، ففي أغلب المساكن نجد هذه الغرفة موجودة مباشرة بجانب المدخل الرئيسي للمسكن أو بعده مباشرة، وتسمى في هذه الحالة حُجْرَة في ورقلة وكذا قصور بني مزاب وقد تسمى أيضا في هذه الأخيرة ذُويرة، إلا أننا لاحظنا غياب هذا العنصر المهم في العينتين رقم: 2 و 3 بمنطقة وادي مزاب وهذا أمر نادر ما نلقاه، ربما قد تكون مساحة المسكن الصغيرة حاجز أمام تخصيص مساحة لهذه الغرفة، وربما يعود ذلك إلى التقسيمات التي عرفتها المساكن بسبب الإرث أو الهبة أو البيع أو غيرها، وبالرجوع إلى الجدول (الجدول رقم: 10) نجد أن مساحة هذا الفضاء جد معتبرة في قصر ورقلة حيث تجاوزت 12م² في العينتين المدروستين به، في حين مساحتها أقل من ذلك في قصور بني مزاب، وهي علاقة طردية مع مساحة المسكن عموما فكلما زادت مساحة المسكن زادت مساحة هذه الغرفة.

نجد في بعض الأحيان أنّ هذه الغرفة موجودة بالطابق الأول حينها تسمى لَعْلِيّ في المنطقتين، وقد وجدنا هذا العنصر في الطابقين في ذات الوقت، وهو أمر يعبر عن أهمية الضيف لدى السكان كما هو الحال في العينة رقم: (5) بقصر بني يزقن والعينة رقم: (1) بقصر ورقلة (الجدول رقم: 10) (اللوحتين رقم: 10 و 11)، ويمكن اعتبارها مسكن منتقص من البناية ككل مثلما هو الحال العينة رقم: (1) بقصر ورقلة، فيما جاءت مساحة أغلب هذه الفضاءات في منطقة

1. محمد علي دبور، تاريخ المغرب الكبير، ج. 3، ط. 1، دار إحياء الكتب العربية، 1963، ص: 552.

مزاب تقل عن 12 متر مربع على عكس قصر ورقلة الذي تجاوزت فيه مساحة قاعة استقبال الضيوف من الرجال 12م²، كما هو حال العينات رقم: (1) و(2) بقصر ورقلة والعينة رقم: (5) بقصر بني يزقن (الجدول رقم: 10)، فيما تميزت هذه المساحات بشكلها المستطيل أو القريب من المستطيل العينات رقم: (1) و(4) و(5) في قصور بني مزاب، والعينة رقم: (2) في بقصر ورقلة.

القصر	رقم العينة	موضع غرفة استقبال الضيوف		شكل المسقط			المساحة بالتر مربع	
		الطابق الأرضي	الطابق الأول	مستطيل	غير مستطيل	أقل من 12	أكثر من 12	
قصر العطف	01	X	-	X	-	X	-	
قصر مليكة	02	-	-	-	-	-	-	
قصر بنورة	03	-	-	-	-	-	-	
قصر غرداية	04	X	-	X	-	X	-	
قصر بني يزقن	05	X	X	X	-	X	-	
قصر ورقلة	01	X	X	-	X	-	X	
قصر ورقلة	02	-	X	X	-	X	-	

الجدول رقم (10): مميزات قاعة استقبال الضيوف من الرجال بالمنطقتين

وتخصيص فضاء للضيوف من الرجال عرفته كل القصور الصحراوية، وغالبا ما يفتح لها مدخل خارج المسكن بجانب المدخل الرئيسي، وفي بعض الأحيان يمكن الدخول إليها عن طريق مدخل يستحدث في الرواق الذي يلي السقيفة مباشرة مثلما ما هو الحال في منطقة توات⁽¹⁾.

3-3-ب. الفضاء الانتقالي:

رأينا كيف أن للمسكن في المنطقتين فضاء انتقالي ما بين السقيفة ووسط الدار يسمى في قصر ورقلة **تَاهَنْزَة** في حين يطلق عليه في منطقة وادي مزاب تسمية **تَهْجَة** لذا نلاحظ اختلاف في نطق الكلمة ولكن تشابه من حيث الاشتقاق ومرد ذلك لاختلاف اللهجتين، وهو مجال خصص لغزل النسيج واستقبال الداخلات من النساء إلى المسكن من طرف أصحابه من النساء أيضا وهذا دون التوغل داخل المسكن، فهناك بعض الأغراض والخدمات التي يتبادلها الجيران على عجل مثل طحن الحبوب باستعمال الرحى الموجودة به، وهي من حيث التخطيط عبارة عن رواق (اللوحات رقم: 6 و 8 و 10 في قصور مزاب) (اللوحة رقم: 11 و 14 في قصر ورقلة)، وهذا الفضاء اتسم شكل مخططه بعدم الانتظام في منطقة مزاب، ولكننا وقفنا على فضاء ذو مخطط مستطيل الشكل

1. نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية لمنطقتي توات...، مرجع سابق، ص: 144.

في مساكن قصور ورقلة (الجدول رقم:11)، كما اتسمت جدرانها خاصة جدار واجهة المسكن بوجود كوات غلب عليها الشكل المستطيل والمقاسات المعتبرة، وقد تتوضع فوق بعضها وفي بعض الأحيان تكون معقودة كما هو الحال في العينة رقم: (4) بقصر بنورة (اللوحة رقم: 8)، وهي مخصصة لوضع الأغراض التي تحتاجها المرأة خاصة أثناء عملية النسيج، إلى جانب وجود دكة مبنية مخصصة للجلوس تستقبل مدخل وسط الدار (اللوحة رقم: 8)، كما تميزت بمدخل مشرع على وسط الدار ليس له باب ومعقود في الغالب بعقد مستقيم ويتميز هو الآخر بمقاساته المعتبرة ما بين 2.37م و 1.33م، وفي أغلب المساكن غير متصل بفضاءات أخرى بمنطقة مزاب، لكنه يحدث وأن يتصل ببعض الملاحق الأخرى كالمطبخ العينة رقم: (5) بقصر بني يزقن، أو الدرج المؤدي إلى الطابق الأول كما في العينة رقم: (2) بقصر ورقلة، أو حتى بالكيف والمخزن بنفس العينة بقصر ورقلة دائما.

قد ينعدم الفضاء الانتقالي في بعض المساكن كما هو الحال بالنسبة لـ لعيرتين رقم: (1) و(2) في قصور مزاب، وربما فقدته مع مرور الزمن بتحول العائلة أو نتيجة لضيق المساكن بعد تقسيمها بين الورثة.

المساحة بالمتر مربع	شكل المسقط		موقعها بالنسبة للسقيفة			رقم العينة	القصر	
	أقل من 12	أكثر من 12	غير مستطيل	مستطيل	يسار			أمام
-	-	-	-	-	-	-	01	قصر العطف
-	-	-	-	-	-	-	02	قصر مليكة
-	X	X	-	-	-	X	03	قصر بنورة
-	X	X	-	-	-	X	04	قصر غرداية
-	X	-	X	X	-	-	05	قصر بني يزقن
X	-	-	X	-	X	-	01	قصر ورقلة
-	X	-	X	-	-	X	02	قصر ورقلة

الجدول رقم (11): مميزات الفضاء الانتقالي لاستقبال الضيفات

3-3.ت غرفة استقبال النساء:

عرفت تسمية هذه الغرفة أو بالأحرى القاعة باللهجة المحلية اختلافا واضحا بين المنطقتين حيث أطلق عليها في وادي مزاب **تيزيفري** في حين أطلق عليها في قصر ورقلة **سلاّم**، وهذه التسمية الأخيرة ربما هي اشتقاق من الكلمة العربية "السلاّم" كونها مكان لإلقاء السلام والتحية والسؤال بين النسوة من ساكنات البيت والضيفات، أمّا من حيث شكل المخطط فقد تميزت هذه

الغرفة بالاتساع في قصر ورقلة مقارنة بقصور مزاب حيث تراوحت المساحة من خلال العينات المدروسة بين 5.49م² و 7.60م² في وادي مزاب في حين بلغت هذه المساحة في العينة رقم: (2) بقصر ورقلة مساحة 19.94م²، أما من حيث الشكل فكل العينات اتخذت شكلا مستطيلا في تصميمها باستثناء العينة رقم: (2) في قصر مليكة حيث يميل شكل مخططها إلى شبه المنحرف. يعد وسط الدار مجالا حيويا تتم فيه كل النشاطات كما أنه مجال للعب الأطفال الصغار، ولأن تيزيفري فضاء أعد لاستقبال السيدات، فقد احتل موقعا حساسا بتواجهه بجانب وسط الدار كما هو الحال في العينات: (1)، (4) في العطف وغرداية بالترتيب، والعينة رقم: (2) في قصر ورقلة، فهو بهذه الوضعية مقابل المدخل وسط الدار حيث يمر أي داخل أو خارج للدار، وحتى وإن اتخذت تيزيفري موقعا جانبيا لم يشكل ذلك فارقا كبيرا كون مدخل هذه القاعة له قياسات جد معتبرة هي الأكبر بين نظيراتها في الغرف الأخرى، وبالتالي سمح بمراقبة تقريبا شاملة في كل المساكن كما الحال في العينات رقم: (2)، (3)، (4)، (5) في قصور وادي مزاب، والعينة رقم: (2) في قصر ورقلة، أما العينة رقم: (1) في قصر العطف (الجدول رقم: 12) تميزت برؤية جزئية لمجال وسط الدار كون المدخل ضيق إلى جانب أنه في زاويتها الجنوبية، وبالتالي أعاققت هذه الوضعية مجال الرؤية، ولا يجب أن نغفل وجود المطبخ في هذا المستوى وبالتالي فالمرأة في حاجة لأن تكون في اتصال مع ضيفاتها لكي لا يملن وهن جالسات لوحدهن.

رقم العينة	القصر	موقعها بالنسبة لمدخل وسط الدار			شكل المسقط		المساحة بالمتر مربع		مجال الرؤية للفناء	
		يمين	مقابل	يسار	مستطيل	غير مستطيل	أقل من 12	أكثر من 12	جزئية	كلية
01	قصر العطف	-	X	-	X	-	X	-	X	-
02	قصر مليكة	X	-	-	-	X	X	-	-	X
03	قصر بنورة	-	-	X	X	-	X	-	-	X
04	قصر غرداية	-	X	-	X	-	X	-	-	X
05	قصر بني يزقن	-	-	X	X	-	X	-	-	X
01	قصر ورقلة	-	-	-	-	-	-	-	-	-
02	قصر ورقلة	-	X	-	X	-	-	X	-	X

الجدول رقم (12): مميزات قاعة استقبال الضيفات

إلى جانب ذلك يمكن أن نسجل اختلافا آخر بين الفضائين من حيث اتساع المدخل حيث بلغ اتساعه في العينة رقم: (2) 3.26م، فيما تراوح اتساعه في منطقة مزاب بين 1م ويزيد أو ينقص بقليل عن ذلك، ولا ننسى إلى جانب هذا المدخل قد تزود بعض غرف تيزيفري بفتحة لمراقبة وسط الدار والمدخل مباشرة من الداخل.

3-3-ث. الغرف:

يطلق عليها محليا تَزَقَّة أو تَزَقْوِينُ في كل من مزاب وكذلك ورقلة، وهي في أغلب الأحيان تحيط بوسط الدَّار، تميزت هذه الغرف بتصميمها المستطيل الشكل في جميع القصور بالمنطقتين فمن مجموع تسعة عشر غرفة بالمساكن المدروسة (الجدول رقم: 13) وجدنا 13 غرفة لها هذا الشكل، فيما الست الباقية ذات أشكال غير منتظمة، وهذا لأسباب تعود بالدرجة الأولى إلى طول جذوع النخيل التي حدثت من عرض الغرف وبالتالي أصبح الحل في الامتداد الطولي لإيجاد مساحة إضافية للغرف، فيما عدم الانتظام يرجع بالدرجة الأولى إلى أرضية المسكن غير المستوية فمن مجموع 6 غرف غير منتظمة الشكل نجد 5 غرف في مساكن قصور بني مزاب ذات الأرضية الصخرية أما العينة رقم: (1) فعدم انتظام شكلها يعود إلى الامتداد المفاجئ باتجاه مسكن الجار حيث شغلت الغرفة جزءا من مساحة تدخل في حيز المسكن المجاور مما جعل جدارها في هذا الجزء يتبع جدار مسكن الجار، وربما آلت هذه المساحة المنتقصة من مسكن الجار عبر تركة أو عملية شراء أو بطريقة ما، وهذا أمر مألوف حتى في مساكن المدن الإسلامية الأخرى.

القصر	رقم العينة	عدد الغرف	بعيدة عن وسط الدار	موقعها من مدخل وسط الدَّار			شكل المسقط		المساحة بالمتر مربع		
				يمين	مقابل	يسار	مستطيل	غير مستطيل	أقل من 4	بين 4-7	أكثر من 7
قصر العطف	01	4	2	1	1	0	3	1	0	3	1
قصر مليكة	02	3	0	1	0	2	2	1	2	1	0
قصر بنورة	03	2	0	-	2	-	0	2	2	0	0
قصر غرداية	04	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
قصر بني يزقن	05	3	0	1	1	1	2	1	1	1	1
قصر ورقلة	01	3	0	1	2	0	2	1	-	1	2
قصر ورقلة	02	4	3	1	0	0	4	0	-	1	3

الجدول رقم (13): خصائص ومميزات غرف الطابق الأرضي

تميزت مساحة هذه الغرف بالمتوسطة في منطقة مزاب رغم أن شكل مخططها مستطيل في الغالب، ولكن هناك من الغرف ما بلغت مساحته أقل من 4م² كما هو الحال في العينة رقم: (2) بقصر مليكة حيث أحصينا غرفتين، وأيضا في العينة رقم: (3) بقصر بنورة بغرفتين هي الأخرى، ولكن على العموم فقد تراوحت مساحة غرف مزاب بين 4 و 7م² وقلما تتجاوز ذلك وهي في ذلك على علاقة طردية بمساحة المسكن والذي لا يتجاوز مساحة 100م² بالمنطقة، أما

قصر ورقلة نجد أن مساحة هذه الغرف غالباً ما تزيد عن ذلك بكثير فقد تصل 9.93م² كما هو الحال في إحدى الغرف بالعينة رقم: (2) ولا تتزل تحت 4م² لذا فقد غلب على غرف مساكن هذه المنطقة الامتداد الطولي في ظل محدودية طول خشب النخيل.

لم يكن عدد الغرف مساوياً من مسكن إلى آخر بالنسبة للعينات المدروسة ولكن في أغلب الأحيان يحوز الطابق الأرضي 3 غرف بالنسبة لمساكن قصور بني مزاب كما في العينات رقم: (2) و(5) ولم نجد في أي منها أربع، وقد يحدث أن لا نجد غرفاً بالطابق الأرضي كما هو الحال في العينة رقم: (4) بقصر غرداية لكنه أمر نادر الحدوث فأغلب المساكن في مزاب يتراوح عدد غرفها بين اثنتين إلى ثلاث غرف⁽¹⁾، أمّا بالنسبة لقصر ورقلة فتراوحت بين ثلاثة و أربع غرف وهذا أمر طبيعي كون المساكن قد تصل مساحتها 300م² وهي مساحة كافية لتشغلها أكثر من ثلاثة غرف على الأقل إلى جانب المرافق الأخرى.

ليست كل الغرف مفتوحة أو مجانبة لفضاء وسط الدار ويعتمد ذلك أساساً على مساحة المسكن، أي بمعنى آخر كلما اتسع المسكن يزيد احتمال وجود غرف بعيدة عن وسط الدار، وهي حالة وقفنا عليها في العينات رقم: (1) بقصر العطف أين أحصينا غرفتين الأولى في نهاية السقيفة ومفتوحة عليها، والثانية موجودة إلى جانب تيزيفري ومفتوحة عليه بدل وسط الدار، والعينة رقم: (2) بقصر ورقلة وأحصينا فيه 3 غرف بعيدة عن وسط الدار الأولى مفتوحة على تاهزة بدلاً منه، والباقيتان متجاورتان ومفتوحتان على سلام، كما تميزت مداخل الغرف بوجود باب خشبي وبعض الكوات.

4-3. المطبخ:

يطلق عليه في المنطقتين بالتسمية المحلية **إِنَائِينْ**، وقد يطلق عليه في مزاب أني، وهو لا يتفق مفهوم المطبخ العصري بحيث لم يُخصص له فضاء مستقل بل زاوية في من زوايا وسط الدار وهو حال العينات رقم: (1) و(2) و(3) و(4) بوادي مزاب (اللوحات رقم: 2 و 4 و 6 و 8) على التوالي و(الجدول رقم: 14)، فلا يكاد يخلو منه طابق أرضي لأي مسكن، ولكن ومع مرور الوقت طرأت بعض التحولات على المساكن في محاولة منها لمجارات المطبخ بمفهومه العصري، فخصص فضاء مستقل وخاص به، وهي الحال في العينة رقم: (5) بقصر بني يزقن، والعينات رقم: (1) و(2) بقصر ورقلة، وقد يصادف في بعض الأحيان أن نجد هذا الفضاء يأخذ موقعا له في مكان بعيد عن

1. مختار قرميدة، المرجع السابق، ص: 24.

وسط الدّار كما هو الحال في العينتين رقم: (2) بقصر مليكة، والعيّنة رقم: (5) بقصر بني يزقن، وربما هذا الفصل بين المطبخ ووسط الدّار جاء نتيجة للتحوّلات التي ذكرناها أو ربما أملته بعض عمليات التقسيم التي مست المساكن عبر الزمن جراء تقسيم تركة أصحابه على الورثة فقد يحدث ألا يكون في قسمة أحدهم مطبخ كونه في قسمة أحد إخوته ما يفرض عليه التفكير في استحداث مطبخ خاص به.

تميز المطبخ في قصور مزاب ببساطة عمارته فكان عبارة عن موقد يختار له زاوية من زوايا وسط الدّار، وفي قصر ورقلة يفصل بينه وبين الفضاءات الأخرى جدار، كما تبني له مدخل من جهة جدار الواجهة، وجهاز بعدد من الرفوف والكوات إلى جانب مكان وضع الحطب، ونادرا ما تكون له فتحات للتهوية وهو حال العينات المتواجدة في قصور مزاب، لكن إعادة تهيئة المطبخ بشكل خصص له فضاء مستقل غير من تلك الخصائص، مثل حال العينتين المدروستين في قصر ورقلة، رغم أنه بقي محافظا على مساحته الصغيرة في العيّنة رقم: (1) (اللوحة رقم: 11).

القصر	رقم العيّنة	طابق أرضي	طابق 1	موقعه من مدخل وسط الدّار			طبيعته		بعيد عن وسط الدّار
				يسار	مقابل	يمين	مستقل	زاوية	
قصر العطف	01	X	-	-	-	X	-	X	-
قصر مليكة	02	X	-	-	-	-	-	X	X
قصر بنورة	03	X	-	X	-	-	-	X	-
قصر غرداية	04	X	-	X	-	-	-	X	-
قصر بني يزقن	05	X	-	-	-	-	X	-	X
قصر ورقلة	01	X	-	X	-	-	X	-	-
قصر ورقلة	02	X	-	-	-	X	X	-	-

الجدول رقم (14): خصائص ومميزات غرف الطابق الأرضي

نلاحظ أيضا عند إلقاء نظرة في مخططات كل العينات المدروسة بمزاب أنّ هذه المساكن لم تضم مطبخا في الطابق الأول واقتصر الأمر على الطابق الأرضي، رغم أنّه في العادة يوجد مطبخان في الطابقين وعلى نفس المسقط العمودي لإمكانية بناء مدخنة واحدة لتصريف دخان المطبخ.

أما في القصور الصحراوية الأخرى نجد أنّ هذا المرفق قد خصص له فضاء خاص بجانب المخزن، ولكن له مدخل مستقل مفتوح على الفناء⁽¹⁾، وهي الحال ذاتها في قصور توات وقورارة⁽¹⁾.

1. محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة...، مرجع سابق، ص: 97، 115.

3-5. المطهرة والكنيف:

اختلفت تسمية هذا المرفق فيما بين المنطقتين حيث يطلق عليه باللهجة الميزابية **أجمير**، فيما يسمى باللهجة المحلية في قصر ورقلة **قومة**، ولم يخلو أي مسكن من المساكن المدروسة بطابقتها الأرضي من هذا المرفق باستثناء العينة رقم: (5) بقصر بني يزقن (الجدول رقم: 15) وبدلا من ذلك بني في طابق واحد، ولكن من حيث المخطط نجد أسفله -أي بالطابق الأرضي- المطبخ بدلا من الكنيف، وهذا معناه أن المطبخ أضيف لاحقا وليس مكانه الأصلي، كما نشير إلى وجود المرفق في الطابقين في وقت واحد مثلما هو الحال في العينة رقم: (1) بقصر العطف، والعينة رقم: (2) بقصر ورقلة.

يرتبط وجود كنيف الطابق الأرضي بوجود المطهرة إلى جانبه، ولكنها ليست قاعدة ففي العينات رقم: (2) و(3) و(4) وكذلك العينة رقم: (1) بقصر ورقلة لا يوجد هذا المرفق إطلاقا، مع العلم وكما سبق وأشرنا فكلاهما غير موجود في العينة: (5) بقصر بني يزقن، كما أن موقعه تراوح بين اليمين واليسار كما هو الحال في العينتين رقم: (1) و(3) و(4) في وادي مزاب والعينة رقم: (1) في قصر ورقلة، ولم نقف على وجوده في مقابل مدخل وسط الدار كونه المكان المفضل لتيزيفري وسلام على حد سواء أو حتى الغرف.

القصر	رقم العينة	الكنيف	المطهرة (حمام)	طابق أرضي	طابق 1	موقعه من مدخل وسط الدار			بعيد عن وسط الدار
						يمين	مقابل	يسار	
قصر العطف	01	X	X	X	X	-	-	X	-
قصر مليكة	02	X	-	X	X	-	-	-	X
قصر بنورة	03	X	-	X	X	X	-	-	-
قصر غرداية	04	X	-	X	X	X	-	-	-
قصر بني يزقن	05	-	-	-	X	-	-	-	-
قصر ورقلة	01	X	-	X	-	X	-	-	-
قصر ورقلة	02	X	X	X	-	-	-	-	X

الجدول رقم (15): خصائص ومميزات الكنيف والمطهرة الطابق الأرضي

يحدث وأن نجد هذا المرفق بعيدا عن وسط الدار مثلما هو الحال في العينتين رقم: (2) بقصر مليكة، حيث يوجد إلى جوار السقيفة، والعينة رقم: (2) بقصر ورقلة أين يوجد خلف تَهْزَة، ولعل هذا الفصل لتجنب الروائح الصادرة منه وللستره وكذلك لتسهيل عملية تفرغته

1. نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية لمنطقتي توات...، مرجع سابق، ص: 148.

الدورية من خلال فتحة موجودة بجدار الواجهة، وهناك في بعض البيوت من زودت بفتحة صغيرة بجدار الواجهة لغرض التهوية كما هو الحال في العينة رقم: (2) بقصر مليكة (اللوحة رقم: 3)، ولكن أغلب هذه المرافق استغنت عن نظامها التقليدي وعوضت ذلك بنظام تصريف حديث وقفنا عليه في كل المساكن إلا البعض منها ما تزال تحتفظ بنظامها التقليدي كما هو الحال في العينة رقم: (3) بقصر بنورة، بل حتى أنّ المطهرة أو كما تسمى في ورقلة حمام أصبحت عصرية. وبالنسبة للقصور الأخرى فغالبا ما نجد هذا المرفق إلى جانب بيت الشياه⁽¹⁾ أو يطل على الفناء إلى جوار المخزن والمطبخ في توات، كما نجد أن غالبية دورات المياه تقام فوق أسطح المساكن وفي أسفلها، حيث يرتبط الكنيف الموجود في السطح بحفرة في الطابق الأرضي⁽²⁾، ونشير هنا إلى أهمية هذا المرفق لدى سكان القصور الصحراوية⁽³⁾، على اعتبار أنه مصدر مهم لتسميد التربة الزراعية بالواحة، لذا نجد قريبا من جدار الواجهة ومزود بفتحة تطل على الطريق⁽⁴⁾ تسترجع من خلالها هذه الفضلات.

3-6. مربط الدّابة:

أمداوت كما يطلق عليه محليا في قصر ورقلة، أما في وادي مزاب يسمى **تَزْدِيْت**، وقد كان لا بد من وجود هذا المرفق في الأزمنة السابقة بالتوازي مع نمط العيش ونظام الحياة الذي يعتمد على الفلاحة والزراعة وتربية الماشية إلى جانب التجارة، ومن خلال العينات المدروسة لم نجد هذا المرفق إلا في بعضها مثلما هو الحال في العينة رقم: (4) بقصر غرداية، ويوعز غياب هذا المرفق من المساكن المتبقية إلى حركة التحول واستغلال بعض المجالات وتحويل نشاطها خاصة مع عدم الحاجة إلى وجود الحيوانات داخل القصر، إلى جانب تطور العائلات وزيادة عدد أفرادها حيث أصبحت الحاجة ملحة لاستغلال كل مساحة شاغرة. تميز الإسطبل أو مربط الدّابة في هذا المسكن باتخاذ مكانا جانبيا في السقيفة على يمين الدّاخل خلف باب المدخل الرئيسي، ومدخله غير مزود بباب وبمساحة مستطيلة أقل من 1م²، وليس له أي فتحات، ولكن هذا الموقع يجعل داخل المسكن في منأى عن الروائح والفضلات المزعجة والمضرة في الوقت ذاته.

1. Sariane Mounir, Beztout Mohamed ; Op. Cit. p: 4.

2. جورج غيستر، المرجع السابق، ص: 85.

3. نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية لمنطقتي توات...، مرجع سابق، ص: 148.

4. Abderrahmane Moussaoui, Op. Cit. p: 191.

كانت أغلب القصور الصحراوية محطات للقوافل التجارية كما أن السكان اعتمد نمط عيشهم على الزراعة وتربية المواشي والدواب التي يستعملونها في تنقلاتهم وأمور حياتهم، فكان لزاما عليهم أن يجدوا لها مكانا لإيوائها⁽¹⁾، لذا نجد أن أغلب المساكن بالقصور الصحراوية زودت بإسطبلات وكانت في الغالب لها مدخل مستقل إلى جانب المدخل الرئيسي، إلا أن هناك بعض القصور يطل الإسطبل فيها على الفناء مباشرة كما هو الحال في بعض مساكن قصر القنادسة⁽²⁾، ولكن لم يبق في مساكن القصور الأهلة بالسكان في وقتنا الحاضر من هذه الفضاءات ما يمكن أن يستدل به عليه، فقد استغنى السكان عن الدواب واستبدلوها بوسائل حديثة، واستغلوا تلك المساحة كغرف إضافية.

3-7. غرفة الخزين:

تسمى **تَرْزَقَة** وتضم أحواضا تشبه الجرار الكبير مبنية تسمى **بَادُو** أو **بَا جُو** أو **تَخْبِيت**، وهي غرف لخزن مؤن عام كامل، ومن خلال العينات المدروسة أحصينا وجود هذا المرفق في العينة رقم: (4) بقصر غرداية (اللوحة رقم: 8)، والعينة رقم: (2) بقصر ورقلة، ففي مسكن قصر غرداية تميز المخزن بأمرين أ وهما موقعه في زاوية المسكن الشمالية إلى يمين تيزيفري وفي مقابل المطبخ، كما أنه يطل على وسط الدار، أما ثانيهما مساحته المعتبرة 5.23م^2 ، إلى جانب تزويد مدخله بباب خشبي، كما بني في زاويته باجو لتخزين التمر، أما العينة الموجودة بقصر ورقلة فهي الأخرى مميزة حيث ضمت مخزين أحدهما وهو الأكبر يقع خلف تَهْزَة في مقابل الكنيف والحمام، وهو ذو تخطيط يميل للمربع وبمساحة متوسطة في حدود 4م^2 لا يوجد بها باجو ولها باب خشبي، أما المخزن الثاني فيقع في الزاوية الشمالية الغربية للمسكن إلى جانب سلام ولكن بمساحة ممتدة طوليا وضيقة بلغت 1.59م^2 مزودة بباب خشبي وليس لها فتحات.

و لم تخلوا مساكن القصور من هذا المرفق ففي قصور الجنوب الغربي كما في إقليم توات ووادي ريغ وغيرها من المناطق الصحراوية نجد هذا المرفق حاضرا بقوة، وأكثر ما يلفت الانتباه غرفة المطامير التي سبق وأشرنا إليها في حديثنا عن البيت ذي المطامير الذي اكتشفه طاري

1. بن حمد، العمران والعمارة من خلال نوازل الونشريسي، في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، كنوز للإنتاج والنشر

والتوزيع، تلمسان، الجزائر، 2011، ص: 59-60.

2. محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة...، مرجع سابق، ص: 124-125.

1881م وأعاد التثقيب عليه مارغريت فان برشم 1952م⁽¹⁾، وهي غرفة خزن بها مجموعة جرار مبنية ومزودة بفتحات من الأسفل لتجميع عسل التمر، .

4. الطابق الأول:

يسمى في منطقة وادي مزاب **أَلْدَجْ**، كما يسمى في منطقة ورقلة **أَنْجْ**، وأكثر ما يميزه وجود جزء مغطى وجزء مكشوف، ففي منطقة مزاب يضم مرافق وفضاءات تكاد تتماثل فيما بينها ونظيرتها في ورقلة، ومن بين هذه المرافق لدينا الغرف والتي تسمى كما سبق وذكرنا **تَرْقَة** أو **تَرْكَة** أو حتى **تَرْكَعْ**، التي تصطف جنبا إلى جنب، فيما يتقدم هذا الفضاء مساحة مكشوفة عبارة عن فناء يسمى في منطقة مزاب **تَيْعَرْغَرْتْ** وكذلك الأمر بالنسبة لقصر ورقلة حيث يطلق عليه نفس التسمية، وهذه المساحة لا يوجد بها سوى فتحة شبك وسط الدار الذي يطلق عليه في قصر ورقلة **إَمْرَأْتْنْ** أو يطلق عليها كذلك **تِيرْدَوِينْ**، وتسمى في منطقة قصور وادي مزاب **شَبَّكْ**، ولكن في مسكن قصور وادي مزاب وفي هذا المستوى نجد منطقة انتقالية ما بين الغرف والفناء تسمى **إيكومار** عبارة عن رواق محمول على صف من العقود أو الدعامات، ويحيط بالفناء من جهة أو جهتين إلى ثلاث جهات، وهذه المنطقة الانتقالية بين الغرف والفناء غير موجودة في مساكن قصر ورقلة وأعتبرها نقطة فارقة بين المساكن في المنطقتين، وإلى جانب هذه الفضاءات والملاحق هناك، وفي كثير من الأحيان يحدث وأن يزود المسكن بغرفة لاستقبال الضيوف من الرجال بهذا الطابق تسمى في المنطقتين **لَعْلِي** يخصص لها مدخل مباشرة من المدخل الرئيسي في الطابق الأرضي مزود بدرج.

هناك أيضا غرفة الخزين والمطبخ إلى جانب الكنيف والمطهرة (الحمام) وكلها تسمى بنفس التسمية التي تطلق على هذه المرافق في الطابق الأرضي.

4-1. الغرف:

ضمت كل الغرف الكبيرة منها والصغيرة المخصصة لاستقبال الرجال أو تلك المخصصة للنوم، وتميزت بتنوع مقاساتها فتراوحت بين الكبيرة والصغيرة، ولكن دائما ما كان عرضها أقل من طولها، حيث اتسمت بالضيق لما كانت جذوع النخيل ذات مقاسات محدودة في حدود 2م، فيما أطلق عليها نفس التسمية **تَرْقَة** أو **تَرْقَوِينْ** باستثناء غرفة استقبال الضيوف من الرجال كانت

1. ورشة الأبعاد الثلاثة، المرجع السابق، ص:15.

تسمى لعلي كما سبق وقلنا، كما استفادت هذه الغرف بتزويدها بكوات وفي بعض الأحيان نافذة فوق المدخل الرئيسي استفادت منها غرفة الضيوف، فيما لا وجود لأخرى خاصة باستقبال الضيفات في هذا الطابق، ولعل من بين المفارقات التي وقفنا عليها تساوي عدد غرف الطابقين بمجموع تسعة عشر غرفة لكل طابق للعينات مجتمعة (الجدولين رقم: 13 و16)، وهذا ما يمكن تصنيفه في خانة الصدفة وليس بالقاعدة وسنرى ذلك من خلال تحليل المعطيات.

تميزت هذه الغرف في مجملها بمخطط ذي شكل مستطيل فمن مجموع ثلاثة وعشرون غرفة بكل العينات المدروسة على مستوى الطابق الأول هناك ثمانية عشر غرفة ذات تخطيط مستطيل فيما خمسة غرف ذات تخطيط غير مستطيل وهذا لعدة أسباب، ففي ثلاثة غرف المتواجدة بالعينه رقم: (2) بقصر مليكة كان السبب واجهة المسكن المحدبة في أكثر من نقطة فدرجة الميل تزيد كلما سرنا نزولا في الشارع وبالتالي يوعز الأمر إلى ميلان الشارع بزواوية أثرت على شكل الواجهة عموما وشكل الغرف من جهة الواجهة على وجه الخصوص، أما العينه رقم: (4) بقصر غرداية فهناك غرفة واحدة لها مخطط غير منتظم وهي الغرفة الواقعة في الزاوية الشمالية للمسكن على مستوى الطابق الأول، وكان السبب في هذا الشكل تلك الزيادة الواقعة في زاوية الغرف الشمالية من جهة الجار وفوق طابقه الأرضي والتي لا ندري سبب حيازة صاحب المسكن لها إن كانت بالشراء أو عن طريق إرث، إلا أنها زيادة ذات شكل مستطيل ممتدة طوليا بمساحة 0.86م^2 (اللوحة رقم: 8)، فيما الغرفة الأخيرة تتواجد في العينه رقم: (2) بقصر ورقلة حيث أخذت شكل حرف L اللاتيني مقلوبا بمساحة بلغت 7.39م^2 (اللوحة رقم: 14)، وكان هذا الشكل نتيجة لاقطع جزء من مساحة الغرفة بزواويتها الجنوبية-الشرقية للكيف على مستوى هذا الطابق.

أما من حيث المساحة نجد أن هذه الغرف تراوح غالبيتها بين 4 إلى 7م^2 خاصة في منطقة وادي مزاب، حيث بلغت أحد عشر غرفة من أصل تسعة عشر غرفة بقصور وادي مزاب، فيما الغرف التي تزيد مساحتها عن 7م^2 فبلغت 4 من مجموع الغرف السابق، فيما بلغت 3 غرف من مجموع 4 غرف بالعينات المدروسة بقصر ورقلة، أما التي تقل مساحتها عن 4م^2 فتركز وجودها بقصور وادي مزاب بأربع (4) غرف من مجموع 19 غرفة فيما لا وجود لغرف بهذه المساحة في العينات المدروسة بقصر ورقلة (الجدول رقم: 16)، ونرجع ذلك لاتساع المساحة في مساكن هذه الأخيرة مقارنة بنظيرتها في قصور وادي مزاب، وهو الحال ذاته مع غرف الطابق الأرضي لمساكن قصور المنطقتين.

القصر	رقم العينة	عدد الغرف	بعيدة عن تيغرغرت	موقعها من تيغرغرت										المساحة بالمتر مربع			
				شمال	جنوب	غرب	شرق	شمال غرب	جنوب غرب	شمال شرق	جنوب شرق	شمال	جنوب	شمال غرب	جنوب غرب	أقل من 4	بين 4-7
قصر العطف	01	5	-	1	-	-	1	2	-	-	1	-	5	0	-	2	3
قصر مليكة	02	4	-	-	-	1	1	1	1	-	-	-	1	3	1	3	-
قصر بنورة	03	4	3	-	-	1	-	-	-	-	-	-	4	-	3	1	-
قصر غرداية	04	2	1	-	-	1	-	-	-	-	-	-	1	1	2	-	-
قصر بني يزقن	05	4	3	-	-	1	-	-	-	-	-	-	4	-	3	-	-
قصر ورقلة	01	0	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
قصر ورقلة	02	4	3	-	-	-	-	-	-	-	-	1	3	1	1	3	-

الجدول رقم (16): خصائص ومميزات غرف الطابق الأول

نجد في بعض العينات أن الغرف لم تفتح على التيغرغرت مباشرة فمن مجموع 23 غرفة وجدنا 10 غرف بعيدة عنه موزعة حسب القصور كالتالي: 3 غرف بقصر بنورة، 1 غرفة بقصر غرداية، 3 غرف بقصر بني يزقن، و 3 غرف بالعينة رقم: (2) بقصر ورقلة، مع الإشارة إلى خلو هذا الطابق في العينة رقم: (1) بنفس القصر من وجود أي غرف، فيما الغرف المطلة على تيغرغرت تراوح مكان تواجدها بين الجنوب - الغربي، الجنوب - الشرقي، والجنوب وهي وضعيات تستقبل فيها هذه الغرف الشمس بظهورها، كونها وضعية تجنب الغرف التعرض لأشعة شمس الصيف الحارقة ويكفل عملية التشمس رواق إيكومار.

2-4. غرفة استقبال الرجال

خصص لهذه الغرفة التي تسمى لعلّي مدخل خاص بعيدا عن فضاء الأسرة، وكان مدخلها عند المدخل الرئيسي مباشرة كما هو الحال في العينة رقم: (2) بقصر ورقلة (اللوحة رقم: 14) حيث يصعد إليها عبر درج يتصل بالسقيفة على يمين المدخل الرئيسي وللتذكير فهو مسكن لا يتوفر على غرفة الضيوف من الرجال بالطابق الأرضي، فيما خصص للعلّي مدخل متصل بدرج صاعد إلى لعلّي في فضاءات غير السقيفة كما هو الحال في العينة رقم: (5) بقصر بني يزقن، حيث يتواجد هذا المدخل في نهاية غرفة استقبال الضيوف من الرجال بالطابق الأرضي إلى جوار مدخل متصل بدرج نازل مخصص للدهليز الذي سيأتي الحديث عنه فيما بعد، وبالتالي فهذا

المسكن توفر على دويرة ولعلي في نفس الوقت كما أنّهما متصلان ببعضهما مباشرة ومنفصلان عن بقية الفضاءات والمرافق (اللوحة رقم: 9 و 11)، أمّا العينة رقم: (1) بقصر ورقلة فرغم عدم وجود حجرة لاستقبال الضيوف من الرجال بالطابق الأرضي فإنّ المدخل المخصص لعلي موجود هو الآخر في غير السقيفة، حيث خصصت له الزاوية الشمالية الشرقية من غرفة تمزة والتي تلي السقيفة (اللوحة رقم: 11).

بالنسبة لموقع هذه القاعة فنجد دوماً يتصل بجدار الواجهة وغالبا ما يزود جدارها من هذه الجهة بنافذة لغرض التهوية والإضاءة (اللوحة رقم: 9 و 13)، رغم وجود الدرج فاصلا بين جدار الواجهة ولعلي في العينة رقم: (2) بقصر ورقلة ولكن زود هو الآخر بهذه النافذة التي تعلو المدخل الرئيسي للمسكن.

المساحة بالمتر مربع	شكل المسقط		موضع غرفة استقبال الضيوف		رقم العينة	القصر
	أقل من 12	غير مستطيل	الطابق الأول	الطابق الأرضي		
أكثر من 12	-	مستطيل	-	X	01	قصر العطف
-	-	-	-	-	02	قصر مليكة
-	-	-	-	-	03	قصر بنورة
-	-	-	-	X	04	قصر غرداية
X	-	X	X	X	05	قصر بني يزقن
X	-	X	X	X	01	قصر ورقلة
X	-	-	X	X	02	قصر ورقلة

الجدول رقم (17): خصائص ومميزات غرفة استقبال الضيوف من الرجال (لعلي)

اتسم مخطط هذه الغرفة بشكله غير المنتظم في العينتين رقم: (5) بقصر بني يزقن و(1) في قصر ورقلة (الجدول رقم: 17)، ولكن في العينة رقم: (5) يعود عدم انتظام هذه الغرفة إلى وجود توسعة لها باتجاه الشمال-الشرقي وهي واضحة من حيث المخطط وأرضية الغرفة، حيث أضيفت مساحة غرفة مجاورة للعلي ليصبح أكثر مساحة وليمتد طوليا في هذا الاتجاه، أمّا العينة رقم: (1) بقصر ورقلة فيعود عدم الانتظام إلى ذلك الامتداد في زاوية المسكن الجنوبية-الغربية لتتناقص حتى زاوية لعلي الشمالية-الغربية، ولا ندري إن كان هذا الامتداد كان نتيجة لتقسيم أصلي أم ناتج عن طريقة من طرق تحصيل ملكية المساكن كالشراء أو الميراث أو غيرها، وعلى العموم فهذه الغرف هي الأخرى تميزت بمخطط مستطيل الشكل كما هو الحال في العينة رقم: (2) بقصر

ورقلة، ومن حيث المساحة نجد أن هذا الفضاء قد حاز على مساحة معتبرة مقارنة بباقي الغرف، ففي العينات الثلاثة فاقت مساحتها 12م² (الجدول رقم:17).

نجد في العينة رقم: (2) بقصر ورقلة أن لعللي فتحت عليه غرفة ان لا ندري إن كانتا مخصصتان لأهل المسكن أم للضيوف، كما أنه متصل بدرج صاعد يؤدي للسطح في العينة رقم: (5) (اللوحة رقم:10) بجدار الغرفة الشمالي-الغربي مما يعني أن السطح خصص للضيف عند الزيارة دون أن يستعمله أهله إلى حين مغادرته، وقد زودت هذه الغرفة بمدخل مفتوح على تيغرغرت مزود بباب خشبي يسمح بدخول أهل المسكن في حال شغور الغرفة لإعادة ترتيبها وتنظيمها وتنظيفها.

وتخصيص فضاء غرفة لاستقبال الضيوف من الرجال بالطابق الأول عرفته قصور عديدة خاصة تلك التي بها طابقين، وحتى تلك التي لها طابق وسطح كما هو الحال في قورارة فمكاتها على السطح، وفي هذه الحالة يكون السلم المؤدي إلى السطح في السقيفة ذاتها⁽¹⁾.

3-4. شباك وسط الدار:

يطلق عليه باللهجة المحلية في قصور مزاب شَبَاك، فيما يطلق عليه إِمْرَاقَن و كذلك تِيرْدَوِين في قصر ورقلة، وإلى جانب هذا الاختلاف في التسمية هناك اختلافات أخرى من بعض الجوانب التي سنتطرق إليها بالتدرج، كما أنه اقتصر على مساكن القصور ذات الفناء المغلق. اتسمت جميع المساكن بالعينات المدروسة بوجود فتحة تتوسط سقف وسط الدار وتصل بينه وبين تيغرغرت خصصت للتهوية والإضاءة، وتميزت بشكل مخططها المستطيل في كل العينات المدروسة (الجدول رقم:18)، ولكن اختلفت مساحة هذا العنصر من مسكن إلى آخر ولكنها لم تقل عن 2.16م² وهي مساحة أصغرها في العينة رقم: (4) بقصر غرداية، ولكن أغلبها تجاوز 2.5م² وحازت العينة رقم: (2) في قصر ورقلة على أكبر مساحة تليها العينة رقم: (2) في قصر مليكة متبوعة بالعينة رقم: (1) في قصر ورقلة وبالتالي نجد أن هذا الأخير تميزت فتحة وسط الدار في مساكنه بكونها أكبر مساحتها مقارنة بقصور وادي مزاب.

يعد موقع هذه الفتحة بالنسبة لتيغرغرت -أي الفناء المكشوف- من بين الفوارق الهامة بين مساكن المنطقتين (الجدول رقم:18)، ففي كل مساكن قصور مزاب نجد هذه الفتحة تشغل زاوية تيغرغرت في نقطة أو زاوية التقائه بالإيكومار كما هو الحال في العينة رقم: (2) (اللوحة

1. نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية لمنطقتي توات...، مرجع سابق، ص:144.

رقم:4)، والعينة رقم: (3) (اللوحة رقم:6)، والعينة رقم: (4) (اللوحة رقم:8)، والعينة رقم: (5) (اللوحة رقم:10)، أما العينة رقم: (1) نجده قد جاور الجدار الشمالي-الغربي ولكنه لم يتوسطه (اللوحة رقم:2)، ولكن العكس تماما في قصر ورقلة ففي العينتين تتوسط هذه الفتحة تيغرغرت على حد سواء، وهذا رغم وجود جدار يقسم هذا الفناء نصفين في العينة رقم: (1).

القصر	رقم العينة	موضعه بالنسبة لـ "تيغرغرت"		شكل المسقط		المساحة بالمتر مربع		
		لا يتوسطه	يتوسطه	مستطيل	غير مستطيل	أقل من 1.5	بين 1.5 - 2.5	أكثر من 2.5
قصر العطف	01	X	-	X	-	-	X	-
قصر مليكة	02	X	-	X	-	-	X	X
قصر بنورة	03	X	-	X	-	-	X	X
قصر غرداية	04	X	-	X	-	-	X	-
قصر بني يزقن	05	X	-	X	-	-	X	X
قصر ورقلة	01	-	X	X	-	-	X	X
قصر ورقلة	02	-	X	X	-	-	X	X

الجدول رقم (18): خصائص ومميزات فتحة وسط الدار

4-4. الرواق:

يعد هذا الفضاء المعماري من بين أهم الفوارق الموجودة بين قصر ورقلة وقصور وادي مزاب وهذا بسبب ملازمته لكل مساكن قصور وادي مزاب ويسمى **إيكومار**، في حين لا وجود له بالمسكن في قصر ورقلة، حيث يعتبر في الأولى منطقة انتقالية من الغرف والمرافق الأخرى إلى الفناء المكشوف **تيغرغرت**، في حين لا وجود لهذه المنطقة الانتقالية في مساكن قصر ورقلة، فيما تعني كلمة **إيكومار** في هذا الأخير غرفة النوم للأبوين بهذا الطابق، لذا سيقصر تحليلنا لهذا الفضاء على منطقة وادي مزاب ، كما نشير إلى اقتصاره على المساكن المؤلفة من طابقين فقط، ولكن ليس في كل مساكن القصور بل بعضها فقط مثل القرارة، وبريان، ومتليي.

القصر	رقم العينة	إيكومار		يحيط بالتبغرغرت من			عدد الأروقة		
		موجود	غير موجود	جهة واحدة	جهتين	ثلاث جهات	1	2	3 وأكثر
قصر العطف	01	X	-	-	X	-	X	-	-
قصر مليكة	02	X	-	-	X	-	X	-	-
قصر بنورة	03	X	-	-	X	-	X	-	-
قصر غرداية	04	X	-	-	X	-	-	X	-
قصر بني يزقن	05	X	-	-	X	-	X	-	-
قصر ورقلة 01	01	-	X	-	-	-	-	-	-
قصر ورقلة 02	02	-	X	-	-	-	-	-	-

الجدول رقم (19): خصائص ومميزات الأروقة (إيكومار)

فمن حيث التوجيه نجد أغلب هذه الأروقة موجهة باتجاه الجنوب-الشرقي والجنوب-الغربي وهذا أمر منطقي كون هذا التوجيه يسمح باستقبال أشعة الشمس طيلة النهار وخصوصا في فصل الشتاء حيث يصبح هذا الرواق مكانا للشمس، وهذا ما وقفنا عليه في العينات المدروسة في القصور الخمسة بوادي مزاب (الجدول رقم: 19)، حيث يحيط الرواق بتبغرغرت ويطل عليها بواسطة بائكتين من جهتين وكل جهة تستقبل واحد من الاتجاهين السابقين مع العلم أن المساكن موجهة إلى القبلة وهو ما سهل الأمر أكثر (اللوحة رقم: 2 و 4 و 6 و 8 و 10) على التوالي، كما اقتصر عدد الأروقة في كل المساكن على رواق واحد باستثناء العينة رقم: (4) بقصر غرداية أين بلغ 3 أروقة واحد يتقدم رواقين آخرين واحد في جهة وآخر في جهة ومرد ذلك إلى اتساع الإيكومار بهذه العينة حيث شغل مساحة كبيرة من هذا الطابق، وقد تميزت هذه الأروقة بعقودها النصف دائرية (اللوحة رقم: 3 و 4 و 2 و 5 و 6 و 8 وغيرها)، أو حتى مستقيم كما الحال في العينة: (3) بقصر بنورة عند نهاية الرواق في طرفيه (اللوحة رقم: 6) والمحمولة على دعائم ذات مقطع مربع (اللوحة رقم: 2 و 6) أو دائري (اللوحة رقم: 2 و 8) أو مقطع مثنى مثلما الحال في العينة رقم: (5) بقصر بني يزقن (اللوحة رقم: 10)، وما يلاحظ على صف العقود هذا وجود فتحات مستطيلة صغيرة ومصمتة واقفة بشكل عمودي، الغرض منها وضع الأغراض الصغيرة وفي بعض الأحيان تتخذها طيور السنونو أعشاشا لها، في حين متوسط المسافة الفاصلة بينها في حدود 1.11م⁽¹⁾.

1. مختار قرميدة، المرجع السابق، ص: 33.

4-5. الفضاء المكشوف:

ميز الطابق الأول في المساكن المؤلفة من طابقين، حيث جزء من مساحة الطابق عبارة عن فضاء مكشوف، ويطلق عليه اسم **تَيْعَرُغْرُوتْ** باللهجة المحلية في كلتا المنطقتين، وبناء على ما قمنا بمعاينته ميدانيا وجدنا أنه قد يحاط من جهاته الأربعة (اللوحة رقم: 2 و 4 و 10) بالغرف والمرافق وقد يحاط من ثلاث جهات (اللوحة رقم: 6) جهتين فقط (اللوحة رقم: 8) هذا بالنسبة للقصور الخمسة بينما بقصر ورقلة ففي العينة رقم: (1) من جهة واحدة وهو مقسوم نصفين بجدار حاجب بحيث جزء منه مخصص لأهل المسكن أما الجزء الآخر فللضيوف من الرجال (اللوحة رقم: 11)، وبالنسبة للعينة رقم: (2) فمن الجهتين المتقابلتين الشمالية والجنوبية.

تباينت مساحة هذا الفضاء المكشوف من مسكن إلى آخر ومن منطقة إلى أخرى، فرغم أن كل المساكن تميزت بشكل مخططها المستطيل باستثناء العينة رقم: (4) بقصر غرداية والذي كان سبب عدم انتظام شكله وجود الكنيف والمطهرة في زاويته الجنوبية (اللوحة رقم: 8)، فقد تميز بكون مساحته في قصر ورقلة مقارنة بنظيرتها في مساكن قصور وادي مزاب، كما أن هناك ظاهرة أخرى سجلناها في العينة رقم: (1) بهذا القصر تمثلت في تقسيم هذا الفضاء تقريبا مناصفة بجدار فاصل أو سترة، حيث خصص القسم الأول لأهل المسكن وبه يوجد فتحة وسط الدار **إِمْرَأَقْنُ** ملاصقة لهذه السترة، وهذا دائما في سبيل حفظ الخصوصية لأهل المسكن، أما القسم الآخر فقد خصص للضيوف من الرجال لاتصاله بالعلي (اللوحة رقم: 11).

4-6. غرفة الخزين:

لا يختلف هذا المرفق عن نظيره في الطابق الأرضي وهو في العادة عبارة عن غرفة صغيرة تسمى **تَرْقَة** لخزن مؤن عام كامل، ويبنى في أحد زواياها ما يطلق عليه **باجو** -الذي سبق لنا وصفه- لخزن التمر والاستفادة من عسله، ولكن في العينات المدروسة بكل القصور لم يتسن لنا الوقوف على وجود هذا المرفق بالطابق الأول، حيث لم تزود كل المساكن به على هذا المستوى ولكن من المؤكد أن مساكن أخرى يوجد بها هذا المرفق في كلتا المنطقتين ، وهذا المرفق كان حاضرا في كل مساكن القصور الصحراوية التي لها طابق أول، كقصر تاغيت، وقصور وادي ريغ، ومتليلي والقرارة وغيرها.

4-7. المطبخ:

استحدث بهذا الطابق مطبخ آخر على نفس المسقط مع الطابق الأرضي وهو ليس مطبخ بالمعنى التام للكلمة، ولكنه مجرد ركن يبنى في إحدى زوايا الرواق في منطقة مزاب أو في ركن مكشوف به موقد ومجهز بكوات في ورقلة، ولكن هذا المرفق هو الآخر غائب في العينات المدروسة بالمنطقتين على حد سواء، وهو ما فوت علينا فرصة إجراء المقارنة بينهما من حيث الشكل والمساحة والموضع، أمّا في مساكن القصور الصحراوية التي لها طابق وسطح مثلما هو في توات يستعمل في بعضها مطبخ ثاني على مستوى السطح⁽¹⁾، وفي بعض المساكن ذات الطابقين نجد أن هناك ركن في الفضاء المكشوف قد خصص لهذا الغرض.

4-8. المطهرة والكنيف:

يطلق على هذا المرفق نفس التسمية التي رأيناها في الطابق الأرضي، حيث يسمى في منطقة مزاب أَجْمِيرٌ أمّا في قصر ورقلة فيسمى قَوْمَه باللهجة المحلية، أما المطهرة فاختصت بها منطقة بني مزاب ويقابلها في ورقلة حمام ولا نعرف إن كانت تسمية هذا المرفق قد ضاعت أم هي نفسها منذ القدم، وبالنسبة لهذا المرفق الأخير وبعد أن رأينا خلو العينات المدروسة منه في الطابق الأرضي نجده قد لازم وجود الكنيف، حيث في كل العينات المدروسة بقصور وادي مزاب كل المساكن قد توفرت على كنيف ومطهرة (الجدول رقم: 20)، فيما يغيب وجودهما في العينتين الموجودتين في قصر ورقلة على مستوى هذا الطابق.

احتل كل من الكنيف والمطهرة مكان يوافق من حيث المسقط الكنيف الموجود بالطابق الأرضي، وفي هذا الاختيار سبب معقول، حيث أنهما يشتركان في قناة صرف واحدة وبالتالي في بئر واحدة يسهل فيما بعد تفرغها عبر فتحة موجودة على مستوى الواجهة، وتلازم هذين المرفقين لبعضهما لا يعني أنهما في اتصال مباشر بل هناك حائط فاصل بينهما، أمّا من حيث المساحة فهي محدودة كما أنهما لا يتوفران على أبواب لنقص مادة خشب النخيل، وبالتالي وظف البناء تصميمًا يكفل نوعًا من الحجة والستر، إلا أننا سجلنا في العينة رقم: (2) بقصر مليكة عدم تطابق هذين المرفقين وهذا لعدم وجوده في الطابق الأرضي، كما أنه ليس بالضرورة أن يتوفر الطابق الأول على المرفقين معا—أي المطهرة والكنيف— فقد يحدث وأن يكون الكنيف وحده.

1. نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية بإقليم توات .. مرجع سابق، ص: 127.

احتل الكنيف ومعه المطهرة موقعا لازم الإيكومار في أحد أطرافه كما هو الحال في العينات رقم: (1)، (2)، (5)، أو داخله كما في العينة رقم: (3)، وفي حالة وحيدة بعيد عنه في العينة رقم: (4) في قصر غرداية حيث يتواجد في الزاوية الجنوبية للتيغرغرت كما تبين ذلك اللوحة رقم: (8).

القصر	رقم العينة	الكنيف	المطهرة (حمام)	الكنيف في ط. أ.	موقعه من كنيف ط. أ.		موقعه بالنسبة للإيكومار	
					متطابقان	غير متطابقين	منفصل	ملاصق
قصر العطف	01	X	X	X	X	-	-	X
قصر مليكة	02	X	X	X	X	-	X	X
قصر بنورة	03	X	X	X	X	-	-	X
قصر غرداية	04	X	X	X	X	X	-	-
قصر بني يزقن	05	X	X	-	-	-	X	X
قصر ورقلة	01	-	-	X	-	-	-	-
قصر ورقلة	02	-	-	X	-	-	-	-

الجدول رقم (20): خصائص ومميزات الكنيف والمطهرة في الطابق الأول

وقد غلب على مخططه الشكل المستطيل ولكن بمعدل مساحة 2م² وهي مساحة صغيرة مقارنة بباقي المرافق، وهذا بالنظر لوظيفتها الأصلية، كما زودت بعضها بفتحات تهوية تطل على الشارع كما هو الحال في العينة رقم: (4) بقصر غرداية (اللوحة رقم: 7 و 8).

ولم يقتصر وجود الكنيف فوق الطابق الأرضي على منطقة وادي مزاب وقصر ورقة بل نجد العديد من مساكن القصور التي زودت بهذا المرفق كما هو الحال في توات، حيث نجد أن غالبية دورات المياه تقام فوق أسطح المساكن وفي أسفلها، ويرتبط الكنيف الموجود في السطح بحفرة في الطابق الأرضي⁽¹⁾، ليسهل استرجاع الفضلات فيما بعد لتستعمل كسماد لتربة الواحة.

5. السطح:

فرض المناخ في الصحراوي على سكان القصور الصحراوية استغلال السطح عكس مدن الشمال التي تغلب على بيوتها السقوف القرميدية واستغنائها عن السطح واعتمادها على اتساع الأحواش والساحات⁽²⁾، ويسمى في قصر ورقلة أنز أو أنج، فيما يطلق عليه تَمْنَايْت أو أُنْدَج أمقران بقصور وادي مزاب باللهجة المحلية، ومن خلال المعاينة الميدانية للعينات المدروسة وجدنا أن هذه السطح ميزة لكل مساكن قصور مزاب، فكلها لها طابقين وسطح، وهو الحال ذاته في

1. جورج غيستر، المرجع السابق، ص: 85.

2. مصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص: 103.

العينة رقم: (2) بقصر ورقلة، ولكن العينة رقم: (3) بقصر بنورة و (1) بقصر ورقلة لم تتوفر على درج يؤدي إلى السطح رغم وجود جدار سترة بسطح المسكن الموجود بقصر بنورة (اللوحة رقم: 6)، وقد اكتفي بالطابق الأول وتيغرغرت الذي هو فناء مكشوف ومقسوم إلى نصفين بواسطة جدار فصل، أما بسطح العينة رقم: (4) بقصر غرداية فقد أجري تعديل على السطح وشهد توسعة عمودية في عمق المسكن أي فوق الإيكومار في من جهة الجدار الشمالي-الشرقي، وهذه التوسعة عبارة عن غرفة مستطيلة بجوارها قرب زاويتها الشمالية مخزنين مبنيين أكبرهما مساحته 0.86م^2 وهو يطابق الامتداد باتجاه مسكن الجار أما المساحة الباقية من السطح لم تحوط بجدار سترة، في حين نجد سطح العينة رقم: (5) بقصر بني يزقن ورغم بساطته فقد زود بايكومار في زاويته الغربية، ولكن على مساحة محدودة 5.76م^2 وبمخطط مربع الشكل تقريبا، ونفس الشيء بالنسبة للعينة رقم: (2) بقصر مليكة زود هي الأخرى سطحها في زاوية المسكن الشمالية-الشرقية بايكومار على مساحة محدودة لا تتجاوز 5م^2 ، فيما جدار السترة أو التحويط يرتفع ما بين 1.5م من جهة الواجهة و 0.55م من باقي الجهات، أما العينة رقم: (1) بقصر مليكة فجاء سطحها بسيطا لا يوجد به أي مرفق باستثناء غرفة الدرج ولأن المسكن تحيط به المساكن المجاورة وترتفع عنه لم يكن هناك حاجة لبناء جدار تحويط إلا من جهة الواجهة هناك شبه تحويط يرتفع بحوالي 1.10م .

أما العينة رقم: (2) بقصر ورقلة فاقتصر على المساحة الموافقة لسطح لعلي والغرف الثلاثة المجاورة له وجاء بسيط لا يضم أي مرفق آخر باستثناء تغطية الدرج، وبمخطط ذي شكل مستطيل مساحته 18.59م^2 . وهو محاط بجدار تحويط ارتفاعه 2.41م .

ويعتبر السطح عنصرا ضروريا أثبت حضوره في جميع مساكن القصور الصحراوية، فالمساكن إما مؤلفة من طابق أرضي وسطح، أو طابق أرض وطابق أول وسطح، وتفسير ذلك في مناخ المنطقة الحار صيفا، أين ينتقل النشاط إلى السطح بداية من الغروب ويصبح المكان مناسباً للسهرة والنوم بعد أن تتراجع درجة الحرارة ويحل النسيم العليل، إلى جانب نشر الزرع والتدفئة في أيام البرد، كما يمكن أن تبني عليه غرف إما للسكن أو الخزن⁽¹⁾، ولكنها جميعا زودت بجدار سترة حفاظا على خصوصية المساكن وحرمتها فيما بينها.

1. بن حمد محمد، المرجع السابق، ص: 54.

6. الدهليز:

رغم أن قصر ورقلة شهد وجود هذا المرفق فإن العينات المدروسة لم تتوفر عليه، وهي الحال ذاتها بالنسبة لباقي العينات الموجودة في قصور وادي مزاب باستثناء العينة الخامسة التي زودت بهذا المرفق، وما يميزه اتصاله بغرفة استقبال الضيوف من الرجال أي حُجْرَة، أمّا مخططه فغير منتظم وبنيت فيه غرفة صغيرة شكل مخططها يقترب من المربع بمساحة ق 2م² 5.81 درها وزودت جدرانها بكوات (اللوحة رقم: 9 و10)، ونشير هنا إلى طبيعة الموقع الصخرية والتي حالت دون اتساع استعمال الدهليز في وادي مزاب، لذا فقد اقتصر على الأثرياء لقدرتهم على تكلفته.

المبحث الثاني: مواد البناء وتقنيات البناء:

نتطرق في هذا المبحث في إيجاد نقاط التشابه والاختلاف من حيث مواد البناء المستعملة، وهذا في ظل تباين واضح في البنية الجيولوجية لكل منطقة، وتشابه في الناحية البيئية إلى جانب التقارب الحضاري بين المنطقتين، وهذا دون أن نغفل الحديث عن تقنيات البناء التي كانت بدورها أحد خصائص المجتمعات وتميز عمارتها من مكان إلى آخر، ولأن المنطقتين قريبتين من بعضهما فهذا لا يعني بالضرورة تطابقا في تقنيات أو حتى مواد البناء كما هو الحال في أكثر من مكان في العالم، ولكن لا ينفي وجود أمور مشتركة سواء بالنسبة للمواد أو حتى للتقنيات ومنه العناصر المعمارية، ونحاول من خلال تحليل المعطيات ومقارنتها الوقوف على كل هذه التفاصيل وندعم ذلك من خلال العينات المدروسة.

1. مواد البناء:

تؤدي مواد البناء دورا أساسيا في تكوين الشكل المعماري، فمن خلالها ومن خلال الأساليب والوسائل والأدوات المستعملة في توظيف وتنفيذ هذه المواد، يؤثر الإنشاء على الشكل المعماري، فلكل مادة خصائص ومميزات تستوجب استعمالات معينة وتفرض نفسها على الشكل⁽¹⁾، ولأن هذه العمارة قد تمت في بيئات مختلفة خاصة من حيث مواد البناء، اختلفت عمارتها هي الأخرى، حيث اعتمدت على مواد بناء توفرها البيئة المحلية⁽²⁾.

1. بلحاج معروف، العمارة الإسلامية، مساجد مزاب ومصلياته الجنائزية، ط. 1، دار قرطبة، الجزائر، 2007، ص: 262.

2. طرشاوي بلحاج، تأثير العوامل المناخية...، مرجع سابق، ص: 37.

تنوعت قائمة مواد البناء المستعملة في تشييد المساكن سواء بقصر ورقلة أو قصور بني مزاب على حد سواء أو حتى في باقي القصور الصحراوية، فكانت الحجارة على رأس هذه القائمة وعلى نطاق واسع بدءاً من الأساسات فالجدران الحاملة ووصولاً إلى التسقيف، وقد أطلق عليها تسمية **أَدْرَارْ** أو **أَدْعَاغْ** باللهجة المحلية في المنطقتين، وهو المعنى ذاته في كثير من المناطق التي تبعد عن مكان الدراسة، إلى جانب **تِيْمِشْمَتْ** أو **تِيْمِشْنَتْ** وهناك من ينطقها **التِيْمِشْمَتْ**، وهو نوع من أنواع الجبس تسمى في منطقة مزاب مقالع حجارتها **كَدَّانْ**، إلى جانب الجير الذي استعمل كمادة دسمة لتقوية الملاط أو حتى للطلاء، إلى جانب الرمل وخشب النخيل، وكذلك الطوب وإن اقتصر استعماله في قصر ورقلة فيما لم يستعمل في مساكن قصور وادي مزاب.

1-1. الحجارة:

استعملت في منطقة وادي مزاب في كل الهيكل الإنشائي فبداية من الأساسات فالجدران إلى التسقيف كانت الحجارة مادة أساسية ودون منازع، وقد كانت تستعمل على هيئتها الخام دون تهييب ولا قطع، فتستعمل الكبيرة منها للبناء والصغيرة لملء الفراغات بين الكبيرة أما الحجارة المسطحة والتي تسمى مادون فكانت تستعمل للتسقيف حيث توضع على العوارض الخشبية الحاملة للسقف، ورغم أنها استعملت في قصر ورقلة ولكنها ليست بالشكل الذي كان عليه الحال في وادي مزاب، فقد كان الطوب والتمشمت أكثر تفضيلاً لدى سكان قصر ورقلة، إلا أننا وقفنا على استعمال مادة الحجر في العينتين رقم: (1) و(2) في هذا الأخير، والحال ذاته في عينات قصور وادي مزاب.

وقد كانت تجلب الحجارة في منطقة ورقلة من الوديان وتسمى صم⁽¹⁾، إلى جانب تلك الحجارة الخام والقليلة من هنا وهناك والتي هي ذات طبيعة كلسية، حيث أن هذا النوع من الحجارة ذي سعة حرارية كبيرة جداً، فلا تمر الحرارة من خلاله إلا بعد خمسة عشر ساعة⁽²⁾، وعلى العكس من ذلك يكون الأمر أصعب في منطقة وادي مزاب ذات الطبيعة الصخرية، حيث يتطلب استغلال الحجارة وسائل خاصة⁽³⁾، فتختار وتقتلع حجارة البناء من بين الطبقات الكلسية المنتظمة فوق بعضها البعض⁽⁴⁾، فالكتل الكبيرة منها والمصفحة تستخدم في التبييط والعتبات،

1. Jean Lethielleux ; Op. Cit. p: 90.

2. طرشاوي بلحاج، تأثير العوامل المناخية...، مرجع سابق، ص: 39.

3. الشريف درارحة، المرجع السابق، ص: 24.

4. Pierre Donnadieu et autres; Op. Cit. p: 87.

والصغيرة منها تشكل العنصر الأساسي في البناية الحجرية وتسمى محليا مادون⁽¹⁾، وخلال بداية نصب الورشة لاقتلاع الحجر تحدث توسيع بسيط في الموقع تكون بداية عملية القلع ، وبالتالي هناك مقالع للحجارة في سفوح الهضاب المحيطة بالوادي، وهذا لا يعني عدم استعمال الحجارة الخام بالموقع، فهي الأخرى تجمع وتهذب قليلا فقط لتستعمل، وهي حجارة كلسية تتسم بنفس خصائص النقل الحراري التي سبق ذكرها، وقد استعملت في العديد من القصور خاصة ذات الطبيعة الصخرية أو التي تتوفر على قدر كاف من الحجارة، كما هو الحال في قصر المنيع، وقصر القنادسة، وقصر القرارة، وبريان، وغيرها من القصور.

2-1. التمشنت أو التمشمت:

هي مادة رابطة بامتياز استعملت على نطاق محدود بالصحراء في مناطق مثل وادي مزاب، ورقلة، سدراته، متليلي وغيرها، إلا وقد تراجع استعمالها مع الوقت كون هذه المادة الخام وجودها محدود على هيئة أكوام عدسية الشكل قابلة للنفاذ وفي أماكن متفرقة، في شكل حجارة جبس ممي رمادية اللون، كما يمكن أن يستعمل كتليس خارجي وقد نفذت زخارف سدراته بها، وقد توفرت العينات المدروسة بالمنطقتين على وجود هذه المادة خاصة في المساكن الأكثر قدما. وتوجد مناجم التمشمت في محيط غرداية، وهي مقالع جد قديمة استغلت حتى استنفذت عن آخرها، وتسمى قدام⁽²⁾ أو كدّان، كما أنهم يقولون بالعبرة المحلية **حجرة الكاف** وهي عبارة عن جبس *Gypse hydraté* ذات لون رمادي، يتواجد على شكل بقع منعزلة في وسط كلسي⁽³⁾ أما في ورقلة فهي الأخرى تستخلص بنفس الطريقة ولكن تسمى تمشمت بدل تمشنت، ويعود استعمال هذه المادة إلى أيام سدراته حيث توجد مقالع لهذه المادة ليست ببعيدة عن الموقع، وأهمية هذه المادة تكمن في احتوائها على كميات من السيليكات والألمنيوم وكاربونات الجير بقدر النسبة الموجودة في الإسمنت، وهو ما يفسر قوة التماسك الكبيرة لها⁽⁴⁾، ورغم ذلك فهذه المادة لم تعرف انتشارا واسعا في جميع القصور، فقد اقتصر استعمالها على منطقة وادي مية ووادي ريغ إلى جانب وادي مزاب.

1. Marcel Mercier; Op. Cit. p: 299.

2. بلحاج معروف، العمارة الإسلامية، مساجد مزاب ...، مرجع سابق، ص: 263.

3. Marcel Mercier; Op. Cit. p: 299.

4. بلحاج معروف، العمارة الإسلامية، مساجد مزاب ...، مرجع سابق، ص: 263.

1-3. الجير:

عرف الجير انتشارا واسعا في كل العالم كونه مادة رابطة ومقوية في ملاطات البناء منذ القدم، كما استعمل كطلاء لسطوح الجدران الخارجية، ولم تشذ كل من المنطقتين عن ذلك فقد استعمل بكثرة، وما ساعد على ذلك البنية الجيولوجية للمنطقتين فكلتاها تتوفران على كتل الكربونات الجيرية بوفرة، إلا أنّ عملية حرقها كلفت السكان في المنطقتين جهدا كبيرا وصرف طاقة كبيرة، حيث هذا النوع من الحجر يحتاج إلى درجة حرارة 1000°C أو تزيد ولكون العملية تتم بطريقة تقليدية في المنطقتين الأمر الذي يصعب توفير درجة الحرارة هذه نجد أن العملية تستمر لأيام وفي درجة حرارة تصل 900°C في أفران تقليدية، حيث يستعمل في حرقها الخشب وفي بعض الأحيان بعض النباتات مثل الرتم، العرفج، الشيح وغيرها، ويتطلب حرق الجير خمسة إلى ستة أضعاف ما يحتاجه التيمشمت، وقد استعمل الجير في العينات المدروسة في تقوية الملاط والتكسية والطلاء كما استعمل في طبقة الردم للسقف مع الرمل في كلتا المنطقتين.

بحكم الطبيعة الجيولوجية الصخرية الكلسية لمنطقة وادي مزاب فإن كربونات الجير

متوفرة بكميات كبيرة غطت حاجات البناء في المنطقة طيلة هذه القرون، وتستخرج هذه المادة أفقيا من الهضبة الكلسية من الطبقات الزجاجية- *Lenticulaire* الممتدة على عمق 1م تحت سطح الأرض⁽¹⁾، وفي منطقة ورقلة نجد أنه يستخلص بنفس الكيفية أي بحفر الأرض إلى أن نصل مستوى الطبقات الصخرية الكلسية والتي تكون على عمق معتبر مقارنة بوادي مزاب، ومن ثم تحرق وتحضر بنفس الطريقة، كما نشير إلى أنّ هذه المادة قد عرفت استعمالا على نطاق واسع في جميع القصور الصحراوية كمادة رابطة أو مقوية أو طلاء.

1-4. الرمل:

لا يكاد يغيب استعمال الرمل في أي عملية بناء إذ يعتبر مادة ضرورية دخلت في تركيبة جميع الملاطات خاصة ملاطات الربط بين كتل الحجارة، كما استعمل في تغطية المساكن مع الجير كطبقة عازلة، حيث تمثل سمكا معتبرا في التغطية ككل، وكذا في التليس مع الجير ليصنع منهما ملاط بنسب معينة على أن يكون رمل خالي من الصلصال، ويسمى في قصر ورقلة *إجدي*، وقد يستخدم في هذه المنطقة مخلوطا مع الطين لصنع الطوب، في إلى جانب رمل الوادي والذي هو الأنسب في عملية البناء يستعمل رمل الكتبان كذلك خاصة في منطقة ورقلة.

1. Pierre Donnadieu et autres; Op. Cit. p: 88.

5-1. الطوب:

بالنسبة لمساكن القصور في منطقة وادي مزاب لم يستعمل هذا النوع من المواد في بناء المساكن، وبدل ذلك استعملت الحجارة المتوفرة بكثرة في المنطقة والقرب من موقع القصور في التلال المحيطة بها، أما في قصر ورقلة استعملت هذه المادة أكثر من الحجر، واستعمل بمقاسات (40x20x15)، فبعد عملية تنظيف ونزع الحجارة والحصى من الرمل والطين يبلل الخليط بالماء ثم يقولب ويجفف تحت الشمس، وقبل البدء في القولية تفرش طبقة من الرمل أو الرماد لضمان عدم التصاق اللبنة بالأرضية، ولكن كما سبق وأشارنا فالعينات التي درسناها بقصر ورقلة لم تبنى باللبن الترابي - أي الطوب - بل بالحجارة والتمشمت.

6-1. الخشب:

كان من نتيجة وجود هذه القصور في واحات اتسمت بزراعة النخيل وبعض الأشجار أن استعمل سكان هذه القصور مادة الخشب في هياكل مساكنهم ولواحقها، وكان خشب النخيل أكثرها غلبة لوفرتة، ولكن هذا لم يمنعهم من استعمال بعض الأخشاب الأخرى وبشكل محدود، ومن هذه الأشجار التي استخدموا خشبها الرمان، الليمون، المشمش وغيرها، ولكن في كل الأحوال يستغل هذا الخشب بعد موت النخلة أو الأشجار الأخرى، وتسمى النخلة في ورقلة "أم الوراثة"، وفي المنطقتين استعملت كل أجزائها بداية من الجذع، فالجريد، والكرناف والأوراق لصناعة العوارض والدعامات وكذا التسقيف.

7-1. جذوع النخيل:

يسمى باللهجة المحلية في منطقة قصور وادي مزاب **ثمالفت** أو **أكركوش**، أما في قصر ورقلة يسمى **أكركوش**، تقطع في قصور وادي مزاب إلى عوارض تسمى **أر-رور**، ولها وجه يصل عرضه من 0.10م إلى 0.15م في الجانبين ولا يزيد طولها أبدا على 2م إلى 3م وقد يصل 4م لتستعمل كعوارض⁽¹⁾، وفي ورقلة تقطع إلى عوارض قد يصل طولها 3.5م، وفي تقطيعها إلى أجزاء طوليا يتوقف الأمر على سمك الجذع فقد تقسم إلى 2 أو 3 أو حتى 4 أجزاء، كما تصنع من هذا الجزء ألواح بعرض يتراوح بين 0.30-0.40م وسمك 0.03م مخصصة لصناعة الأبواب⁽²⁾ على

1. Pierre Donnadiu et autres; Op. Cit. p: 88.

2. بلحاج معروف، العمارة الإسلامية، مساجد مزاب ...، مرجع سابق، ص: 265.

وجه الخصوص أو السواكف أو الدعامات، وبالتالي فتقنية صناعة الخشب تقريبا هي ذاتها في المنطقتين، أما بالنسبة لاستعماله في العينات المدروسة فقد استعمل فيها جميعا (اللوحة رقم: 6 و12)، ورغم ذلك سجلنا في بعض العينات تعويض العوارض الخشبية التالفة بأخرى معدنية (اللوحة رقم: 14) وهو ما استجاب لكبير مساحة مساكن قصر ورقلة لتوفير فضاء أكبر. وقد استعملت هذه المادة في كل القصور الصحراوية دون استثناء كونها مادة الواحة الأولى وهنا نشير إلى أن هذا الخشب لا يستعمل إلا بعد التأكد من موت النخلة بالنظر لما تحظى به هذه الشجرة من أهمية.

1-7-أ. الجريد:

بعد أن تجتث النخلة ويستغل جذعها نحصل على بعض البقايا مثل الجريد وهي تلك العروق الحاملة للأوراق وتتوج رأس النخلة، وتسمى في قصر ورقلة **ثُوفَه**، وهنا نشير إلى أنه يجفف قبل الاستعمال⁽¹⁾، ويتزع منه الورق ليسقف به السقف المسطح، فيصفف فوق العوارض الخشبية ويربط إلى بعضه البعض ثم توضع فوقه سعف النخيل لمنع تسرب الأتربة كما هو الحال في سقف بعض العينات المدروسة كالعينة رقم: (1) بقصر مليكة (اللوحة رقم: 2)، أما الجريد الأخضر فيستعمل مباشرة بعد قطعه من النخلة لتشكيل الأقبية النصف دائرية، وكذلك تقويصة العقد.

1-7-ب. الكرناف:

يطلق عليه باللهجة المحلية في قصر ورقلة **تَكَرْ كُوشْتْ** وهي منطقة الاتصال بين النخلة والجريد وهي ذات شكل مثلث يبلغ طولها 0.20-0.25م ولها مقاومة⁽²⁾، وتستعمل في تسقيف المساكن حيث توضع فوق العوارض الحاملة للسقف بشكل متقابل لتشكيل شكل المنشار في كل طرف، وهي جيدة المقاومة بالنظر إلى بنيتها الليفية، ولكن خلال المعاينة الميدانية لم نجد أو نصادف هذه التقنية في تسقيف المساكن المدروسة، وبدلا من ذلك هناك التسقيف بالجريد أو الأقبية نصف برميلية المبنية بالحجارة.

1. بلحاج معروف، العمارة الإسلامية، مساجد مزاب ...، مرجع سابق، ص: 265.

2. Pierre Donnadieu et autres; Op. Cit. p: 88.

1-7-ت. أخشاب أخرى:

استعملت أخشاب أخرى في المنطقتين كأخشاب الرمان واللوز والمشمش وغيرها من الأشجار ولكن بشكل محدود وفي اللواحق كالأبواب والأقفال، وفي بعض المساكن كعوارض حمل السقف، ولكن بشكل محدود هي الأخرى، حيث لم نقف في العينات المدروسة بالمنطقتين على الكثير من استعمالات الخشب كعوارض، في حين هناك العديد من الأبواب خاصة داخل المساكن مزودة بأبواب خشبية غير خشب النخيل (اللوحة رقم:12).

2. العناصر المعمارية وتقنيات البناء:

تبنى المساكن في المنطقتين بما يعرف بالتوزيع التي هي عمل تطوعي يشترك فيه جميع السكان، كما يمكن أن يقوم بذلك بنائين مأجورين، ففي قصر ورقلة لا تطلب التوزيع إلا مرة أو مرتين في الشهر، كما أن الجميع يتقاسم المهام على أن يسبقهم البناء بيوم أو يومين، وعند حضور الجميع يقوم أحدهم بجلب الحجارة وآخر بجلب الماء وآخر بخلط الجبس بالماء، وعندها يدفعه مساعد البناء لمن يشكله على هيئة كرات، ويسلمه للبناء، وقد يرفق عملية البناء بعض العادات كذبحهم لعزة ويريقون دمها في الأساس.

1-2. الأساسات:

أثرت الطبيعة الجيولوجية لمنطقة وادي مزاب أو حتى في قصر ورقلة على شكل البناء، وقد انعكس هذا التأثير على الأساسات، فبحكم أن منطقة مزاب واقعة فوق أرضية صخرية لم يضطر البناء إلى حفر أساسات حقيقية بل شبه أساسات، ولا يوجد سوى اختلاف طفيف ما بين أساسات هذه المساكن من حيث العمق، وفي حال وجود أساسات في المساكن الواقعة بالسفح يعمد البناء إلى استعمال حجارة ضخمة مشدبة بشكل غير متناسق، ويربط بينها ملاط التيمشمت أو ملاط الجير، وبالنسبة لمنطقة ورقلة ولكون الموقع يتميز بأرضية هشة بفعل الردم وكلما تعمق تزداد هشاشة أكثر، نجد أن أساسات مساكن القصر لها عمق يتراوح بين 0.30م إلى 0.40م، وهي مقاسات تميز المساكن المبنية في أسفل الهضبات الصخرية بمنطقة مزاب ولكن أغلب المساكن يحفر لها شبه أساسات بعمق يتراوح بين 0.02م إلى 0.03م لتمر كرها فوق الهضبة الصخرية.

2-2. الجدار:

يطلق عليه في قصر ورقلة تسمية **مُورُو** باللهجة المحلية، أما في منطقة قصور وادي مزاب فيطلق عليه **مَارُو**، ويبلغ سمك الجدار الخارجي لمساكن قصور وادي مزاب في الغالب 1م في القاعدة لينتهي بسمك 0.15م في السطح، في حين يتراوح سمك جدار المسكن بقصر ورقلة بين 0.30م إلى 0.40م ليتناقص وصولاً إلى السطح حيث يتراوح بين 0.15م إلى 0.20م، إلا أننا لم نسجل في العينات المدروسة في قصور وادي مزاب سمكا يتجاوز 0.63م كما هو الحال في العينة رقم: (3) في قصر بنورة، ولم يقل عن 0.42م مثلما في العينة رقم: (2) بقصر مليكة، وفي قصر ورقلة تراوح بين 0.36م إلى 0.41م في العينتين رقم: (1) و(2).

وتزود الجدران خاصة السميكة منها أي الخارجية بكوات غير نافذة لوضع الأغراض، كما يمكن أن تبنى في قصر ورقلة بالحجارة والتمشمت كما في منطقة وادي مزاب ويمكن أن تبنى بالطوب كذلك وهو الأكثر شيوعاً، وفي حال استعمال الحجارة يتم البناء بحجارة كبيرة لتعاكسها حجارة متوسطة الحجم، أي حجرة كبيرة تقابلها حجرتان متوسطتان، ليسد الفراغ بينهما بالكامل على شكل قالب بالطين وتاغوري كي لا تمثل ملجأ للحشرات الضارة. وفي مزاب هناك تقنيتين لرصف الحجارة الأولى تقنية المزج والثانية تقنية السنبلة، وقد استعملت الأولى على نطاق واسع لبساطتها وقلة تكلفتها، حيث يستعمل البناء حجارة مناسبة ويسد الفراغ بحجارة صغيرة ويستخدم ملاط التيمشمت أو ملاط الجير كمادة رابطة، أما الثانية فهي وضع كتل حجرية صغيرة بشكل مائل على طول المدماك ليعكس زاوية الميل بالاتجاه الآخر في المدماك الموالي، لينتج في الأخير شكل السنبلة ليكرر العملية على جميع المداميك.

2-3. الكوات:

نقصد بمصطلح الكوات هنا الكوات غير النافذة أي الفتحات الصماء، وتكون عبارة عن تجويف مفتوحة في جدران المباني الداخلية⁽¹⁾، زودت بعض الجدران في مساكن القصور بكوات منفردة أو في صف كما في جدار تيغرغرت الجنوبي-الغربي للعينة رقم: (4) بقصر غرداية أو واحدة تعلو الأخرى كما في العينة رقم: (2) بقصر ورقلة، أو حتى صف عمودي كما في دويرة العينة رقم: (5) بقصر بني يزقن (اللوحة رقم: 10)، وقد اختلفت من حيث المقاسات وتشابهت من

1. بلحاج معروف، العمارة الإسلامية، مساجد مزاب...، مرجع سابق، ص: 265.

حيث الشكل باستثناء ظاهرة في مزاب تمثلت في تنويع الكوة بعقد نصف دائري لتعلوها أخرى مستطيلة الشكل كما في تهجة العينة رقم: (4) بقصر غرداية (اللوحة رقم: 8)، ولكن أكثر ما نلاحظ بخصوص هذه الكوات أنها تتركز في تيزيفري أو سلاًم أو غرفة استقبال الضيوف من الرجال وبشكل أقل في باقي الغرف خاصة الطابق الأرضي، هذا إذا أخذنا في الحسبان سمك الجدار الذي يقل كلما صعدنا.

ما يلاحظ أن عنصر الكوات وظف في المسكن القصورى بمنطقة وادي مزاب على نطاق واسع أكثر منه في المسكن بقصر ورقلة، ويعود هذا الأمر بالأساس إلى ضيق مساحة الغرف واستغلال كل شبر فيها من خلال توظيف الكوات بديلاً عن الأثاث، كما أنه يعبر عن وفاء للظاهرة التي تعود أصولها إلى تلك المساكن الموجودة بمدينة سدراته، دون أن ننسى القصور الأخرى والتي عرفت وجود هذا العنصر كبديل عن الأثاث الخشبي.

2-4. العقود والأعمدة والدعامات:

لم يعتمد على هذا العنصر كثيراً في حمل السقوف بقصر ورقلة فيما عدا بالمدخل الرئيسي ووسط الدار في المساكن ذات المساحة الكبيرة⁽¹⁾، فيما وظف القوس النصف الدائري المصمت في عقد المدخل الرئيسي والنصف الدائري المتجاوز في توزيع ثقل سقف وسط الدار، فأغلب المساكن اعتمدت على العوارض الخشبية والدعامات وربما ساهم في قلة هذا العنصر عدم تزويد مساكن هذه المنطقة بالإيكومار على عكس قصور منطقة وادي مزاب التي زودت بهذا العنصر على نطاق واسع لوجوده، إلى جانب توظيفه في توزيع ثقل سقف وسط الدار والمدخل الرئيسي، ومن بين الأنواع المستعملة هناك النصف دائري والحدوي والمستقيم خاصة في نهايتي رواق الإيكومار إلى جانب عقود غير منتظمة أو نصف إهليلجية، ومرد هذا التنوع يعود بالأساس إلى الاعتماد الكبير على هذا العنصر وتوظيفه في حمل وتوزيع الأثقال إلى جانب التقنية التقليدية في بنائه والمعتمدة أساساً على حوص الجريد (العروق) في تشكيل قوالب بنائها وبالتالي يتوقف شكل العقد على براعة وذوق البناء أثناء تنفيذها.

ومن حيث التقنية تشابهت في كلتا المنطقتين بتقنية هي الأكثر شيوعاً، وذلك بتشكيل قوالب منفذة بتقويس عروق جريد النخيل وهو في حالته اللينة - كي يسهل له - بين دعامتين

1. Jean Lethielleux ; Op. Cit. p: 91.

ويثبت بالتمشمت⁽¹⁾ لتوضع فوقه الحجارة ولاختلاف المسافة بين الدعامات والأعمدة وكذا الاختلاف في طول الجريد أنتج ذلك عقود مختلفة الأشكال⁽²⁾.

وقفنا خلال العمل الميداني في قصور وادي مزاب على الاستعمال الكبير للعقود، وأكثر ما لفت انتباهنا تلك المداخل المعقودة بعقود نصف دائرية مصمته مثل ما هو الحال عليه في قصر ورقلة في العينتين المدروستين، إلى جانب استعمال كبير للعقد النصف الدائري⁽³⁾ لحمل سقف الإيكومار ووسط الدار، إلى جانب العقد المستقيم مثل العينة رقم: (4) بقصر غرداية أين وظف في مدخل تيزيفري، إلا أننا نلاحظ غياب العقود في العينتين المدروستين في قصر ورقلة داخل المسكنين فيما عدا مدخل الكنيف بالعينة رقم: (1) بالطابق الأرضي على يمين الداخل لوسط الدار.

ولاحظنا اختلاف وتنوع مقاسات العقود فيما بينها حتى وإن كانت حاملة لنفس الثقل، فهذا لا يعني بالضورة تناسقها وتناسبها من حيث المقاس والشكل (اللوحة رقم: 2، 4، 6، 10)، وحين نتكلم عن المقاسات فنحن نقصد بذلك قطر فتحة العقد أو حتى ارتفاعه.

بالنسبة للأعمدة والدعامات فقد تبعت وجود العقود كما أنها في بعض الأحيان تحمل عوارض سقف وسط الدار وتراوحت بين المربعة⁽⁴⁾ مثلما نجده في وسط الدار بالعينة رقم: (3) بقصر بنورة، والمستطيلة⁽⁵⁾ كما هو الحال مع دعامات وسط الدار بالعينة رقم: (1) بقصر العطف (اللوحة رقم: 2)، إلى جانب وجود دعامات ذات مقطع شكله غير منتظم⁽⁶⁾، وهناك أعمدة ذات مقطع دائري في كل العينات المدروسة بوادي مزاب على مستوى إيكومار، وأخرى لها مقطع مثنى كما في العينة رقم: (5) بقصر بني يزقن على مستوى إيكومار، إلى جانب وجود دعامات نصف مدججة، وفي أغلب الأحيان لا تتوج الأعمدة بالتيجان وإن وجدت فهي عبارة عن تحوير لمادة البناء على شكل هرم منقوص ومقلوب، خال من أي زخارف وقلما نجد لهذه الأعمدة قاعدة تركز عليها وإن وجدت فهي مستطيلة ومبنية مثلها مثل الأعمدة والدعامات بالحجارة المشدودة بملاط مؤلف من التمشنت والرمل أو مادة التمشنت وحدها.

1. Jean Lethielleux ; Op. Cit. p: 90.

2. Pierre Donnadieu et autres; Op. Cit. p: 94.

3. بلحاج معروف، العمارة الإسلامية، مساجد مزاب ...، مرجع سابق، ص: 240-242.

4. نفسه، ص: 241.

5. نفسه، ص: 241.

6. نفسه، ص: 241.

تميزت القصور الصحراوية عموماً باستعمال العقد النصف الدائري على وجه الخصوص، ولم يمنع ذلك من استعمال أنواع أخرى من العقود خاصة العقد المنكسر، والعقد الحدوي، والعقد القلنسوي المركب، والعقد المستطيل، العقد الإهليلجي⁽¹⁾.

2-5. التسقيف:

غطيت مساكن قصور بني مزاب وقصر ورقلة بالأسطح الأفقية كما هو الحال في أغلب القصور الصحراوية، إلا أن تقنية التسقيف نجدها أكثر ثراءً في منطقة وادي مزاب حيث هناك بعض التقنيات المشتركة وهناك تقنيات انفردت بها عن قصر ورقلة، ومن هذه التقنيات المشتركة وضع عوارض من جذوع النخيل تفصل بينها مسافة تراوحت في وادي مزاب بين 0.20م و 0.30م أما في ورقلة كانت كذلك ولكن مع مرور الوقت استبدلت بعوارض معدنية سمحت بوجود مقاومة أفضل أثرت على هذه المسافة للتراوح بين 0.50م و 0.60م، كما هو الحال في العينة رقم: (2) بهذا القصر، وتوضع فوق هذه العوارض الجريد.

يستعمل الجريد في التسقيف بوادي مزاب بحالته، الأولى يكون متزوع الأوراق والثانية يكون بأوراقه وهي التقنية الأكثر انتشاراً بوادي مزاب، وتشد هذه العروق بسيور مصنوعة من الجلد، تليها طبقة طينية يصل سمكها حدود 0.30م تليها طبقة من الجير المزوج بالرمل، في حين استخدم في قصر ورقلة الجريد متزوع الورق أكثر ثم يليه ليف النخلة، طبقة من التراب المبلل المزوج بالطين أو طبقة من فضلات الماعز أو الحمير وعليها طبقة خفيفة من تراب التافزة والجبس، كما يمكن أن تغطي بطريقة أخرى حيث وبعد وضع الجريد متزوع الأوراق توضع طبقة من التراب والتمشمنت وتلك جيداً.

ولكن التقنية الأكثر شيوعاً بقصر ورقلة استعمال الأقبية المبنية بالحجارة بين العارضة والأخرى كما وقفنا عليه في العينتين المدروستين بالقصر، حيث وبعد وضع قالب مصنوع من جريد النخيل اللين بين العارضتين والمثبت بالتمشنت توضع الحجارة فوقه وتشد بملاط من نفس المادة وتغطي عروق الجريد بطبقة من التيمشنت.

نشير إلى وجود تقنيتين أخريين استعملتا في قصور وادي مزاب ولم نقف على وجودهما في قصر ورقلة، وتعتمد الطريقة الأولى أساساً على الكرناف — أي المنطقة الواصلة بين الجريد

1. محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة...، مرجع سابق، ص: 142-148.

والنخلة- ولأن شكلها مثلث فقد صفت بشكل متقابل فوق العوارض الخشبية، ووضعت فوقها نفس الطبقات المذكورة، لتعطي في الأخير منظر من الداخل يشبه أسنان المنشار المتقابلة. ساهمت الجيولوجيا الصخرية لمنطقة وادي مزاب في توفير نوع مسطح من الحجارة تسمى مادون وظفت في الطريقة الثانية للتسقيف، فبعد وضع العوارض الخشبية توضع هذه الحجارة إلى جوار بعضها بشكل تتناسب فيه حوافها كي لا تترك فراغا كبيرا فيما بينها، ومن ثم توضع طبقة الطين وملاط الجير والرمل.

لقد تميزت سقوف المساكن في قصور وادي مزاب بسمكها الكبير والذي يزيد في بعض الأحيان عن 0.70م، وهذا لسبب بسيط يتمثل في الصيانة الدورية لهذه الأسقف حيث يعمل في كل فصل شتاء طبقة عازلة فوق هذا السقف حتى لا تتسرب المياه الناتجة عن سقوط الأمطار في بعض مواسم سقوط المطر، كما وظف إلى جانب ذلك ميلان نسبي غير ظاهر للتحكم في مسار هذه المياه لتوجه صوب ميازيب تصرف الماء إلى خارج المسكن صوب السكة.

تسمى الأقبية باللهجة المحلية في قصر ورقلة **تِيكَرْبَاشْ** أو **تِيكَرْبُوشْتْ**، كما لم نجد لها تسمية بوادي مزاب غير قبو، وهي عنصر وظف في تغطية بعض الفضاءات على وجه الخصوص دون غيرها مثل سلام في وغرفة رب الأسرة المجاورة لها، وتغطية المخزن، وهي أقبية نصف برميلية تصنع في منطقة ورقلة بواسطة قناطر من الطوب، فيما تصنع في منطقة وادي مزاب بنفس تقنية بناء العقود أي باستعمال الخوص اللين والبناء فوقه بالحجارة الصغيرة تسمى مادون والتمشمت، وبالتالي اختلاف جوهري من حيث مادة البناء ⁽¹⁾، كما تتميز في منطقة وادي مزاب بصغر حجمها في الغالب أقل من 1م، لأنها تغطي فضاءات صغيرة المساحة كالدرج مثلا، كما لا نجد لها بروز من الخارج فهي غير ظاهرة.

2-6. السلام (الدرج):

وظف الدرج بشكل كبير في مساكن قصور وادي مزاب حيث يتراوح عددها من اثنين كونها تضم كلها طابقين وسطح إلى أربعة سلام في حال وجود لعللي، فيما تراوح شكلها بين المستقيم والمنكسر خاصة هذا الأخير لصغر مساحة مساكن هذه المنطقة (اللوحة رقم: 6، 8، 10)، وهي الحال ذاتها بالنسبة لقصر ورقلة الذي يسمى فيها هذا العنصر **تِيشُونَانْ** أو **تِيسُونَانْ**، ولكن ما يميز الدرج في هذا الأخير طوله واستقامته في أغلب الأحيان على عكس نظيرتها في وادي

1. Commandant Godard ; Op. Cit. pp : 66-67.

مزاب، حيث تتسم هذه الأخيرة بقصرها وكثرة انكساراتها والتفافها، وهو الحال الذي وقفنا عليه في العينات المدروسة (كل اللوحات)، ولأنّ مساكن قصر ورقلة ضمت في أغلب الأحيان طابق وسطح فقد أثر ذلك على عدد الأدراج، حيث لا تتعدى الدرجين في أغلب هذه الحالات (اللوحة رقم:14).

تتوزع السلالم أو الدرج في المسكن بنقاط معينة بالمسكن، فنجدها عند المدخل الرئيسي مباشرة في حال وجود لعلّي أو في زاوية من زوايا وسط الدار خاص بأهل الدار، وفي أحيان أخرى هناك درج يؤدي إلى الدهليز في حال وجوده (اللوحة رقم: 9 و 10) كما هو الحال في العينة رقم: (5) بقصر بني يزقن، إلى جانب سلم بالطابق الأرضي يؤدي إلى السطح. بالنسبة لتقنية بناء الدرج في المنطقتين وكذلك باقي القصور الصحراوية تشابهت كثيرا، فهي تعتمد أساسا على تقنيتين الأولى من خلال ركم الحجر وتكديسه بين جدارين إلى أعلى مستوى مطلوب لتبني فوقها درجات السلم، أما التقنية الثانية فهي بناء الدرج على جدارين من خلال حجارة مستوية توضع فوق عوارض خشبية من خشب النخيل أو تدعم بأقواس وهي الأكثر شيوعا لربح الفراغ الناتج تحت الدرج واستعماله لخزن بعض الأدوات والأغراض، بل وفي حالة العينة رقم: (2) بقصر ورقلة نجد أن المساحة الواقعة أسفل الدرج تمثل جزء من مساحة المطبخ.

2-7. التليس والطلاء:

تسد الثغرات الموجودة بين الحجارة ويسوى سطحها بتليس الجدران بملاط الجير أو طبقة طينية⁽¹⁾ مدعمة بالجير المطفأ لتدعيم رابط الملاط كما يمكن أن تضاف إليه بقايا نباتية، وهذا باستخدام اليد ما يترك آثارا لأصابع اليد الشيء الذي يضيف لمسة فنية على واجهات المساكن، كما يمكن أن يملس هذا التليس ما يجعل سطح الواجهة مستوي⁽²⁾، وفي قصور وادي مزاب ينجز التليس عموما باستعمال ملاط التمشمت والرمل أو ملاط الجير، وغا ليلهما يكون لون الواجهة على حسب لون الرمل المستعمل، وفي حال استعمال التمشمت وحدها يكون اللون رمادي⁽³⁾ ما يحتم استعمال طلاء بلون رملي كونه اللون الأنسب في هذه البيئة.

1. M. Ville ; Op. Cit. p: 732.

2. Jean Lethielleux ; Op. Cit. p: 91.

3. Pierre Donnadieu et autres; Op. Cit. p: 101.

هناك تقنية مستعملة في منطقة قصور وادي مزاب إلى جانب تقنية التليس باليد⁽¹⁾، وهي تقنية العرجون، حيث وبعد تليس واجهة الجدار بالملاط الجيري المحضر تقليديا، يتم الانتقال إلى تكسية سطح التليس بالعرجون بغطس العرجون اليابس في الماء ليصبح لنا وصالحا للاستعمال كمرحلة أولى، ثم يستخدم العرجون المشبع بالملاط الجيري السائل لتكسى به الواجهة الخارجية للمسكن وبالتالي يصبح الجدار به نتوءات تزيد من نسبة الظل خاصة في فصل الصيف، ومن خلال الزيارة الميدانية وجدنا أن العينات المختارة بقصور وادي مزاب كلها لبست بهذه التقنية، في حين نجد جدران العينات المختارة بقصر ورقلة ذات تليس أملس. ويعتمد التليس في معظم القصور الصحراوية على نفس التقنية المستعملة في قصر ورقلة حيث تلبس الواجهة بطبقة طينية، باستخدام اليد (الصورة رقم: 31).

2-8. الزخارف:

اتسمت مساكن القصور بالمنطقتين بخلوها من الزخارف وهي التي ركزت على الوفاء باحتياجات العائلة فقط، لتهتم بالداخل على حساب خارج المسكن، ورغم هذا العزوف عن الجانب الفني فإن المسكن اتسم بفن مجرد ميزته آثار الأصابع على تليس الواجهة إلى جانب آثار التليس بالعرجون، كما أن الرحالة ممن مر بالمنطقة سجلوا ملاحظاتهم حول وجود عناصر زخرفية بسيطة زينت المنطقة المصمتة لعقد المدخل الرئيسي وفوقه، حيث يعلو هذه المداخل رموز حامية *Prophylactique*، ومن بين هذه الرموز نجد اليد المطبوعة في الجبس، أو الرمز المركب من النجمة والهلال، أو خاتم سليمان، أو حتى بعض الرموز التي لا نجد لها سوى في ورقلة، وفي أحيان أخرى يعلو المدخل صفيحة حديدية على شكل حدوة فرس، بالإضافة إلى وجود بعض الأشكال الأخرى وضعت على المداخل كالمثلث والكؤوس والصحون، وهناك بعض المداخل يعلوها قرنين لثور أو غزال وهذا اعتقادا منهم إبعاد العين والحسود.

خصوصية المنازل الوارجلانية تتمثل في الواجهة الرئيسية التي تزينها رسومات بارزة فوق الأبواب إلى جانب كتابات عربية كآيات قرآنية، اسم صاحب البيت، تاريخ البناء أو الترميم وهي رموز منحزة بالجبس، كما تتضمن الرسومات أشكالا من الخطوط المتداخلة وشكلا آخر قائم ومنحني مكون من زاوية تعلوها دائرة، ووسط هذه الدائرة قام السكان بإضافة طبق صغير أو كأس أو صحن أو غيرها، وفي بعض الأحيان نجد العديد منها فوق نفس الباب وهناك من يرى

1. Jean-Loïc Le Quellec; Op. Cit. p: 83.

أما رمز الآلهة تانيت ذات الأصول القرطاجية (الصورة رقم: 85 وَ 86 وَ 87)، ومن بين العبارات التي كتبت لدينا "لا إله إلا الله"، "نصر من الله"، كما يمكن أن تزين برسوم مزينة ببيض النعام.

لا تختلف مساكن قصور وادي مزاب عن نظيرتها في قصر ورقلة فقد جاءت هي الأخرى بسيطة خالية من الزخارف باستثناء تلك التي تزين كما قلنا المدخل الرئسي أي العقد المصمت، وخاصة رمز اليد التي تسمى محليا في ثقافة السكان يد لالة فاطمة —أي السيدة فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم— وكذا عبارات تخص آيات قرآنية، كما نلاحظ بعض الإضافة مقارنة بالمسكن في ورقلة تمثلت في تلك الزخارف الموجودة بالباب على عارضته الأفقية والتي تمثل صف من الخطوط المتداخلة والأشكال النجمية والتي استعملت في حضارات سابقة كالحضارة الرومانية ولكنه ليست بنفس الدقة.

أما بالنسبة للعينات المدروسة فلم نقف على وجود زخارف بواجهات أو جدران هذه المساكن أو حتى المساكن الأخرى، ونعتقد أنها عناصر ربما تخلى عنها الناس جراء أعمال الصيانة الدورية وكذلك أعمال الترميم، وهنا لا ننسى أن المساكن المكتشفة في سدراته قد ضمت لمسة فنية رغم بساطتها إلا أنها تمثل حس فني لدى المجتمع في هذه الفترة خاصة تلك الرسوم الآدمية والحيوانية والنباتية التي تزينت بها بعض الغرف.

ولعل أكثر الأشياء غرابة عزوف مساكن هذه القصور إلى الزخرفة رغم أن مساكن سدراته عرفت درجة كبيرة من ازدهار الفنون الزخرفية على جدران مساكنها، فما سر ذلك يا ترى؟.

لعل التفسير نجد فيه ما ذهب إليه الدكتور معروف⁽¹⁾ حيث يرى أن سكان سدراته مالوا إلى الفن وزخرفة مبانيهم بعد ما عاشت مستوى راقى من الرفاهية والتي كانت سببا مباشرا في جلب الأعداء إليهم، وتعاضم أطماع الغزاة فيهم، في حين نجد الإباضية ممن نزحوا إلى وادي مزاب ابتعدوا كلية عن تكرير هذه التجربة، والتفكير في الفرار بمذهبهم وعقيدتهم لحمايتهم من الزوال، ولعل هذا الطرح وجد ما يقويه من فكر معتزلي متشدد سبق الإباضية إلى وادي مزاب فيما يخص تحريم الفن إلى جانب أن النازحين قد فرضت عليهم تقاليد معمارية صارمة التزموا بها.

1. بلحاج معروف، العمارة الإسلامية، مساجد مزاب...، مرجع سابق، ص: 261-262.

فإذا كان هذا هو التفسير لما آلت إليه الأمور في وادي مزاب فما سر غياب تلك الفنون من على جدران وعمائر قصر ورقلة، أم أن فكرة عدم تكرار ما يمكن أن يجلب للقصر أعداء قد تكررت في هذا القصر أيضا، خاصة ونحن نعلم أن المنطقتين ظلتا على اتصال وثيق.

وخارج هاتين المنطقتين نجد أن موضوع الفن والزخرفة على جدران المساكن قد نظرت إليه القصور كل من زاوية، حيث نجد تفاوتاً فيما بينها فعلى سبيل المثال نجد مساكن الأشراف بقصر القنادسة قد ذهبت بعيداً في هذا الشأن حيث تنوعت المواضيع والزخارف بين الهندسية والنباتية والكتائية، إلى جانب بعض المساكن في قصور توات، ولكن على العموم تميزت المساكن بالعزوف عن الفن.

الخاتمة

الخاتمة:

عاش الإنسان منذ العصور السحيقة إلى يومنا هذا وهو يسعى ويبحث عن مسكن يؤويه هو وعائلته، وفي بدايته اتخذ من الطبيعة وما صنعتها من كهوف ووفرته من حيود ومواد ترابية وخشبية مكانا لاستقراره ولأنها لم تفي بالغرض في ظل تعاظم الأخطار الطبيعية والوحوش الضارية، لجأ إلى بناء مساكن من الحجر والطين، وقد ساعده في ذلك ظهور المعادن، ولأن الإنسان لم يستقر في مكان واحد وعرفت حياته هجرات كبرى في كل الاتجاهات وفي القارات الثلاث تحت ظروف قاهرة وخلال أزمنة طويلة، وباختلاف هذه المسارات اختلفت بيئة كل شعب من الشعوب بين مناخ رطب، وماطر إلى شبه جاف، وجاف، فانعكس ذلك على شكل ومضمون عمارة كل واحدة منها، ولكن اتسمت في بدايتها بالبساطة والتكيف مع المعطيات المناخية لكل منطقة إلى جانب أخذها بعين الاعتبار الأخطار المحدقة وخزن المحاصيل.

ولأن الصحراء في شمال إفريقيا اتسمت بعمارة تميزت عما سواها خاصة بظاهرة القصور التي تتراوح بين القرى والمدن، وما احتوته من معالم أثرية لا نكاد نراها في غيرها من مناطق العالم الإسلامي، ورغم ذلك حافظت على مبادئ العمارة الإسلامية وتوجيهات المشرع وحفظ كل ذلك في عدد من المؤلفات ككتاب القسمة وأصول الأرضين، ومختصر العمارات وغيرها من أمهات المصادر الخاصة بفقهاء العمران، ولكن يطرح السؤال في أماكن أخرى من هذه القصور أين لم تصلنا كتب فقهية ولكن هناك تقاليد معمارية لا تختلف كثيرا عن نظيرتها في الصحراء، خاصة تلك الواقعة في الصحراء الجزائرية، وبالتالي فالأرجح أن تلك الفتاوى والنصوص تحولت بمرور الوقت إلى أعراف تقليدية حافظت عليها الأجيال تلو الأجيال، وهذا لا يعني وجود بعض الفوارق بين تلك المساكن وهو أمر طبيعي بالنظر إلى النسق التاريخي والارتباط الحضاري لهذه القصور وعلاقتها بأمهات الحواضر الإسلامية في مختلف أزمته.

تعد مدينة سدراثة الأثرية نقطة التقاء حضاري بين منطقتي وادي مزاب وقصر ورقلة لكن الأمر يختلف عند الخوض في عمارة مساكن كل منطقة، فعلى الرغم من غياب فكرة واضحة عن شكل مساكن سدراثة فإن مخططها اتسم بالانتظام ووجود فناء مركزي تتوزع حوله الفضاءات الأخرى، ومن الواضح أنه فضاء مكشوف بالنظر إلى اتساع مساحته وغياب الأعمدة والدعامات، ولعل هذا الأمر يعود إلى تأثيرات رافقت النازحين من تيهرت، فيما الأمر يختلف في مساكن المنطقتين المدروستين، والتي اتسمت بوجود فضاء مغطى يسمى وسط الدار وباللهجة المحلية يسمى أماس تدارت ، وبالتالي فالمسكن في كلتا المنطقتين منفتح نحو السماء ومنغلق عن المجال الخارجي، وهو تخطيط يستجيب للمناخ الصحراوي الحار والجاف.

جاء تصميم المسكن في قصر ورقلة على درجة أكبر من حيث الانتظام كما اتسمت بكبر المساحة، عكس مساكن وادي مزاب التي تميزت بمساحة أقل لا تتجاوز في أحسن الأحوال 100م²، إلى جانب عدم انتظامها ، وقد فرضت طبيعة الأرضية الصخرية نفسها على تخطيط المساكن ففي حين ساعدت على ذلك في ورقلة أعاقت بشكل كبير التحكم في تخطيط المساكن بوادي مزاب، وهذا يعني عدم وجود بعض المساكن ذات التخطيط غير المنتظم في قصر ورقلة بل هناك العديد منها وهذا نتيجة لتقسيم التركة وحقوق الارتفاق بين الجيران.

أما من حيث الشكل العام فأغلب مساكن وادي مزاب مؤلفة من طابقين وسطح، في حين تتألف أغلبها بقصر ورقلة من طابق وسطح، وربما قد ساعد توفر المساحة في هذا الأخير على التوسع أفقيا بدل التوسع عموديا كما هو الحال في وادي مزاب، وبطبيعة الحال انعكس تعدد الطوابق على عدد المرافق، فنجد أن عدد الغرف يزداد أكثر في وادي مزاب مقارنة بنظيرتها في قصر ورقلة، ولكن أهم نقاط الاختلاف بين المنطقتين تعود بالأساس إلى غياب الإيكومار في مساكن قصر ورقلة والتي تعني الرواق المسقوف والمحمول على الأعمدة والعقود ويفصل بين الغرف والفضاء المكشوف بالطابق الأول "تيغرغرت"، ففي مساكن قصر ورقلة تفتح الغرف

مباشرة على الفضاء المكشوف، في حين تعني كلمة إيكومار لدى سكان قصر ورقلة غرفة نوم الوالدين (الأم والأب).

لقد اتسمت واجهات هذه المساكن بالبساطة والغياب التام للفتحات باستثناء فتحات صغيرة على مستوى الطابق الأول والسطح، لغرض المراقبة والتهوية والإضاءة لبعض المرافق، وفي قليل من الحالات نجد نافذ أكبر بقليل تعلو المدخل الرئيسي في حال وجود غرفة استقبال الضيوف من الرجال "العلي" بالطابق الأول، وهي غرفة منفصلة تماما عن الفضاء الداخلي للمسكن وحتى الدرج المخصص لها نجده عند نقطة الدخول وفي أحوال أخرى يكون له باب مستقل بالواجهة.

تميزت المدخل الرئيسية لهذه المساكن بالمنطقتين بتلك العقود النصف الدائرية المصمتة، كما تميزت بوجود العتبة في أغلب مساكن قصور وادي مزاب وفي المقابل تغيب في أغلب مداخل قصر ورقلة، بالإضافة إلى وجود نظام قفل مشترك ساد كل القصور الصحراوية تقريبا، إلى جانب تنوعها بزخارف بسيطة تراوحت بين الزخارف الكتابية والرموز كاليد وغيرها ولكن تميزت في قصر ورقلة بوجود رمز تانيت المقلوب في أعلى المدخل.

ومن بين نقاط الاختلاف بين مساكن المنطقتين وجود غرفة مخصصة للعبد عند مدخل المسكن بقصر ورقلة في حين تغيب في مساكن قصور وادي مزاب، إلى جانب مواد البناء، والتي يغلب عليها استعمال مادة الطين في قصر ورقلة، في حين يغلب استعمال مادة الحجر في قصور وادي مزاب، في حين أن باقي المواد هي ذاتها في المنطقتين، ولكن في بعض الأحيان تغيب بعض التقنيات عن منطقة وتحضر في المنطقة الأخرى كاستعمال الكرناف في التسقيف، والذي اعتمدهت مساكن وادي مزاب في الكثير من الأحيان، كما أن الأساسات في مساكن هذه الأخيرة تعتبر شبه أساسات بحكم الأرضية الصخرية التي أسست عليها القصور وبالتالي عدم وجود حاجة ملحّة لها، في حين وعلى العكس من ذلك نجد أن أساسات مساكن قصر ورقلة أكبر وأعمق وبالتالي

فهي أساسات حقيقية بالنظر إلى أرضية التأسيس ذات الطبيعة المفككة والترسيبية وبالتالي الحاجة إلى الوصول للطبقة الصلبة لتثبيت المسكن.

وإلى جانب الاختلافات السابقة هناك اختلاف من نوع آخر يخص مصطلحات ومسميات هذه الفضاءات، فكثير من هذه التسميات تختلف أو حتى تؤدي معنى غير الذي تعنيه في المنطقة الأخرى، ومن بين تلك التسميات المحلية لدينا كلمة إيكومار وقد سبق الإشارة إليها، أو كلم تيزيفري التي لا وجود لها في قصر ورقلة، أو تسمية إمزراقن أو تيردوين التي لا وجود لها في منطقة وادي مزاب وغيرها.

أكثر ما يلفت الانتباه في أغلب مساكن المنطقتين وجود غرفة مخصصة لاستقبال الضيوف من الرجال في الطابق الأرضي تسمى حجرة سواء في ورقلة أو وادي مزاب، أو في الطابق الأول وحينها تسمى لعللي، وفي كل الأحوال تكون مفصولة عن الوسط الداخلي للمسكن وأهله، إلى جانب وجود مساحة انتقالية تفصل بين السقيفة ووسط الدار تسمى تاهزة أو تهجة مخصصة لاستقبال الضيفات من النساء ممن لهم حاجة بالرحى أو في زيارة على عجل، في حين هناك فضاء خصص لاستقبال النساء يسمى تيزفري بوادي مزاب ويسمى سلام بقصر ورقلة، يتسمان بكونهما أكبر الغرف في المسكن.

وقد غابت الزخرفة عن واجهة المساكن في كلتا المنطقتين سواء على مستوى الواجهة أو داخل المسكن، ففي الواجهة اقتصر الأمر في مساكن المنطقتين على استعمال بعض الرموز كراحة اليد والكتابات كبعض الآيات القرآنية أو سنة البناء، ولم يختلف المضمون إلا من حيث رمز تانيت الذي شاع استعماله في قصر ورقلة إلى وقت قريب والذي له أصول قرطاجية، أمّا بالنسبة لداخل المسكن تنعدم كل مظاهر الزخرفة في جميع الفضاءات والمرافق على عكس مساكن سدراته التي زينت جدرانها الداخلية بحليات زخرفية ذات مواضيع في الغالب هندسية، وكتابات كوفية.

وقفنا كذلك على استخدام مواد بناء محلية صرفة دون اللجوء لاستقدام مواد من خارج المنطقتين، وأكثر من ذلك نجد التشابه الكبير بينها باستثناء طغيان مادة على أخرى كما هو الحال مع الطين في ورقلة والحجارة في وادي مزاب ولكن مادة مثل التيمشنت أو التيمشمت الذي تعود جذور استعماله وتقنيات العمل به إلى سدراته، كانت قاسما مشتركا إلى جانب خشب النخيل التي لم يخلو منها مسكن من مساكن القصور الصحراوية عموما وقصور المنطقتين على وجه الخصوص.

نخلص في الأخير إلى أن المسكن التقليدي في قصور وادي مزاب وورقلة ظلت وفيه للعمارة السكنية في العالم الإسلامي بللتزامها بالتعاليم الدينية العرف التقليدي في البناء، ولكن في التفاصيل نجد اختلافا في كثير من الأمور كالتي سبق ذكرها والتوصل إليها من خلال الدراسة، ولكن وقفنا على حقيقة أن المسكن في المنطقتين قد أحدث نوعا من القطيعة على الأقل من حيث التخطيط مع مساكن سدراته في ظل صورة دقيقة لشكل المسكن الخارجي في هذه المدينة المنذرة، ولكن نجد أنفسنا أمام إشكال آخر حول أي من المساكن حافظ على الصورة الأصلية للمسكن التقليدي وأي منهما تطور، وفي تصورنا أن أهم تغيير واختلاف عرفته المساكن كان من حيث عدد الطوابق الذي يزيد في مزاب، و رواق الإيكومار في الطابق الأول لمساكن هذه الأخيرة وغيابه في مساكن قصر ورقلة، والحقيقة هي أنها أسئلة تحتاج إلى دراسات أخرى معمقة يمكن أن تصل إلى أجوبة شافية.



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع.

المصادر:

1. إبراهيم أعزام، غصن البان في تاريخ وارجلان، مخ. (نسخة مصورة).
2. إبراهيم مطياز، تاريخ بني مزاب، مخ. (نسخة مصورة).
3. أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تح. محمد عبد القادر الفاصلي، ط. 1، المطبعة العصرية، القاهرة، 2000.
4. أحمد بن يوسف أطفيش، الرسالة الشافية، مخ. (نسخة مصورة).
5. // // // ، ترتيب نوازل نفوسة، مخ. (نسخة مصورة)، مكتبة الشيخ صالح لعلي.
6. // // // ، مختصر العمارات، مخ. (نسخة مصورة).
7. الجاحظ، البخلاء، تح. طه الحاجري، ط. 5، دار المعارف، القاهرة.
8. // // // ، الحيوان، تح. عبد السلام هارون، ج. 5، مكتبة مصطفى البابي الحلبي.
9. الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر. محمد حجي، محمد الأخضر، ج. 2، ط. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.
10. الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، الأحكام السلطانية والولاية الدينية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
11. ابن حوقل، صورة الأرض، ليدن، مطبعة بريل، 1938.
12. // // // ، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1996.
13. ابن خلدون عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، ديوان المتبدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مر. سهيل زكار، ج. 1، و ج. 7، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000.
14. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تح. إحسان عباس، ج. 1، دار الثقافة، بيروت، 1968.
15. أبو زكرياء يحيى بن بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تح. إسماعيل العربي، الجزائر، 1979.

16. أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، تح. سعيد الفاضلي، وسليمان القرشي، مج. 1، ط. 1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2006.
17. الشريف الإدريسي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج. 1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، القاهرة.
18. صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، وهو مختصر معجم البلدان لياقوت، تح. علي محمد الجاوي، مج. 3، ط. 1، دار الجليل، بيروت، 1992.
19. أبو العباس أحمد الفرستائي، القسمة وأصول الأراضي، تح. محمد صالح ناصر، بكير بن محمد الشيخ بلحاج، ط. 2، المطبعة العربية، غرداية، 1997.
20. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تح. عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي، القاهرة، 1961.
21. أبو عبد الله محمد العقباني التلمساني، كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح. علي الشنوفي، مجلة الدراسات الشرقية للمعهد الفرنسي بدمشق، ج. 19، 1967.
22. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، كتاب الجغرافية، تح. محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.
23. أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء من من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
24. علي المحسن بن علي التنوخي، الفرج بعد الشدة، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1955.
25. كامي محمد بن أحمد، رياض القاسمين أو فقه العمران الإسلامي، تح. مصطفى أحمد بن حموش، ط. 1، دار البشائر، دمشق، سورية، 2000.
26. محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح. إحسان عباس، ط. 2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.
27. محمد عبد الحي الكتاني الفاسي، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ط. 2، تح. عبد الله الخالدي، ج. 2، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان.
28. مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، تح. نظر بن محمد الفاريابي، مج. 2، ط. 1، دار طيبة، 2006.
29. المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط. 2، ليدن، مطبعة بريل، 1906.

30. أبو الهلال العسكري، كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تح. عزة حسن، مج. 1، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، 1993.
31. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج. 5، دار صادر، بيروت، 1979.
32. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج. 1، بيروت، 1960.

المراجع:

1. إبراهيم بن يوسف، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، مطبعة أبو داود، الحراش، 1992.
2. إبراهيم محمد طلاي، المدن السبع في وادي ميزاب، جمعية التراث لبني يزقن.
3. // // // ، مزاب بلد كفاح: دراسة سياسية اجتماعية ، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1970.
4. أحمد مولود ولد أيده، الصحراء الكبرى مدن وقصور، ج. 1، طبع هذا الكتاب بدعم وزارة الثقافة الجزائرية في إطار المهرجان الإفريقي الثاني، 2009.
5. إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
6. إسماعيل تومي، العمارة والعمران في ظلال القرآن، بيت المعمارين العرب.
7. أندريه إيمار، جانين أوبوايه، تاريخ الحضارات العام، الشرق واليونان القديم، تر. يوسف أسعد وأحمد عويدات، مج. 1، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، 2006.
8. // // // ، تاريخ الحضارات العام، روما وامبراطوريتها ، تر. فريدم دغر، وفؤاد أبوريحان، مج. 2، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، 2006.
9. بكير سعيد أعوش، وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية: دينيا، تاريخيا، اجتماعيا ، المطبعة العربية، غرداية، 1991.
10. بلباس، ليوبولد وتوريس، الأبنية الإسبانية الإسلامية، تر. عليه إبراهيم العناني، مجلة المعهد المصري بإسبانيا، ع. 1، 1953.
11. بلحاج معروف، العمارة الإسلامية، مساجد ميزاب ومصلياته الجنائزية ، ط. 1، دار قرطبة، الجزائر، 2007.

12. ثروت عكاشة، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، تاريخ الفن العين تسمع والأذن ترى، ط. 1، دار الشروق، القاهرة، 1994.
13. جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج. 1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
14. جمعية القصر للثقافة والإصلاح وآخرون، ورقة واحدة عبر التاريخ، 200 صورة من المحفوظات، ورقة.
15. جميل عبد القادر أكبر، عمارة الأرض في الإسلام، مقارنة الشريعة بأنظمة العمران الوضعية، ط. 3، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1998.
16. جورج غيستر، الصحراء الكبرى، ط. 1، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1961.
17. أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، آداب البيوت في الإسلام، ط. 2، دار الصحابة للتراث بطنطا، 1991.
18. حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ط. 1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980.
19. حسن فتحي، الطاقة الطبيعية والعمارة التقليدية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط. 1، بيروت، 1988.
20. خالد سليم فجال، العمارة والبيئة في المناطق الصحراوية الحارة، ط. 1، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 2002.
21. دنيس بيلي، تاريخ ورقة: دراسة حول تسلسل الأحداث التاريخية، تر: علي يدر، ط. 2، دفاتر ورقة ر. 2، جمعية القصر للثقافة والإصلاح والمركز الثقافي للوثائق الصحراوية، 2010.
22. رشيد بليل، قصور قورارا وأولياؤها الصالحون في المآثور الشفهي والمناقب والأخبار المحلية، تر. عبد الحميد بورايو، ع. 3، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، 2008.
23. رفعت موسى محمد، الوكالات والبيوت في مصر العثمانية، ط. 1، الدار المصرية اللبنانية، 1993.
24. صالح يوسف بن قرية، مظاهر العمران الإسلامي من خلال كتاب القسمة وأصول الأرضين لأبي العباس أحمد بن محمد الفرستائي "عمران قصور وادي ريغ وميزاب نموذجاً"، أبحاث ودراسات في تاريخ وآثار المغرب الإسلامي وحضارته، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011.

25. عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط. 1، 2000.
26. عبد الأحد السبيتي، حليلة فرحات، المدينة في العصر الوسيط: قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الإسلامي، ط. 1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994.
27. عبد الباقي إبراهيم، تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مطبوعات الجامعة، بغداد.
28. عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ط. 1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2005.
29. عبد الرحمن حاجي، ورقلة تاريخ وحضارة، ج. 1.
30. عبد العزيز دوري، المؤسسات الحكومية، المدينة الإسلامية، تر. أحمد محمد تعلق، اليونيسكو-السيكوما/الفجر، 1983.
31. عبد القادر موهوبي، ومضات تاريخية واجتماعية: لمدن وادي ريغ وميزاب وورقلة والطيبات والعلية والحجيرات، دار البصائر، الجزائر.
32. عبد اللطيف واكد، حسن مرعي، واحات مصر جزر الرحمة وجنات الصحراء، ط. 1، دار الطباعة الحديثة، 1957.
33. عبد الله بن جيلاني السائح، صفحات من تاريخ ورقلة: منذ أقدم العصور حتى الاحتلال الفرنسي، بمساهمة ولاية ورقلة تحت إشراف مديرية الثقافة، دار هومه، بوزريعة، الجزائر، 2010.
34. عبد الله طواهرية، جامع التصنيف في أحوال حاضرة بني ونيف، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006.
35. عبد المجيد قدي، صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة، الجزائر.
36. العربي دحو، مدخل في دراسة الأدب المغربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988.
37. عفيف البهنسي، تاريخ الفن والعمارة، ج. 1، دار الشروق، دمشق، 2003.
38. // // //، العمارة عبر التاريخ، ط. 1، دار طلاس، 1987.
39. علي يحي معمر، الإباضية في الجزائر، صح. أحمد عمر أوبكه، ج. 2، المطبعة العربية، غرداية.
40. عمر لقمان بن حمو سليمان بوعصبانة، معالم الحضارة الإسلامية بوجلان 909م/1229م، بمساهمة ولاية ورقلة تحت إشراف مديرية الثقافة، دار غرناطة للنشر والتوزيع، باب الوادي، الجزائر، 2010.

41. فريد الشافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية عصر الولاية ، مج. 1، الهيئة المصرية للنشر والتأليف، 1970.
42. مارمول كرنجال، إفريقيا، تر. محمد حجي وآخرون، ج. 3، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار نشر المعرفة، الرباط، 1988-1989.
43. محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفنيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003.
44. // // // مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003.
45. محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة الأثرية - دراسة معمارية أثرية، دار الحكمة، طبعة في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.
46. محمد المنوني، حضارة الموحدين، ط. 1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1989.
47. محمد الهادي الشريف، ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس ، تر. محمد الشاوش، محمد عجينة، ط. 3، دار سراس للنشر، تونس، 1993.
48. محمد بن حمو، العمران والعمارة من خلال نوازل الونشريسي ، في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، كنوز للإنتاج والنشر والتوزيع، تلمسان، الجزائر، 2011.
49. محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988.
50. محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج. 3، ط. 1، دار إحياء الكتب العربية، 1963.
51. محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160هـ / 296هـ، ط. 2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987.
52. محمد نادر العطار، همراء غرناطة وفن الحدائق عند العرب، مجلة عصور، مج. 2، ع. 3، 1987.
53. محمد ناصر، الشيخ القرادي حياته وآثاره "الفن المعماري بميزاب الحلقة الأولى" ، نشر جمعية النهضة العطف، 1990.
54. مدثر عبد الرحيم، المؤسسات القضائية، المدينة الإسلامية، تر. أحمد محمد تعلق، اليونيسكو - السيكومور/الفجر، 1983.
55. مصطفى بن حموش، جوهر التمدن الإسلامي، دراسات في فقه العمران ، ط. 1، دار قابس، بيروت، لبنان، 2006.

56. نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية لمنطقتي توات الوسطى والقورارة بين ضوابط النص الديني وحدود الواقع، ط. 1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2013.
57. نيكيثا اليسيف، التخطيط المادي، المدينة الإسلامية، تر. أحمد محمد تعلق، اليونيسكو - السيكومور/الفجر، 1983.
58. وزارة الأخبار، الفن المعماري الجزائري، سلسلة الفن والثقافة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع مطبعة التاميرا، مدريد، إسبانيا، جوان 1970.
59. يسرى الجوهري، شمال افريقية، دار الناشر الجامعي، الإسكندرية.
60. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، المطبعة العربية، غرداية، 1992.

المذكرات والرسائل الجامعية:

1. بلحاج طرشاوي، العمارة الإسلامية أصولها الفكرية وأسسها الثقافية والبيئية من خلال بعض النماذج، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في الفنون، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية 2007/2006.
2. بلحاج معروف، العمارة الدينية الإباضية بمنطقة وادي ميزاب، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ العمارة الإسلامية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية مارس 2002.
3. صالح اسماوي، نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة (تاريخ)، الجزائر، 1986.
4. علي حملاوي، قصور منطقة جبال عمور (السهل الجنوبي) من القرن 16-19م دراسة تاريخية أثرية، رسالة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2000، ص: 198-199.
5. عليق ريحة، قصر ملوكة بأدرار (إقليم توات): دراسة تاريخية أثرية، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2001-2002.
6. فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، أطروحة دكتوراه الدور الثالث في التاريخ، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 1977، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

7. محمد التريكي، خالد بوزيد، ميزاب بين الماضي والحاضر: المعمار والممارسة الاجتماعية ، رسالة دكتوراه الدرجة الثالثة، المعهد التكنولوجي للفنون والهندسة المعمارية، تونس، دورة جوان 1989.
8. محمد جودي، واجهات مساكن قصور سهل وادي مزاب: دراسة تنميطية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار والمحيط، قسم علم الآثار، جامعة تلمسان، 2006-2007.

المجلات والدوريات:

1. إحسان عباس، "مصادر ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد"، مجلة الأصالة، ع. 41، الجزائر، 1971.
2. بوطارن مبارك، خلف محمد نجيب، "الدور التجاري لمدينة ورقلة في العصر الوسيط" ، حوليات مخبر التاريخ والجغرافيا، مجلة علمية محكمة، ع. 2، بوزريعة، الجزائر، 2008.
3. خالد ناصر محمد باراشد، "مواد البناء المحلية في وادي حصرموت - دراسة تحليلية"، هندسة معمارية، حصرموت للدراسات والبحوث، مج. 2، ع. 2، 2002.
4. سليمان محمود حسن، "الزخارف الجصية على البيوت التقليدية بالمخلاف السليمانى المملكة العربية السعودية"، المأثورات الشعبية، مجلة فصلية، ع. 63، تصدر عن مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، الدوحة، قطر، 2001.
5. طرشاوي بلحاج، "تأثير العوامل المناخية على العمارة"، مجلة منبر التراث الأثري، ع. 1، تصدر عن مخبر التراث الأثري وتتمينه، جامعة تلمسان، 2012.
6. عبد الكريم عزوق، "دراسة نموذجية لبعض المباني بقصر ورقلة" ، آثار: مجلة علمية تعنى بالآثار والتراث، ع. 6، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007.
7. مبروك كوارى، "القصور في الجنوب الغربي، العمارة وغط الحياة" ، مجلة الأثر، تصدر عن مديرية الثقافة لولاية بشار، ع. 2، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، 2008.
8. محمد الطيب عقاب، "قصر تاغيت الأثري"، حوليات المتحف الوطني للآثار، ع. 15، مطبعة سومر، الجزائر، 2005.
9. المهدي البو عبدلي، " لمحات من دور الدولة الرستمية في ميادين الحضارة والفكر لبعض الباحثين القدامى والمتأخرين"، مجلة الأصالة، ع. 41، من تاريخ ورقلة - سدراته، بمناسبة انعقاد المنتدى 11 للفكر الإسلامي بها، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، 1977.
10. مولاي بلحميسي، "ورقلة من خلال النصوص الأجنبية"، مجلة الأصالة، ع. 41، الجزائر، 1971.

11. يحيى وزيري، "العمارة الإسلامية والبيئة: الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي"، عالم المعرفة، ع. 304، مطابع السياسة، الكويت، 2004.

الملتقيات والمؤتمرات:

1. بكير بن يحيى، "التشريع والفكر العمراني"، العمارة والعمران الإباضي بوادي ميزاب، ملف حول الأيام الدينية الخامسة المنعقدة بالعالية، جمعية الاستقامة، مطبعة تقنية الألوان، الجزائر، 1990.
2. تالوين رفيق، "التراث المعماري في وادي ريغ - قصر تمرنة القديمة نموذجاً"، الملتقى الوطني الأول حول التراث الثقافي حفظ المعالم والقطاعات المحفوظة، مديرية الثقافة لولاية الوادي، ط. 1، مزوار للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي، 2008.
3. تلمساني بن يوسف، "دراسة وصفية اجتماعية لوحدة ورقلة من خلال تقرير فرنسي"، ملتقى حول التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية مقاومة الشريف بوشوشة، في إطار الذكرى السابعة والثلاثون للانتفاضة التاريخية بورقلة، فيفري 1999، مديرية الثقافة لولاية ورقلة، 1999.
4. جمال قسوم، "الطراز المعماري لقصور وادي ريغ"، الملتقى الوطني الأول حول التراث الثقافي حفظ المعالم والقطاعات المحفوظة، مديرية الثقافة لولاية الوادي، ط. 1، مزوار للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي، 2008.
5. سيد عباس علي، "أثر البعد البيئي على تخطيط المدن والعمارة الإسلامية"، مؤتمر الأزهر الهندسي الدولي التاسع، ج. 2، أبريل 12-14، 2007.
6. صالح اسماوي، "العطف"، محاضرة أقيمت بملتقى في قسنطينة، 1989.
7. عدنان هزاع البياتي، "مدينة نينوي: بين عبقرية البناء وكفاءة الأداء"، إنقاذ الرصيد الحضاري بالمدن الأصلية المغاربية والمراكز القديمة بفرنسا، منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، الملتقى الثقافي 8، 1995.
8. محمد بنعلي، "المدينة العتيقة والتحويلات الاجتماعية والعمراني"، نموذج حي القصبة بطنجة"، منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، إنقاذ الرصيد الحضاري بالمدن الأصلية المغاربية والمراكز القديمة بفرنسا الملتقى الثامن، 1995.

التقارير والوثائق:

1. ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، التبليط بالحجارة: دليل التبليط التقليدي بالحجارة المحلية.
2. // // // ، العمارة الترابية، دليل مختصر للعمارة الترابية بوادي ميزاب، غرداية، الجزائر، 2010.
3. // // // ، المسكن التقليدي وعراف العمران بالقطاع المحمي لوادي مزاب ، غرداية، الجزائر.
4. // // // ، تقرير عن الديوان ومهامه، غرداية.
5. // // // ، تقرير عن الديوان ومهامه، غرداية.
6. // // // ، ملف تصنيف قصر المنيعه ضمن المعالم التاريخية، أرشيف الديوان، جوان 1994.
7. مختار قرميدة، المساكن التقليدية بوادي ميزاب: دراسة فنية معمارية ، ديوان حماية وادي ميزاب وترقيته، غرداية، 2001.

القواميس والمعاجم والموسوعات:

1. عاشور شرفي، القاموس الموسوعي: معلمة الجزائر، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.
2. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، رت. ووث. خليل مأمون شبيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2009.
3. محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعُلوم ، تح. علي دحروج، تر. عبد الله الخالدي، وجورج زيناتي، سلسلة موسوعات المصطلحات العربية والإسلامية، ج. 1، ط. 1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1996.
4. مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية ، ج. 2، (طبع في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية)، دار الحكمة، الجزائر، 2007.
5. المنجد في اللغة والأعلام، ط 21، دار المشرق، بيروت، 1986.
6. ابن منظور، لسان العرب، مج. 13، دار صادر، ط. 1، بيروت، 1992.

1. المرسوم التنفيذي رقم 05-209 المؤرخ في 26 ربيع الثاني 1426هـ الموافق لـ 04 جوان 2005

المراجع والمصادر بالفرنسية:

المراجع:

1. Abderrahmane Chorfi, **Habitat rurale du Maroc, Morphologie des types d'Habitat et évolution**, Maghreb : Architecture, urbanisme, patrimoine, tradition et modernité, Edition Publisud, Paris, 1991.
2. Abdesmad Zaied ; **Le monde des Ksours du Sud Tunisien**, 2ème édition, Centre de Publication Universitaire, 2006.
3. Abdlekader Khelifa ; **Villes du Sahara d'Algérie en Mutations « Ksars d'hier, villes d'aujourd'hui »**, Penser la ville- approches comparatives, Khanchela, Algérie.
4. Brahim Benyoucef; **Le M'Zab, espace et société**, Imprimerie Abou Daoud, Alger, 1991.
5. C. et P. Donndieu, Didillon H. et J. ; **Habiter le Désert, les maisons Mozabites**, 3^{eme} édition, Pierre Mardage, Bruxelles, 1986
6. Claude Pavard; **Lumière du M'Zab**, Edition DELROISSE. Paris. France.
7. Colomieu V.; **Voyage dans le Sahara Algérien de Géryville à Ouargla**, le Tour du Monde, 1863.
8. Commandant Godard ; **L'Oasis moderne, essai d'urbanisme saharien**, la maison des livres, Alger, 1954.
9. Coudreau Henri; **Le pays d'Ouargla et le peuple de l'Afrique**, Hartman, Paris, 1881.
10. Daumas, **Le Sahara Algérien**, Étude géographiques, statistiques et historiques sur la région au sud des établissements Français en Algérie, Paris, 1845.
11. E. F. Gautier ; **Le Sahara**, Payot, Paris, 1923.
12. Equipe Mita ; **Le trace géométrique comme mode de lecture des Ksour, cas ksar de Taghit**, Maghreb : Architecture, urbanisme, patrimoine, tradition et modernité, Edition Publisud, Paris, 1991.

13. Ernest Mercier; **Histoire de l'Afrique septentrionale:** (Bérberie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête Française, Tome 2, ERNEST LEROUX éditeur, Paris, 1868.
14. Georges Marçais; **L'Urbanisme musulman**, in Mélange d'histoire et d'archéologie de l'Occident musulman, Paris, 1957.
15. Hassan Fathi ; **Construire avec le peuple histoire d'un village d'Egypte**, Gourna 4^e, Sindbad, Paris, 1985.
16. J. C. Echallier ; **Villages désertés et structure agraires anciennes, le cas du Gourara et du Touat**, Arts et Métiers Graphiques, Paris, 1972.
17. J. Delheure ; **Vivre et mourir a Ouargla « Tameddurt t-tmenttant Wargren »**, Etudes ethno-linguistique Maghreb-Sahara, Université de Provence 7, SELAF, Paris, 1988.
18. Jean Despois ; **Le Djbel Amour**, Presses Universitaires de France, Paris, 1957.
19. Jean Lethielleux ; **Ouargla cité saharienne : des origines au début du XX^e Siècle**, Documents d'Histoire Maghrébine-Vol. IV, Collection dirigée par Chantal de la Véronne, Librairie Orientaliste Paul Geunthner, Paris, 1983
20. Jean-Léon l'Africain; **Description de l'Afrique**, Nouvelle édition traduite par de l'Italien par A. Epaulard, Adrien-maisneuve. Edition Paris-VI.
21. Jean-Loïc Le Quellec; **Maison du Sahara, Habiter le désert**, Edition hazan, Paris, 2006.
22. L. Balout ; **Préhistoire de l'Afrique du nord**, arts et métiers graphiques, Paris, 1955.
23. L. Général De Beylie ; **L'Habitation Byzantine**, Recherche sur l'architecture civile des byzantins et son influence en Europe, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1902.
24. L. Voinot ; **Le Tidikelt**, B. S. G. A. O, 1905.
25. Marcel Mercier; **La civilisation Urbaine au M'Zab. Ghardaïa la mystérieuse**. Editions P et G. SOU BIRON. Alger. 1932.
26. Marth et Edmond Gouvion ; **Kharidjisme : Monographie du M'zab**, imprimerie Vigie Marocaine, Casablanca, 1926
27. Michel Van der Meerschen ; **Les Médinas Maghrébines**, UNESCO.
28. Pierre Donnadieu et autres; **Habiter le désert. Les Maisons Mozabites**. Recherches sur un type d'architecture traditionnelle présaharienne: Architecture + Recherches / Edition Pierre Mardaga, Bruxelles. 1977.

- 29.R. Capot. Rey ; **Greniers domestiques et greniers fortifiés au Sahara : Le cas du Gurara**, I.R.S, XIV, 1956.
- 30.Rachide Sidi Boumedine et autres ; **le Sahara, des cultures et des peuples**, vers une stratégie pour un développement durable du tourisme au Sahara dans une perspective de lutte contre la pauvreté, UNESCO, Paris, 2003.

المذكرات والرسائل الجامعية:

1. Chaouche-Bencherif Meriama ; **La Micro-urbanisation et la ville-oasien ; une alternative à l'équilibre des zones arides pour une ville durable cas du Bas-Sahara**, Mémoire de doctorat en Sciences, Département d'Architecture et d'Urbanisme, Université Mentouri, Constantine, Algérie, 2005-2006.
2. Haoui Samira; **Pour la préservation des architectures ksouriennes en terre crue : cas de Timimoune**, mémoire de magistère, Ecole Polytechnique d'Architecture et d'Urbanisme, Septembre 2001.

المجلات والدوريات:

1. A. De C. Motylinski ; « **Guerara depuis sa fondation, Notes historiques sur le Mزاب** », Revue Africaine, Vol. 28, A. Jourdan, libraire-éditeur, Alger, 1884.
2. Berbrugger, « **Les Romains dans le sud de l'Algérie, observations archéologique sur les Oasis méridionales du Sahara Algérien (MZAB)** », Revue Africain, n° 10, 1858.
3. Chaouche Ben cherif ; « **Tougourt ou la dynamique d'une ville aux sept Ksour** », Science et technologie D- N° 28, Décembre 2008.
4. Charles Feraud ; « **Ben-Djellab : Sultan de Tougourt** », Revue Africaine, Vol 30, A. Jourdan, libraire-éditeur, Alger, 1886.
5. F. Elie de la Primaudaie ; « **Le commerce et la navigation de l'Algérie** », Revue Algérienne et Coloniale, Juin 1860.
6. G. Aumassip et autre ; « **Aperçu sur l'évolution du paysage et le peuplement de la région de Ouargla** », Libyca, T. 20, 1972.
7. Georges Marçais ; « **Les origines de la Maison Nord-Africaine** », Cahiers des Arts et des Techniques d'Afrique du Nord, N° 7, 1974.

8. M. Ville ; « **Notice géographique sur le pays des Beni-Mزاب** », Bulletin de la Société Géologique de France, Tome 16, 2ème série, 1858-1859, Imprimerie de L. Martinet, Paris, 1859.
9. Naima Fezzioui, Belkacem Draoui « **Aspect thermique dans la conception architecturale du Ksar de Kenads** » مجلة الأثر، ع. 2، تصدر عن مديرية الثقافة لولاية بشار، دار الهدى للنشر والطباعة، عين مليلة، 2008
10. P. Masson ; « **Serrure Mozabite** », La Nature, Imprimerie LARCHE, Paris.
11. Sparsa Colligo ; « **Ben-Djelab sultans de Tougourt** », Revue Africaine, Volume 23, A. JOURDAN, Libraire-éditeur, Alger, 1879.
12. Yasmine Terki ; « **Des Architectures de Terre** », La Revue de l'Habitat, revue d'information du Ministère de l'Habitat et de l'Urbanisme, N° 5, Mai 2010.
13. Yves Bonete ; « **Contribution a l'étude de l'Habitat au M'Zab** », Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord, n° 5, 1959.

الملتقيات والمؤتمرات:

1. Abderrahmane Moussaoui; **L'habitat oasien: espace et société**, « Living in Deserts : Is a sustainable urban design still possible in arid and hot regions », Ghardaia, 9-12 December, 2006.
2. M. V. Berchem ; **La découverte de Sedrata, Ouargla, Sahara Algérien 1950-1951**, Proceedings of the 22nd congress of Orientalists, Istanbul, September, 15th to 22nd, 1951, Leiden 1957.
3. Mahrour Kaci ; « **L'Aghem, Ighamawen** » ag « **Tilghemt** » i « **Tamezgha** », Colloque Nationale : La permanence de l'architecture Amazighe et l'évolution des cites en Algérie, 21-23 Avril 2003, Ghardaia.
4. Muhammad Hassen ; **Les Ribat du Sahel d'Ifriqiya, peuplement et évolution du territoire au moyen âge**, CASTRUM 7, Colloque international: Zones côtières littorales dans monde Méditerranéen au moyen âge : défense, peuplement, mise en valeur, Rome, 23-26 octobre 1996.
5. Muhammad Hassen ; **Village et habitations en Ifriqiya au Bas Moyen âge. Essai de typologie**, CASTRUM 6, Maisons et espaces domestiques dans le monde méditerranée au moyen âge, Rome, 2000.

6. S. Kitous et autres ; **Pour un Urbanisme Climatique des Villes : cas de la Vallée du M'Zab**, Living in Deserts : Is a sustainable urban design still possible in arid and hot regions, Ghardaia, Algeria, 9-12 Decembre 2006.

التقارير والوثائق:

1. C. Trumelet ; **Les Français dans le désert**, Journal d'une expédition aux limites du Sahara, GARNIER frère, libraires-éditeurs, Paris, 1863.
2. Euromed Héritage ; **Maison de la vallée du M'Zab-Algérie**, Architecture Traditionnelle Méditerranéenne, CORPUS, 2001.
3. Guy Bisson ; **Deux Maisons a Beni-Isguen (M'Zab)**, Étude comparative, Archive OPVM.
4. OPVM ; **La Chaux : Matériau de construction et de restauration**, Ghardaïa, Algérie.

المراجع الإلكترونية:

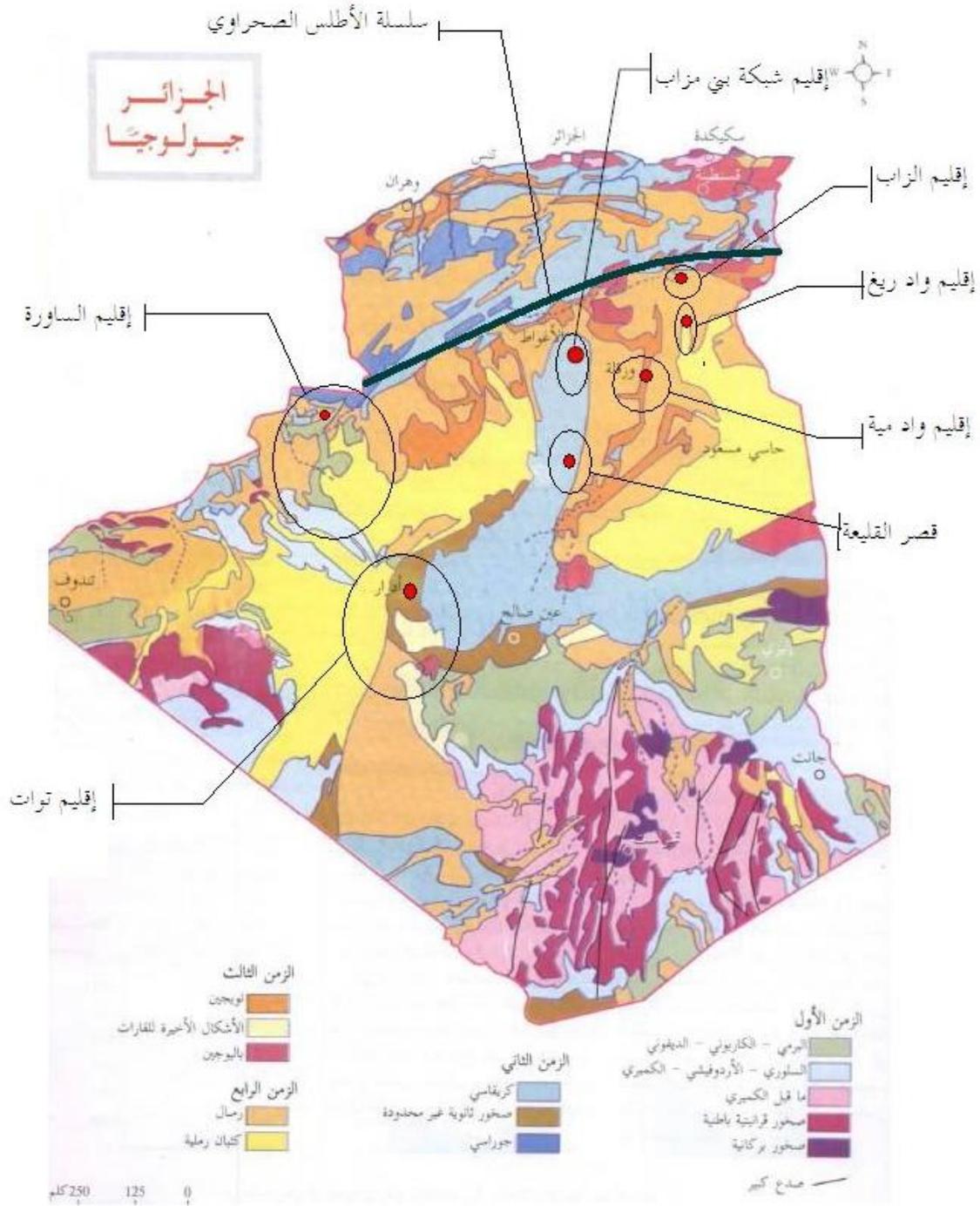
- المهندس السعدي، البيوت في العمارة الإسلامية : <http://www.m3mary.com>
- عمر عبيد حسنه، أسس تخطيط وعمارة المدن الإسلامية : <http://www.islamweb.net>
- نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية بإقليم توات "القصر أممؤذجا"، دورية كان التاريخية، ع. 15، مارس
- www.kanhistorique.org 2012
- Sariane Mounir, Beztout Mohamed; **Les Ksour**
http://www.algeria.strabon.org/portal/article.php?id_article=16
- <http://aytghighuc.maktoobblog.com>

الملاحق

ملحق الأشكال

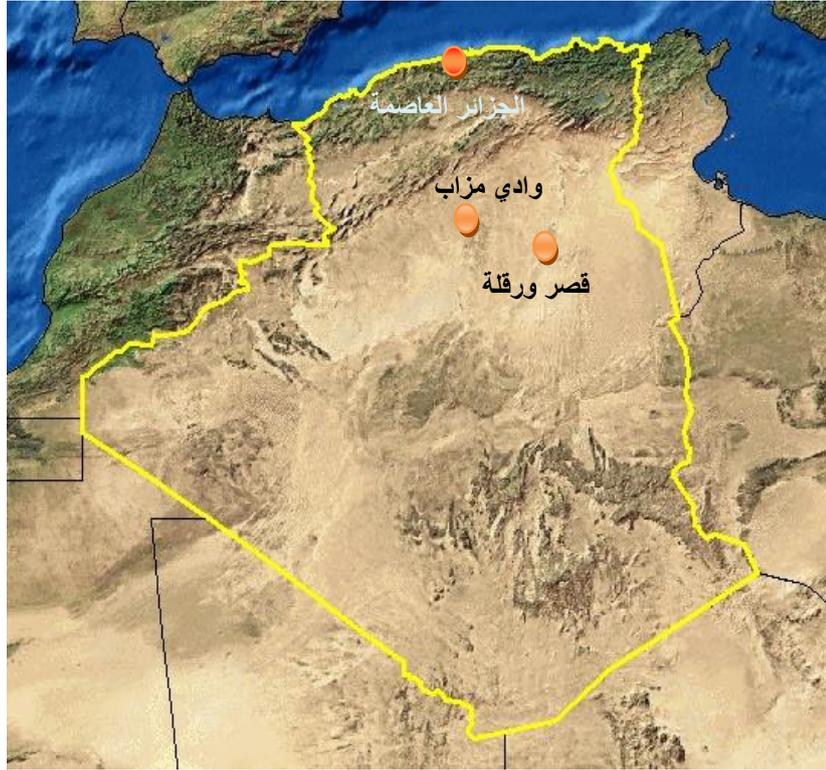


الشكل رقم (01): الخارطة الطبيعية للجزائر - عن:
www.mosafron.com

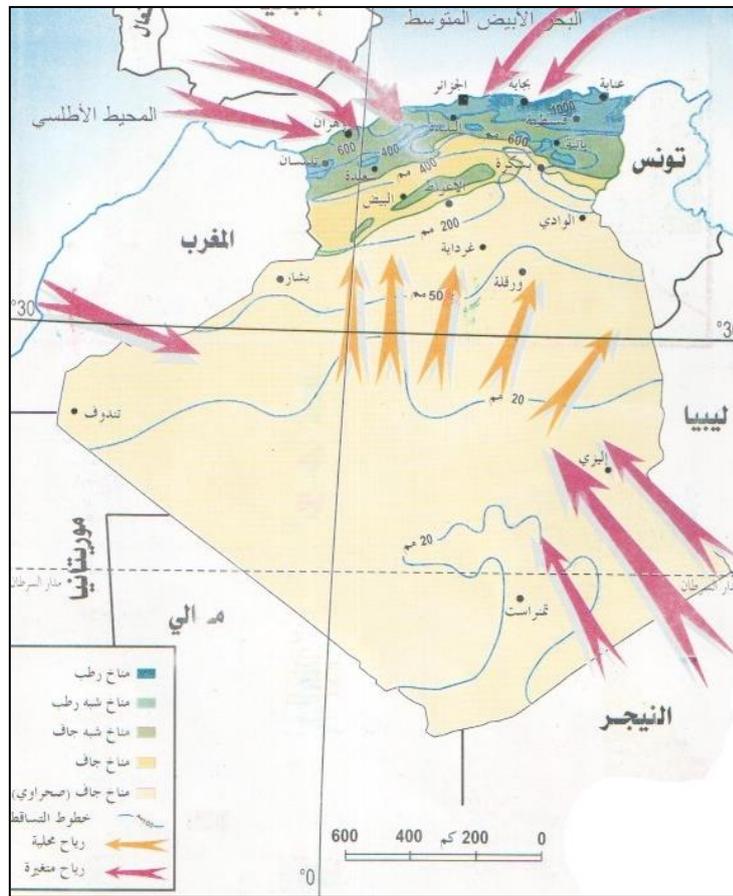


الشكل رقم (02): الخارطة الجيولوجية للجزائر وتوزيع الأقاليم الصحراوية بها- عن:

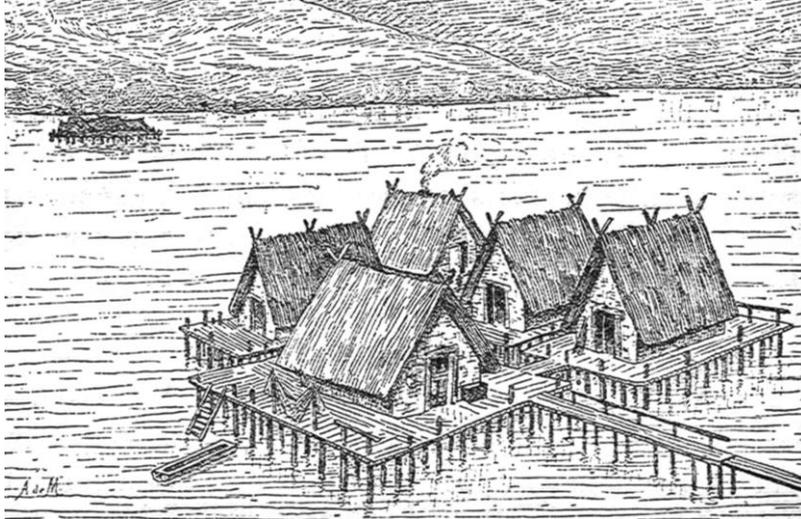
(سمير بو ريمة) بالتصرف



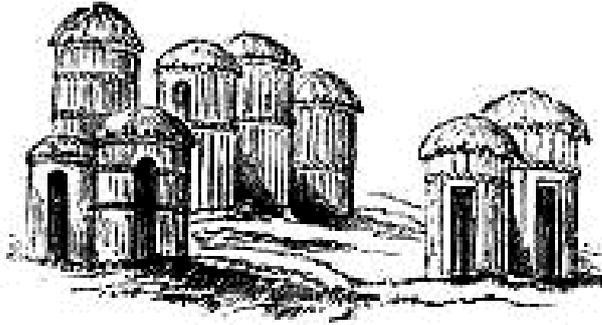
الشكل رقم (03): الخارطة الطبوغرافية للجزائر وموقع عينات الدراسة بها - عن: *(google earth)* بالتصرف



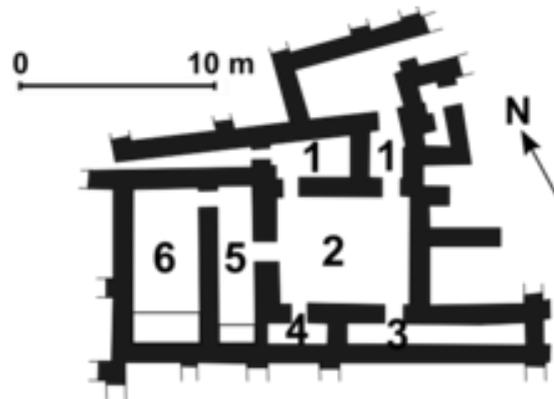
الشكل رقم (04): مناخ الجزائر والإقليم الصحراوي - عن: (مكتبة الزيتونة)



الشكل رقم (05): البيوت المبنية على أوتاد مغروسة في البحيرات عن:
(Adrien de Mortillet)

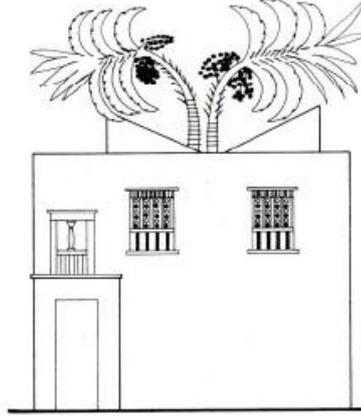
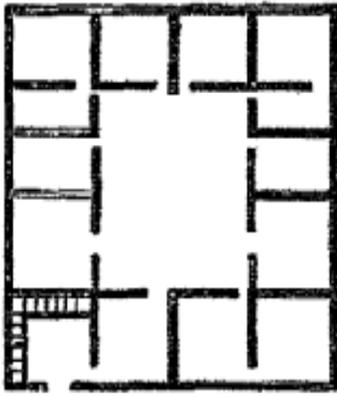


الشكل رقم (06): بيوت الفلاحين المسماة الماباليا بنوميديا عن:
(Anthony Rich)

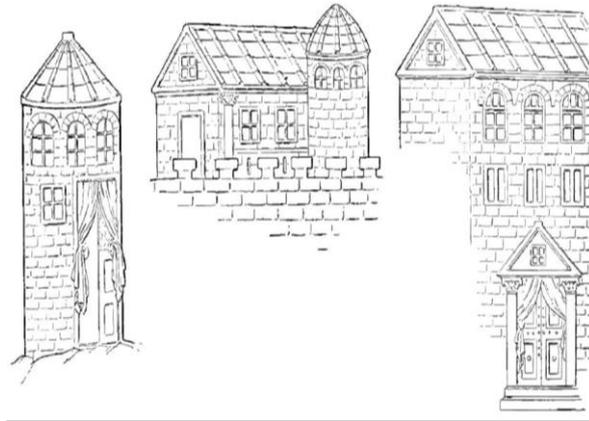
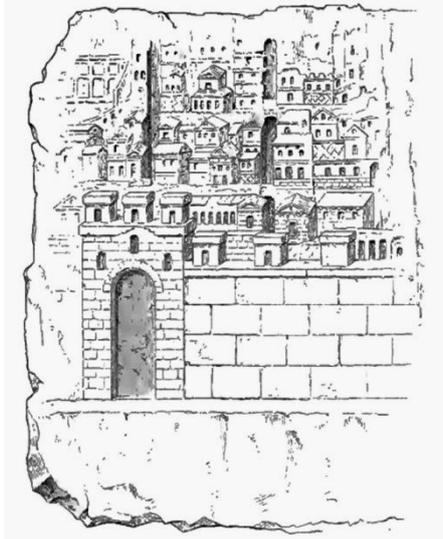


1. قاعات . 2. فناء مركزي . 3. ممر للدراج . 4. خزان الماء . 5. غرفة استقبال أو سكن . 6. غرفة عبادة أو سكن

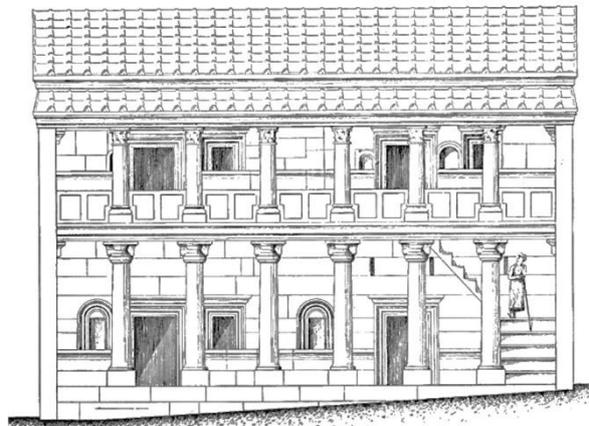
الشكل رقم (07): مسكن يعود للحضارة الرافدية - مدينة أور عن:
(L. Woolley et M. Mallowan)



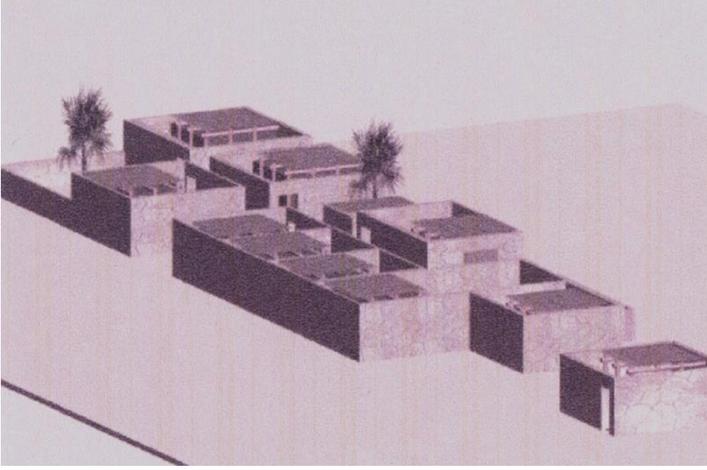
الشكل رقم (08) (09): مسكن نب-آمون. الحضارة الفرعونية بمصر (الواجهة) ومقطع أفقي لأحد المساكن لنفس الفترة عن: (حسن فتحي) و (G. MASPERO)



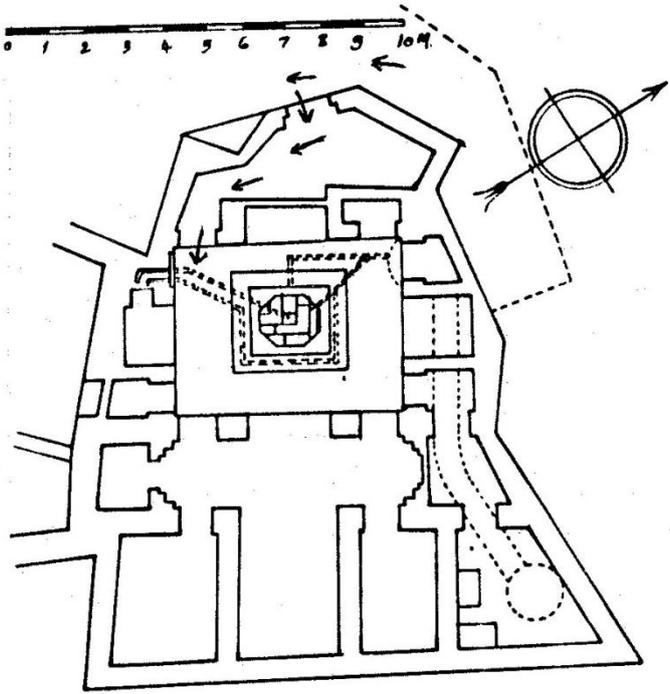
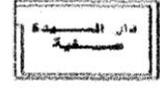
الشكل رقم (10) (11): المسكن الروماني عن: (Charles GARNIER)



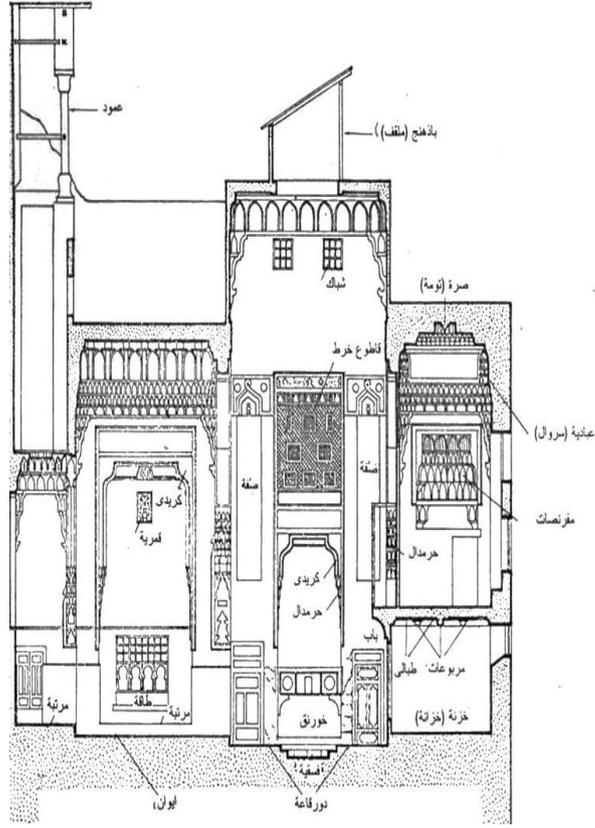
الشكل رقم (12) (13): المسكن البيزنطي عن: (Charles GARNIER)



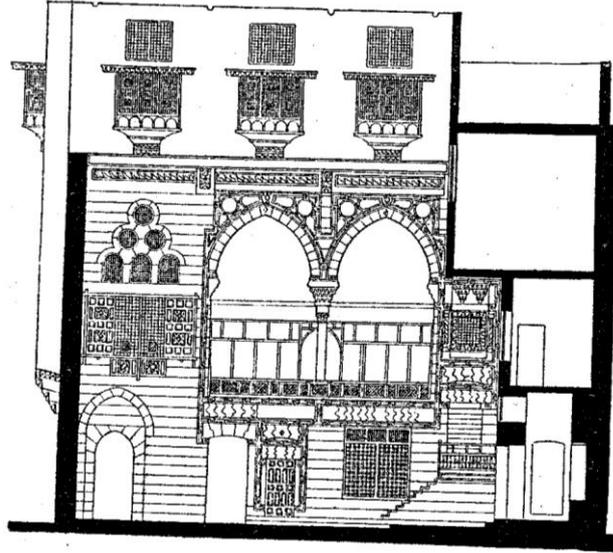
الشكل رقم (14) (15) : مخطط أفقي لحجرات الرسول صلى الله عليه وسلم، وإعادة بناء بتقنية 3D عن: (حفصة العمري، أنوار مشعل الغبشة)



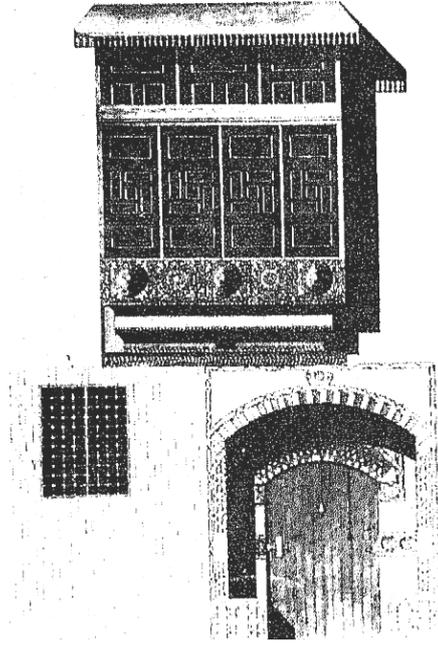
الشكل رقم (16) : مسقط أفقي لأحد المساكن بجفائر الفسطاط عن: (علي بيجت)



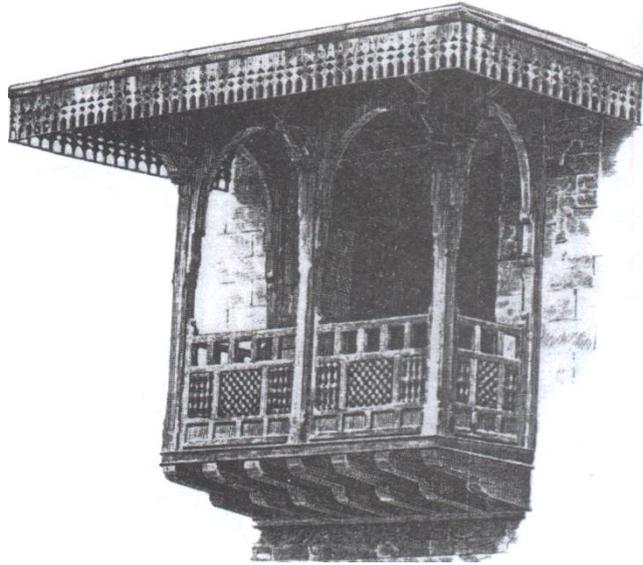
الشكل رقم (17): مقطع رأسي لمسكن وقف الحرمين بالقاهرة (مندثر) عن:
(ولفرد جوزف دلي)



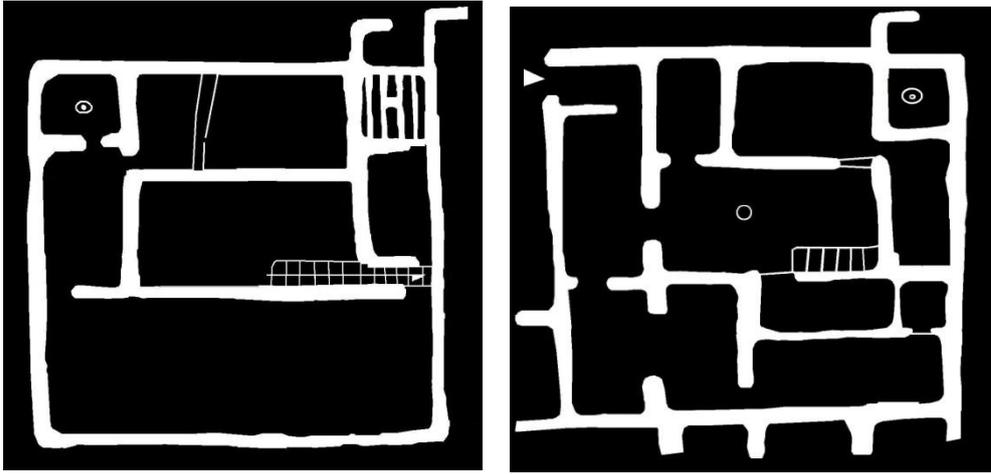
الشكل رقم (18): مقطع رأسي لمسكن بالقاهرة عن:
(The Royal Institute of British)



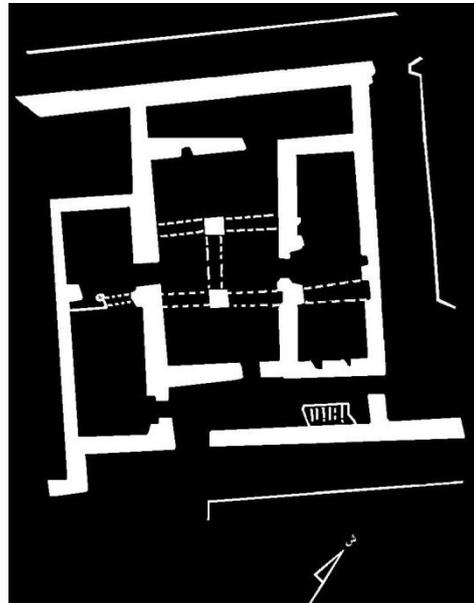
الشكل رقم (19): بيت السناري - مصر المدخل الرئيسي والمشربية عن:
(ثروت عكاشة)



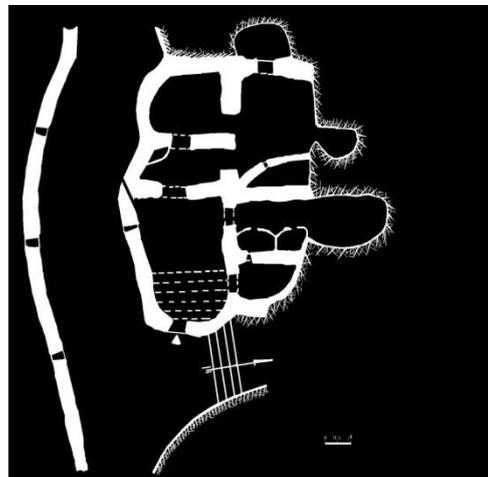
الشكل رقم (20): رف خشبي بواجهة المسكن عن:
(عاصم محمد رزق)



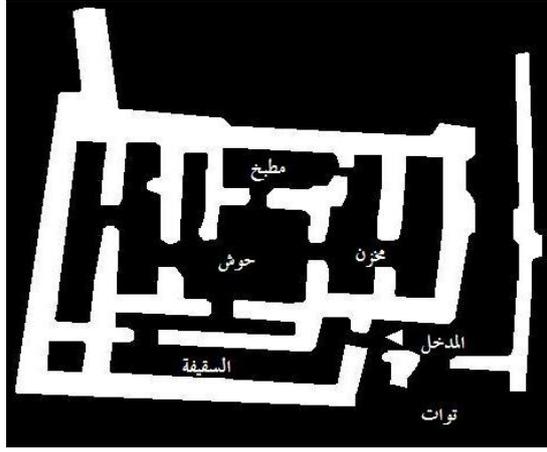
الشكل رقم (21) (22): مخطط أفقي للطابق الأرضي والأول بمسكن في قصر تمنطيط عن:
(بلحاج ميلود) بالتصرف



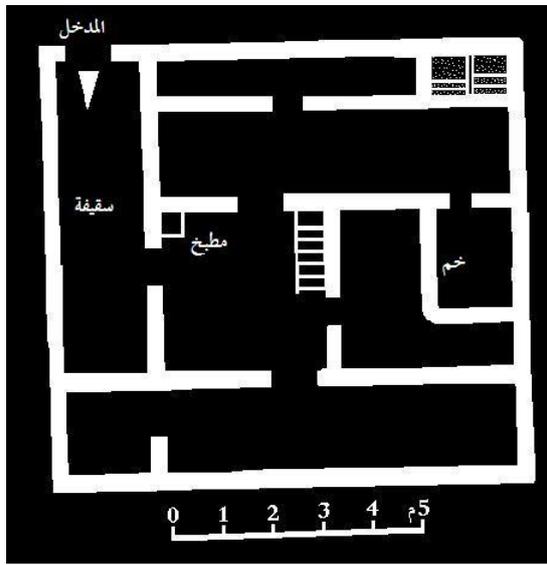
الشكل رقم (23): مخطط أفقي لمسكن من دعامتين بقصر القنادسة عن:
(محمد الطيب عقاب) بالتصرف



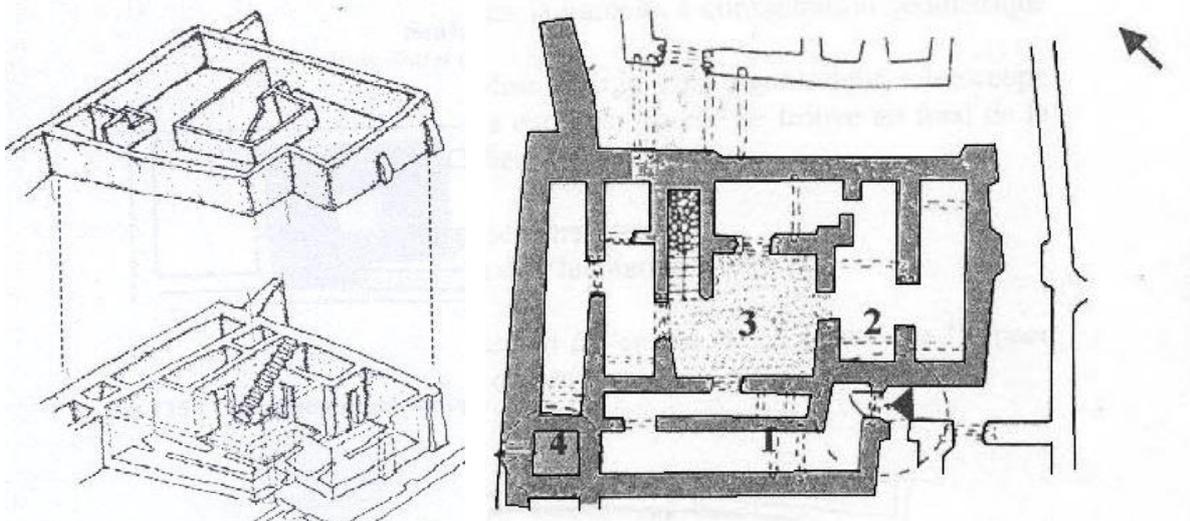
الشكل رقم (24): مخطط أفقي لمسكن بقصر المنيعه عن:
(OPVM) بالتصرف



الشكل رقم (25): مخطط أفقي لمسكن بمنطقة توات عن:
(فاطمة جلجال) بالتصرف

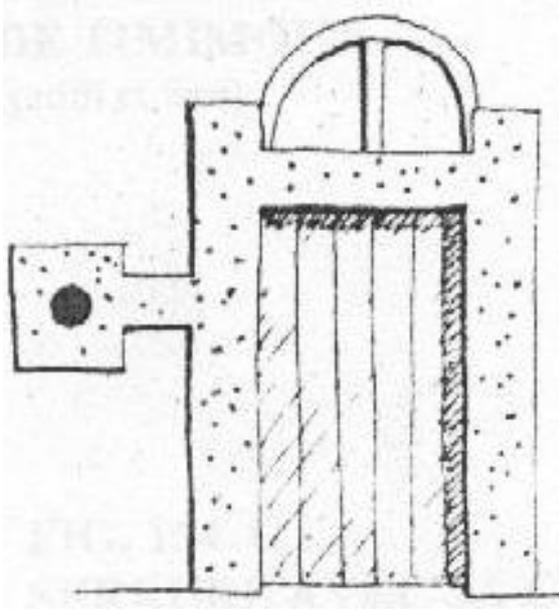


الشكل رقم (26): مخطط أفقي لمسكن ثاني بمنطقة توات عن:
(فاطمة جلجال) بالتصرف

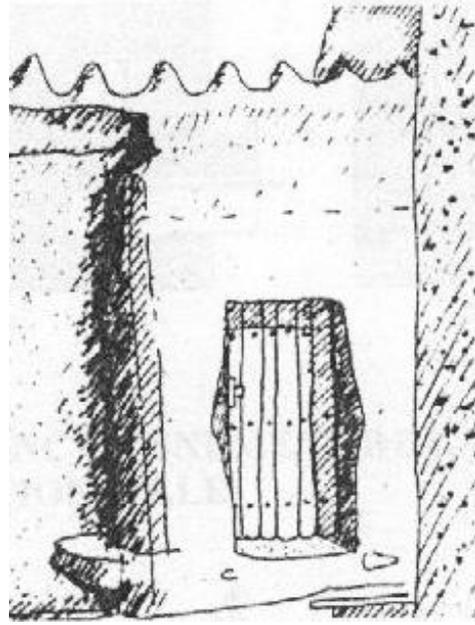


1. سقيفة مزدوجة 2. مخزن 3. فناء 4. الكنيف

الشكل رقم (27): مخطط أفقي لمسكن آخر بمنطقة توات ومنظور ايزومتري عن:
(حاوي سميرة) بالتصرف



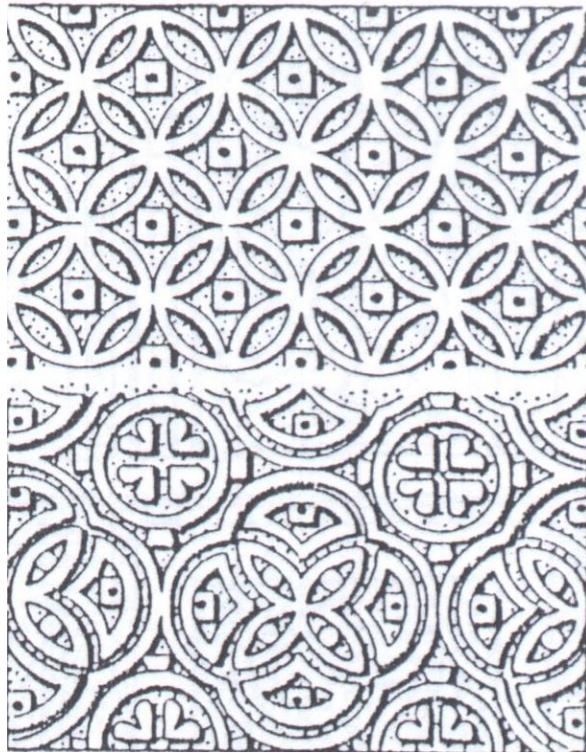
مدخل بتمنطيط



مدخل تميمون

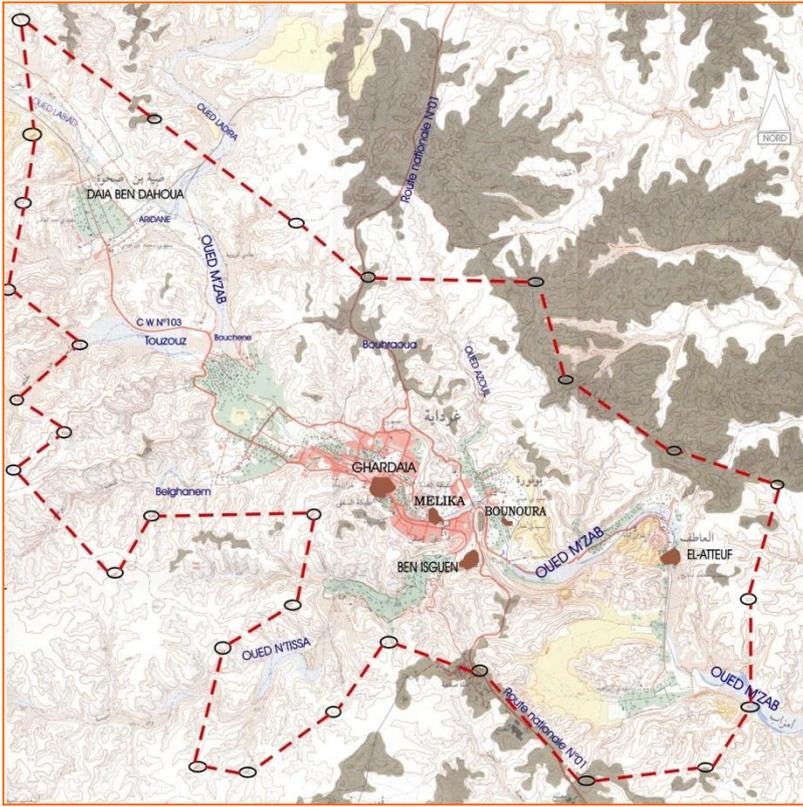
الشكل رقم (28) (29): تنوع مداخل المساكن بالقصور الصحراوية عن:

(حاوي سميرة) بالتصرف

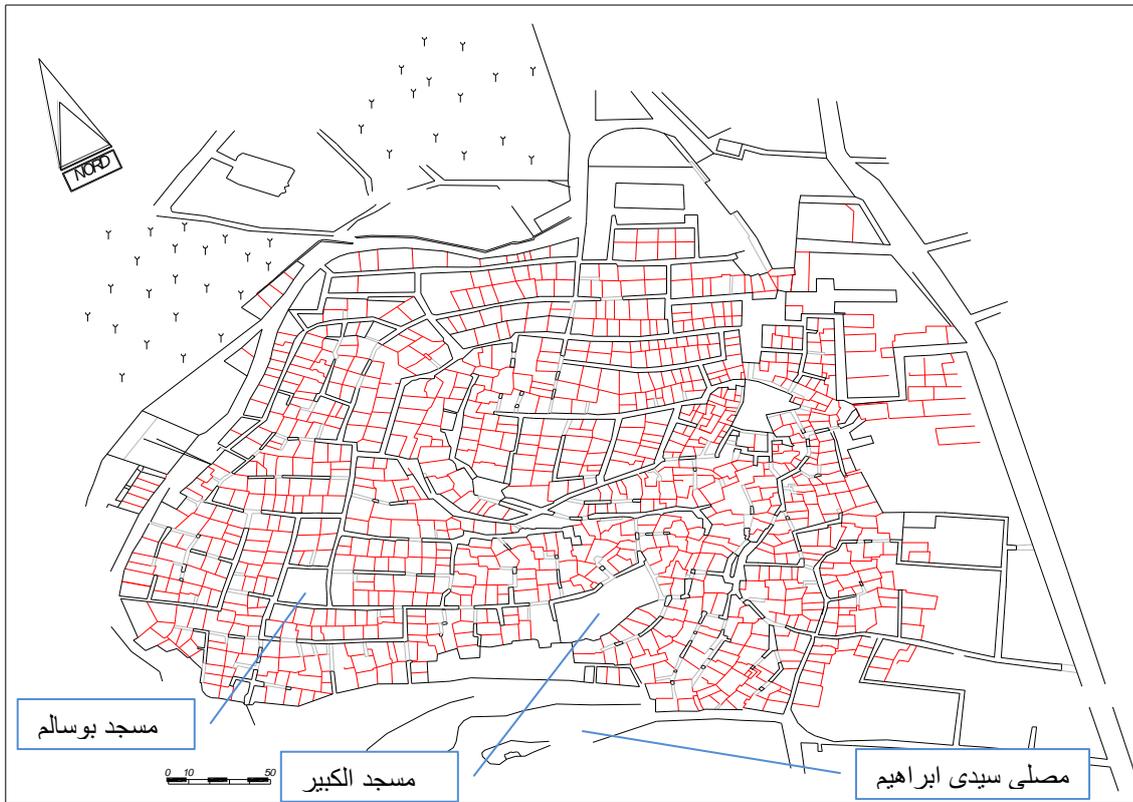


الشكل رقم (30): تفرغ لبعض الزخارف الجصية لسدراته عن:

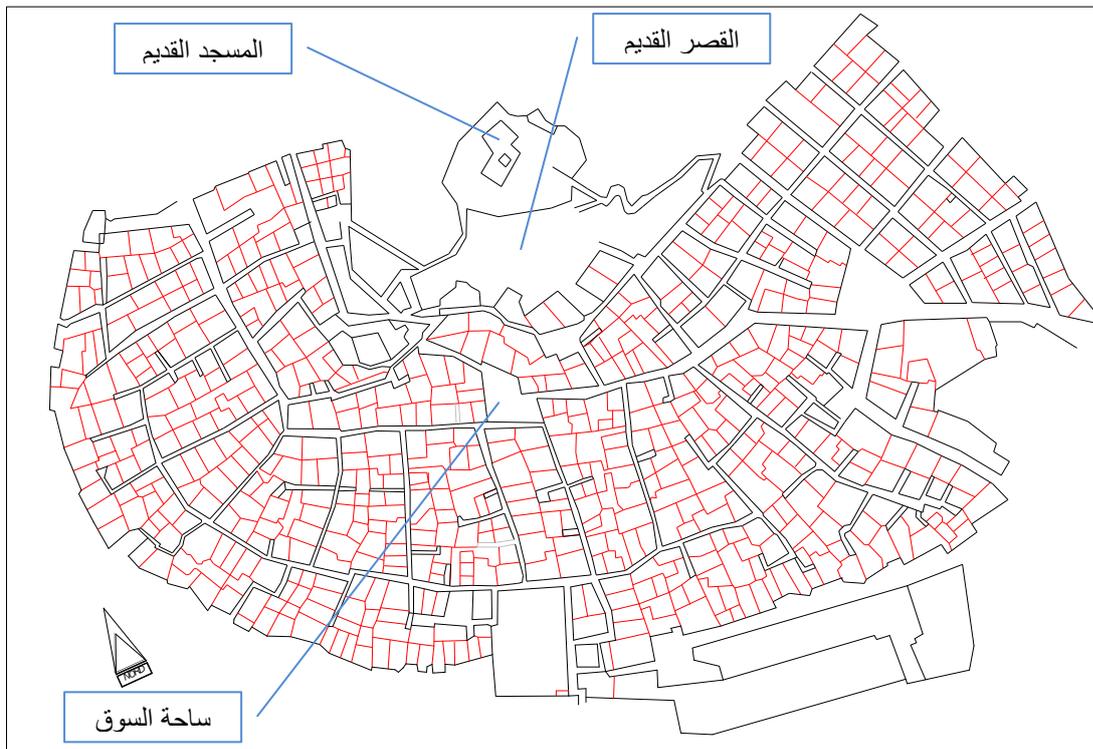
(ورشة الأبعاد الثلاثة)



الشكل رقم (31): حدود القطاع المحفوظ لسهل وادي مزاب عن:
(ديوان حماية وترقية وادي مزاب)



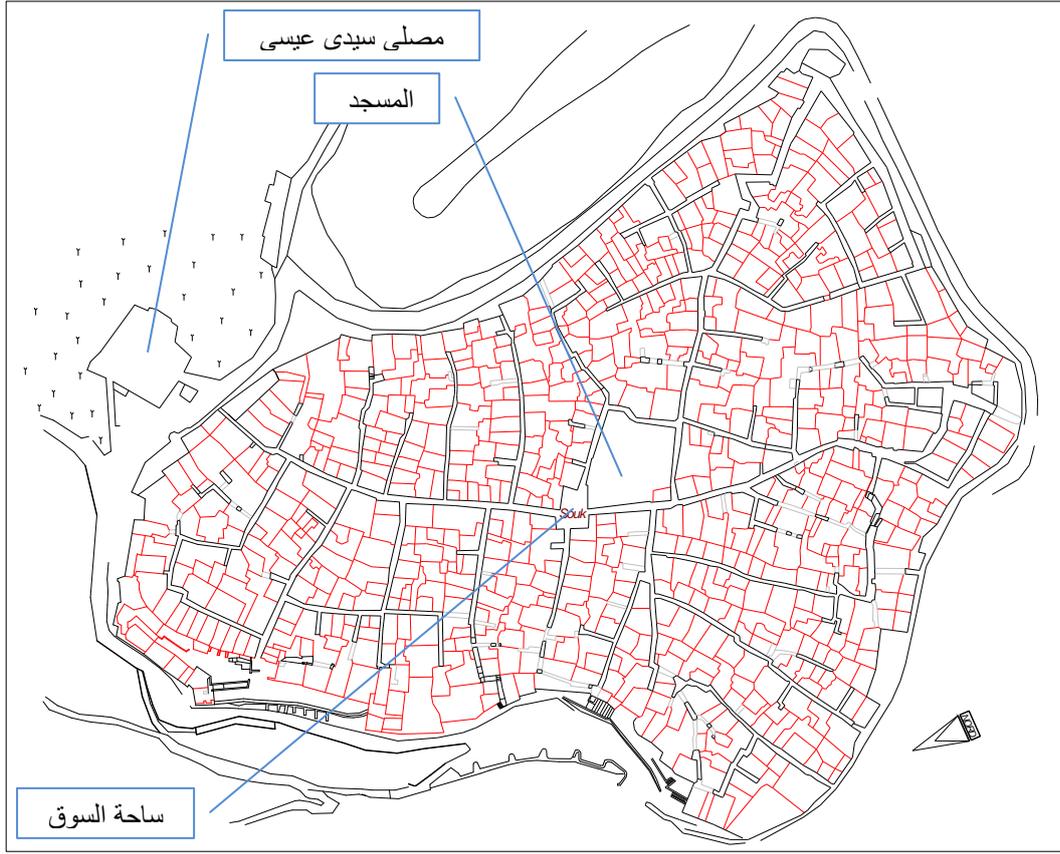
الشكل رقم (32): مخطط قصر العطف عن:
(ديوان حماية وترقية وادي مزاب)



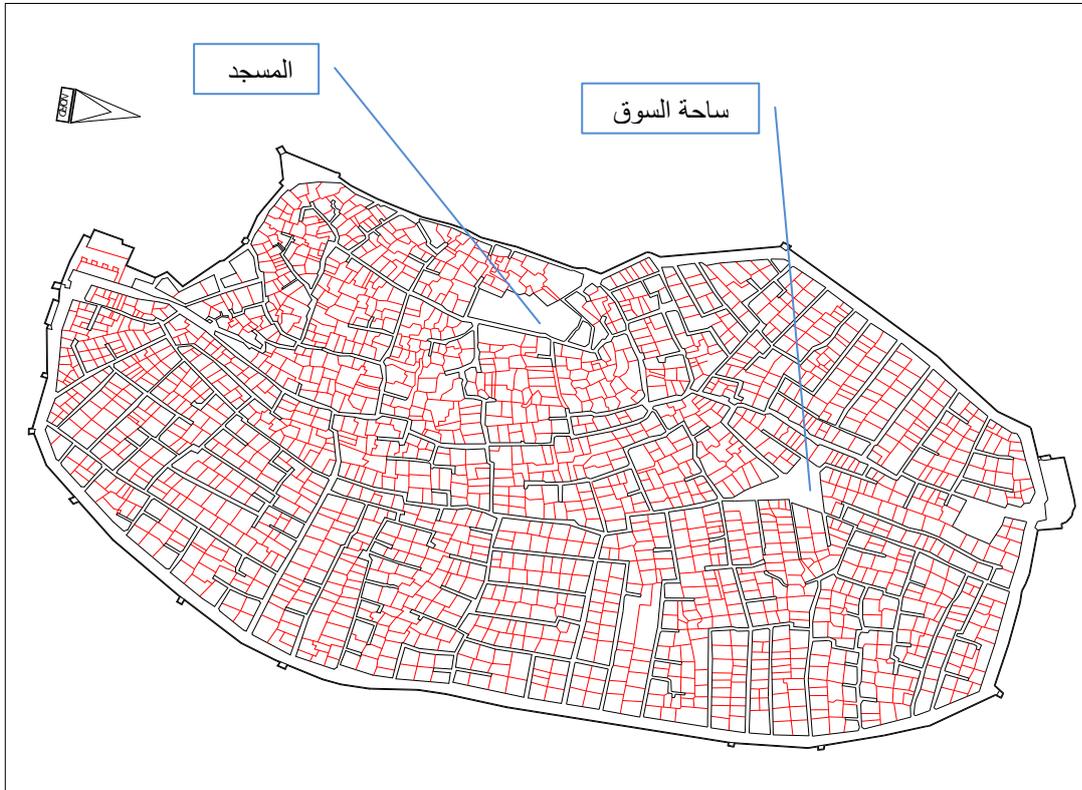
الشكل رقم (33): مخطط قصر بنورة عن:
(ديوان حماية وترقية وادي مزاب)



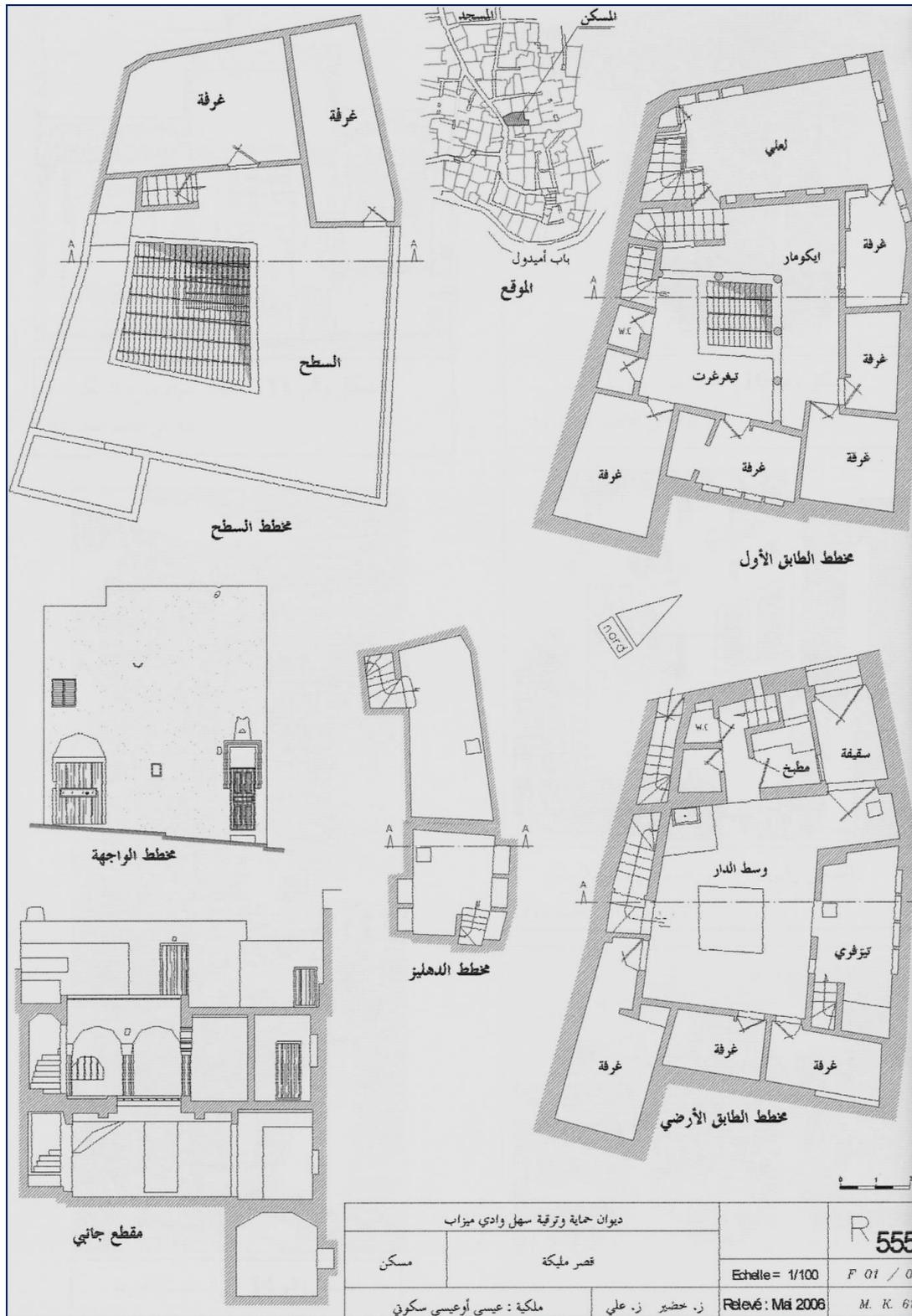
الشكل رقم (34): مخطط قصر غرداية عن:
(ديوان حماية وترقية وادي مزاب)



الشكل رقم (35): مخطط قصر مليكة عن:
(ديوان حماية وترقية وادي مزاب)

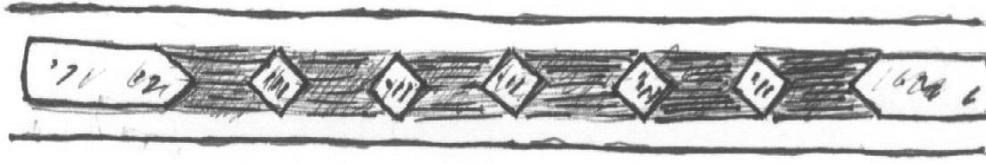


الشكل رقم (36): مخطط قصر بني يزقن عن:
(ديوان حماية وترقية وادي مزاب)

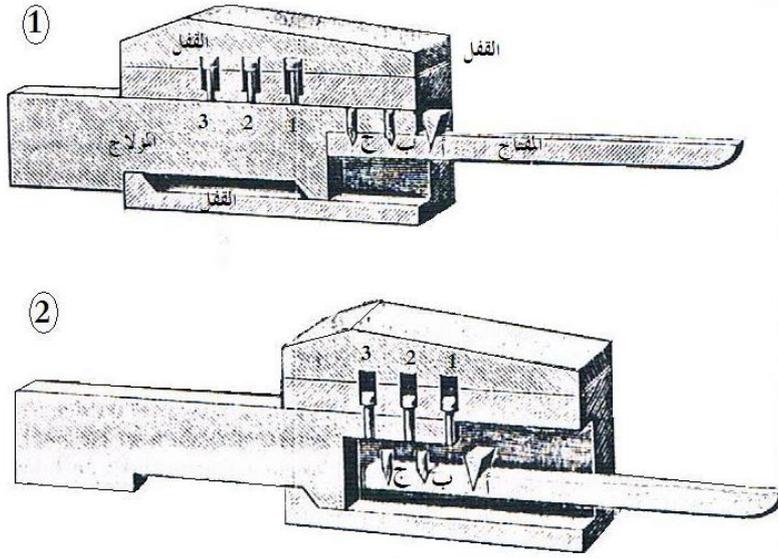


الشكل رقم (37): مخطط لمسكن تقليدي نموذجي بقصور وادي مزاب عن:

(ديوان حماية وترقية وادي مزاب)



الشكل رقم (38): العارضة الخشبية الأفقية لباب المدخل الرئيسي



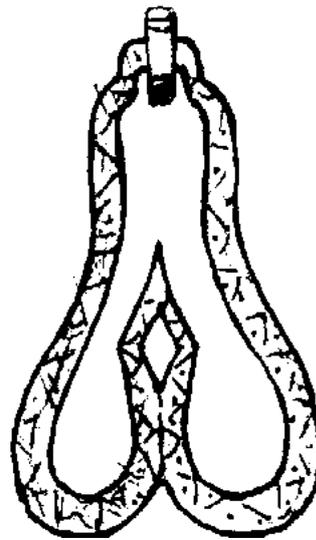
1. الفتح 2. القفل

الشكل رقم (41): رسم توضيحي لقفل تقليدي عن:

(Poyet) بالتصرف



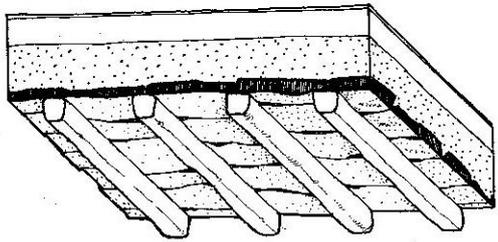
الشكل رقم (39): الطبطابة (الحلقة)



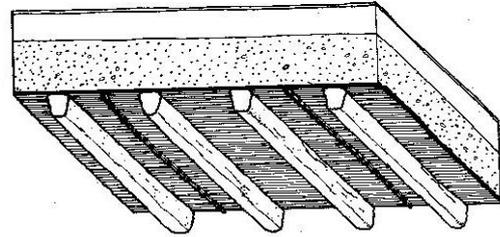
الشكل رقم (40): الطبطابة (الطارق)



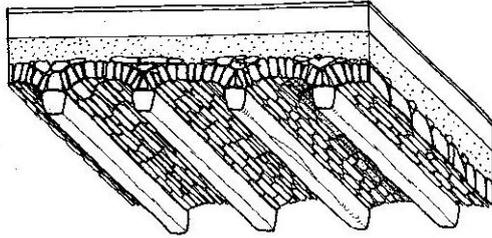
الشكل رقم (42): دورة استغلال الجير عن:
(ديوان حماية وادي مزاب وترقيته)



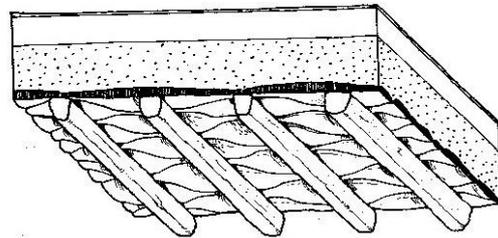
عوارض خشب النخيل وحجارة مصفحة



عوارض خشب النخيل وفوقها عروق الجريد



عوارض خشبية بينها أقبية مبنية بالحجارة والتمشمت

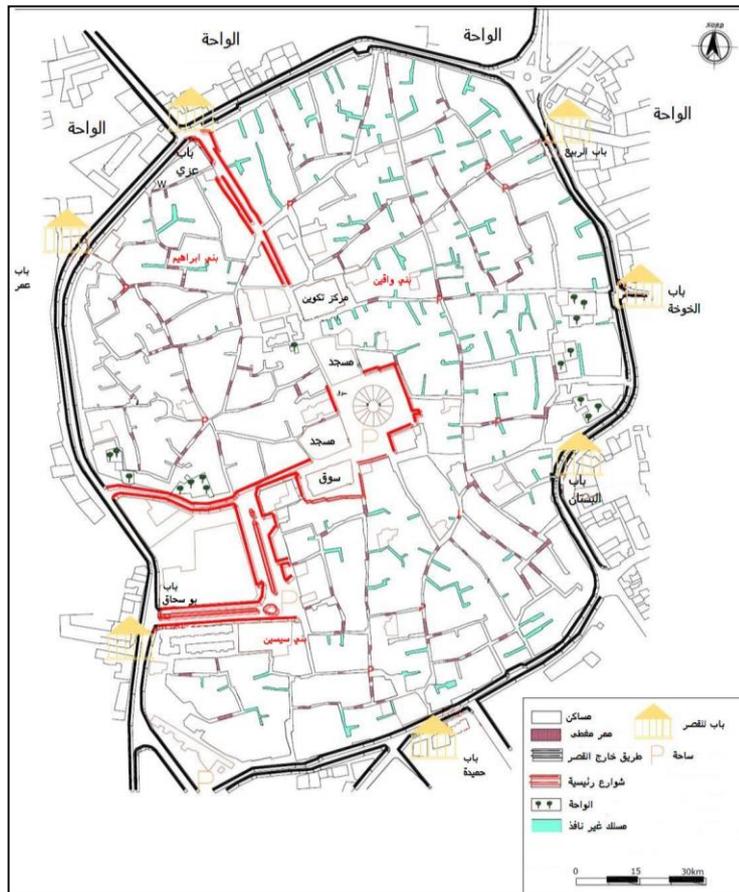


عوارض خشبية والكرناف

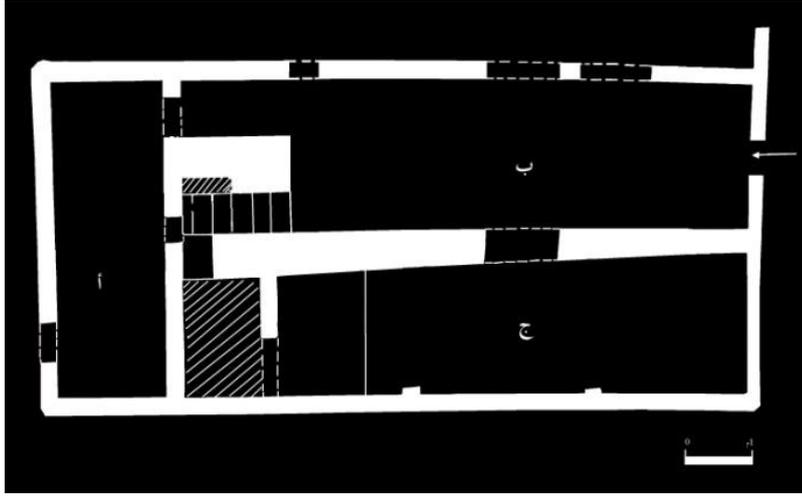
الشكل رقم (43): أنواع التسقيف في منطقة وادي مزاب عن:
(C. et P. Donnadieu) بالتصرف



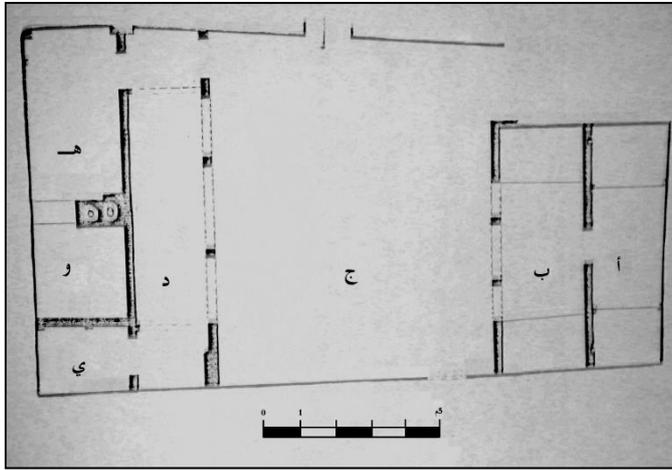
الشكل رقم (44): موقع سدراثة بالنسبة لقصر ورقلة عن:
(ورشة الأبعاد الثلاثة)



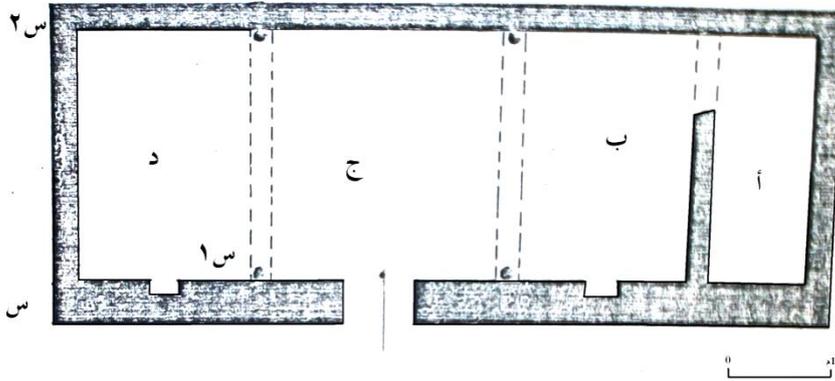
الشكل رقم (45): مخطط قصر ورقلة عن:
(PDAU Ouargla, 2003)



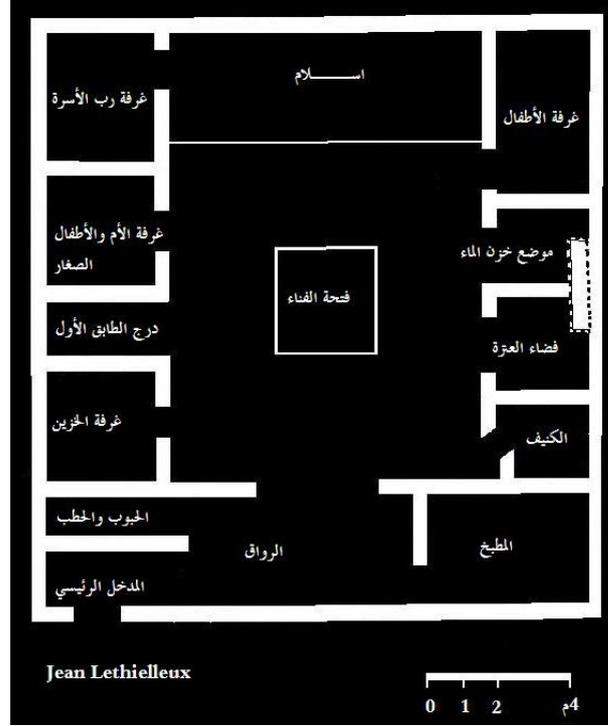
الشكل رقم (46): مخطط أفقي لمسكن مجهول الموقع 2 سدراته عن:
(ورشة الأبعاد الثلاثة) بالتصرف



الشكل رقم (47): مخطط أفقي للمسكن الغربي الموقع 4 سدراته عن:
(ورشة الأبعاد الثلاثة)



الشكل رقم (48): مخطط أفقي لمسكن مجهول الموقع 1 سدراته عن:
(ورشة الأبعاد الثلاثة)



الشكل رقم (49): مخطط أفقي لمسكن نموذجي بقصر ورقلة عن:
(Jean LETHIELLEUX) بالتصرف

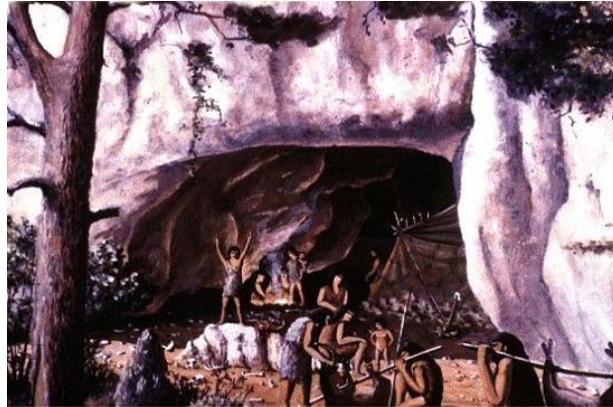
ملحق الصور



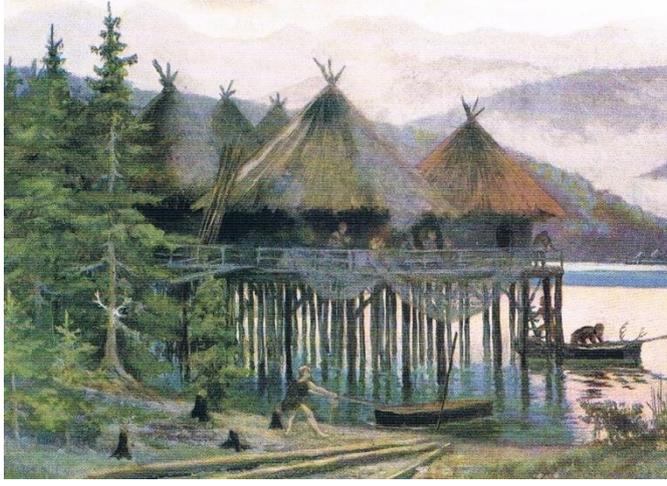
الصورة رقم (01): مأوى في مبني أسفل الصخر عن:
(Centre interactif de la Préhistoire)



الصورة رقم (02): مأوى مبني بالخشب عن:
(Noëlla Wébert)



الصورة رقم (03): كهوف حفرتها الطبيعة: مغارة لازاري - نيس بفرنسا عن:
(<http://www.ac-nice.fr>)



الصورة رقم (04): البيوت المبنية على أوتاد مغروسة في البحيرات عن:
(Nick CONSTABLE)



الصورة رقم (05): Troglodyte لساكني الكهوف عن:
(Christian Lauzon)



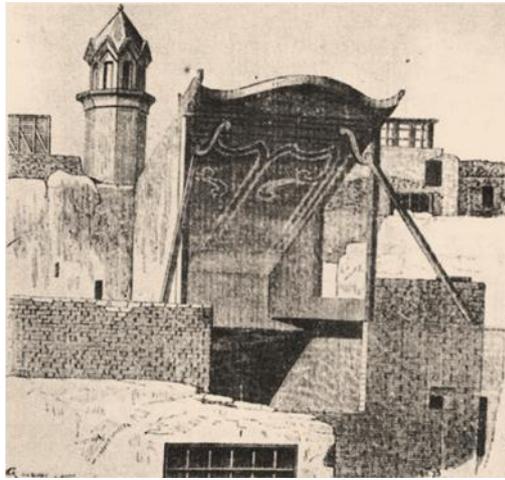
الصورة رقم (06): النمط البدائي للمسكن تحت أرضي عن:
(John S Holmes)



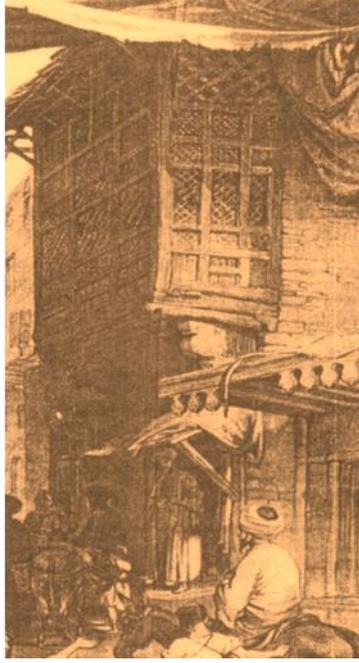
الصورة رقم (07): المسكن من نوع نوراغ مباني مخصصة للسكن عن:
(Jack Aubrey)



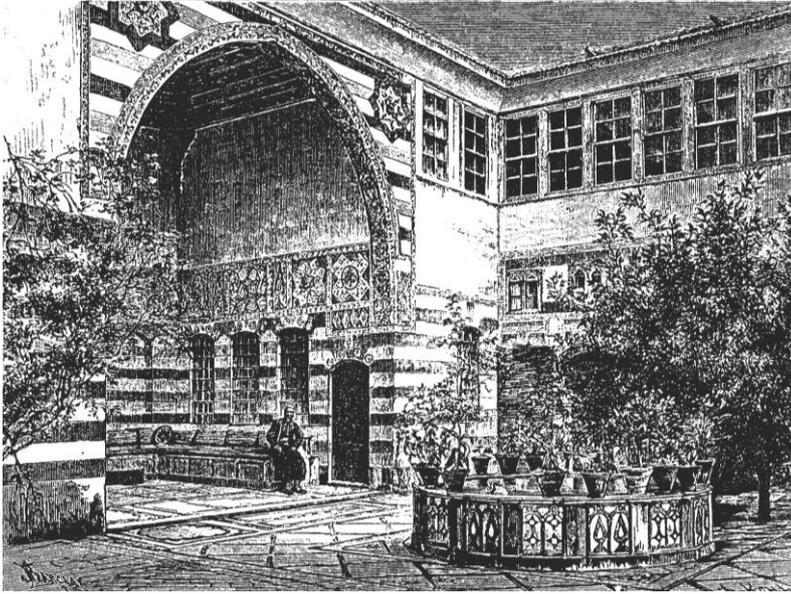
الصورة رقم (08): واجهات المساكن في المدينة الإسلامية عن:
(جميل عبد القادر أكبر)



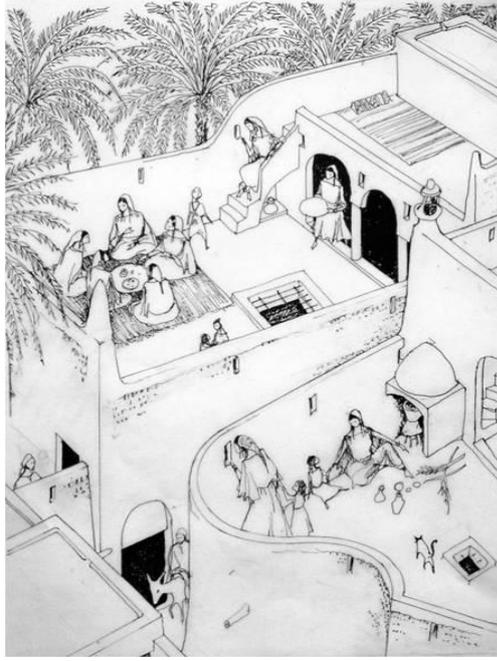
الصورة رقم (09): ملقف هواء تركي الطراز بالقاهرة عن:
(حسن فتحي)



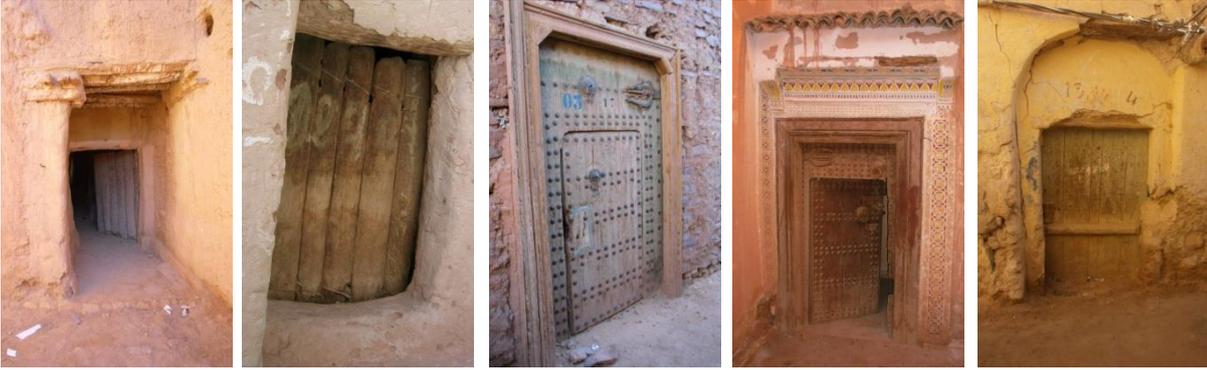
الصورة رقم (10): المأودة عن:
(عاصم محمد رزق)



الصورة رقم (11): إيوان أحد المساكن بدمشق عن:
(Bernard MAURY)



الصورة رقم (12): تأثير الجانب الاجتماعي على تخطيط المسكن عن:
(André RAVEREAU)



قصر موغل

قصر تمنطيط

قصر القنادسة

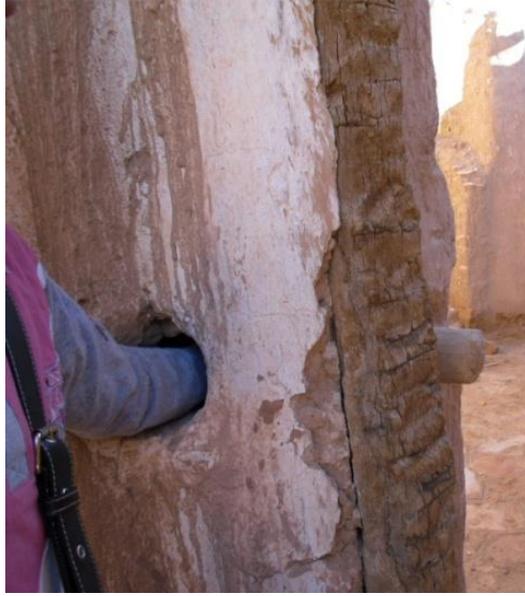
قصر القنادسة

قصر ورقلة

الصور رقم (13)، (14)، (15)، (16)، (17): تنوع شكل المدخل الرئيسي للمسكن في القصور الصحراوية



الصورة رقم (18)، (19)، (20): أبواب مصنوعة بعوارض خشب النخيل إلى جانب الطبطابة



الصورة رقم (21): فتحة إغلاق باب المدخل الرئيسي للمسكن - قصر موغل



الصورة رقم (22): فتحة عين وسط الدار - قصر تاغيت



الصورة رقم (23): فتحة لإضاءة وتهوية الغرفة - قصر تاغيت



الصورة رقم (24): سطح المسكن - قصر تاغيت



قصر ورقلة

قصر تاغيت

قصر القنادسة

قصر موغل

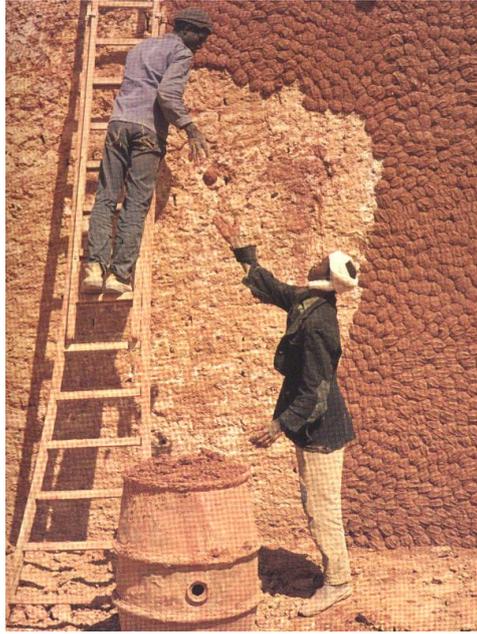
الصورة رقم (25)، (26)، (27)، (28): تقنيات التسقيف في القصور الصحراوية



الصورة رقم (29): إحدى تقنيات بناء الدرج



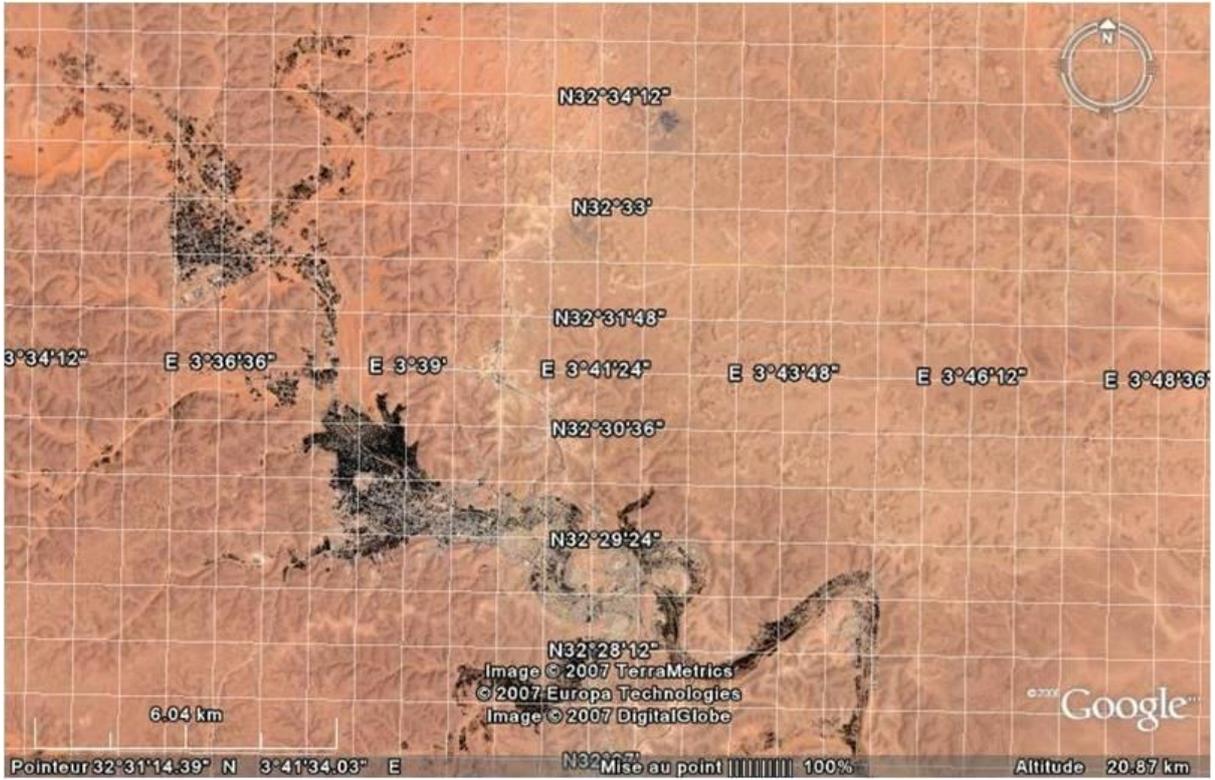
الصورة رقم (30): تنوع مواد البناء (الطوب والحجارة)



الصورة رقم (31): تقنية تلبيس الجدار في منطقة تميمون عن
(حاوي سميرة)



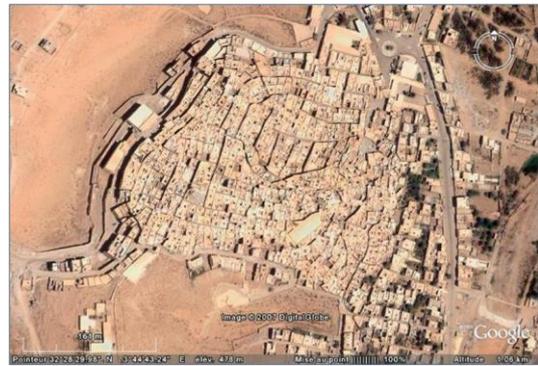
الصورة رقم (32): الزخارف الحصية لموقع سدراثة



الصورة رقم (33): صورة بالساتل لإحداثيات وادي مزاب عن:
(Google earth)



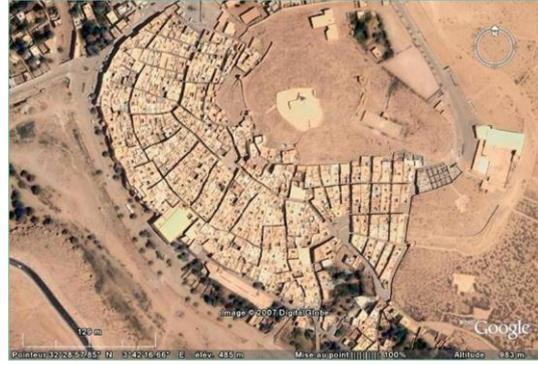
الصورة رقم (35): منظر عام لقصر العطف



الصورة رقم (34): صورة بالساتل لقصر العطف عن:
(Google earth)



الصورة رقم (37): منظر عام لقصر بنورة



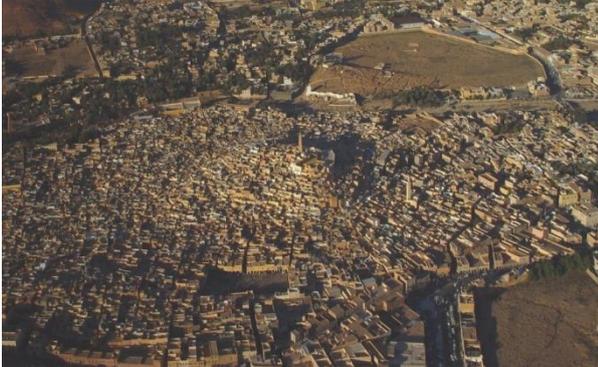
الصورة رقم (36): صورة بالساتل لقصر بنورة عن:
(Google earth)



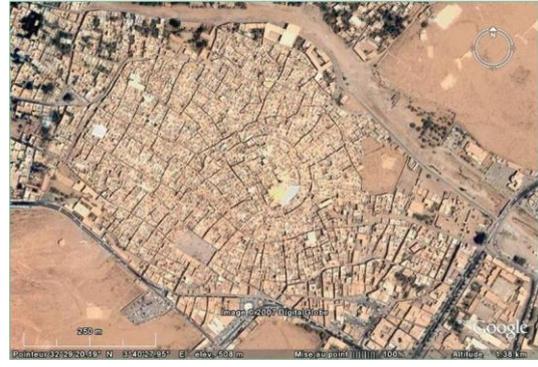
الصورة رقم (39): منظر عام لقصر بني يزقن



الصورة رقم (38): صورة بالساتل لقصر بني يزقن عن:
(Google earth)



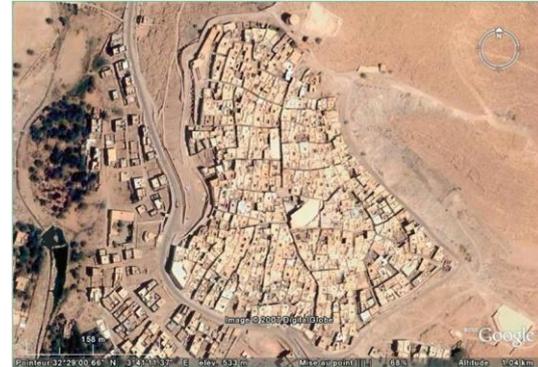
الصورة رقم (41): منظر عام لقصر غرداية



الصورة رقم (40): صورة بالساتل لقصر غرداية عن:
(Google earth)



الصورة رقم (43): منظر عام لقصر مليكة



الصورة رقم (42): صورة بالساتل لقصر مليكة عن:
(Google earth)



الصورة رقم (44): بساطة واجهات المساكن بوادي مزاب عن:

(Manuelle ROCHE)



الصورة رقم (47): الباب الخشبي للمدخل الرئيسي
والعارضة الأفقية المزخرفة



الصورة رقم (45) و (46): المدخل الرئيسي المعقود بعقد نصف دائري



الصورة رقم (48): عتبة المدخل الرئيسي للمسكن



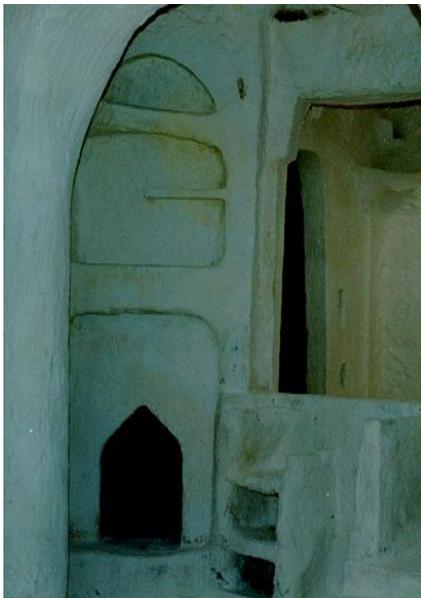
الصورة رقم (50): شكل الفتحات بالواجهة الرئيسية



الصورة رقم (49): الميزاب أو المزراب لصرف مياه المطر



الصورة رقم (51): وسط الدار بوادي مزاب



الصورة رقم (52): المطبخ بوادي مزاب



الصورة رقم (53): فتحة شبك وسط الدار بوادي مزاب



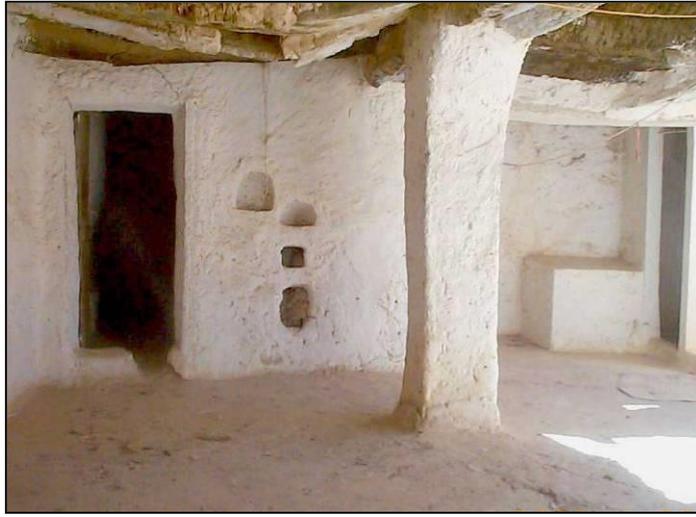
الصورة رقم (54): غرفة استقبال الضيفات من النساء - تيزفري عن:
(ديوان حماية وادي مزاب وترقيته)



الصورة رقم (55): الدرج المؤدي إلى الطابق الأول والرحى - وادي مزاب عن:
(ديوان حماية وادي مزاب وترقيته)



الصورة رقم (56): رواق إيكومار - وادي مزاب



الصورة رقم (57): إحدى الغرف المخصصة للنوم - وادي مزاب



الصورة رقم (58): النافذة الخاصة بالعلي تعلو المدخل الرئيسي - وادي مزاب



الصورة رقم (59): الركن المخصص للمطبخ - وادي مزاب عن:
(ديوان حماية وادي مزاب وترقيته)



الصورة رقم (60): الكنيف - وادي مزاب



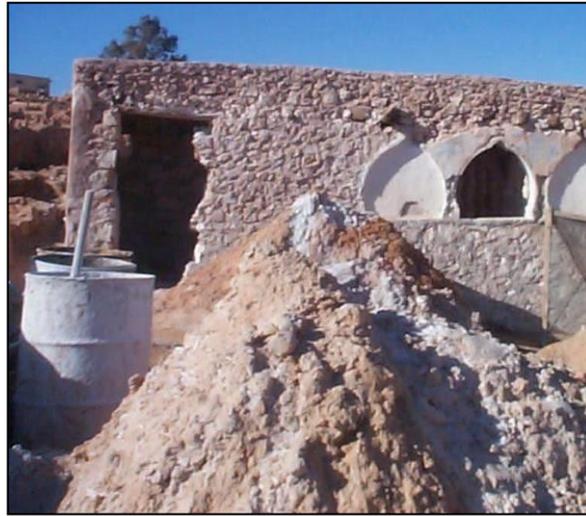
الصورة رقم (61): الفضاء المكشوف (تيغرت) يتقدم ايكومار - وادي مزاب



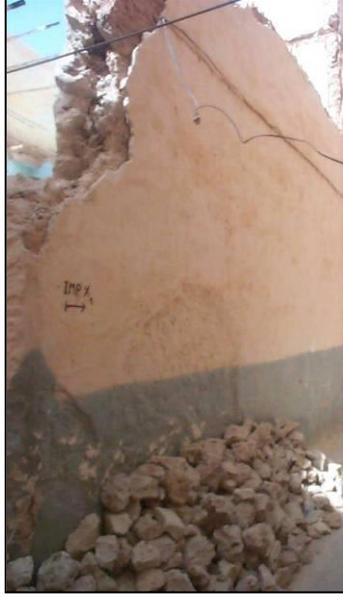
الصورة رقم (62): السطح (ثمانيت) - وادي مزاب



الصورة رقم (63): المخزن - وادي مزاب عن:
(ديوان حماية وادي مزاب وترقيته)



الصورة رقم (64): عملية تحضير وتخمير الجير



الصورة رقم (65): استعمال الحجارة الخام في عملية بناء الجدران



الصورة رقم (66): استعمال الكوات الجدارية والأقواس النصف الدائرية على نطاق واسع



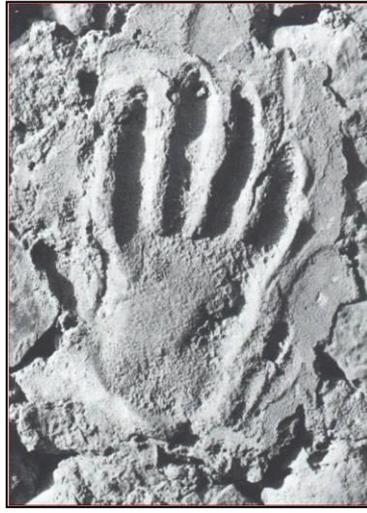
الصورة رقم (67) و(68): تقنيات بناء الدرج



الصورة رقم (69): واجهة ملبسة تقنية العرجون- وادي مزاب



الصورة رقم (70): تقنية التليس باستخدام اليد - وادي مزاب

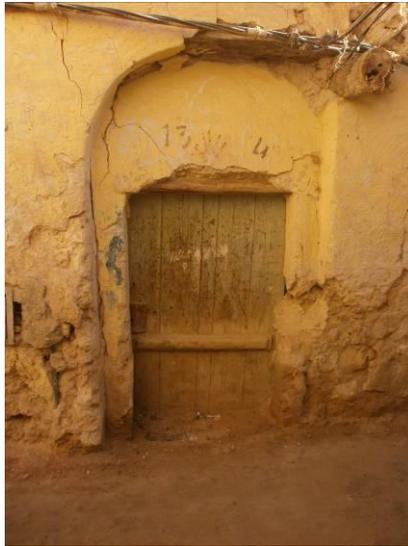


الصورة رقم (71) و(72) و(73): بعض أنواع الرموز المستعملة في واجهات المساكن. (71) و(72) عن:

(C. et P. Donnadieu)



الصورة رقم (74): واجهة إحدى المساكن التقليدية في قصر ورقلة



الصورة رقم (75): المدخل الرئيسي لأحد المساكن التقليدية بقصر ورقلة



الصورة رقم (76): الباب الخشبي للمدخل الرئيسي لمسكن في قصر ورقلة



الصورة رقم (77): عتبة المدخل الرئيسي تكاد لا تظهر - قصر ورقلة



الصورة رقم (78): الميزاب وفتحة غرفة لعللي على مستوى الطابق الأول - قصر ورقلة



الصورة رقم (79): وسط الدار يليه سلام - قصر ورقلة



الصورة رقم (80): مدخل إحدى الغرف - قصر ورقلة



الصورة رقم (81): فتحة شباك وسط الدار - قصر ورقلة



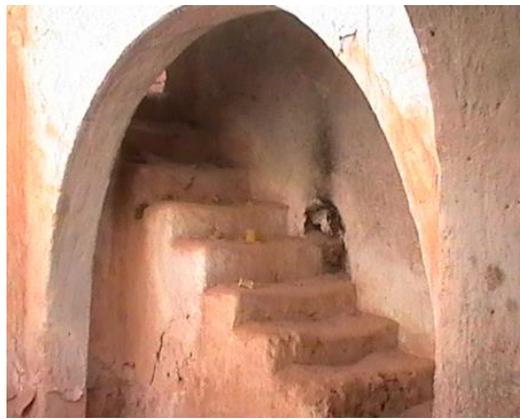
الصورة رقم (82): الكنيف (المرحاض) - قصر ورقلة



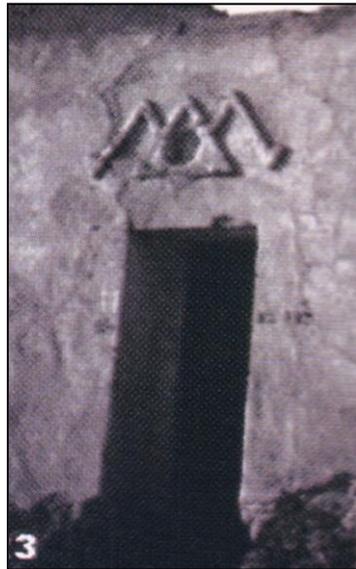
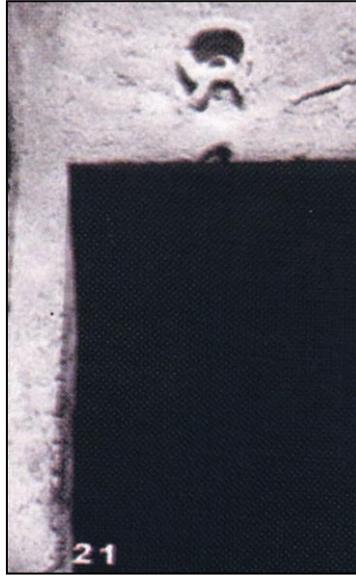
الصورة رقم (83): تقنية التسقيف بالعوارض الخشبية والأقبية نصف برميلية - قصر ورثلة



الصورة رقم (84): قضيبي معدني لتثبيت باب المدخل الرئيسي - قصر ورثلة



الصورة رقم (85): درج مؤدي للطابق العلوي - قصر ورثلة



الصورة رقم (86، 87، 88): رمز تانيت مقلوب يتوج مداخل عدد من المساكن بقصر ورقلة عن:
(جمعية القصر للثقافة والإصلاح)

ملحق معجم المصطلحات

ملحق معجم للمصطلحات الخاصة بالمسكن التقليدي بالمنطقتين باللهجة المحلية
وما يقابله بالعربية

باللهجة الورقلية	باللهجة الميزابية	بالعربية
أَتَافُ نَتْدَارْتْ	أَتَافُ نَتْدَارْتْ	المدخل الرئيسي
تَاوْرْتْ	تَوُورْتْ أو تَاوْرْتْ جمع ثِيورة	باب المدخل
أَفْكِيرْ	أَفْكِيرْ	القفل
/	تَيْسَلْسَلْتْ	الحلقات
تُوشُونْتْ - تَيْشَنْتْ	أَلْعَيْتْ	العتبة
عَمُودْ أو أَمُودْ	/	جدار السترة (خلف الباب)
تاسيرت	/	ركن الرحي
/	أَلُونْ	فتحات التهوية
/	سُوفِيرْ	المزrab - الميزاب
أَدَايْ	أَدَايْ	الطابق الأرضي
تَاسْكِيفْتْ أو تَاسْقِيْفْتْ	تَسْكِيفْتْ	السقيفة
/	إِمِي	المدخل المنكسر
تَهْزَة	تَهْجَة	رواق مدخل الدار
أَمْسَدَارْ أو أَمْسَنْتَدَارْ أو أَمَاسْ نَتْدَارْتْ	أَمَاسْ أُنْتَدَارْتْ	وسط الدار
إِمْرَاقْنْ أو تِيرْدُوِينْ	شِبَاكْ	فتحة وسط الدار
تَرْقَة جمعها: تَرْقَوِينْ	تَرْقَة جمعها: تَرْقَوِينْ	الغرفة
حُجْرَة	دُويرة أو حُجْرَة	قاعة استقبال الرجال طابق أرضي
سَلَامْ	تَيْرِيفْرِي	قاعة استقبال النساء
أَكُومَارْ	/	غرفة نوم الأبوين
إِنَايْنْ	أَيَّيْ أو إِنَايْنْ	المطبخ
تَرْقَة	/	غرفة الخزين
بَادُو أو بَاچُو	بَاچُو أو تَحْيِيْتْ	مخزن التمر
إِلْمَسِي	لَنْعَسَلْ	المطهرة
قُومَة	أَجْمِيرْ	الكنيف
أَكَاوُ	/	بئر الكنيف

أَمْدَاوْثْ	تَزْدِيثْ أَوْ تَزْرِيثْ	مربط الدابة
/	أَيْشِينْ نَاتْرَاثْ	مربط العنزة
أَنْزْ أَوْ أَنْجْ	أَنْدَجْ	الطابق الأول
لَعْلِي	لَعْلِي	غرفة استقبال الرجال الطابق الأول
غَيْرِ مَوْجُودِ	إَيْكُومَارْ	الرواق
تَيْعَزَعْرَتْ	تَيْعَزَعْرَتْ	الفضاء المكشوف
أَنْزْ أَوْ أَنْجْ	تَمْنَايْتْ أَوْ أَنْدَجْ أَمْفِرَانْ	السطح
كَدَّانْ	كَدَّانْ أَوْ قَدَّامْ	حجارة التيمشمت
أَدْعَاغْ	أَدْرَازْ	الحجارة
إِحْدِي	/	الرمل
تَمَشْتْ	تَمَشْتْ	جبس محلي
/	أَشْبُورْ	فرن
أَكْرُكُوشْ	أَكْرُشُوشْ	جذع النخلة
/	أَزْ-رُورْ أَوْ تَمَالْفَتْ	عوارض خشبية
تُوفَهْ	/	الجريد
تَكْرُكُوشْتْ	/	الكرناف
مُورُو	مَارُو	جدار
تَيْشُونَانْ أَوْ تَيْسُونَانْ	تَيْسُونَانْ	درج
قَوَّاسْ	/	الأقواس
تَيْكْرِنَاشْ وَمَفْرَدَهَا: تَكْرُكُوشْتْ	/	الأقبية

الفهارس

فهرس الجدول

رقم الصفحة	عنوان الجدول	رقم الجدول
152	معدل الحرارة الشهري (35 سنة من المراقبة) الوحدة °م	1
152	معدل التساقط الشهري (32 سنة من المراقبة) الوحدة ملم	2
258	خصائص ومميزات مخطط مساحة المسكن	3
260	خصائص ومميزات واجهات المساكن	4
261	خصائص المدخل الرئيسي في العينات المدروسة	5
267	عدد طوابق المساكن ومعدل ارتفاعها العام	6
269	مكونات الطابق الأرضي (أدائي: في كلا المنطقتين)	7
271	أشكال وتفصيل السقيفة للعينات المدروسة	8
273	مميزات وخصائص وسط الدار	9
275	مميزات قاعة استقبال الضيوف من الرجال بالمنطقتين	10
276	مميزات الفضاء الانتقالي لاستقبال الضيفات	11
277	مميزات قاعة استقبال الضيفات	12
278	خصائص ومميزات غرف الطابق الأرضي	13
280	خصائص ومميزات غرف الطابق الأرضي	14
281	خصائص ومميزات الكنيف والمطهرة الطابق الأرضي	15
286	خصائص ومميزات غرف الطابق الأول	16
287	خصائص ومميزات غرفة استقبال الضيوف من الرجال (لعلي)	17
289	خصائص ومميزات فتحة وسط الدار	18
290	خصائص ومميزات الأروقة (إيكومار)	19
293	خصائص ومميزات الكنيف والمطهرة في الطابق الأول	20

فهرس اللوحات

رقم الصفحة	القصر	رقم العينة	رقم اللوحة
206	العطف	المسكن رقم: 1	1
207	العطف	المسكن رقم: 1	2
213	مليكة	المسكن رقم: 2	3
214	مليكة	المسكن رقم: 2	4
219	بنورة	المسكن رقم: 3	5
220	بنورة	المسكن رقم: 3	6
227	غرداية	المسكن رقم: 4	7
228	غرداية	المسكن رقم: 4	8
237	بني يزقن	المسكن رقم: 5	9
238	بني يزقن	المسكن رقم: 5	10
244	ورقلة	المسكن رقم: 1	11
245	ورقلة	المسكن رقم: 1	12
254	ورقلة	المسكن رقم: 2	13
255	ورقلة	المسكن رقم: 2	14

فهرس الأشكال

رقم الصفحة	عنوان الشكل	رقم الشكل
335	الخارطة الطبيعية للجزائر	1
336	الخارطة الجيولوجية للجزائر وتوزع الأقاليم الصحراوية بها	2
337	الخارطة الطبوغرافية للجزائر وموقع عينات الدراسة بها	3
337	مناخ الجزائر والإقليم الصحراوي	4
338	البيوت المبنية على أوتاد مغروسة في البحيرات	5
338	بيوت الفلاحين المسماة الماباليا بنوميديا	6
338	مسكن يعود للحضارة الرافدية - مدينة أور	7
339	مسكن نب-آمون. الحضارة الفرعونية بمصر (الواجهة)	8
339	مقطع أفقي لأحد المساكن لنفس الفترة	9
339	المسكن الروماني	10
339	المسكن الروماني	11
339	المسكن البيزنطي	12
339	المسكن البيزنطي	13
340	مخطط أفقي لحجرات الرسول صلى الله عليه وسلم	14
340	إعادة بناء بتقنية 3D	15
340	مسقط أفقي لأحد المساكن بمخالفات الفسطاط عن	16
341	مقطع رأسي لمسكن وقف الحرمين بالقاهرة (مندثر)	17
341	مقطع رأسي لمسكن بالقاهرة	18
342	بيت السناري - مصر المدخل الرئيسي والمشربية	19
342	رفرف خشبي بواجهة المسكن	20
343	مخطط أفقي للطابق الأرضي بمسكن في قصر تمنطيط	21
343	مخطط أفقي للطابق الأول بمسكن في قصر تمنطيط	22
343	مخطط أفقي لمسكن من دعامين بقصر القنادسة	23
343	مخطط أفقي لمسكن بقصر المنيعه	24
344	مخطط أفقي لمسكن بمنطقة توات	25
344	مخطط أفقي لمسكن ثاني بمنطقة توات	26
344	مخطط أفقي لمسكن آخر بمنطقة توات ومنظور ايزومتري	27

345	تنوع مداخل المساكن بالقصور الصحراوية	28
345	تنوع مداخل المساكن بالقصور الصحراوية	29
345	تفريغ لبعض الزخارف الجصية لسدراته	30
346	حدود القطاع المحفوظ لسهل وادي مزاب	31
346	مخطط قصر العطف	32
347	مخطط قصر بنورة	33
347	مخطط قصر غرداية	34
348	مخطط قصر مليكة	35
348	مخطط قصر بني يزقن	36
349	مخطط لمسكن تقليدي نموذجي بقصور وادي مزاب	37
350	العارضة الخشبية الأفقية لباب المدخل الرئيسي	38
350	رسم توضيحي لقفل تقليدي	39
350	الطبطابة (الطارق)	40
350	الطبطابة (الحلقة)	41
351	دورة استغلال الجير	42
351	أنواع التسقيف في منطقة وادي مزاب	43
352	موقع سدراته بالنسبة لقصر ورقلة	44
352	مخطط قصر ورقلة	45
353	مخطط أفقي لمسكن مجهول الموقع 2 سدراته	46
353	مخطط أفقي للمسكن الغربي الموقع 4 سدراته	47
353	مخطط أفقي لمسكن مجهول الموقع 1 سدراته	48
354	مخطط أفقي لمسكن نموذجي بقصر ورقلة	49

فهرس الصور

رقم الصفحة	عنوان الصورة	رقم الصورة
356	مأوى في مبني أسفل الصخر	1
356	مأوى مبني بالخشب	2
356	كهوف حفرتها الطبيعة: مغارة لازاري - نيس بفرنسا	3
357	البيوت المبنية على أوتاد مغروسة في البحيرات	4
357	<i>Troglodyte</i> لساكبي الكهوف	5
357	النمط البدائي للمسكن التحت أرضي	6
358	المسكن من نوع نوراغ مباني مخصصة للمسكن	7
358	واجهات المساكن في المدينة الإسلامية	8
358	ملقف هواء تركي الطراز بالقاهرة	9
359	الماوردة	10
359	إيوان أحد المساكن بدمشق	11
360	تأثير الجانب الاجتماعي على تخطيط المسكن	12
360	تنوع شكل المدخل الرئيسي للمسكن في القصور الصحراوية	13
360	تنوع شكل المدخل الرئيسي للمسكن في القصور الصحراوية	14
360	تنوع شكل المدخل الرئيسي للمسكن في القصور الصحراوية	15
360	تنوع شكل المدخل الرئيسي للمسكن في القصور الصحراوية	16
360	تنوع شكل المدخل الرئيسي للمسكن في القصور الصحراوية	17
360	أبواب مصنوعة بعوارض خشب النخيل إلى جانب الطبطابة	18
360	أبواب مصنوعة بعوارض خشب النخيل إلى جانب الطبطابة	19
360	أبواب مصنوعة بعوارض خشب النخيل إلى جانب الطبطابة	20
361	فتحة إغلاق باب المدخل الرئيسي للمسكن - قصر موغل	21
361	فتحة عين وسط الدار - قصر تاغيت	22
361	فتحة لإضاءة وتهوية الغرفة - قصر تاغيت	23
362	سطح المسكن - قصر تاغيت	24
362	تقنيات التسقيف في القصور الصحراوية	25

362	تقنيات التسقيف في القصور الصحراوية	26
362	تقنيات التسقيف في القصور الصحراوية	27
362	تقنيات التسقيف في القصور الصحراوية	28
362	إحدى تقنية بناء الدرج	29
363	تنوع مواد البناء (الطوب والحجارة)	30
363	تقنية تلبيس الجدار في منطقة تميمون	31
363	الزخارف الجصية لموقع سدراته	32
364	صورة بالساتل لإحداثيات وادي مزاب	33
364	صورة بالساتل لقصر العطف	34
364	منظر عام لقصر العطف	35
365	صورة بالساتل لقصر بنورة	36
365	منظر عام لقصر بنورة	37
365	صورة بالساتل لقصر بني يزقن	38
365	منظر عام لقصر بني يزقن	39
365	صورة بالساتل لقصر غرداية	40
365	منظر عام لقصر غرداية	41
365	صورة بالساتل لقصر مليكة	42
365	منظر عام لقصر مليكة	43
366	بساطة واجهات المساكن بوادي مزاب	44
366	المدخل الرئيسي المعقود بعقد نصف دائري	45
366	المدخل الرئيسي المعقود بعقد نصف دائري	46
366	الباب الخشبي للمدخل الرئيسي والعارضة الأفقية المزخرفة	47
366	عتبة المدخل الرئيسي للمسكن	48
367	الميزاب أو المزراب لصرف مياه المطر	49
367	شكل الفتحات بالواجهة الرئيسية	50
367	وسط الدار بوادي مزاب	51
367	المطبخ بوادي مزاب	52
368	فتحة شبك وسط الدار بوادي مزاب	53

368	غرفة استقبال الضيفات من النساء - تيزفري	54
368	الدرج المؤدي إلى الطابق الأول والرحى - وادي مزاب	55
369	رواق إيكومار - وادي مزاب	56
369	إحدى الغرف المخصصة للنوم - وادي مزاب	57
369	النافذة الخاصة بالعلي تعلو المدخل الرئيسي - وادي مزاب	58
370	الركن المخصص للمطبخ - وادي مزاب	59
370	الكنيف - وادي مزاب	60
370	الفضاء المكشوف (تيفرغرت) يتقدم إيكومار - وادي مزاب	61
371	السطح (تمنايت) - وادي مزاب	62
371	المخزن - وادي مزاب	63
371	عملية تحضير وتخمين الجير	64
372	استعمال الحجارة الخام في عملية بناء الجدران	65
372	استعمال الكوات الجدارية والأقواس النصف الدائرية على نطاق واسع	66
372	تقنيات بناء الدرج	67
372	تقنيات بناء الدرج	68
373	واجهه ملبسة تقنية العرجون - وادي مزاب	69
373	تقنية التليس باستعمال اليد - وادي مزاب	70
373	بعض أنواع الرموز المستعملة في واجهات المساكن	71
373	بعض أنواع الرموز المستعملة في واجهات المساكن	72
373	بعض أنواع الرموز المستعملة في واجهات المساكن	73
374	واجهه إحدى المساكن التقليدية في قصر ورقلة	74
374	المدخل الرئيسي لأحد المساكن التقليدية بقصر ورقلة	75
374	الباب الخشبي للمدخل الرئيسي لمسكن في قصر ورقلة	76
375	عتبة المدخل الرئيسي تكاد لا تظهر - قصر ورقلة	77
375	الميزاب وفتحة غرفة لعلي على مستوى الطابق الأول - قصر ورقلة	78
375	وسط الدار يليه سلام - قصر ورقلة	79
376	مدخل إحدى الغرف - قصر ورقلة	80
376	فتحة شباك وسط الدار - قصر ورقلة	81

376	الكنيف (المرحاض) - قصر ورثلة	82
377	تقنية التسقيف بالعوارض الخشبية والأقبية نصف برميلية - قصر ورثلة	83
377	قضيب معدني لتثبيت باب المدخل الرئيسي - قصر ورثلة	84
377	درج مؤدي للطابق العلوي - قصر ورثلة	85
378	رمز تانيت مقلوب يتوج مداخل عدد من المساكن بقصر ورثلة	86
378	رمز تانيت مقلوب يتوج مداخل عدد من المساكن بقصر ورثلة	87
378	رمز تانيت مقلوب يتوج مداخل عدد من المساكن بقصر ورثلة	88

فهرس الموضوعات

مقدمة

الباب الأول

المسكن والقصور الصحراوية

الفصل الأول

المسكن مفهومه وتاريخه

- المبحث الأول: تعريف المسكن.....3
1. تعريف المسكن لغة.....3
2. تعريف المسكن اصطلاحا.....4
- 1-2. تعريف البيت.....5
- 2-2. تعريف الدّار.....6
- 3-2. تعريف المنزل.....8
3. مفهوم المسكن في الإسلام.....9
- المبحث الثاني: المسكن نشأته وتطوره.....12
1. المسكن في فترة ما قبل التاريخ وفجر التاريخ.....12
2. المسكن في الحضارات القديمة.....23
3. المسكن في الحضارة الإسلامية.....32
- المبحث الثالث: المسكن وفقه العمران.....44
1. المسكن في فقه العمران.....44
2. مصادر فقه العمران.....49
3. الحسبة والمسكن.....50

الفصل الثاني

المسكن في القصور الصحراوية

- المبحث الأول: الصحراء الجزائرية.....54
- المبحث الثاني: التوزيع الجغرافي للقصور الصحراوية.....56
1. إقليم وادي ريغ.....57
2. إقليم الزاب.....58

59.....	3. إقليم الساورة وتوات.....
61.....	4. قصر المنيعه.....
62.....	5. إقليم وادي مية.....
63.....	6. إقليم وادي مزاب.....
64.....	المبحث الثالث: تعريف القصر (القصر).....
65.....	1. التعريف اللغوي.....
65.....	2. التعريف الاصطلاحي.....
72.....	المبحث الرابع: السمات العامة للمسكن القصورى.....
82.....	المبحث الخامس: فقه العمران ومسكن القصر.....
87.....	المبحث السادس: العوامل المؤثرة في تخطيط مسكن القصر.....
88.....	1. العامل الدينى.....
89.....	2. العامل البيئى (جغرافى مناخى).....
90.....	1-2 المناخ.....
91.....	2-2 مواد البناء المحلية.....
92.....	2-3 طبوغرافية الموقع.....
93.....	3. العامل الاقتصادى.....
94.....	4. العامل الاجتماعى.....
96.....	5. العامل الخارجى (التأثيرات الوافدة).....

الباب الثانى

الدراسة الوصفية

الفصل الأول

المسكن فى قصور وادى مزاب

100.....	المبحث الأول: المعطيات الجغرافية.....
100.....	1. الموقع الجغرافى.....
101.....	2. المعطيات الجيولوجية.....
101.....	3. المعطيات المناخية.....
102.....	1-3 الحرارة.....
102.....	2-3 التساقط.....

102.....	3-3 الرياح
103.....	المبحث الثاني: لمحة تاريخية عن منطقة مزاب
103.....	1. أصل التسمية
104.....	2. لمحة تاريخية
109.....	المبحث الثالث: المسكن بقصور وادي مزاب
110.....	1. الواجهة
111.....	1-1 المدخل
113.....	2-1 الباب
117.....	3-1 العتبة
117.....	4-1 الفتحات
119.....	5-1 الميزاب
121.....	6-1 الارتفاع
122.....	2- الطابق الأرضي
123.....	1-2 السقيفة
123.....	2-2 وسط الدار
124.....	3-2 الغرف
125.....	2-3-أ. غرفة استقبال الرجال
125.....	2-3-ب. غرفة استقبال النساء
126.....	2-3-ت. الغرف
127.....	4-2 المطبخ
128.....	5-2 الكنيف (المرحاض)
129.....	6-2 مربط الدابة
129.....	3. الطابق الأول
130.....	1-3 الغرف
131.....	2-3 غرفة استقبال الرجال
132.....	3-3 الشباك
133.....	4-3 الأروقة
134.....	5-3 الفضاء المكشوف
135.....	6-3 غرفة الخزين
135.....	7-3 المطبخ

136.....	3-8. المطهرة والمرحاض.....
136.....	4-السطح.....
137.....	5- مواد البناء.....
137.....	5-1. الحجارة.....
138.....	5-2. التمشمت.....
139.....	5-3. الجير.....
140.....	5-4. الرمل.....
141.....	5-5. الخشب.....
141.....	5-5-أ. جذوع النخيل.....
142.....	5-5-ب. الجريد وسعفه.....
142.....	5-5-ت. الكرناف.....
142.....	5-5-ث. أخشاب أخرى.....
143.....	6- العناصر المعمارية وتقنية البناء.....
143.....	6-1. الأساسات.....
143.....	6-2. الجدار.....
144.....	6-3. العقود.....
145.....	6-4. التسقيف.....
146.....	6-5. الأقبية.....
146.....	6-6. السلم (الدرج).....
146.....	6-7. التليس والطلاء.....

الفصل الثاني

المسكن في قصر ورثلة

149.....	المبحث الأول: المعطيات الجغرافية.....
149.....	1. الموقع الجغرافي.....
150.....	2. المعطيات الجيولوجية.....
151.....	3. المعطيات المناخية.....
151.....	3-1 الحرارة.....
152.....	3-2 التساقط.....
152.....	3-3 الرياح.....

153.....	المبحث الثاني: لمحة تاريخية عن قصر ورقلة.....
154.....	1. أصل التسمية.....
155.....	2. لمحة تاريخية.....
168.....	المبحث الثالث: المسكن بقصر ورقلة.....
169.....	1- مساكن سدرااته.....
172.....	2- مسكن قصر ورقلة.....
174.....	1-2. الواجهة.....
174.....	1-2-أ. المدخل.....
175.....	1-2-ب. الباب.....
177.....	1-2-ت. العتبة.....
178.....	1-2-ث. الفتحات.....
178.....	1-2-ج. الميزاب.....
179.....	1-2-ح. الارتفاع.....
179.....	2-2. الطابق الأرضي.....
180.....	1-2-2. السقيفة.....
181.....	2-2-2. وسط الدار.....
182.....	3-2-2. الغرف.....
182.....	3-2-2-أ. غرفة استقبال الرجال.....
182.....	3-2-2-ب. غرفة استقبال النساء.....
183.....	3-2-2-ت. الغرف.....
183.....	3-2-2-ث. سلام (الصباط).....
184.....	3-2-2-ج. المطبخ.....
184.....	3-2-2-ح. الكنيف (المرحاض).....
185.....	3-2-2-خ. مربط الدّابة.....
185.....	3-2. الطابق الأول.....
185.....	1-3-2. الغرف.....
185.....	2-3-2. غرفة استقبال الرجال.....
186.....	3-3-2. الشبّاك.....
186.....	4-3-2. الفضاء المكشوف.....

186.....	2-3-5. غرفة الخزين.
187.....	2-3-6. المطبخ.
187.....	2-3-7. المطهرة والمرحاض.
187.....	2-4. السطح.
187.....	2-5. الدهليز.
188.....	2-6. مواد البناء.
188.....	2-6-1. الحجارة.
189.....	2-6-2. التيمشرفت.
190.....	2-6-3. الجير.
191.....	2-6-4. الرمل.
191.....	2-6-5. الطوب.
192.....	2-6-6. الخشب.
192.....	2-6-6-أ. جذوع النخيل.
193.....	2-6-6-ب. الجريد وسعفه.
193.....	2-6-6-ت. الكرناف.
194.....	2-6-6-ث. أخشاب أخرى.
194.....	2-7. العناصر المعمارية وتقنية البناء.
194.....	2-7-أ. الأساسات.
195.....	2-7-ب. الجدار.
196.....	2-7-ت. العقود.
196.....	2-7-ث. التسقيف.
197.....	2-7-ج. الأقبية.
197.....	2-7-ح. الصلالم (الدرج).
198.....	2-7-خ. التلبيس والطلاء.

الباب الثالث

الدراسة الميدانية، وتحليل النتائج

الفصل الأول

الدراسة الميدانية

201.....	المبحث الأول: مساكن قصور وادي مزاب.....
201.....	- المسكن رقم 01.....
208.....	- المسكن رقم 02.....
215.....	- المسكن رقم 03.....
221.....	- المسكن رقم 04.....
229.....	- المسكن رقم 05.....
239.....	المبحث الثاني: مساكن قصر ورقلة.....
239.....	- المسكن رقم 01.....
246.....	- المسكن رقم 02.....

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية المقارنة

257.....	المبحث الأول: التخطيط العام وتوزيع الفضاءات.....
257.....	1. التخطيط العام.....
259.....	2. الواجهات.....
261.....	1-2. المداخل.....
262.....	2-2. الباب.....
264.....	3-2. العتبة.....
265.....	4-2. الفتحات.....
266.....	5-2. الميازيب.....
266.....	6-2. الارتفاع.....
268.....	3. الطابق الأرضي.....
270.....	1-3. السقيفة.....
271.....	2-3. وسط الدار.....

273.....	3-3. الغرف.....
274.....	3-3-أ. غرفة استقبال الرجال.....
275.....	3-3-ب. الفضاء الانتقالي.....
276.....	3-3.ت. غرفة استقبال النساء.....
278.....	3-3-ث. الغرف.....
279.....	4-3. المطبخ.....
281.....	5-3. المطهرة والكنيف.....
282.....	6-3. مربط الدّابة.....
283.....	7-3. غرفة الخزين.....
284.....	4. الطابق الأول.....
284.....	1-4. الغرف.....
286.....	2-4. غرفة استقبال الرجال.....
288.....	3-4. شباك وسط الدار.....
289.....	4-4. الرواق.....
291.....	5-4. الفضاء المكشوف.....
291.....	6-4. غرفة الخزين.....
292.....	7-4. المطبخ.....
292.....	8-4. المطهرة والكنيف.....
293.....	5. السطح.....
295.....	6. الدهليز.....
295.....	المبحث الثاني: مواد البناء وتقنيات البناء.....
295.....	1. مواد البناء.....
296.....	1-1. الحجارة.....
297.....	2-1. التمشنت أو التمشمت.....
298.....	3-1. الجير.....
298.....	4-1. الرمل.....
299.....	5-1. الطوب.....
299.....	6-1. الخشب.....
299.....	7-1. جذوع النخيل.....
300.....	7-1-أ. الجريد.....

300.....	7-1-ب. الكرناف.....
301.....	7-1-ت. أخشاب أخرى.....
301.....	2. العناصر المعمارية وتقنيات البناء.....
301.....	1-2. الأساسات.....
302.....	2-2. الجدار.....
302.....	3-2. الكوات.....
303.....	4-2. العقود والأعمدة والدعامات.....
305.....	5-2. التسقيف.....
306.....	6-2. السلالم (الدرج).....
307.....	7-2. التليس والطلاء.....
308.....	8-2. الزخارف.....
311.....	الخاتمة.....

قائمة المصادر والمراجع

الملاحق

الفهارس

ملخص:

تتناول هذه الدراسة موضوع المسكن التقليدي في القصور الصحراوية بالجزائر، حيث تضم هذه الأخيرة عددا من الأقاليم الصحراوية كإقليم الساورة، وتوات، ووادي ريغ، ووادي مية ووادي مزاب، ووقع الاختيار على منطقة وادي مزاب وقصر ورثلة لوجود عدد من المعطيات التاريخية والجغرافية التي سمحت بإجراء المقارنة، وهذا للوقوف ميدانيا على مدى تطابق أو اختلاف مساكن هذه القصور، وتحديد مميزاتها وخصائصها.

الكلمات المفتاحية:

مسكن - قصر - مدخل منكسر - سقيفة - وسط الدار - التمشمت - النخلة - مزاب - ورثلة.

Résumé :

Cette étude a pour objet le sujet l'habitat traditionnel dans les ksour sahariens en Algérie puisqu'elle comprend un grand nombre de zones sahariennes tel que la Saoura, Touat, Oued Righ, Oued Miaa, et Oued M'zab, nous avons choisi la region du Oued M'zab et le Ksar de Ouargla parce qu'il comprend plusieurs données historiques et géographiques, qui nous ont permis d'effectuer une comparaison, afin de constater et de confirmé sur le terrain la ressemblance ou la différence des maisons de ces Ksour, et d'effectuer et localisé ces caractéristiques.

Mots clefs :

Habitation - Ksar - Entrée en chicane - S'kifa - Patio - Timechent - Palmier - M'zab - Ouargla

Abstract :

This study is dealing with the subject of the traditional houses in saharian Ksour in Algeria, witch has great areas such as El Saoura, Touat, Oued Righ, Oued Miaa, Oued M'zab, and we have chosen Oued M'zab and the Ksar of Ouargla because of the big historical and geographical facts that permitted to us to stand practically on the resemblance and the difference of the houses in the Ksour and to define their characteristics.

Key words:

house - Ksar - Chicane entrance - S'kifa - Patio - Timechent - Date - Palm - M'zab - Ouargla